رواية

بيل كلينتون

و

جيمس باترسون

ترجمة نداء فاروق غانم

الرئيس اختفى

t.me/twinkling4

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.

جميع الحقوق محفوظة ©

t.me/twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

الشخصيات والأحداث في هذا الكتاب من وحي الخيال. أيّ تطابق أو تشابه بينها وبين أشخاص حقيقيّين، أحياء كانوا أو أمواتًا، وبين وقائع جرَت في الماضي أو الحاضر، هو من قَبيل الصّدفة ولم يقصد المؤلّف (المؤلّفون) ذلك أبدًا.

شكر خاص لروبرت بارنيت، محامينا وصديقنا المشترك، الذي جمعنا معًا في هذا الكتاب، فقد نصحنا، وأقنعنا، وأحيانًا توعّدنا بالسوط لإنجاز هذا العمل.

شكرًا أيضًا لديفيد إليس، الصبور دائمًا، والحكيم أبدًا، الذي كان عالقًا معنا في البحث، وفي خطوط الرواية العريضة في شكلها الأوّل والأخير، وفي كثير من المسودات، فما كانت لتكون الرواية بهذا الشكل لولا مساعدة ديفيد وإلهامه.

إلى هيلاري كلينتون، التي عاشت مع التهديد المستمرّ الذي يشكّله ضرورة إنهاء هذا العمل، وعملت ضدّ هذا التهديد وضدّ عواقب التحذيرات اللامبالية على الوتيرة نفسها، ولأجل تشجيعها وتذكيرها المستمر لإخراج هذه الرواية إلى النور.

إلى سو سولي باترسون، التي تجيد فن النقد، وفن التشجيع، معًا على الأغلب.

إلى ماري جوردان، التي تُبقي ذهنها حاضرًا بينما يفقده جميع من حولها.

إلى دينين هاول ومايكل أوكونور، اللذين يُبقِيان الجميع على العقد، وعلى الموعد المحدد، وإلى الهدف.

إلى تينا فلورني وستيف رينهارت، اللذين دعما الرّاوي المبتدئ بيننا ليصمد حتى نهاية الاتفاق.

وإلى جميع رجال ونساء الخدمة السرّيّة الوطنيّة في الولايات المتحدة الأمريكية، وكل من يعمل في تنفيذ القانون، وإلى عناصر الجيش والاستخبارات

والدبلوماسية، الذين يكرسون حياتهم للحفاظ على السلام والأمان.

بيل كلينتون

جيمس باترسون

الرئيس اختفى

الخميس

العاشر من مايو

1

«ستصل اللجنة المختارة من مجلس النوّاب لطلب..».

المحتالون يحومون كأسماك القرش، وتجذب أنوفهم رائحة الدم. لأكون أكثر دقة، ثلاثة عشر منهم، ثمانية من حزب المعارضة وخمسة من حزبنا، هم المحتالون الذين كنتُ قد حضّرت دفاعاتي ضدّهم مع المحامين والمستشارين. تعلّمت بأصعب الطُّرُق أنه مهما كان استعدادك جيّدًا، فإنّ محامي الدفاع المستعدّين للعمل ضد الانتهازيين قلائل جدًّا. في مرحلة ما، لا يمكنك فعل شيء سوى العودة لتهاجم وتقاتل.

لا تفعل ذلك، مرّة أخرى توسّلَتني كارولين بروك التي اخترتها لتكون كبيرة موظّفي البيت الأبيض، الليلةَ الماضية كما توسّلَتني سابقًا أكثر من مرة. *لا يمكنك الذهاب إلى أي مكان مع اقتراب موعد لجنة جلسة الاستماع سيّدي. لديك كل شيء تخشى أن تخسره، ولم يتبق شيء لتكسبه.*

لا يمكنكَ الإجابة على أسئلتهم يا سيدي.

ستكون نهاية فترة رئاستكم.

تصفّحتُ الوجوه الثلاثة عشر التي تجلس قبالتي في صف

طويل، في هيئة محاكم التفتيش الإسبانية لكن بلمسة عصريّة. يتَنَحْنَح الرجل ذو الشعر الفضّي الذي يجلس في الوسط وأمامه بطاقة تعريف تحمل اسمه: *السّيد* رودز.

لا يشارك ليستر رودز رئيس مجلس النواب عادة في جلسات الاستماع؛ لكنّه استثنى هذه اللجنة المختارة، التي اختارها بمحاباة مع أعضاء الكونغرس الجالسين إلى جواره في الصفّ. يبدو أنّ هدفه الرئيس في الحياة هو أن يوقف جدول أعمالي ويعمل على تخريب حياتي السياسية والشخصية. رغم أن الرّغبة الإنسانيّة المتوحّشة في الاستحواذ على السّلطة قديمة، أقدم من الكتّاب المقدس، فإنها مازالت موجودة في هذا العصر، إنّ بعض خصومي يبغضونني حقًّا. لا يريدون إبعادي نهائيًّا من منصبي فقط، بل لن يرضيهم سوى إرسالي إلى السجن، مسحولًا ومُمَزّقًا، وممسوحًا من كُتب التاريخ. اللّعنة، ربما لو استطاعوا لكانوا أحرقوا بيتي شمال كارولينا، وبصقوا على قبر زوجتي.

أُسْبِل ذراع الميكروفون إوَزّيّ الشّكل إلى أن صار مشدودًا، ومفرودًا على آخره، وأقرّبه ما أمكنني ذلك. لا أريد أن أنحني إلى الأمام لأتحدّث بينما يجلس أعضاء اللجنة باستقامة على كراسيهم الجلديّة مدعومة الظهر مثل مُلوك وملكات على عروشهم. الانحناء إلى الأمام سيجعلني أبدو ضعيفًا، وتابِعًا، وبمثابة رسالة مُبَطّنة أنني تحت رحمتهم.

أنا وحدي، على مقعدي، دون معاونين، ولا محامين، ولا مسودات. لن يشاهدني الشعب الأمريكي أتمتم مع المحامي، ويدي على الميكروفون، ثم أرفعها عنه للإدلاء

بشهادتي إنني لا أحمل أيّ ذكرى محددة عن ذلك، يا عضو الكونغرس. أنا لا أختبئ. يجب ألّا أكون هنا، واثق تمامًا أنني يجب ألا أكون هنا، ومع ذلك فأنا هنا. أنا فحسب. رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يواجه حشدًا من المُشَكّكين.

في زاوية الغرفة، يجلس للمراقبة ثُلاثيّ كِبار مساعديّ: كبيرة موظفي البيت الأبيض كارولين بروك، وداني أكيرز أقدم أصدقائي والمستشار القانوني للبيت الأبيض، وجيني بريكمان نائبة رئيس الأركان وكبيرة المستشارين السياسيين. يجلسون فاقدي الحماسة، وجوههم جامدة، وقلقين. لا أحد منهم يريدني أن أفعل ذلك. اتفق جميعهم بالإجماع على أني ارتكبتُ أكبر خطأ لي خلال فترة رئاستي.

لكني هنا. حان الوقت. سنرى إن كانوا على حق.

«سيدي الرئيس».

«السيد رئيس مجلس النواب». واقعيًّا، في هذا السياق، ربما يجب أن أدعوه السيد رئيس الجلسة، لكن هناك مسمّيات كثيرة يمكنني أن أناديه بها، لكني لن أفعل.

من الممكن أن يبدأ هذا بعدّة طُرق. خطاب تهنئة - ذاتي من رئيس مجلس النواب، مُتنكّرًا في هيئة سؤال. بعض الأسئلة أُعِدّت كتمهيد خفيف. لكني شاهدت ما يكفي من فيديوهات استجواب الشهود قام بها ليستر رودز قبل أن يصبح رئيس مجلس النواب، بالعودة إلى الماضي عندما كان عضو كونغرس عادي في لجنة الرقابة، وأنا أعلم أنّه يحمل نزعة قوية للسيطرة على الشاهد وإضعافه ومن ثمّ

التغلب عليه. هو يعلم - في الواقع كل شخص يعلم منذ عام 1988، عندما تخبّط مايكل دوكاكيس في أول سؤال وُجّه لنقاشه حول رأيه في عقوبة الإعدام - أنه إذا تلقّى ضربة في افتتاحية الجلسة، فلا أحد سيتذكّر بعدها شيئًا آخر((1)).

هل سيتبع رئيس مجلس النوّاب الخطة ذاتها في الهجوم مع الرئيس الحالي؟

بالطبع، سيفعلها.

«الرئيس دنكان». هكذا استهلّ كلامه، وأردف قائلًا: «منذ متى ونحن في مجال حماية الإرهابيين؟»

«نحن لسنا في هذا المجال». أجبت مسرعًا لدرجة أنني بدأتُ في الرد وهو ما زال يسأل، لأن سؤالًا كهذا لا يجب أن تلتقط أنفاسك حتى تجيب عليه. «ولن نكون أبدًا. ليس وأنا الرئيس».

«هل أنتَ متأكد من ذلك؟»

هل حقًا قال ذلك؟ تصعدُ الحرارة إلى وجهي وأستشيط غضبًا. لم تمضِ سوى دقيقة واحدة، إنه بالفعل يزعجني.

«السيد رئيس مجلس النواب». أقول، وأتابع: «إن قلتُها، فإني أعنيها. لنكن واضحين منذ البداية. نحن لا نعمل في مجال حماية الإرهابيين».

يصمت بُرهة بعد هذا التذكير. «حسنًا، سيدي الرئيس، ربما نحن نحلّل الكلمات هنا. هل تعتبر منظمة أبناء الجهاد إرهابية؟»

«بالطبع». أخبرني مُساعديّ ألا أقول بالطبع؛ إنها تبدو مغرورة ومُتعالية ما لم تُقَل بشكل صحيح.

«تلك المجموعة مدعومة من روسيا، أليس كذلك؟»

أومئ موافقًا. «روسيا تقدّم الدعم لأبناء الجهاد وغيرها من المنظمات الإرهابية».

«ارتكبت أبناء الجهاد أعمالًا إرهابية في ثلاث قارات مختلفة، هل هذا صحيح؟»

«نعم، هذا ملخّص دقيق».

«إنهم مسؤولون عن موت آلاف الأبرياء؟»

«نعم».

«بمن فيهم أمريكيون؟»

«نعم».

«الانفجارات التي وقعت في فندق بيلود آرمز في بروكسل التي راح ضحيتها سبعة وخمسون شخصًا، من ضمنهم وفد من مُشرِّعي ولاية كاليفورنيا؟ واختراق نظام مراقبة الملاحة الجوية لجمهورية جورجيا، مما تسبّب في إسقاط ثلاث طائرات، إحداها تحمل السفير الجورجي للولايات المتحدة؟»

أجيب: «نعم. كلا الحادثين وقع قبل أن أتولّى منصب الرئيس، لكن نعم، أعلنت أبناء الجهاد مسؤوليتها عنهما..».

«حسنًا، منذ أن تولّيتَ الرئاسة، لنتحدّث عن هذه الفترة. أليس صحيحًا أنه منذ بضعة أشهر فقط، هاجمتْ

أبناء الجهاد النظام العسكري الإسرائيلي ونشروا معلومات سرّية عن عملاء إسرائيليين وتحركات وحدات الجيش؟»

أجيب: «نعم. هذا صحيح».

«وبالقرب من الوطن، هنا في أمريكا الشمالية». يقول، ويكمِل: «الأسبوع الماضي فقط. يوم الجمعة، في الرابع من مايو. ألم يقم أبناء الجهاد بعمل إرهابي آخر عندما اخترقوا أجهزة الكمبيوتر التي تتحكّم في نظام مترو الأنفاق في تورنتو وأغلقوه، مما تسبّب في خروج قطار عن مساره أدّى إلى مقتل سبعة عشر شخصًا، وإصابة عشرات آخرين، وترك آلاف الأشخاص في ظلام الأنفاق تقطّعت بهم السُّبل لساعات؟»

إنه على حق في تحميل مسؤولية ذلك لأبناء الجهاد أيضًا. وعدد الضحايا دقيق. مع ذلك، بالنسبة لأبناء الجهاد فذلك لا يُعدّ عملًا إرهابيًا.

إنه بمثابة اختبار تجريبي.

«أربعة من الذين لقوا حتفهم في تورونتو كانوا أمريكيين، أليس كذلك؟»

«هذا صحيح». أجيب، وأُتابع: «لم تعلن أبناء الجهاد مسؤوليتها عن هذه العملية، ومع ذلك نؤمن أنهم مسؤولون».

يومئ، وينظر في أوراقه. «قائد أبناء الجهاد، سيدي الرئيس. رجل يدعى سليمان سيندوروك، صحيح؟»

ها نحن!

«نعم، سليمان سيندوروك هو قائد أبناء الجهاد». أرد.

«أخطر الإرهابيين الإلكترونيين وأغزرهم إنتاجًا على مستوى العالم، صحيح؟»

«هذا ما أود قوله».

«مسلم تركي المولد، أليس كذلك؟»

«إنه تركي المولد، لكنه ليس مسلمًا». أقول، وأكمل: «إنه علماني، قومي متطرف مُعارض لتأثير الغرب في وسط وجنوب شرق أوروبا. إنّ *الجهاد* الذي يخوضه لا علاقة له بالدين».

«هذا ما تقوله لنا».

«هذا ما يقوله كل تقييم ذكاء رأيته في حياتي». أوضح له، وأُتابع: «وهذا ما قرأته أيضًا سيد رئيس مجلس النواب. إذا رغبت في تحويل هذا إلى خطاب كراهية للإسلام، فامضِ في ذلك، لكن هذا لن يجعل بلادنا أكثر أمنًا».

يُفرج عن ابتسامة ساخرة، ويقول: «على أي حال، هو أكثر إرهابي مطلوب في العالم، أليس كذلك؟»

أقول: «نريد القبض عليه، ونريد القبض على أي إرهابي يحاول أن يُلحِق الأذى ببلادنا».

يصمت قليلًا. ويفكّر إن كان سيسألني مُجدّدًا، هل أنت متأكد من ذلك؟ إن فعلها، سيلزمني أن أستجمع كل ما أملك من قوة إرادة لكي لا أضربه ضربًا مُبرِحًا على الطاولة، وأقبض عليه من عنقه وأُخرِجه.

يقول: «فقط لتوضيح الأمر، إذن. الولايات المتحدة تريد القبض على سليمان سيندوروك».

«لا حاجة لتوضيح ذلك». أردّ بحزم، وأكمِل: «لا يوجد أي التباس في ذلك. أبدًا. نحن نطارد سليمان سيندوروك لعقد من الزمان. ولن نتوقف إلى أن نمسك به. هل هذا واضح بما يكفي لك؟»

«حسنًا، سيدي الرئيس، مع كامل احترامي المُستحق..».

«لا». أقول مقاطِعًا، وأكمِل: «عندما تبدأ سؤالك بقول 'مع كامل احترامي المستحق. ' هذا يعني أنك على وشك قول شيء لا يُظهِر أي احترام. يمكنك أن تفكّر كما تشاء، يا سيد رئيس مجلس النواب، لكن يجب أن تُظهِر الاحترام... إن لم يكن لأجلي فلأجل أولئك الذين يُكرّسون حياتهم لوقف الإرهاب ليحافظوا على بلادنا آمنة. نحن لسنا مثاليين، ولن نكون. لكننا لن نتوقف عن بذل الأفضل لبلادنا».

ثم أشرتُ له باستخفاف. «امضِ واطرح أسئلتك».

تتسارع نبضات قلبي، آخذ نفَسًا وأُلقي نظرة خاطفة نحو مستشاريّ الثلاثة. جيني، مستشارتي السياسية، التي تومئ برأسها؛ دومًا كانت تريدني أن أكون أكثر عدائية مع رئيس مجلس النواب الجديد. داني لا يُبدي شيئًا. كارولين، كبيرة موظّفيّ، تميل للأمام، واضعة مرفقيها على ركبتيها، ويداها مائلتين في اتجاه صدغها أسفل ذقنها. لو كانوا حُكّامًا أولمبيّين، لأعطتني جيني تسعة لأجل هذه

العاصفة، لكن كارولين كانت ستمنحني أقل من خمسة.

«لن أقبل بالتشكيك في وطنيّتي، سيدي الرئيس». يقول خصمي ذو الشعر الفضي: «لدى الشعب الأمريكي مخاوف كبيرة بشأن ما حدث الأسبوع الماضي في الجزائر، ولم نتوصّل إلى ما حدث هناك بالضبط حتى اللحظة، للشعب الأمريكي الحق في معرفة إلى أي جانب أنت».

«إلى أيّ جانب أنا؟» أميل إلى الأمام، أكاد أطرُق قاعدة الميكروفون بالطاولة. «أنا إلى جانب الشعب الأمريكي، هذا هو الجانب الذي أنا معه».

«سيدي الرئيـ..».

«أنا إلى جانب الناس التي تعمل على مدار الساعة لتحافظ على أمن البلاد. الذين لا يشغلهم التفكير في الرؤى أو النظريات أو مِن أيّ اتجاه ستهبّ رياح السياسة. الذين لا يسعون لمجد شخصي لنجاحاتهم ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم عند تعرّضهم للنقد. أنا إلى جانب هؤلاء».

«سيدي الرئيس دنكان، أنا أساند بقوة الرجال والنساء الذين يحاربون يوميًا من أجل الحفاظ على أمن أمتنا». يقول، ويتابع: «هذا ليس عنهم. هذا *عنك*، سيدي. هذه ليست لعبة نلعبها هنا. فأنا لا أجد متعة في هذا».

في ظروف أخرى، كنتُ سأضحك. كان ليستر رودز يتطلّع إلى جلسة الاستماع المختارة من اللجنة المكوّنة من شباب جامعيّين ما زال كلّ واحد منهم يتطلّع إلى عيد ميلاده الحادي والعشرين.

كل ما يحدث استعراض. قام رئيس مجلس النواب

رودز بتشكيل هذه اللجنة بحيث لا تكون هناك سوى نتيجة حقيقية واحدة هي تأكيد حالة سوء إدارة رئاسيّ كافية لإحالة الأمر برمّته إلى اللجنة القضائية في مجلس النواب للبدء في إجراءات الإقالة. جميع أعضاء الكونغرس الثمانية الذين إلى جانبه في الدوائر الانتخابية الموثوقة للكونغرس، سيتلاعبون كالأطفال بشكل ساخر عبر إخبارنا بخططهم في منتصف جلسة الاستماع، ويبدؤون في التّذمر، ولن يعاد انتخابهم لعامين فقط، بل سيخوضون الانتخابات دون معارضة أيضًا.

مُساعديّ على حق. لا يهم إن كانت الأدلة ضدي قوية، أو ضعيفة، أو حتى معدومة. الموت مُعَدّ فعلًا.

أقول له: «اطرح أسئلتك، دعنا ننتهي من هذه التمثيلية».

في الزاوية، داني أكيرز يجعل كارولين تجفل، حين يهمس لها بشيء، والتي بدورها تميل للرد عليه مع الحفاظ على وجهها جامدًا دون تعابير. لا يحب داني الملاحظة الأخيرة في التمثيلية المصطنعة، وهجومي على جلسة الاستماع هذه. أخبرني أكثر من مرة أنّ ما فعلته يبدو «سيئًا، سيئًا جدًا». مما يعطي الكونغرس سببًا وجيهًا للتحقيق.

إنه ليس مخطئًا في ذلك. إنه لا يعرف القصة كاملة. ليس لديه التصريح الأمني لمعرفة ما أعرفه، وما تعرفه كارولين. لو علم بذلك، سيتعامل بأسلوب مختلف تمامًا. كان يعرف الخطر الذي يهدد بلادنا، وهو تهديد لم نواجه مثيله من قبل.

تهديد دفعني للقيام ببعض الأمور التي لم أتوقّع أن أفعلها.

«سيدي الرئيس، هل اتصلت بسليمان سيندوروك يوم الأحد الموافق للتاسع والعشرين من أبريل هذا العام؟ منذ أكثر من أسبوع؟ هل اتصلت عبر الهاتف أو لم تتصل بأحد أكثر الإرهابيين المطلوبين في العالم؟»

أقول: «السيد رئيس مجلس النواب، كما قلت عدة مرات في السابق، وكما تعلمون، لا يمكن الكشف علناً عن كل ما نقوم به للحفاظ على أمن بلادنا. يدرك الشعب الأمريكي أنّ الحفاظ على أمن الأمة ومتابعة شؤونها الخارجية يتطلّب الكثير من التحركات، والكثير من المعاملات المعقّدة، وهذا بعض مما نعمل عليه في إدارتي ويجب أن يبقى سرّيًا. ليس لأننا نريد أن نبقي الأمور سرّية، لكن لأننا يجب أن نفعل ذلك. وهذه هي نقطة الامتياز التنفيذي».

ربما يعترض رودز على إمكانية تطبيق الامتياز التنفيذي على المواد السرية. لكن داني أكيرز، مستشار البيت الأبيض، يقول إنني سأكسب تلك المعركة، لأننا نتعامل مع سلطتي الدستورية في الشؤون الخارجية.

بطريقة ما أو في كلا الحالتين، تنقبض معدتي كلما تفوّهت بهذه الكلمات. لكن داني أبلغني إن لم أتمكّن من الحصول على الامتياز، فقد أتنازل عنه. وإذا تنازلت عن ذلك، فيجب أن أجيب على سؤال ما إذا كنتُ قد قمت بإجراء مكالمة هاتفية مع سليمان سيندوروك، أكثر إرهابي مطلوب على هذا الكوكب، قبل أسبوعين.

وهذا سؤال لن أجيب عليه.

«حسنًا، سيدي الرئيس، لست متأكدًا من أنّ الشعب الأمريكي سيعتبر ذلك جزءًا من الإجابة».

حسنًا، السيد رئيس مجلس النواب، لستُ متأكدًا تمامًا إذا اعتبرك الشعب الأمريكي مُتحدّثًا، أيًّا كان، لكن مرة أخرى، لم يرشّحكَ الشعب الأمريكي كمُتحدّث، أليس كذلك؟ لقد حصلتَ على ثمانين ألف صوت بأس في الدائرة الانتخابية الثالثة في ولاية إنديانا. وحصلتُ على أربعة وستين مليون صوت. لكن رفاقك في الحزب جعلوك قائدًا عليهم لأنك جمعتَ الكثير من المال الملعون لهم ووعدتهم بأن يعلّق رأسي على *الحائط*.

من المحتمل ألّا يمثّل هذا بشكل جيد على التلفزيون.

«إذن، أنت لا تُنكِر أنك اتصلت بسليمان سيندوروك بتاريخ التاسع والعشرين من أبريل، هل هذا دقيق؟»

«لقد أجبتُ بالفعل على سؤالك».

«لا، سيدي الرئيس، لم تفعل. أنت على علم أنّ جريدة لوموند الفرنسية نشرت سجلات هاتفية مُسرّبة، جنبًا إلى جنب مع تصريحات من مصدر مجهول، تشير إلى أنك اتصلت وتحدثت مع سليمان سيندوروك يوم الأحد الموافق للتاسع والعشرين من أبريل من هذا العام. هل أنتَ على علم بذلك؟ »

أقول: «لقد قرأتُ المقال».

«أتنكر ذلك؟»

«قدّمتُ الإجابة نفسها التي أدليتُ بها من قبل. لا

أناقش ذلك. لن أدخل في لعبة أجريت-مكالمة-أم-لا. أنا لا أؤكد أو أنفي أو حتى أناقش الإجراءات التي اتخذتُها للحفاظ على سلامة بلادنا. وليس حين يكون مطلوبًا مني أن أبقيها سرًا لمصلحة الأمن القومي».

«حسنًا، سيدي الرئيس، إذا كانت واحدة من أكبر الصحف في أوروبا هي التي نشرتها، فأنا لست متأكدًا من أنها ظلّت سرًا بعد الآن».

«إجابتي هي نفسها». أقول. يا إلهي، أطلقتها بصوت كالأبله. الأسوأ من ذلك، كصوت محامي.

«هذه تقارير لوموند» - الصحيفة التي بين يديه- «رتّب واشترك الرئيس الأمريكي جوناثان دنكان مكالمة هاتفية مع سليمان سيندوروك، زعيم منظمة أبناء الجهاد وأكثر إرهابي مطلوب في العالم، للسعي إلى إيجاد أرضية مشتركة بين المنظمة الإرهابية والغرب. هل تنكر ذلك سيدي الرئيس؟»

لا أستطيع الرد، وهو يعرف ذلك. إنه يضرب حولي مثل هرّة صغيرة تضرب حول كرة من الخيوط.

أقول: «لقد قدّمتُ إجابتي بالفعل. لن أكرّر ما قلت».

«لم يعلّق البيت الأبيض أبدًا على تقرير صحيفة لوموند بطريقة أو بأخرى».

«هذا صحيح».

«سليمان سيندوروك فعل، مع ذلك لم يفعل؟ عرض شريط فيديو يقول، يمكن للرئيس فعل كل ما يريد لطلب

الرحمة. ولن يحصل الأمريكيون على الرحمة مني. أليس هذا ما صرّح به؟»

«نعم هذا ما صرّح به».

«وردًا على ذلك، أصدر البيت الأبيض بيانًا. يقول، *لن نستجيب الولايات المتحدة لخطاب الإرهاب الفظيع*».

أقول: «هذا صحيح، لن نفعل ذلك».

«هل سألته الرحمة، سيدي الرئيس؟»

مستشارتي لشؤون السياسة، جيني بريكمان، تشدّ شعرها عمليًّا. إنها لا تملك تصريحًا أمنيًا أيضًا، لذا لا تعرف القصة كاملة، لكن اهتمامها الرئيسي هو أن يُنظر لي كمحارب في جلسة الاستماع هذه. إن لم تستطع أن تحارب، قالت، إذن لا تذهب. ستكون لخسب دميتهم السياسية بيناتا((2)).

وهي مُحقّة. مُحقّة حتى اللحظة، إنه دور ليستر رودز ليضع عُصابة على عينيّ ويبرحني ضربًا، آملًا بحفنة من المعلومات السرية والأخطاء السياسية التي ستنسكبُ من جذعي.

«أنت تهزّ رأسك سيدي الرئيس. لا. فقط لنكن واضحين: أنت تنكر أنك توسّلت سليمان سيندوروك طلبًا للرحـ..».

«الولايات المتحدة لا نتوسّل أحدًا أيّ شيء». أقول.

«حسنًا، إذن أنت تنكر ادعاء سليمان سيندوروك أنك توسّلت..».

أكرّر: «الولايات المتحدة، لن نتوسّل أحدًا أيّ شيء. هل هذا واضح يا سيد رئيس مجلس النواب، هل تودّ أن أعيد ما قلته؟»

«إذن، إن لم نتوسّل إليه..».

أقول: «السؤال التالي».

«هل سألته ألا يهاجمنا بأسلوب لطيف؟»

«السؤال التالي». أقول مرة أخرى.

يصمت برهة، ويُلقي نظرة على دفتر ملاحظاته.

«وقتي انتهى». ويضيف قائلًا: «لديّ بعض الأسئلة الإضافية فقط».

أسقطتُ واحدًا -غالبًا أسقطته- لكن هناك اثني عشر مُحقّقًا آخر لأجتاز هذا التحقيق، جميعهم مُتأهّبون بملاحظاتهم البارعة وتعليقاتهم الذكية وأسئلتهم الخادعة للإطاحة بي في الوقت المناسب.

يُعرَف رئيس مجلس النواب بأسئلته الختامية بالقدر نفسه الذي يُعرف فيه بأسئلته الاستفتاحية. أعلم مسبقًا ما سيقوله في كل الأحوال. وفي المقابل هو يعرف جيدًا أني لن أتمكن من الإجابة.

«سيدي الرئيس». يقول: «لنتحدّث عن يوم الثلاثاء، الأول من مايو. في الجزائر».

قبل أكثر من أسبوع.

«الثلاثاء، الأوّل من مايو». يقول، ويضيف موضحًا: «مجموعة من الانفصاليين الموالين لأوكرانيا، والمناهضين

لروسيا اعتدوا على مزرعة في شمال الجزائر حيث يُعتقد أنّ سليمان سيندوروك مختبئ. وهو المكان الذي كان يختبئ فيه فعلًا. كانوا قد حدّدوا موقع سيندوروك، وانتقلوا إلى تلك المزرعة بِنيّة قتلهم. لكن تمّ إحباطهم، سيدي الرئيس، من قِبل فريق من القوات الخاصة وعملاء وكالة الاستخبارات المركزية من الولايات المتحدة. وهكذا نجا سليمان سيندوروك في هذه العملية ».

بقيتُ ساكنًا تمامًا.

سأل قائلًا: «هل أمرتَ بهجوم مُضاد، سيدي الرئيس؟ وإن كان كذلك، فلماذا؟ لماذا يُرسِل الرئيس الأمريكي قوات أمريكية لإنقاذ حياة إرهابي؟»

---

(1) مايكل دوكاكيس: ترشّح ليكون رئيسًا للولايات المتحدة في انتخابات عام 1988 وحينها سُئل: إذا تعرضت زوجتك للاغتصاب ثم قُتلت، فهل ستؤيد إنزال عقوبة الإعدام على المجرم؟ وكان معروفًا أنه يعارض عقوبة الإعدام، فأجاب أنه لا يؤيدها لأنه لا يراها عقوبة رادعة، وبسبب هذه الإجابة خسر الرئاسة.

(2) بيناتا: شخصية مزينة على شكل حيوان يحتوي على دُمى وحلوى تُعلّق على ارتفاع ما في أماكن الاحتفالات، ويحاول الأطفال تحطيمها وأعينهم معصوبة.

2

«تمّ التأكّد من هويّة الرجل من أوهايو: السيد كيرنز».

أضغط على قصبة أنفي، لمحاربة التعب الذي بدأ يجتاحني. أنهكني أنني لم أنم سوى بضع ساعات خلال الأسبوع الماضي، وأنهكتني الرياضة الذهنية التي يجب أن أقوم بها خلال دفاعي الأعزل عن نفسي، بيد واحدة كأنها معقودة إلى ظهري. لكنّ أكثر ما أشعر به هو الانزعاج. لدي أمور أقوم بها. لا وقت لدي لهذا.

أنظر إلى يساري، إلى يمين بطاقة التعريف بالاسم. مايك كيرنز هو رئيس اللجنة القضائية في مجلس النواب ومساعد ليستر رودز المُقرّب. إنه يحبّ ارتداء ربطة العنق لنعرف جميعًا مدى ذكائه. شخصيًّا، رأيتُ ملاحظات مدوّنة على قُصاصات ورقيّة تحمل عُمقًا أكثر من كلّ ما يقول.

لكن الرجل يعلم جيدًا كيف يصيغ الأسئلة. فقد كان مدعيًا اتحاديًا لسنوات قبل دخول الحلبة السياسية. الرؤوس المعلّقة على جداره، من استطاع أن يهزمهم، تشمل اثنين من المدراء التنفيذيين في قِطاع الصحّة والصّيدلة وحاكمًا سابقًا.

«التصدي للإرهابيين مسألة أمن قومي خطيرة، سيدي الرئيس. هل توافق على ذلك؟ »

«قطْعًا أوافق».

«إذن هل توافق على أنّ أي مواطن أمريكي يتدخّل في إمكانياتنا لإيقاف الإرهابيين سيتّهم بالخيانة؟»

«أدين هذا الفعل». أجيب.

«هل سيعدّ ذلك فعل خيانة؟»

«سأدع هذا الأمر للمحامين والمحاكم ليقرّروا فيه».

كلانا محامٍ، ومع ذلك وضّحت وجهة نظري.

«هل من الممكن إدانة الرئيس بجريمة لو كان هو الذي تدخّل في إيقاف الإرهابيين؟»

قال الرئيس السابق جيرالد فورد مرّة: إنّ الاتهام بارتكاب جريمة هو ما تُقرّه أغلبية أعضاء مجلس النواب.

«هذا الاتهام لا يعود قراره إليّ» أرد.

يومئ. «ليس كذلك. في وقت سابق، رفضت أن تقول ما إذا كنت قد أمرت عملاء القوات الخاصة الأمريكية ووكالة الاستخبارات المركزية بوقف هجوم على سليمان سيندوروك في الجزائر ».

«قلت، سيد كيرنز، لا يمكن مناقشة بعض مسائل الأمن القومي علانية».

«وفقًا لصحيفة *نيويورك تايمز*، كنتَ تعمل على معلومات سرّية تشير إلى أنّ جماعة المليشيات المناهضة لروسيا قد حدّدت موقع سليمان سيندوروك وكانت على وشك قتله».

«قرأتُ ذلك. ولن أناقشه».

عاجلًا أم آجلًا، سيواجه كلّ رئيس قرارات يكون فيها الخيار الصّحيح هو قرار السياسة الفاسدة، على الأقل في المدى القصير. إذا كانت المخاطر كبيرة، فعليك أن تفعل

ما تعتقد أنه صواب وتأمل أن ينقلب المدّ السياسي. إنها الوظيفة التي وَعدتَ أن تؤديها.

«سيدي الرئيس، هل أنت على دراية بالمادة 18، والفقرة 798، من قانون الولايات المتحدة؟»

«لا أحفظ فقرات من قانون الولايات المتحدة في ذاكرتي، سيد كيرنز، لكنني أظنّ أنك تشير إلى قانون التجسّس».

«بالتأكيد، يا سيدي الرئيس. إنه يتعلّق بإساءة استخدام المعلومات السرية. الجزء المعني ينص على أنها جريمة فيدرالية لأي شخص يستخدم المعلومات السرية عن عمد بطريقة تضر بسلامة الولايات المتحدة أو مصالحها. هل يبدو هذا صحيحاً؟»

«أنا على يقين من أنّ قراءتك دقيقة، سيد كيرنز».

«إذا كان الرئيس قد استخدم عن عمد معلومات سرية لحماية إرهابي عازم على مهاجمتنا، فهل يندرج ذلك تحت القانون؟»

ليس وفقًا لمحامي البيت الأبيض، الذي يقول إنّ الفقرة لا تنطبق على الرئيس، إنها ستكون قراءة جديدة لقانون الجاسوسية، وإنه يمكن للرئيس أن ينزع السرية عن أي معلومات يريدها.

لكن هذا لا يهم الآن. حتى لو كنتُ أميل إلى الدخول في نقاش قانوني شرعي حول مدى إمكانية الوصول لقانون فيدرالي - وأنا لا يمكنني ذلك - يمكنهم اتهامي بأي شيء يريدونه. لا يجب أن تكون جريمة.

كل ما قمتُ به كان لأجل حماية وطني. وسأكرّر ذلك المرة تلو الأخرى. المشكلة هي أنني لا أستطيع أن أقول أي شيء من ذلك.

«كل ما يمكنني قوله هو إنني دائمًا وضعتُ في اعتباري مسألة الأمن في بلادي. وعلى الدوام سأقوم بذلك».

أرى كارولين في الزاوية، تقرأ شيئًا في هاتفها، وترد عليه. أُبقي على التواصل البصري بيننا في حال احتجتُ إلى ترك كل شيء والعمل عليه لاحقًا. هل وصلها شيء من الجنرال بورك في القيادة المركزية الأمريكية، أو من وكيل وزارة الدفاع، أو من فريق الاستجابة للتهديد الوشيك؟ لدينا كثير من الأمور التي تحدث الآن وتستدعي انتباهنا، في محاولة منا لمراقبة هذا التهديد والتصدّي له. وفي انتظار حدوث ما نتوقع في أي لحظة. نعتقد - نأمل - أن يكون لدينا يوم آخر على الأقل للعمل. لكن الشيء الوحيد المؤكد هو أنه لا شيء مؤكد. يجب أن نكون على أهبة الاستعداد في أي لحظة، الآن، في حالة...

«هل هذه دعوة لقادة داعش لحماية بلادنا؟»

«ماذا؟» أقول، عائدًا بتركيزي إلى جلسة الاستماع. «ما الذي تتحدّث عنه؟ لم أستدعِ قادة داعش. ما علاقة تنظيم داعش بهذا؟»

قبل أن أكمل إجابتي، أدركتُ ما قمتُ به. تمنيت لو أنني تمكّنتُ من الوصول إلى الكلمات وقبضتُ عليها وأعدتها إلى فمي. لكن الأوان فات. أمسَكَ بي عندما كنتُ أنظر في الاتجاه الآخر.

«أوه». يقول، ويكمِل: «إذن حين أسألك إذا ما كنتَ قد تواصلتَ مع قادة داعش، فإنك تقول لا، بشكل لا لبس فيه. لكن حين يسألك رئيس مجلس النواب إذا ما كنت قد اتصلت بسليمان سيندوروك، فإن إجابتك هي التذرّع بالامتياز التنفيذي. أعتقد أنّ الشعب الأمريكي يستطيع أن يفهم الفرق».

أزفر وألقي نظرة على كارولين بروك التي تحافظ على تعابير وجهها القاسية؛ على الرغم من ذلك يمكنني أن أرى تلميحًا في عينيها الضيقتين مثل أخبرتك.

«عضو الكونغرس كيرنز، هذه مسألة تتعلّق بالأمن القومي. هي ليست لعبة أمسكتك. إنها قضية خطيرة. عندما تكون مستعدًا لطرح سؤال جاد، ستسعدني الإجابة عليه ».

«لقي أمريكيّ حتفه في تلك المعركة في الجزائر، سيدي الرئيس. عميل في وكالة الاستخبارات المركزية اسمه ناثان كرومارتي، توفي وهو يمنع ميليشيا مناوئة لروسيا من قتل سليمان سيندوروك. أعتقد أنّ الشعب الأمريكي سيأخذ ذلك على محمل الجد».

أقول: «ناثان كرومارتي كان بطلًا. نحن حزينون لخسارته. وأنا شخصيًّا حزين لخسارته».

يقول: «لقد سمعتُ والدته تتحدّث عن هذا الأمر».

أنا، ونحن جميعًا، بعد ما وقع في الجزائر، لم نكشف عن شيء علنًا. لم نتمكن من ذلك. لكن فيما بعد قامت الميليشيا بنشر تصوير فيديو لقتل أمريكي على الإنترنت، ولم

يستغرق الأمر وقتًا حتى تعرّفَت عليه كلارا كرومارتي على أنه ابنها ناثان. خرجت بنتيجة أنه عميل لوكالة المخابرات الأمريكية ، كانت حادثة ضخمة مثيرة للجدل وعنيفة. هرعت وسائل الإعلام إليها، وفي غضون ساعات كانت تطالب بمعرفة سبب وفاة ابنها لحماية إرهابي مسؤول عن مقتل مئات الأبرياء، بما في ذلك العديد من الأمريكيين. في أحزانها وألمها، كتبتْ عمليًّا نصّ جلسة استماع اللجنة المختارة.

«ألا تظن أنك مَدين لعائلة كرومارتي بإجابات، سيدي الرئيس؟»

«ناثان كرومارتي كان بطلًا». أكرّر ما قلت، وأضيف: «كان وطنيًّا. وفهِمَ مثل أيّ أحد آخر أنّ الكثير مما نقوم به هو لصالح الأمن القومي ولا يمكن مناقشته علانية. تحدّثت على انفراد مع السيدة كرومارتي، وعن أسفي العميق لما حدث مع ابنها. عدا ذلك، لم أعلّق. لا أستطيع ذلك، ولا أرغب فيه».

يقول: «حسنًا، بعد فوات الأوان، سيدي الرئيس. هل تعتقد أنّ سياستك في التفاوض مع الإرهابيين لم تجرِ كما يجب؟»

«لم أفاوض الإرهابيين».

يقول: «سمّها كما تشاء. دعوتهم. التوصّل إلى حلول معهم. تدليلهم أو معاملتهم بِلين..».

«أنا لا أُدلّلهم..».

تضيء الأضواء في السماء وتنطفئ كغمزتين سريعتين.

وردًا على ذلك تأتي بعض المهمات، وتنْشط كارولين بروك بتخزين ملحوظة في عقلها.

يستغلّ عضو الكونغرس الوقفات المؤقتة في القفز إلى سؤال آخر.

«أنت لم تخف سرًّا، يا سيدي الرئيس، إنك تُؤثِر لغة الحوار على استعراض القوة، وتفضّل التحدّث مع الإرهابيين».

أقول: «لا». أُخرِج الكلمة، ويرتجف نبضي في جسدي، لأن هذا النوع من البالغة في التبسيط يجسّد كل ما هو خطأ في سياستنا. «ما قلتُه مرارًا وتكرارًا هو أنه إذا كانت هناك طريقة لحل الوضع سلميًّا، فإن الطريقة السلميّة هي الخيار الأفضل. المشاركة ليست استسلامًا. هل نحن هنا لإجراء مناقشة حول السياسة الخارجية، عضو الكونغرس؟ أنا أكره أن أقاطِع مطاردة الساحرات هذه بنقاش حقيقي((3))».

ألقي نظرة خاطفة إلى زاوية الغرفة، حيث تنفرد كارولين بروك في فرصة نادرة مع تعابير وجهها القاسية.

«إثارة العدوّ هي طريقة لوصف المسألة، سيدي الرئيس. لكنها بطريقة أخرى هي تدليل له».

أقول: «أنا لا أدلّل أعداءنا. ولا أتخلّى عن استخدام القوة في التعامل معهم. القوة هي دائمًا خيار، لكني لن أستخدمها ما لم أجدها ضرورية. قد يكون من الصعب فهم ذلك بالنسبة لبعض الأطفال في صندوق الائتمان الذين أمضوا حياتهم محدِثين صخبًا وهم يشربون البيرة!

ويتعهّدون بالاعتماد على أنفسهم فقط في أخويّة كليّة الجمجمة السريّة! وينادون الآخرين بالأحرف الأولى لأسمائهم! لكني التقيت العدوّ وجهًا لوجه في ساحة المعركة. سأتوقّف قبل أن أُرسِل أبناءنا وبناتنا إلى المعركة، لأنني كنتُ أحد هؤلاء الأبناء، وأعرف المخاطر».

تميل جيني إلى الأمام، راغبة في المزيد، وترغب دائمًا في أن أستفيض في شرح تفاصيل خدمتي العسكرية. *اخبِرهم عن رحلة عملك. حدِّثهم عن الفترة التي قضيتَها كأسير حرب. كلّمِهم عن إصاباتك، والتعذيب الذي تعرَّضت إليه.* كان صراعًا لا نهاية له خلال الحملة، واحدة من الأشياء التي اختبرتها بشكل أفضل. لو عاد الأمر لمستشاريّ، لكان هذا هو الشيء الوحيد الذي ناقشته. لكني لم أستسلم أبدًا. بعض الأمور نكتفي بعدم التحدّث عنها.

«هل انتهيت، سيدي الر...».

«لا، لم أنته بعد. سبق أن وضّحت كل ذلك لمجلس النواب، ولرئيس المجلس وغيرهم. أخبرتك أني لا يمكن أن أحصل على جلسة الاستماع هذه. كان بإمكانك أن تقول، *حسنًا، سيدي الرئيس، نحن وطنيون أيضًا، وسنحترم ما تقوم به، حتى لو لم تستطع أن تخبرنا بكل ما يجري*. لكنك لم تفعل ذلك، هل فعلت؟ لا يمكنك أن تقاوم فرصة استبعادي وتسجيل نقاط على حسابي. إذن، دعني أقول لك علانية ما قلته لك سرًّا. لن أجيب على أسئلتك المحدّدة حول المحادثات التي أجريتها أو الإجراءات التي اتّخذتها، لأنها خطيرة. إنها تهديد لأمننا القومي.

إن كان عليّ أن أفقد هذا المنصب في سبيل حماية هذه البلاد، فسأفعل ذلك. لكن دون أخطاء. لم أقم بأيّ إجراءٍ منفردًا، أو أفِه بكلمة واحدة، دون أن تكون سلامة وأمن الولايات المتحدة في المقام الأول عندي. ولن أفعل ذلك أبدًا».

لم تردع محققي الإهانات المتتالية التي وجهتها إليه. مما لا شك فيه أنه تحمّس لحقيقة أنّ أسئلته وجدت الآن مكانًا تحت جلدي، استفزّتني. إنه ينظر إلى ملاحظاته مُجدّدًا، في مخطّط أسئلته المتتابعة، بينما أعمل على تهدئة أعصابي.

«ما أصعب قرار اتّخذته هذا الأسبوع، يا سيد كيرنز؟ أي ربطة عنق ترتديها لجلسة الاستماع هذه؟ على أي جانب تفرق شعرك لتغطي الصلعة المضحكة بطريقة لن تخدع فيها أحدًا؟

في الآونة الأخيرة أقضي كل وقتي تقريبًا في محاولة الحفاظ على سلامة هذه البلاد. وهذا يتطلّب قرارات صعبة. في بعض الأحيان يجب اتخاذ هذه القرارات عندما يكون هناك العديد من الأشياء مجهولة. وأحيانًا، تكون جميع الخيارات دون فائدة، ويجب أن أختار أقلّها سطحية. بالطبع أتساءل عما إذا كنتُ قد قمت بالتصرف الصحيح وما إذا كان سينجح في النهاية. لذلك أفعل فقط أفضل ما أستطيع. وأتعايش معه.

هذا أيضًا يعني أنني يجب أن أتعايش مع النقد، حتى عندما يأتي على هيئة اختراق سياسي انتهازي ينتقل بحركة واحدة على رقعة الشطرنج دون معرفة ما تبدو عليه بقيّة اللعبة، ثم يحوّل تلك الحركة إلى الداخل دون أن يكون

لديه دليل واحد على مدى الخطر الذي يعرّض أمتنا إليه.

«سيد كيرنز، أود مناقشة جميع الإجراءات التي قمت بها معك، لكن هناك اعتبارات أمنية وطنية لا تسمح بذلك. أنا أعلم أنك تعرف هذا، بطبيعة الحال. لكني أعلم أيضًا أنه من الصعب تفويت فرصة سهلة وزهيدة كهذه».

في الزاوية، يرفع داني أكيرز يديه، ويشير إلى انتهاء الوقت.

«نعم، أتعرف ماذا؟ أنت على حق، داني. حان الوقت. انتهيتُ من هذا. الموضوع انتهى. لقد انتهينا».

أهجم على الميكروفون وألقيه على الطاولة. وأطرق الكرسي فيما أنهض واقفًا.

«فهمت، كارولين. إنها فكرة سيئة أن تُدلي بشهادتك. سيمزّقونني إلى أشلاء. فهمت».

تقف كارولين على قدميها، وتعدّل بدلتها. «حسنًا، شكرًا للجميع. لو سمحتم أخلوا الغرفة الآن».

«الغرفة» هي غرفة روزفلت للاجتماعات، على الجانب الآخر من المكتب البيضَوي. مكان جيد لعقد اجتماع - أو في هذه الحالة، جلسة استماع وهميّة - لأنها تحتوي على كلّ من بورتريه لتيدي روزفلت ممتطيًا جواده كمروّضٍ للجياد، وآخر له حين فاز بجائزة نوبل للسلام للتسوية التي قام بها بين اليابان وروسيا. لا نوافذ فيها، والأبواب سهلة التأمين.

يقف الجميع. يشدّ سكرتيري الصحفي ربطة عنقه، ويرمي

كيرنز بكلّ الزوائد الدقيقة اللطيفة التي تجعله يُتقن دوره في تمثيل دور عضو كونغرس. ينظر إليّ معتذرًا بعد انتهاء هذه الجلسة التجريبيّة، لكنّي أشير له بالتوقّف. كان يلعب دوره فقط، في محاولة لإظهار السيناريو الأسوأ إذا مضيت قُدُمًا في قراري للشهادة الأسبوع المقبل أمام اللجنة المختارة.

أحد محاميّ في مكتب مستشار البيت الأبيض، يلعب اليوم دور ليستر رودز على طول الخط، حتى أنه ارتدى الشعر الفضي المستعار لجعله أشبه بالمُذيع أندرسون كوبر منه إلى متحدّث باسم البيت الأبيض، يطلق نظرة خجولة نحوي، وفي الوقت ذاته أعطيه نظرة طمأنينة.

بينما راحت الغرفة تفرغ ببطء، تلاشى الأدرينالين مني، مما جعلني أشعر بالإنهاك والإحباط. شيء واحد لن يخبروك عنه في هذه الوظيفة وهو كمّ الشبه بينها وبين ارتفاعك - في أفعوانية - للمرة الأولى بمزيج من الإثارة المرعبة، وهبوطك إلى مستوى أدنى من بطن أفعى.

إذن أنا وحدي فحسب، أحدّق في بورتريه مُروِّض الجياد المعلّق فوق الموقد وأستمع إلى وقع خُطى كارولين، وداني، وجيني التي تقترب بحذر من الحيوان المصاب في القفص.

يقول داني بوجه جامد: «الشخصية المفضلّة لدي هي: الأقلّ فسادًا بشكل صريح!»

أخبرتني ريتشل أني اعتدت على القسم والحلْف كثيرًا. وأنّ هذا يُظهر مدى حاجتي للإبداع. لست متأكدًا. عندما تصبح الأمور صعبة حقًا، يمكنني أن أبدع بشكل

كبير مع قلقي.

على أي حال، تعرف كارولين ومساعديّ الآخرون الأقرب إليّ أنّي أستخدم هذه الجلسة الوهميّة كعلاج. إن لم يتمكّنوا من إقناعي بالامتناع عن الإدلاء بشهادتي، فإنهم يرجون أن يؤدّي ذلك على الأقل إلى أن أنفّس عن غضبي، كي أتمكّن أكثر من التركيز على مزيد من الردود الراقية الخالية من الألفاظ النابية التي تليق برئيس عندما يحين وقتها.

تقول جيني بريكمان، ذات الشخصية الرقيقة المميزة: «يجب أن تكون أحمق ومزعجًا للإدلاء بشهادتك الأسبوع المقبل».

أومئ لجيني وداني، وأقول: «أحتاج إلى الحديث مع كارولين». إنها الشخص الوحيد الذي لديه تصريح أمني يمكّنه من التحدث معي الآن.

يغادروننا.

أسأل كارولين، نحن الاثنان فقط في الغرفة الآن: «أهناك شيء جديد؟»

تهزّ رأسها، وتقول: «لا شيء».

«مع ذلك سيقع غدًا؟»

«بقدر ما أعرف، سيدي الرئيس». قالت وهي تمشي في الاتجاه الذي غادر منه جيني وداني للتوّ. وتُكمِل: «إنهم على حق، كما تعلمون. جلسة الاستماع هذه يوم الإثنين خسارة فادحة».

«لقد انتهينا من الحديث عن جلسة الاستماع، كارولين. وافقت على القيام بهذه الجلسة الوهمية. أعطيتكِ ساعة واحدة الآن وانتهينا. لدينا أشياء أكثر أهمية تشغل بالنا الآن، أليس كذلك؟ »

«نعم سيدي. الفريق جاهز للبيان الموجز».

«أريد التحدّث مع فريق الاستجابة للتهديد الوشيك، ثم مع الجنرال بورك، ثم مع وكيل الوزارة. على التوالي».

«نعم سيدي».

«سأكون هناك».

تتركني كارولين وحيدًا في القاعة، أحدّق في صورة الرئيس الأول روزفلت وأفكّر. لكنني لم أفكّر في جلسة استماع يوم الإثنين.

أفكّر فيما إذا كان سيتبقّى لدينا وطن حتى يوم الإثنين.

---

(3) مطاردة الساحرات: محاولة القبض على مجموعة من الناس ومعاقبتهم لإلقاء اللوم عليهم في أمرٍ ما، وغالبًا ما يحدث ذلك بسبب آرائهم دون أن يفعلوا ما يستوجب ذلك.

3

تُطِلّ من بوّابة مطار رونالد ريغان الوطني، تتوّقف لحظة، ظاهريًا تبدو كأنها تبحث عن اللوحات الإرشادية، لكنها في الواقع تستمتع بالهواء الطلق بعد الرحلة الجويّة الطويلة. تأخذ نفسًا عميقًا، تمطّ حلوى الزنجبيل في فمها، فيما الحركة الأولى من كونشيرتو الكمان الغريبة، من عرض ويلهام فريدمان هيرتسوغ، تعزُف بهدوء في سماعات الأذن.

سيقولون لك، *تبدو سعيدًا*. ويعترفون أنّ السعادة هي العاطفة المُثلى التي يجب أن تُبرِزها عندما تكون تحت المراقبة، وهي الأقل عُرضة لإثارة الرّيبة. الأشخاص الذين يبتسمون، الذين يغمرهم الرضى والسرور، إن لم يضحكوا ويمزحوا، فيجب ألا يبرُزوا للعيان أبدًا كتهديد.

إنها تفضّل أن تبدو مثيرة. من الأسهل أن تنسحب عندما تكون بمفردها، ويبدو دائمًا أنها تعمل لذاتها. تصطنع ابتسامتها، وتتمايل في مشيتها فيما تجرّ خلفها حقيبتها من ماركة بوتيغا فينيتا إلى أسفل المحطة. إنه دور كأيّ دور آخر، معطف تضعه عند الضرورة وتلقي به عندما تنتهي، لكن يمكنها أن ترى أنه يعمل: يحاول الرجال التواصل معها بالعينين، تتحقّق من الانقسام الأكيد الذي أحدثته وكشَفته، مما يسمح بأن ترتدّ بما يكفي إلى الأنثى التي في داخلها مما يجعلها لا تُنسى. تخمّن النساء بحَسَد أن طولها يصل إلى خمسة أقدام وتسعة إنشات، من بوتها الجلديّ الملوّن بلون الشوكولاتة الذي يصل رُكبتيها حتى شعرها الأحمر الناري، قبل أن يلتفتن إلى أزواجهن لمعرفة

ما يفكرون فيه مع هذا الاستعراض.

لا شكّ أنها لن تُنسى، صاحبة القامة الطويلة، طويلة الساقين، وعامرة الصدر وذات شعر أحمر، التي تتوارى على مرأى من الجميع.

لا بُدّ أن تكون ظاهرة للجميع الآن، وهي تتّجه نحو سيارات الأجرة عبر المحطة. إن تعرّفوا عليها فإنها ستدرك ذلك في الحال. لن يسمحوا لها ببلوغ هذا الحدّ. لكنها ليست حُرّة ولا ظاهرة حتى الآن، وعليها ألا تخذل حذرها. أبدًا. اللحظة التي تفقد فيها التركيز، سترتكب خطأ، قال الرجل الذي وضع البندقية في يدها أوّل مرّة، منذ حوالي خمسة وعشرين عامًا. *العقلانية والمنطق* هما الكلمتان اللتان تعيش بهما. لا تتوقف عن التفكير، ولا تُبرِز نفسك كتهديد.

السّير يؤلمها، لكن ألمها يظهر فقط في عينيها الغامضتين، وتُخفيه بنظارتها الشمسية من ماركة فيراجامو. فيما فمها يحافظ على ابتسامته المُتكلّفة الواثقة.

تتكلّف الابتسامة ذاتها في الخارج لسيارات الأجرة، تمْتنّ للهواء الطلق لكنها تشعر بالغثيان من عوادم السيارات. موظفو المطار بِزيّهم الرسمي يصيحون على سائقي سيارات الأجرة ويوجّهون الناس لسياراتهم. الآباء والأمهات يجمعون أطفالهم المُتذمّرين وأمتعتهم بعد سحبها من حزام الأمتعة الدوّار.

تنتقل إلى الممر الرئيس لتبحث عن السيارة التي تحمل لوحة تحفظ أرقامها في ذاكرتها، كما تحفظ ملصقات

القيادة على باب السيارة الجانبي. لم تصل بعد. تغمض عينيها لحظة وتستمتع بعزف الأوتار من خلال سماعات الأذن، عزف بطيء بدرجة معقولة، ثم يأتي جزؤها المفضّل، في البداية مشبع بالحزن والشوق، ثم ما يلبث أن يهدأ إلى أن يصل بها حدّ التأمل والاسترخاء.

عندما تفتح عينيها، تدخل طابور السيارات سيارة الأجرة التي تحمل لوحة الأرقام الصحيحة، وملصقات القيادة التي تحفظها على باب الركاب. تدحرِج أمتعتها وتدخلها في سيارة الأجرة. الرائحة القوية المنبعثة من الوجبات السريعة تجيء بمذاق الفطور إلى حلقها. تخنقها الرائحة وتجلس في المقعد الخلفي.

توقِف الموسيقا بينما يدخل الكونشرتو حركته الختامية، بحماس شديد، الحركة المسمّاة أليجرو أساي((4)) وتنزع سماعات الأذن، تشعر أنها مكشوفة دون رِفْقة الكمان والتشيلو المُطمئِنة.

«كيف هي حركة المرور اليوم؟» تسأل بالإنجليزية، بلهجة غرب أوسطية.

يرمقها السائق بعينيه من خلال مرآة الرؤية الخلفية؛ فقد أُبلِــغ مسبقًا أنها لا تحبّ الأشخاص الذين يُحدّقون إليها.

باخ لا تحبّ التّحديق!

يجيب، وهو يزِن كل كلمة، ويتلفّظ بالشفرة الواضحة التي كانت تأمل سماعها: «إنه يوم جيّد جدًا». لم نتوقع أي تعقيدات في هذا الوقت المبكر، لكنك لا تعلم أبدًا.

الآن يمكن أن تسترخي لحظة، وترفع ساقًا واحدة تنزع فردة بوتها، وتكرّر ذلك مع الأخرى. تتخفّف بهدوء وتُحرّر قدميها من هذا البوت ومن الكعب ذي الأربعة إنشات. تمدّد أصابع قدميها وتحشر إبهامها أسفل باطن قدميها، وبأقصى ما يمكنها أن تبلغه منهما تمسّدهما في المقعد الخلفي لسيارة الأجرة.

مع قليل من الحظ، لن تكون في حاجة إلى كل ما ترتديه لبقية الرحلة. تحرّر من حِمْلها، وتطوي بوت غوتشي بداخله، وتسحب زوْجًا من حذاء نايكي الرياضي.

عندما تنخرط السيارة في حركة المرور الكثيفة، تنظر من النافذة إلى اليمين، ثم تلقي نظرة سريعة إلى اليسار. تُسقط رأسها بين قدميها. وعندما تظهر للعيان مرة أخرى، فإن شعرها المستعار الأحمر يكون في حضنها، مستبدَلًا بشعر أسود كالحبر، ومشدودًا إلى الوراء بقوّة على شكل كعكة.

«تشعرين... أنك تشبهين نفسك أكثر الآن؟» يسألها السائق.

لا تجيب. لكنها ببرود تبقى سارحة في عينيه، مع ذلك لا تتقاطع عينيه بعينيها في المرآة الخلفية. فهو من المفترض أن يكون على علم بذلك. باخ لا تحبّ الدّردشات.

مرّ وقت طويل منذ أن «شعرت بنفسها»، كما يقول الأمريكيون. على الأغلب، لديها وقت مستقطع للاسترخاء. لكن كلّما مكثت أكثر في هذا النوع من العمل، كلما أعادت خلق نفسها مرة أخرى - تستبدل مظهرًا زائفًا بآخر، في بعض الأحيان، تظلّ تتوارى في

الظّل، وأحيانًا تختبئ على مرأى من الجميع - قليلًا ما نتذكّر حقيقة نفسها أو حتى مفهومها للهويّة.

سيتغير هذا قريبًا، وهو النّذْر الذي وعدت نفسها به.

بدّلت شعرها المستعار وبوتها، أغلقت سحّاب حقيبتها وأراحتها بجوارها على المقعد، وصلت بقدميها إلى سجادة السيارة الأرضية. تتحسّس بأصابع قدميها حوافّ السجادة وترفعها، وتحررها من المُثبّتات.

تحتها، أرضية مغطاة بسجّادة مع أقفال. ترمي بالأقفال على كل جانب وتفتح الباب.

تعود للجلوس مرة أخرى، نتفحّص عدّاد السرعة لتتأكّد من أنّ السائق لا يقوم بشيء غبي كالسرعة، ولتتحقّق من أنهم لن يصادفوا أي دورية شرطة في هذه اللحظة.

ثم تنحني للأمام، لتزيل الحقيبة ذات الهيكل الصلب من الجزء المستقل للّوح الأرضي. وتضع إبهامها على القفل. لا يستغرق الأمر سوى لحظات لتمييز بصمة الإصبع ليفتح القفل.

ليس لدى الناس الذين استخدموها أي سبب للعبث بمعدّاتها، لكن من الأفضل توخّي الحذر بدلًا من الندم.

تفتح الحقيبة لتتفحّصها بسرعة. «مرحبًا، آنا». تهمس، وهو الاسم الذي منحته لها. آنا ماغدالينا هي شيء جميل، فيها بندقية نصف آلية غير لامعة قادرة على إطلاق خمس رصاصات في أقل من ثانيتين، وتمتاز بإمكانيّة تجميعها وتفكيكها خلال أقل من ثلاث دقائق بمفك براغٍ فقط لا غير. هناك نماذج جديدة في السوق، بالطبع، لكن آنا

ماغدالينا لم تخذلها قط بغضّ النظر عن المسافة. يمكن لعشرات الأشخاص التأكيد على دقتها - نظريًّا - بمن فيهم ذلك المدّعي العام في بوغوتا، كولومبيا، الذي كان قبل سبعة أشهر مضت يملك رأسًا يعلو جسده، وزعيم جيش متمرّدي دارفور الذي اندلق دماغه فجأة على حساء الضأن في حضنه قبل ثمانية عشر شهراً.

قامت بالقتل في كل قارة. اغتالت جنرالات، ونشطاء، وسياسيين، ورجال أعمال. لا يُعرَف عنها سوى جِنسها ومؤلّف الموسيقا الكلاسيكية الذي تُفضّله. وأنّ نسبة إصابتها الهدف مئة بالمئة.

«أكبر تحدّ لكِ، باخ» قال لها الرجل الذي استخدمها لهذه المهمّة.

«لا،» ردّت، مُصوّبة له *ما قاله*. «هذه ستكون أعظم نجاحاتي».

---

(4)) أليجرو أساي: هو توجيه لتنفيذ مقطع من قطعة موسيقية بوتيرة سريعة جدًا.

الجمعة،

الحادي عشر من مايو

4

أستيقظ مع بداية جديدة، أحدّق في الظلام، أتحسّس هاتفي. السّاعة جاوزت الرابعة صباحًا بقليل. أكتب رسالة نصية لكارولين. هل من جديد؟

ردّها جاء سريعًا، لأنها ليست نائمة. لا شيء يا سيدي.

ما كان يجب أن أسألها. لو حدث شيء لاتّصلَت فورًا. لكنها أصبحت معتادة على مكالمات الصباح الباكر منذ أن اكتشفنا ما كُنّا نواجه.

أزفر وأمد ذراعيّ كي أتخلّص من طاقتي العصبية. لا مجال. سأعود للنوم. اليوم هو اليوم المُنتَظر.

أمضي بعض الوقت على جهاز المشي في غرفة النوم. لم أفقد قط - منذ أيام البيسبول - الحاجة إلى ممارسة الرياضة، خاصة عندما تولّيتُ هذه الوظيفة. المشي بالنسبة إليّ تدليكٌ قبل ضغوط العمل بقيّة النهار. عندما عاد السرطان لريتشل، كان لدي جهاز للمشي ثابت في غرفة النوم لتبقى عيني عليها حتى أثناء التمرين.

يصلح اليوم لنزهة خفيفة، لا للجري أو حتى للمشي السريع نظرًا لحالتي الجسدية الحالية، وانتكاسة وضعي الصحي، لكنها آخر ما أحتاجه الآن.

أنظّف أسناني وأتفحّص فرشاة الأسنان عندما أفرغ من

ذلك. لا شيء فيها عدا بقايا جِل معجون الأسنان الذائب. أبتسم ابتسامة عريضة أمام المرآة وأتفقّد لثّتي.

أتجرّد من ملابسي وأتلفّت حولي، ثم أعود للنظر إلى نفسي في المرآة. معظم الكدمات في ساقي، لكنها تعلو أيضًا ظهر فخذي. الأمر يزداد سوءًا.

بعد الاستحمام يحين وقت قراءة الموجز اليوميّ للرئيس عن الأوضاع الأمنية والعمليات الاستخباراتية الجارية، وسماع أي تطوّرات متأخرة لم تُذكَر في الموجَز. ثم تناول الفطور في حجرة الطعام. اعتدتُ تناوله مع ريتشل التي كانت تقول لي: «يمكن لبقيّة العالم أن يأخذك الستّ عشرة ساعة القادمة» وكعادتها تقول: «أنا مَن سَتُعدّ فطورك»».

كنا نقضي الوقت معًا على العشاء أيضًا، عندما كانت على قيد الحياة، ولم نتناول أي وجبة في حجرة الطعام هذه؛ بل على طاولة صغيرة في المطبخ المجاور، في إطار أكثر حميمية. في بعض الأحيان، عندما كُنّا نريد أن نشعر حقًا أننا أناس عاديّون، ومن باب التغيير، كُنّا نطهو لأنفسنا. إنّ بعضًا من أفضل لحظاتنا كان الذي تشاركناه هنا، الذي قضيناه في تقليب خلطة البان كيك أو فرْد عجينة البيتزا، نحن الاثنان فقط، كما اعتدنا أن نفعل عندما كنا نقطن كارولاينا الشمالية.

أفتّت البيض المسلوق بشوكتي وأنظر خارج النافذة إلى بلير هاوس (بيت الضيافة الرئاسي)، عبر حديقة لافاييت بارك. همهمة التلفاز في الخلفية مثل ضوضاء بيضاء، إنّه جهاز جديد جلبته بعد رحيل ريتشل. لست متأكدًا من

سبب انزعاجي من الأخبار. إنّ الأمر كُلّه يتعلّق بموضوع المطالبة بإقالتي، وتحاول الشبكات أن تلوي كل قصة لتتناسب مع سرد هذا الخبر.

على شبكة أخبار إن بي سي، يزعم مراسل الشؤون الخارجية أنّ الحكومة الإسرائيلية تقوم بنقل إرهابي فلسطيني رفيع المستوى إلى سجن آخر. *هل يمكن أن يكون هذا جزءًا من «صفقة» قطعها الرئيس مع سليمان سيندوروك؟ بعض الصفقات تشمل إسرائيل وتجارة الأسرى؟*

تقول شبكة أخبار سي بي إس، إني أفكر في ملء المنصب الشاغر في الزراعة بسيناتور جنوبي من الحزب المعارِض. *هل يأمل الرئيس في سحب الأصوات المطالبة بالإقالة من خلال توزيع التعيينات الوزارية؟*

أفترض أني لو قمتُ الآن بإدارة مجموعة قنوات فُود نتوورك لبرامج الطهي، فسيقولون إني سمحتُ للعاملين بزيارة البيت الأبيض قبل شهر، وأني عندما أخبرتهم أنّ الخضار المفضّلة لي هي الذّرة، فقد كنتُ أحاول سِرًّا أن أحصل على تأييد أعضاء مجلس الشيوخ من ولايتَي آيوا ونبراسكا الذين يُشكّلون جزءًا من التكّل الذي يتحرّك لإقصائي من منصبي!

على قناة فوكس نيوز يتصدّر خبر رئيسي بعنوان *انقسام في البيت الأبيض*، وفيه يزعمون أنّ موظفيّ منقسمون بِحدّة حول ما إذا كان ينبغي عليّ أن أُدلي بشهادتي، الفريق المؤيِّد بقيادة كبيرة موظفي البيت الأبيض، كارولين بروك، أما الفريق الرافِض فترأسه نائبة الرئيس،

كاثرين براند. يقول مراسل يقف خارج البيت الأبيض الآن: «*هناك خطط دخلت حيّز التنفيذ بالفعل، بما فيها خطة للطوارئ. للادعاء بأنّ جلسات الاستماع الخاصة بمجلس النواب ما هي إلا تمثيلية حزبية لمنح الرئيس العذر لتغيير رأيه ورفض الحضور*».

في برنامج اليوم، تُظهِر خريطة ملونة ومُشفّرة أعضاء لمجلس الشيوخ الخمسة والخمسين، من الحزب المُعارِض وحزبي، أولئك الذين ينتظرون إعادة الانتخاب، مُشيرين إلى أنهم يشعرون بالضغط ليكونوا جزءًا من المنشقين الاثني عشر الضروريين لإدانتي في محاكمة الإقالة.

تقول شبكة سي إن إن، إنني وموظفيّ اتصلنا بأعضاء مجلس الشيوخ منذ الصباح الباكر لضمان كسب أصواتهم في محاكمة الإقالة.

برنامج *صباح الخير يا أمريكا*، يقول إنّ مصادر البيت الأبيض تشير إلى أنني قررت بالفعل عدم الترشّح للانتخابات، وإني سأحاول عقد صفقة مع رئيس مجلس النوّاب لتجنّب المساءلة إذا ما وافقتُ على فترة واحدة في منصبي.

من أين يأتون بهذا الهراء؟ يجب أن أعترف أنه مثير، وأنهم يفضّلون الإثارة على الواقعية كل يوم.

مع ذلك، فإن تكهّنات الإقالة المتواصلة صعبة على موظفيّ، فمعظمهم لا يعرفون ما حدث في الجزائر أو ما جرى خلال مكالمتي مع سليمان سيندوروك أكثر مما يعرف الكونغرس أو الإعلام أو الشعب الأمريكي.

لكنهم حتى الآن، احتشدوا بينما يتعرّض البيت الأبيض للهجوم، معتبرين أنه مصدر فخر أن نقف كلنا معًا. لن يعرفوا أبدًا كم يعني ذلك لي.

أضرب بشدة على زر هاتفي النقال. كان هذا سيغضب ريتشل مني لو أنها هنا لإجرائي محادثة خلال الفطور. «جوان، أين جيني؟»

«إنها هنا، يا سيدي. هل تودّ التحدّث معها؟»

«من فضلك. شكرًا لك».

تدخل كارولين بروك، الشخص الوحيد الذي له حرية الدخول بينما أتناول طعامي. في الواقع لم يسبق لي أن قلت إنه غير مسموح لأي شخص آخر بالدخول. إنها إحدى الأشياء التي يقدّمها لك كبير الموظفين - لتبسيط الأمور، تعمل كحارس بوّابة، كونها شخصًا صعبًا مع الموظفين، فلا يتعيّن عليّ إهدار الوقت في هذه الأمور.

إنها على أهبة الاستعداد كعادتها دائمًا، ببدلة أنيقة، وشعر داكن مشدود إلى الوراء، لا يدعها تتخلّى عن حرصها أمام الكاميرا. وظيفتها، أخبرتني أكثر من مرة، ليست تكوين الأصدقاء لكن أن تُبقيهم مُنظّمين، وأن تُثني على عملهم الجيّد، وأن تعمل بِجدّ على التفاصيل كي يتسنّى لي التركيز على المهام الصعبة والكبيرة.

مع ذلك، فإن هذه الدراما هيّنة بالنسبة للدور الذي تلعبه. فلا أحد لديه وظيفة أكثر صرامة من وظيفة كبير موظفي البيت الأبيض. إنها تقوم بالأمور الصغيرة، بالتأكيد - قضايا الموظفين وجدولة الأعمال. وتعمل معي

في الأمور الكبيرة أيضًا. ويقع على عاتقها كل شيء لأنها الشخص المسؤول عن أعضاء الكونغرس، والحكومة، وفئة أصحاب النفوذ، والصحافة. ليس لدي بديل أفضل. تقوم بكل ذلك ولا تدع الغرور يتملّكها. فقط حاول أن تكافئها بالإطراء، وستنفضه بعيدًا مثل قطعة من الزّغب على بدلة لها لا تشوبها شائبة.

كان هناك زمن، زمن ليس ببعيد، عندما تنبّأ الناس أنّ كارولين بروك ستصبح في يوم من الأيام رئيسة مجلس النواب. كانت عضو كونغرس لثلاث فترات، تدرّجت حتى تمكّنت من الفوز بعضوية مجلس النوّاب المُحافظ في المنطقة الجنوبيّة الشرقيّة لولاية أوهايو، ثمّ انتقلت بسرعة إلى أعلى صفوف قيادة مجلس النواب. كانت ذكية، وأنيقة، وذات حضور جذاب على شاشات التلفزيون، وسياسيًا تعادل خمسة لاعبين فاعلين. وأصبحت صاحبة نجاح كبير في دائرة جمع الأموال، وأقامت تحالفات سمحت لها بالانتقال إلى المنصب المرموق بصفتها رئيسة حزبنا، ولجنة الحملة الانتخابية للكونغرس. كانت بالكاد تبلغ الأربعين عامًا ومهيأة لبلوغ قِمّة مجلس النوّاب، وربما منصبًا أعلى.

ثم جاء عام 2010. الجميع كان يعلم أنها انتخابات نصفية شرسة لحزبنا. وقدّم الطرف الآخر مرشّحًا قويًّا، ابن حاكم سابق. بعد أسبوع، كان السباق على الرئاسة متعادل إحصائيًّا.

قبل الانتخابات بخمسة أيام، بينما كانت تنسى همومها وتنّفس عمّا يجول بخاطرها في صُحبة اثنين من مساعديها

المقرّبين مع زجاجة من النبيذ في منتصف الليل، شنّتْ كارولين تعليقًا مُهينًا عن منافسها، الذي كان لِتوّه أصدر بيانًا يهاجم فيه بشراسة زوج كارولين، المحامي ذائع الصّيت في ذلك الوقت. تمّ اصطياد تعليقها على الميكروفون مباشرة. لا أحد يعلم مَن أو كيف سُجّلَ تعليقها المُهين. فيما حسِبتْ كارولين أنها وحيدة مع اثنين من مساعديها في مطعم مغلق.

قالت عن خصمها أنه كان وغدًا. إنها الكلمة التي تفتّتْ إلى شظايا واتّخذت طريقها عبر أسلاك شبكات الأخبار والإنترنت في غضون ساعات.

في تلك المرحلة كان لديها خيارات. أن تُنكِر أنّ الصوت الذي تردّد صداه عبر التسجيل هو صوتها. وكان يمكن أن تنسب الصوت إلى أيٍّ من مساعدَيْها، حيث أنّ كليهما كانا من النساء. أو كان بإمكانها أن تقول ما هو على الأرجح الحقيقة مثلًا أنها كانت متعبة، وثملة قليلًا وغاضبة من البيان الذي استهدف زوجها.

لكنها لم تختر أيًا من هذه الخيارات. اكتفت بالقول: «أعتذر لأنّ حديثي الخاص سُمِع. ولو أنّ رجلًا قال ما قلت، فلن تكون هناك أي مشكلة».

شخصيًّا، أعجبني ردّ فعلها. الذي لو حدث اليوم فلربما نجحت بسببه في الانتخابات. لكن في ذلك الزمن، دعمها كان من المحافظين الاجتماعيين، وبذلك خسرت السباق. بتلك الكلمة التي تبدأ بحرف الواو التي التصق اسمها بها، كانت تعلم أنها ربما لن تحصل على فرصة ثانية. يمكن للسياسة أن تكون قاسية في الطريقة التي تعالج بها جرحها.

وبذلك أصبحت خسارة كارولين مكسبًا لي. أسّستْ شركة استشارات سياسية، باستخدام مهاراتها وذكائها في قيادة انتصارات الآخرين في جميع أنحاء البلاد. عندما قرّرتُ الترشّح للرئاسة، وكنتُ في حاجة لشخص يقود حملتي، لم يكن في قائمتي سوى اسم واحد فقط.

«يجب التوقّف عن مشاهدة هذا الكلام التافه، يا سيدي». تقول مثل بعض المستشارين السياسيين الذين لم أسمع من قبل ما يقولون على قناة سي إن إن، إنني ارتكبت خطأً تكتيكيًّا جديًّا من خلال رفض التعليق على المكالمة الهاتفية والسماح لرئيس مجلس النواب بالتحكّم في مسار الحديث.

أقول: «بالمناسبة، هل تعلمين أنك تريدينني أن أدلي بشهادتي أمام اللجنة المختارة؟ ذلك أنكِ تقودين القوى المؤيّدة للشهادة في الحرب الأهلية الدائرة في البيت الأبيض؟»

«لا، لم أدرك ذلك». تجيب، وتجول بعينيها على ورق الجدران في غرفة الطعام، المرسوم عليه مشاهد من حرب الاستقلال الأمريكية. وضعته جاكلين كينيدي أوّل مرة، والتي كانت تلقّته كهدية من صديق. بيتي فورد لم يرُق لها، لذا أزالته. ثم أعاده الرئيس كارتر. وهكذا صار يوضَع ويُزال. إلى أن أحبّت ورق الجدران ريتشل، لذا أعدناه مرة أخرى.

«احصلي على بعض القهوة، يا كارولين. أنتِ تجعلينني عصبيًا ».

«صباح الخير، سيدي الرئيس». تقول جيني بريكمان، نائبة رئيس الأركان، وكبيرة مستشاريّ السياسيين. أدارت حملتي الانتخابية وعملت تحت إدارة كارولين في سباقي نحو الرئاسة. إنها ضئيلة الحجم في كل شيء، بشعر فوضويّ مصبوغ بالأشقر وفم كسائق شاحنة يُكثر من الألفاظ البذيئة. إنها خنجري المبتسم، المستعدّ لخوض حرب من أجلي، حين أُفسِح لها المجال. لن تكتفي بتحليل منافسيّ. ما لم أكبح جماحها، بل ستُقَطّعهم من الذّقن إلى السُّرَّة. وستمزقهم إربًا بانضباط كلاب البيتبول الشرسة ومع قليل من السّحر.

بعد فوزي، اتّجهت كارولين نحو السياسة. وبقيت عينها عليها، لكن دورها الأكبر الآن هو الحصول على جدول أعمالي من الكونغرس ودفع سياستي الخارجية إلى الأمام.

من ناحية أخرى، تركّز جيني فقط على السياسة، وعلى إعادة انتخابي. وللأسف، على القلق بشأن ما إذا كنت سأستمر حتى خلال فترة ولايتي الأولى.

«تكتّلنا السياسي في مجلس النواب ثابت ومستقر في الوقت الراهن». تقول وتضيف إنه تضمّن مشاورات من جانبنا مع قيادة مجلس النواب. «صرّحوا فيها بأنهم يتوقون لسماع قصة الجزائر من جانبكم».

لا أستطيع كبت ابتسامتي الساخرة. «ربما خرجت بأكثر من ذلك، مثل: أن يُخرج رأسه من مؤخّرته ويدافع عن نفسه! هل هذا قريب؟»

«اقتباس مباشر تقريبًا، سيّدي».

أنا لا أجعل الأمر سهلًا على أعدائي. إنهم يريدون الدفاع عني، لكن صمتي يجعل ذلك مستحيلًا تقريبًا. إنهم يستحقون أكثر، لكنني لا أستطيع تقديمها لهم بعد.

أقول: «سيكون لدينا وقت لذلك». ليس لدينا أي أوهام تجاه التصويت في مجلس النواب. إنّ ليستر يحظى بالأغلبية، وحزبه يتلهّف للضغط على زر التقصير. إذا طالب ليستر بالتصويت عليه، فسينتهي أمري.

لكن الدفاع القوي في مجلس النواب سيجعل انتصارنا في مجلس الشيوخ مرجّحًا أكثر، حيث يحصل حزب ليستر على خمسة وخمسين صوتًا لكنه يحتاج إلى أغلبية ساحقة من سبعة وستين صوتًا للتّنْحِية. في حال كان حزبنا متماسكًا في مجلس النواب، سيكون من الصعب على المُوالين لنا في مجلس الشيوخ أن ينشقّوا.

تقول جيني: «إنّ ما نسمعه من جانبنا في مجلس الشيوخ أمر مماثل. يحاول القائد جاكوبي تأمين موقف حزبي 'التأييد المُفترَض'- كلماتها - الفكرة هي أنّ التّنْحِية علاج مبالغ فيه وعلينا أن نعرف أكثر قبل اتخاذ مثل هذه القرارات المهمة. لكنهم غير مستعدين لفعل أي شيء أكثر من مجرد الحفاظ على أذهاننا مُنفتحة الآن».

«لا أحد سيهْرع للدفاع عني».

«أنتَ لم تُعْطِهم دافعًا لذلك يا سيدي. أنت تدع رودز يركلك في خصيتيك ولا تواجهه في المقابل. ما سمعته كان 'تبدو الجزائر سيئة، حقًا، حقًا سيئة. من الأفضل أن يكون لديه تفسير جيد.'»

«حسنًا، تمامًا، هذا كان ممتعًا، جيني. الموضوع التالي ».

«إذا استطعنا البقاء هنا لمرة أخرى..»».

«الموضوع التالي، جيني. لقد حصلتِ على عشر دقائق من المساءلة، وأعطيتكِ ساعة في الليلة الماضية في تلك الجلسة الوهمية. هذه هي نهاية الحديث عن الإقالة في الوقت الحالي. لدي أشياء أخرى في ذهني. الآن، هل هناك أي شيء آخر؟»

تتدخّل كارولين قائلة: «نعم، سيدي. تنسيق القضايا التي كنا نُعِدّها لإعادة الانتخاب؟ يجب أن نبدأ الآن مع القضايا التي تلقى اهتمام ودعم الشعب الأمريكي - الحد الأدنى للأجور، وحظر الأسلحة الخطرة، والقروض الدراسية. نحتاج إلى أخْبار إيجابية لمواجهة السلبية. هذا يعطينا رواية مضادّة - على الرغم من الخدع السياسية، أنت عازم على تحريك البلاد إلى الأمام. دعهم يعقدون *محاكمات السّحر في سالم*((5)) بينما أنتَ تعمل على حلّ المشاكل الحقيقية للناس الحقيقيين».

«لا للغرق في كل هذا الحديث عن الإقالة؟»

«السيناتور جاكوبي لا يعتقد ذلك يا سيدي. إنهم يتوسّلون قضية جيدة لبدء التجمع حولها».

«سمعت الشيء ذاته في مجلس النواب». تقول جيني، وتتابع: «إن أعطيتهم أمرًا يُشغل أسنانهم القاطعة عنك، أمرًا يعنيهم فعلًا، سيذكّرهم بضرورة حماية الرئاسة».

أتنهّد قائلًا: «إنهم بحاجة إلى التذكير».

«بصراحة، يا سيدي، الآن... نعم، إنهم يحتاجون ذلك».

أرفع يديّ، وأقول: «حسنًا، حدّثيني».

تقول كارولين: «ابدأ بزيادة الحدّ الأدنى للأجور من الأسبوع المقبل، ثم قم بحظر الأسلحة الخطرة. وقروض الدراسة..».

«هناك فرصة كبيرة لتمرير قرار حظر الأسلحة الخطرة في مجلس النواب مثلما هناك فرصة لقرار إعادة تسمية مطار ريغان الوطني من بعدي».

تزمّ كارولين شفتيها، وتومئ بالموافقة. «هذا صحيح، يا سيدي، لن يمر». كلانا يعلم أنها لن تدفع باتجاه حظر الأسلحة الخطرة لأننا نستطيع تمريره، على الأقل في مجلس الشيوخ. وتواصل حديثها: «لكنك تؤمن به، ولديك المصداقية للقتال من أجله. بعد ذلك، عندما يقضي عليه حزب المعارضة ويرفع الحد الأدنى للأجور، وكلاهما يلقى الدعم من معظم الأمريكيين، عندها ستريهم من هم. وستزعج السيناتور جوردون».

لورانس جوردون، عضو مجلس الشيوخ لثلاث فترات يجلس إلى جانبي في الصف، ومثل كل عضو في مجلس الشيوخ، يعتقد أنه يجب أن يكون رئيسًا. لكن خلافًا لمعظمهم، فإنه يرغب في النظر في الترشح ضد الرئيس الحاليّ الذي من حزبه.

إنه أيضًا مع الجانب الخطأ في حزبنا وبلادنا في هذين المسألتين. صوّت ضد رفع الحدّ الأدنى من الأجور،

وفضّل التعديل الثاني((6)) في الدستور الذي ينص على الأقل كما تُعرفّه منظمة الاتّحاد القومي الأمريكي للأسلحة، أفضل من التعديلات الأول والرابع والخامس مجتمعة. تريد جيني أن تكسر رقبته وتخرب حياته، حتى قبل أن يفكّر بربط حذاءه.

أقول: «جوردون لن ينتخبني. إنه لا يحمل الجرأة لفعل ذلك».

«لا أحد يتابع حكاية الجزائر عن كثب أكثر من جوردون». تقول جيني.

ألقي نظرة على كارولين. لدى جيني مواهب سياسية ثاقبة، لكن كارولين لديها مواهب بالإضافة إلى المعرفة المؤسسية في العاصمة واشنطن اكتسبتها من الوقت الذي أمضته في الكونغرس. إنها أيضًا أذكى شخص قابلته في حياتي.

تقول كارولين: «لستُ خائفة من انتخاب جوردون لك. أخشى منه إن فكّر في الترشّح معك. خاصة مع التكهنات المشجِّعة. أن يسمح لنفسه بالتودّد. وأن يقرأ اسمه في *التايمز*، أو على سي إن إن. ما الذي سيخسره؟ سيجد له موطِئ قدم على الطريق. وسيحصل على خَبْطة لأناه أيضًا. مَنْ أكثر شعبية من منافسه؟ إنه مثل لاعب رئيسي في مباراة كرة قدم أمريكية... الجميع يحبه عندما يجلس جانبًا. لن يكسب جوردون شيئًا، سوى جولة رائعة من الغرور، لكن في الوقت نفسه، مصداقيتك ستقوّض مع كل ثانية تمُر. إنه يبدو مبتسمًا ومشرقًا، فيما تبدو أنت

ضعيفًا».

أومئ موافقًا. كل تلك الأصوات على حق.

«أعتقد أنه يجب علينا أن نعوّم الحدّ الأدنى من الأجور ونحظر الأسلحة الخطرة». تقول، وتتابع: «سنجعل جوردون يأتي إلينا ويطلب منا أن نجلس للتّباحث. وبذلك يصبح مدينًا لنا. وهو يعلم أنه إن ضغط علينا، فإننا سنطرح بندًا تشريعيًا أو اثنين على حسابه».

«ذكّريني ألاّ أغضبكِ أبدًا، كارولين».

تقول جيني: «نائبة الرئيس موافقة على هذا».

«بالطبع هي كذلك». وتُبدي كارولين تعابير وجهها. لديها شك صِحّي حول كاثي براندت، التي كانت خصمي الرئيسي في الترشيح. كانت الخيار الصحيح لمنصب نائبة الرئيس، لكن ذلك لم يجعلها أقرب حلفائي. بطريقة ما، ستقوم كاثي بإجراء الحِسْبة نفسها لمصلحتها الشخصية. إذا عُزلتُ من منصبي، فستصبح هي الرئيس، وستفكّر على الفور في الانتخابات. إنها ليست في حاجة إلى لاري جوردون أو غيره للحصول على أفكار.

أقول: «بينما أتّفق مع تحليلك للمشكلة، أعتقد أنّ الحلّ المُقترح لطيف للغاية بمقدار النّصف. أريد أن أخرج بقوّة في كلا الحالتين. لكني لن أتنازل عن جوردون. سنقوم بإجبار المعارضة. إنه الشيء الصّحيح الذي ينبغي فعله، إما الفوز أو الخسارة، سنكون أقوياء وسيكونون على خطأ».

تنْبري جيني قائلة: «هذا هو الشخص الذي قمتُ بالتصويت له، سيدي. أعتقد أنك يجب أن تفعل ذلك،

لكني أظن أنه لن يكون كافيًا. يُنظر إليك الآن على أنك ضعيف، ولا أظن أنّ أي تحرّك سياسي سيُصلح الأمر. المحادثة الهاتفية مع سليمان. كابوس الجزائر. أنتَ في حاجة قائد عسكريّ عام في هذه اللحظة. التفاف حول القائد مو...».

«لا». أقول، بعد أن قرأت أفكارها. «جيني، أنا لا أطالب بتوجيه ضربة عسكرية لأبدو صارمًا».

«هناك عدد من الأهداف الآمنة، سيدي الرئيس. ليس الأمر كما لو أنني أطالبكم بغزو فرنسا. ماذا عن واحدة من أهداف الطائرات بدون طيار في الشرق الأوسط، لكن بدلًا من الطائرة بدون طيار، لنقم بالتصعيد إلى هجوم جوّي...».

«لا. الإجابة هي لا».

تضع يديها على وركيْها، وتهزّ رأسها. «كانت زوجتك على حق.

حقًا أنت سياسي صعب».

«لكنها قصدت بها الإطراء».

«سيدي الرئيس، أيمكنني أن أكون صريحة معك؟» تقول.

«ألم تكوني كذلك إلى الآن؟»

تضع يديها أمامها، كما لو كانت تحاول أن تؤطّر القضية لي، أو ربما تتضرّع لي. «ستواجِه تهمة التقصير». وتكمِل: «وإن لم تفعل شيئًا لتعيد الأمور إلى نصابها، شيء

دراماتيكي، فإن أعضاء مجلس الشيوخ المؤيدين لك سيقفزون من السفينة. وأنا أعلم أنك لن تستقيل. وهم لا يحملون جيناتك. مما يعني أنّ الرئيس جوناثان لينكولن دنكان سيُذْكَر في التاريخ لشيء واحد وشيء واحد فقط. ستكون أول رئيس يتمّ إقالته قسرًا من منصبه».

---

(5) محاكمات السّحر في سالم: كانت سلسلة من جلسات الاستماع والمحاكمات للأشخاص المتهمين بممارسة السحر في ماساتشوستس المستعمرة بين فبراير 2961 ومايو 3961. اسفرت المحاكمات عن إعدام عشرين شخصًا أكثرهم نساء.

(6) التعديل الثاني على دستور الولايات المتحدة يحمي حق الأشخاص في الاحتفاظ بالأسلحة وحملها واعتمادها في 15 ديسمبر 1971.

5

بعد التحدّث مع جيني وكارولين، أتوجّه لغرفة نومي عبر القاعة، حيث تفتح ديبورا لين حقيبتها من الحاجيات الجيدة.

تقول: «صباح الخير، سيدي الرئيس».

أنزع ربطة عنقي، وأخلع قميصي، وأردّ: «أجمل صباح لكِ، يا دُك((7))».

تركيزها مُنْصَبٌّ عليّ، لتقييمي، ولا تبدو سعيدة. يظهر أنّ لي هذا التأثير على كثير من الآخرين هذه الأيام.

«نسيتَ أن تحلق مرة أخرى». تقول.

«سأحلق فيما بعد». في الواقع مرّت أربعة أيام منذ حلقت آخر مرة. عندما كنت في الكلية، في جامعة كارولاينا الشمالية، كان لدي هذا الروتين الخرافي- وهو أني لا أحلق خلال أسابيع الاختبارات النهائية. كان لدي ميل لأصدم الناس، على الرغم من أنّ أفضل ما يوصف به شعر رأسي هو البني الفاتح، أما شعر وجهي فإنه لا يتبع النصّ المتّفق عليه: على نحو ما، تتسلّل الصبغة البرتقالية لتعطيني لحية كستنائية نارية. ويمكنني أن أطيل لحيتي بسرعة، مع ختام الاختبارات النهائية، عندها ينعتني الجميع باسم بول بونيان((8)).

لم أفكّر في هذا كثيرًا بعد الجامعة، حتى الآن.

تقول: «تبدو مُتعبًا. كم ساعة غفوت البارحة؟»

«ساعتان أو ثلاثة».

«هذا لا يكفي، سيدي الرئيس».

«لدي كثير من المهام والمسؤوليات العالِقة التي تنتظر التعامل معها حالًا».

«والتي لن تتمكّن من تولّيها ما لم تنم». تضع سماعتها الطبية على صدري العاري.

د. ديبورا لين ليست طبيبتي الرسمية، لكنها أخصائية أمراض الدم في جورج تاون. ترعرعت في ظل نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، مع ذلك فرّت إلى الولايات المتحدة في المرحلة الثانوية ولم تغادرها قط. شعرها قصير جدًا ورمادي بالكامل. عيناها كعيني مُحقّق، لكنها طيّبة.

خلال الأسبوع الماضي، جاءت إلى البيت الأبيض كل يوم، فذلك أسهل وأقل لفتًا للانتباه: أن تقوم امرأة ذات مظهر احترافي - حتى وإن كانت امرأة تحمل حقيبة طبية غير مألوفة - بزيارة البيت الأبيض، بدلًا من أن يزور الرئيس مستشفى ميدستار جورج تاون الجامعي كلّ يوم.

تضع لفافة جهاز ضغط الدم على ذراعي. «بِمَ كنتَ تشعر؟»

أجيب: «أشعر بألم كبير في مؤخرتي. هل يمكن أن تنظري وتري إذا كان رئيس مجلس النواب هناك؟»

تصوّب نظرة لي لكنها لا تضحك. ولا تتكلّف حتى ابتسامة.

أضيف: «جسديًا، أشعر أني بخير».

تسلّط ضوءًا إلى داخل فمي. وتنظر عن كثب إلى جذعي، وبطني، وذراعيّ، وساقيّ، تدور حولي وتفعل الشيء ذاته على جانبي الآخر.

«الكدمات تزداد سوءًا». تقول.

«أعلم ذلك». كانت تبدو مثل طفح جلدي. الآن تبدو أكثر كأنّ شخصًا ضرب باطن ساقيّ بمطارق.

في فترة ولايتي الأولى في ولاية كارولينا الشمالية، تمّ تشخيصي بأني مصاب باضطراب في الدم يُعرف باسم: قلّة الصفائح المناعية، وهو ما يعني في الأساس انخفاضًا في عدد الصفائح الدموية. دمي لا يتجلّط دائمًا كما ينبغي. أفصحت عن ذلك بشكل علني في تلك الفترة وأخبرتهم الحقيقة - في معظم الأوقات، هذا المرض لا يمثّل مشكلة. بُلّغت أنّ عليّ تجنّب الأنشطة التي يمكن أن تؤدي إلى نزيف، وهو ما ليس صعبًا على رجل في عقده الرابع. انتهت أيامي في البيسبول منذ زمن بعيد، ولم أكن قط معجبًا بمصارعة الثيران أو اللعب بالسكاكين.

هاجمني الاضطراب مرتين خلال الفترة التي أمضيتها كحاكم، ثم نَسِيني خلال الحملة الانتخابية للرئاسة. إلى أن عاود الظهور عندما عاد السرطان لريتشل - إنّ طبيبتي مُقتنعة أنّ الحِمل الزائد من التوتّر هو سبب رئيسي للانتكاس - مع ذلك تعاملت معه بسلاسة. عاد قبل أسبوع، عندما بدأتْ كدمات تحت الجلد على ساقيّ بالظهور. يخبرنا تباين الرضوض السريع وانتشارها بالشيء

نفسه - هذه هي الحالة الأسوأ التي مررت بها حتى الآن.

تسأل د. ديب: «الصداع؟ الدوخة؟ الحرارة؟»

«لا، ولا، ولا».

«التعب؟»

«من قلة النوم، بالتأكيد».

«نزيف الأنف؟»

«لا، سيدتي».

«نزف في الأسنان أو اللثة؟»

«فرشاة الأسنان نظيفة».

«دم في البول أو البراز؟»

«لا». من الصعب أن تكون متواضعًا وأنت كلّما دخلتَ مكانًا أدرت الموسيقا، وأسواق المال العالمية معلّقة بكل كلمة منك، وتقود أكبر ترسانة عسكرية في العالم، لكن إذا كنت في حاجة لضرب نفسك بضعة أوتاد((9))، فافحص برازك بحثًا عن قطرات دم.

تتراجع إلى الوراء وتدندن مع نفسها. وتقول: «سأقوم بسحب عينة دم مرة أخرى. كنتُ قلقة بالأمس من نتائج تحاليلك. كانت لديك تحت العشرين ألفًا. لا أعلم كيف تحدّثت معي عن دخولك المستشفى في ذلك المكان».

أقول: «لقد تحدثتُ معك؛ لأنني رئيس الولايات المتحدة الأمريكية».

«أنسى دائمًا».

«أستطيع أن أُنتج عشرين ألفًا، يا دُك».

يتراوح المعدل الطبيعي للصفائح الدموية بين 150,000 و450,000 لكل مايكرو ليتر. لا أحد يُلقي بالًا لعدد أقل من 20,000، لكنها تظلّ أعلى من المرحلة الحرجة.

«هل تأخذ دواءك الستيرويد؟»

«ملتزم بأخذه في أوقاته.».

تصل إلى حقيبتها، ثم تَهُمّ بفرك الكحول على ذراعي بقطن طبي. لا أنظر إليها لحظة سحب الدم، لأنها مع الحقن لا تبدو لطيفة. إنها خارج أوقات عملها الرسمي في المستوى العالي الذي بلغته في مهنتها، شخص آخر يؤدي المهام الأولية عادة. لكن يجب أن أقلّص عدد الأشخاص الذين يعرفون هذا. ربما يعرف العامّة عن إصابتي بذلك الاضطراب، لكن لا أحد يحتاج لمعرفة مدى سوء الوضع الآن، تحديدًا الآن. إذن هو عرض لشخص واحد في الوقت الحالي.

تقول: «لنقم بعلاج البروتين».

«ماذا... الآن؟»

«نعم، الآن».

«في المرة الأخيرة التي فعلتُ ذلك لم أستطع تكوين جملة كاملة طيلة اليوم. وهذا غير مألوف، دُك. لا ليس اليوم بالذات».

نتوقّف، ويتدلى القطن الطبي من يدها إلى الأسفل حتى مفاصل إصبعي.

«إذن سنضخ الستيرويد السائل في الوريد».

«لا. عبئت حبوب الأدوية برأسي بما يكفي».

تهزّ رأسها قليلًا مُعتبرة هذا ردًّا عليّ. أنا لستُ مريضًا عاديًا. معظم المرضى يفعلون كل ما يقوله أطباؤهم. معظم المرضى ليسوا قادة للعالم الحر.

عادت لتحضير ذراعي، باستياء شديد، إلى أن تُعِدّ الحقنة. «سيدي الرئيس». تقولها بنبرة سمعتها من قبل على لسان المعلمين في صفوف المدارس، «يمكنكَ أن تخبر أي أحد في العالم ما عليه فعله. لكن لا يمكنكَ طلب ذلك من جسدك».

«دُك، أنا..».

«أنتَ عُرضة لخطر حدوث نزيف داخلي». تقول، وتكمِل: «نزيف دماغي. قد نتعرض لسكتة دماغية. مهما كان ما نتعامل معه، لا يستحق ذلك المخاطرة».

تنظر نحوي. لا أبدي ردة فعل. وهو ما يُعدّ في حدّ ذاته ردًا.

«هل هو شيء بذاك السوء؟» تهمس، وتهزّ رأسها، وتلوّح بيدها قائلة: «لا تفعل. أنا... أنا أعلم أنك لا تستطيع أن تخبرني».

نعم، إنه شيء سيء. وقد يأتي الهجوم بعد ساعة من الآن أو في وقت لاحق من اليوم. كان يمكن أن يحدث قبل عشرين ثانية، وقد تندفع كارولين لإخبارنا بذلك الآن.

لا يمكنني التخلي عن المهمّة ساعة، أو حتى أقلّ من ذلك بكثير، لا يمكن أن أخاطر.

«يجب الانتظار». أقول لها وأكمِل: «يومان، على الأرجح».

منزعجة قليلًا مما لا تعرفه، تومئ ديب وتغرز الحقنة في ذراعي.

أقول لها: «سأضاعف الستيرويد». مما يعني أنني سأشعر كأني شربت أربعة أكواب من البيرة بدلًا من اثنين. إنه حاجز يجب أن أقفز فوقه. لا يمكنني التخلّي عن المهمّة، لكن يجب أن أبقى على قيد الحياة.

تُنهي عملها بصمت، تضع عينة الدم في حقيبتها وتستعد للمغادرة. تقول: «لك وظيفتك، ولي وظيفتي. سأعود للمختبر في غضون ساعتين. لكن كلانا يعرف أنّ النتائج خطيرة».

«نعم، لنقم بذلك».

تتوقّف عند المدخل وتلتفت نحوي، وتقول لي: «ليس لديك يومان، سيدي الرئيس. ربما حتى لا تملك يومًا واحدًا».

---

(7) دُك: أي دكتورة.

(8) بول بونيان: هو شخصية حطّاب أسطورية، تظهر شخصيته في القصص الطويلة في الفولكلور الأمريكي.

(9) اضرب نفسك بضعة أوتاد: أي اضرب غرورك كي تتواضع.

6

اليوم، واليوم فقط، سيحتفلون.

يجب أن يبهِجُهم ذلك. لقد عمل فريقه الصغير ليلًا ونهارًا، بتصميم، وإخلاص ونجاح عظيم. كل شخص في حاجة لاستراحة.

الريح قبالة النهر تطيّر شعره. يسحب نفَسًا من سيجارته، التي يتوهّج طرفها البرتقالي في الهواء الخافت في وقت مبكّر من المساء. إنه يستمتع بالمشهد من شرفة الشقة المطلّة على نهر سبري((10))، المدينة الصاخبة عبر المياه – معرض الجانب الشرقي، مركز الترفيه. يستضيف ملعب مرسيدس بنز حفلًا موسيقيًا الليلة. إنه يجهل اسم الفرقة، لكن الأصوات الخافتة، والمسموعة حتى تلك التي تصل عبر النهر، تخبره أنّ الموسيقا صادرة من غيتار ضخم وصوت أجشّ. لقد تغيّر هذا الجزء من برلين منذ آخر مرة زارها، قبل أربع سنوات فقط.

يعود للنظر داخل الشقة الممتدة على مساحة مئة وستين مترًا مربعًا، مع أربع غرف نوم ومطبخ ذي تصميم مفتوح حيث يضحك ويومئ فريقه له، ويصبّ الشمبانيا وربما بالفعل قطعوا نصف طريقهم حتى الثّمالة. أربعة منهم، كلٌّ عبقري في حدّ ذاته، لا أحد منهم فوق الخامسة والعشرين، بعضهم ما زال بتولًا.

إلمورود، تتدلّى معدته على حزامه، ولحيته غير المهذّبة، ويرتدي قبعة زرقاء مهترئة طُبع عليها شعار: جنديّ - الحرب العالمية الثانية. محمد، خلع قميصه بالفعل، يستعرض

عضلته ذات الرأسين العضدية المتواضعة بالتأكيد في تظاهر خادع لكمال الأجسام. يتّجه أربعتهم نحو الباب، والمورود يذهب ليجيب. عندما يفتح الباب، تدخل ثماني نساء، جميعهن يضعن شعرًا مستعارًا مثيرًا ويرتدين فساتين ضيّقة، وكلّهن بأجساد شبيهة بتلك المعروضة في مجلة سنترفولدس، كلها بمبالغ مدفوعة بسخاء لجعل جميع أفراد فريقه يعيشون ليلة حياتهم.

يخطو بأناة على طول الشرفة، حذرًا من أجهزة استشعار الحرارة والضغط – تمّ إبطال مفعولها الآن، بالتأكيد – مجهّزة لتفجير الشرفة بأكملها لأي شيء أثقل من طائر يحطّ عليها. جعلته يعيد ما يقارب من مليون يورو، هذه تدابير وقائية.

لكن ما هي المليون يورو عندما تكسب مئة مليون؟

إحدى المومسات، آسيوية لا يمكن أن تكون قد تجاوزت العشرين من عمرها، بثديين لا يمكن أن يكونا حقيقيين أيضًا، وفي اهتمام مفاجئ لا يمكن أن يكون حقيقيًا، تقترب منه وهو يسير عائدًا إلى الشقة ويغلق الباب.

تسأل بلغتها: «ما اسمك؟»

يبتسم. إنها فقط تغازله، تؤدّي دَوْرًا. وهي لا تأبه بما سيخبرها به.

لكن هناك أشخاص سيدفعون أي شيء، أو سيقومون بأي شيء، لمعرفة إجابة سؤالها. ولمرّة واحدة فقط، يودّ أن يتخفّف من حذره ويجيبها على سؤالها بصدق.

يودّ أن يجيبها، أنا سليمان سيندوروك. وأنا على وشك إصدار نسخة جديدة من العالم.

---

(10) نهر سبري: يقع في برلين ألمانيا.

7

أغلق الملف على مكتبي بعد مراجعة البنود المختلفة التي أعدّها مستشار البيت الأبيض، داني أكيرز، وموظفوه مع المدّعي العام.

مشروع قرار تنفيذي يعلن الأحكام العُرفية في جميع أرجاء البلاد ومذكّرة قانونية تبحث دستورية القيام بذلك.

مشروع قانون للكونغرس ومشروع قرار تنفيذي يعلن تعليق استصدار مذكّرة إحضار، في جميع أنحاء البلاد.

قرار تنفيذي يضع ضوابطِ الأسعار وتقنين مختلف السلع الاستهلاكية مع تفويض سَن القوانين عند الحاجة.

أنا فقط أصلّي ألّا تصل الأمور إلى ذلك الحدّ.

تقول جوان، سكرتيرتي: «سيدي الرئيس، رئيس مجلس النواب».

يبتسم ليستر رودز بأدب لجوان ويخطو نحو المكتب البيضَوِي، بيدين ممدودتين. وأنا أتأهّبُ للخروج من مكتبي لاستقباله.

«صباح الخير، سيدي الرئيس». يقول، وهو يصافح يدي، ويطيل النظر في وجهي، وربما يتساءل لماذا بدأ الشعر ينبت في لحيتي.

«السيّد رئيس مجلس النواب». أقول له. عادة أُتْبِعها بجُملة: شكراً على حضورك، أو: سعيد برؤيتك، لكن لا يمكنني أن أستخدم المجاملات مع هذا الرجل. رودز، بعد كل ذلك، كان مهندس إصلاح حزبه في مجلس النواب

خلال الانتخابات النصفيّة، التي تستند بشكل حصري على الوعد الذي أطلقه: «إعادة بلادنا مرة أخرى» وذاك التقرير عن «تقييم الأداء» السخيف عن أدائي الذي فجّره لكلّ المُرشّحين، وأضاف لي السياسة الخارجية، والاقتصاد، وعددًا من القضايا الساخنة، مع شعار «دنكان أخفق».

يستولي على الأريكة، وأنا أجلس على الكرسي. يُعدّل أطراف كُمّي بدلته ويستقر على الأريكة. إنه في هيئة المُشرّع القوي: قميص مائل للزرقة مع ياقة وأكمام بيضاء، وربطة عنق حمراء فاقعة اللون معقودة بإحكام، تجتمع فيها كل ألوان العلم.

لا يزال لديه الحماس المثير للإعجاب من السلطة المكتسبة حديثًا. إنه يشغل منصب رئيس مجلس النواب منذ خمسة أشهر. هو لم يدرك حدوده بعد. ما يجعله أكثر خطورة، وليس أقل من ذلك.

«أسأل نفسي لماذا دعوتني هنا». ويمضي قائلًا: «أنت تعلم واحدة من خطوط القصة التي تخرج في الأخبار هو أننا قطعنا اتفاقًا، أنت وأنا. أنت توافق على عدم السعي لإعادة الانتخاب، وأنا ألغي جلسات الاستماع».

أومئ ببطء، سمعت ذلك أيضًا.

«لكنني أخبرت مساعديّ أن يقولوا لك، عُد لمشاهدة مقاطع الفيديو الخاصة بأسرى الحرب الذين تمّ أسرهم في عمليّة عاصفة الصحراء، إلى جانب العريف جون دنكان. انظر كيف كانوا خائفين. كم خافوا من أنهم يجب أن يتّهموا بلادهم على الكاميرا. وبعد أن تشاهد ذلك، اسأل

نفسك ما الذي كان يجب أن يفعله العراقيون مع جون دنكان لكونه الأسير الأمريكي الوحيد من تلك الوحدة التي رفضت الذهاب إلى الكاميرا. وبعد أن يستوعب عقلك ذلك، أبلغهم، أنّ عليك أن تسأل نفسك ما إذا كان جون دنكان هو من النوع الذي سيتراجع عن القتال مع مجموعة من أعضاء الكونغرس».

مما يعني أنه لا يزال لا يعرف سبب وجوده هنا. أقول: «ليستر. هل تعلم لماذا لا أتحدّث عن ذلك أبدًا؟ عن ماذا حدث لي في العراق؟»

«يجيبني: «لا أعلم. لكن أفترض أنه التواضع».

أُحرّك رأسي. «لا أحد في هذه المدينة متواضع. لا، السبب في أنني لا أتحدّث عن ذلك هو أنّ بعض المسائل أكثر أهمية من السياسة. لا يحتاج معظم أعضاء الكونغرس ذوي الرُّتب إلى تعلّم هذا الدرس. لكن من أجل أن تؤدي الحكومة دورها، ومن أجل مصلحة البلاد، رئيس مجلس النواب يفعل. وكلما كان أسرع، كان أفضل».

يفتح يديه، مشيرًا إلى أنه مستعد لسماع العبارة الأخيرة من القصة.

«ليستر، كم مرة شاهدتني أُخفق في مناقشة العمليات السريّة مع لجان الاستخبارات منذ أن أصبحت رئيسًا؟ أو إذا كانت حساسة بشكل خاص مع عُصْبة الثمانية((11))؟»

ينص القانون على أنه يتوجب عليّ إجراء استطلاع قبل

الشروع في عمل سري ويجب مشاركة تلك النتائج مع لجان الاستخبارات في مجلس النواب ومجلس الشيوخ - قبل اتخاذ الإجراء إن أمكن. لكن إذا كانت القضية حساسة بشكل خاص، يمكنني الاكتفاء بالإفصاح عن القضية لما يسمى بـ -عُصْبة الثمانية- رئيس مجلس النواب وزعيم الأقلية في مجلس النواب، والأغلبية في مجلس الشيوخ وزعماء الأقلية، والرؤساء والأعضاء ذوي الرُّتب الرفيعة في لجنتيْ الاستخبارات.

«سيدي الرئيس، لقد توليتُ منصبي كرئيس لمجلس النواب منذ بضعة أشهر فقط. لكن في ذلك الوقت، كما فهمت، أنك كنت دائمًا ممتثلًا لالتزامك بالكشف عن المعلومات».

«وسلفك السابق... متأكد أنه أخبرك أني على الدوام كنتُ ملتزمًا عندما كان رئيسًا أيضًا».

«هذا ما أفهمه، نعم». يقول مؤيّدًا لي، ويتابع: «وهذا هو السبب في انزعاجهم للغاية حتى أنّ عُصْبة الثمانية لم تسمع كلمة واحدة عن مسألة الجزائر».

«ما يجعلني منزعجًا بدوري، ليستر، هو أنك لا تدرك أنّه من المؤكد أن عندي سببًا وجيهًا لعدم الإفصاح عن أي كلمة في هذا التوقيت».

يغلق فمه بإحكام، وتبدأ الألوان تصعد إلى وجهه الشاحب. «رغم هذه الحقيقة، سيدي الرئيس؟ يُسمح لك باتخاذ اللازم أولًا، والإفصاح لاحقًا، إذا كان التوقيت هو جوهر القضية - لكنك حتى الآن لم تكشف عنه،

حتى بعد هذه الكارثة في الجزائر. بعد أن سمحتَ لذاك الوحش بالفرار. وبذلك أنت تخالف القانون».

«اسأل نفسك لماذا، يا ليستر». أجلس في مقعدي. «لماذا أُقدِم على ذلك؟ لأعرف بالضبط ردّة فعلك؟ هل تعلم أنني بذلك أسلّمك أسبابًا لعزلي على طبق من فضّة؟».

«لا يمكن أن يكون هناك سوى إجابة واحدة فقط، يا سيدي».

«حقًا؟ وما هي تلك الإجابة الواحدة، ليستر؟»

«حسنًا، إذا جاز لي التحدث بحرية..».

«مهلًا، لا أحد هنا سوى نحن الشباب».

«حسنًا، إذن». يقول موافقًا بشكل قاطع. «الإجابة هي أنك لا تملك تفسيرًا جيدًا لما قمت به. أنت تحاول التفاوض لعقد هدنة مع ذلك الإرهابي الخبيث، ومنعت مجموعة الميليشيا تلك من قتله حتى تتمكّن من الاستمرار في التفاوض على أي صفقة سلام - محبة - وتفاهم يبدو أنك تظن أنه يمكنك قطعها. وأنتَ غالبًا تفلِتُ من ذلك. لم نسمع مطلقًا كلمة واحدة عن الجزائر. وأنت نفيتَ الأمر برمّته».

يميل للأمام على ركبتيه، ويرمقني بعينيه، بنظرة حادة جدًا وعينيه تقريبًا دامعتين. «لكن بعد ذلك قُتل هذا الشاب الأمريكي، وعُرض في تسجيل فيديو ليشاهده العالم أجمع. أُخذت على حين غرة كمن ضُبط في موقف محرج. وما زلت لم تخبرنا إلى الآن. لأنك لا تريد أحدًا أن يعرف ما تفعله إلى أن يتم توقيعه، وختمه، وتسليمه».

يُوجّه لي أصابع الاتهام، ويُكمِل: «حسنًا. لن يتم استبعاد الكونغرس عن مهمتنا الرقابية في هذا الشأن. طالما أنا رئيس مجلس النواب، لن يُبرِم أي رئيس منفردًا صفقة مع الإرهابيين ولن يُمنحوا الشرف بأي حال من الأحوال ويتركونا مثل ابن الزوجة أو الزوج الضعيف. طالما..»».

«هذا يكفي، ليستر».

«...أنا رئيس مجلس النواب، هذه البلاد سوف..»».

« كفى»».

أقف على قدمي. بعد لحظة، مذهولًا، يقف ليستر كذلك.

«احصُل على هذا باستقامة». أقول، وأُكمِل: «لا كاميرات هنا. لا نتظاهر بأنك تُصدّق ما تقول. لا تدّعي أنك حقًا تعتقد أني أستيقظ كل صباح لأهمس للإرهابيين بأشياء لطيفة. كلانا على حدّ سواء يعرف أنني سأُخرِج هذا الأحمق في الوقت الحالي إذا اعتقدتَ أنّ هذا سيخدم مصالح أُمّتنا. إنه غزل سياسي كبير، يا ليستر، سأعطيك ذلك - تلك القمامة التي تتقيّؤها عني، وهي الرغبة في «صنع الحب، وليس الحرب» مع أبناء الجهاد. لكن لا تمشي للمكتب البيضَوي وتتظاهر ثانية واحدة أنك تُؤمِن فعلًا بذلك».

يختلس النظر، وهو لا يشعر بالراحة هنا. إنه لم يعتد هذه الأيام أن يرفع شخص ما صوته في وجهه. لكنه ظلّ صامتًا لأنه يعرف أنّي على حق.

«أنا هنا أقدّم لك كل أنواع الدّعم، ليستر. أساعدك

وأشجّعك بصمت. ومع كل ثانية أصمت فيها، تحصل على مزيد من الوقود لنارك. أنت تتفوّق عليّ أمام العامة. وأنا أجلس هناك قائلًا، *شكرًا لك، يا سيدي، هل يمكنني الحصول على فرصة أخرى*؟ من المؤكّد أنك ذكي بما يكفي لإدراك أنني إذا انتهكت كل موهبة سياسية أمتلكها وفضّلتُ الصمت، يجب أن يكون ما أحمله سببًا مُهمًّا ومغريًا جدًا لأفعل ذلك. ويجب أن يكون هناك شيء حيوي ومهم جدًّا على المحك».

يتسمّر ليستر مُحدّقًا إليّ أطول فترة ممكنة. ثم يسحب نظراته تدريجيًا نحو الأرضية. ويحشر يديه في جيوبه ويتأرجح على عقبيه.

«إذن أخبرني». يقول: «ليست الاستخبارات. ليست عُصْبة الثمانية. أنا. إذا كان الأمر مهمًّا كما تقول، فأخبرني ما هو».

ليستر رودز هو آخر شخص على الإطلاق سأعطيه كل التفاصيل. لكن لا يمكنني أن أخبره أني أفكّر في ذلك.

«لا أستطيع يا ليستر، لا أستطيع. أنا أطلب منك أن تثق بي».

مضى ذلك الوقت الذي كان فيه بيانٌ مثل هذا من الرئيس إلى رئيس مجلس النواب، كافيًا. تلك الأيام كانت طويلة عندما أستذكر الماضي.

«لا يمكن أن أتّفق مع ذلك، سيدي الرئيس».

لقد اختار كلمة مثيرة للاهتمام - لا يمكن، ولم يقل لن. إنّ ليستر يتعرّض لضغوط كبيرة من حزبه، لا سيّما

ممّن يشعلون المتفاعلين مع كل همسة على وسائل التواصل الاجتماعي والأحاديث الإذاعية، لاختلاق هذا الأمر برمّته. وسواء كان ذلك صحيحًا أم لا، وسواء آمن به أم لا، فقد رسموا صورة ساخرة لي، ولا يمكن معرفة إن كان ليستر رودز رئيس المجلس قرّر أن يثق في هذه الصورة الساخرة في هذه اللحظة المهمّة.

أقول: «فكِّر في الهجوم الإلكتروني في تورونتو. لم يعلن أبناء الجهاد مسؤوليتهم عن ذلك. فكِّر في ذلك. هؤلاء الرجال يدّعون دائمًا المسؤولية. كل هجوم قاموا به جاء برسالة للغرب للابتعاد عن الجزء الخاص بهم من العالم، وسط وجنوب شرق أوروبا، ليحصلوا على أموالنا، ويُخْرِجوا قوّاتنا. لكن ليس هذه المرة. لماذا ليستر؟»

«يمكنك أن تخبرني لماذا؟» يقول.

أشير له بالجلوس، وأفعل الشيء نفسه.

«سأخبرك، لكن هذا بيننا فقط». أقول.

«نعم يا سيدي».

«الإجابة هي أننا نجهل السبب. لكني أخمّن؟ أنّ تورونتو كانت اختبارًا. ليثبت أنّ لديه الأفضلية. على الأرجح ليحصل على دفعة أولية عن وظيفته الحقيقية».

أجلس وأستقر في الكرسي. يتمتع ليستر بنظرة نجولة لطفل يدرك أنه من المفترض أن يفهم شيئًا لكنه لا يريد أن يسلّم بذلك.

«إذن لماذا لا نقتله؟» ليستر يسأل، ويضيف: «لماذا

ننقذه من ذاك الهجوم في الجزائر؟»

أحدّق في ليستر.

«كلّي آذان صاغية». يقول.

لا أستطيع أن أمنح ليستر كل التفاصيل، لكن يمكنني أن أعطيه ما يكفي لأقنعه.

أقول: «لم نكن نحاول إنقاذ سليمان سيندوروك، كنا نحاول القبض عليه».

«بعد ذلك..». يفتح ليستر يديه، ويسأل: «لِمَ أوقفت مجموعة الميليشيا تلك؟»

«لم يكن في نيتهم القبض عليه، ليستر. كانوا عازمين على قتله. وفي طريقهم لإطلاق الصواريخ على منزله».

«إذن؟» يسأل ليستر باستهجان، ويتابع: «إرهابي معتقل أو إرهابي ميت، ما الفرق؟»

أجيبه: «في هذه الحالة، هناك فرق كبير. أريد سليمان سيندوروك حيًّا».

ينظر ليستر إلى يديه، ويُدَوِّر خاتم زواجه. يبقى في وضع المُنصِت، لا يُظهر شيئًا من طرفه.

«روت استخباراتنا أنّ هذه الميليشيا عثرت عليه. لا نعرف أكثر من ذلك. كل ما يمكن أن نفعله هو تشغيل عملياتهم في الجزائر، ومحاولة منعهم من الهجوم الكامل، والقبض على سليمان بأنفسنا. تمكّنّا من وقف هجومهم، لكن سليمان أفلت من المعترك. ونعم، هناك أمريكي لقي حتفه. وهو الشيء الذي رغبنا في أن يبقى سرًّا وهو ما بلغ

تصنيفًا متقدمًا فيما بعد على وسائل التواصل الاجتماعي في غضون ساعات. »

يعمل ليستر على ذلك، تضيق عيناه، ويومئ برأسه.

«لا أظن أنّ سليمان يعمل بمفرده». أقول له.

«أعتقد أنه تمّ استخدامه. وأعتقد أنّ تورونتو كانت بمثابة إحماء، لتجربة تذوّق الطبق التجريبي، المقبلات».

«ونحن الطبق الرئيسي». يهمس ليستر.

«هذا صحيح».

«إنه هجوم إلكتروني». تمتم قائلًا: «أكبر من تورونتو».

« كبير كفاية لجعل تورونتو تبدو مثل إصبع قدم».

«يا يسوع».

«أحتاج سليمان على قيد الحياة لأنه قد يكون الشخص الوحيد القادر على إيقاف ذلك. ويمكنه تحديد من استأجره ومَن غيره، وإذا كان هناك أي شخص، يعمل معه. ومع ذلك، لا أريد أن يعرف أي شخص ما أعرفه أو ما يدور في بالي. أحاول القيام بشيء يصعب للغاية على الولايات المتحدة الأمريكية القيام به - ألا وهو الطيران تحت الرادار».

ألمح أثرًا لإدراك الموقف في تعابير رئيس مجلس النواب. يتّكئ للخلف مواجهًا الأريكة.

«أنت تقول إنّ جلساتنا سوف تتعارض مع ما تقوم به».

«بلا أدنى شك».

«إذن لمَ وافقت على أن تدلي بشهادتك في المقام الأول؟»

أقول: «لكسب الوقت، لقد أردتَ أن تحصل على فريق الأمن القومي بأكمله قبل أن تنعقد لجنتكم في وقت مُبكّر من هذا الأسبوع. لا يمكنني ضمان ذلك. قدّمتُ نفسي في مقابل إطالة الوقت»».

«لكنك الآن تحتاج إلى مزيد من الوقت. بعد يوم الاثنين القادم ».

«نعم».

«وأنت تريدني أن أعود إلى مجموعتي الانتخابية وأخبرهم أننا يجب أن نقدّمها لك»».

«نعم».

«لكن لا يمكن أن أخبرهم عن السبب. لا أستطيع أن أعلمهم بما أخبرتني به. سأكتفي بإخبارهم بما قررّتُ، أن أثق بك!»

«أنت قائدهم، ليستر. هكذا القيادة. أخبرهم أنك قررت أنه من مصلحة أمتنا أن نعلِّق مؤقتًا جلسات الاستماع»».

يُسقِط رأسه، ويفرك يديه ببعضهما، يتدرّب على الخطاب الذي ربما ألقاه على المرآة عشر مرات قبل مجيئه إلى هنا.

يقول: «سيدي الرئيس. أنا أفهم أنّ جلسات الاستماع هذه ليست شيئًا تريد منا أن نفعله. لكن مثلما تتحمّل مسؤولياتك، لدينا مسؤولية رقابية تعمل بمثابة مراجعة

للسلطة التنفيذية. لدي أعضاء انتخبوني للتأكد من أننا نخدم هذه المراجعة. لا أستطيع العودة إلى حزبي وإبلاغهم بأننا سوف نتنصّل من مسؤوليتنا».

لم يكن ما قلته له اليوم ذا أهمية. لديه دليل قواعد للعب، وهو يتبعه. لم تكن الوطنية أبدًا عاملًا فيه. إذا كان هذا الرجل لديه فِكر غير أناني، كما تقول أمي، فسيموت من الشعور بالوحدة.

لكنني لم أحاول.

«إذا كان هذا يسير على ما يرام». أقول، وأتابع حديثي: «وقمنا بوقف هذا الهجوم الإرهابي، فسوف تقف إلى جانبي. سأقول للعالم أنّ رئيس المجلس وضع جانبًا الخلافات الحزبية وفعل ما هو صواب لبلاده. سوف أحتفظ بك كمثال على ما هو الصواب في واشنطن العاصمة. ستكون متحدثًا رئيسيًا للمجلس مدى الحياة».

استمرّ في إيماء رأسه علامة على الموافقة، وهو يتنحنح، وقدمه على الأرض بدأت في النّقر.

«لكن إذا..». ولم يستطع أن يجبر نفسه على إنهاء الجملة.

«إذا سارت الأمور بشكل خاطئ؟ إذن سأحمل اللوم. كلّه».

يقول: «لكنني أنا مَن يُلام أيضًا. لأنني أوقفت هذه الجلسات دون إبداء أسباب لأعضاء حزبي، أو الجمهور على الإطلاق. لا يمكنك أن تعدني بأنني سأخرج من هذه الحالة سالمًا..».

«ليستر، هذه هي الوظيفة التي وقّعتَ عليها. سواء كنت تعرف ذلك أم لا، سواء كنت تحبّ ذلك أم لا. أنت على حق. لا وعود هنا. لا شيء مؤكد هنا. أنا القائد العام، وأنظر إلى عينيك وأخبرك أن الأمن القومي في هذه البلاد في خطر وأنا بحاجة لمساعدتكم. هل ستساعدني أم لا؟ »

لم يستغرق الأمر منه وقتًا، حتى بدأ يقول وهو يحرّك فكّه، وينظر لكفّيه. «سيدي الرئيس، أودّ أن أساعدك، لكن عليك أن تفهم، لدينا مسؤولي..».

«اللعنة، يا ليستر، ضع بلادك أولًا!» أقولها وأدفع نفسي للخروج من مقعدي بسرعة كبيرة، مع شعور بالتذبذب، وغضب يستهلكني. «أنا أهدر أنفاسي».

ينهض ليستر عن الأريكة، ويُعدّل أطراف كُمّيه، ويجذب ربطة عنقه. «إذن سنراك يوم الاثنين؟» كما لو أنّ شيئًا مما قلته مسجّلًا عنده. الشيء الوحيد الذي يهتم به هو العودة إلى حزبه وإخبارهم أنه وقف معي. أقول: «أنت تظن أنك تعرف ما تفعل، لكنك لا تحمل أدنى فكرة».

---

(11) عُصبة الثمانية: هي عبارة عامية لمجموعة من ثمانية قادة داخل كونغرس الولايات المتحدة يتم إطلاعهم على المسائل الاستخبارية السرية من قبل السلطة التنفيذية.

8

أحدّق في إمعانٍ إلى الباب بعد أن غادر رودز رئيس مجلس النواب. لستُ متأكدًا مما كنت أنتظره منه. وطنية من طراز قديم مثلًا؟ إحساس بالمسؤولية، ربما؟ قليل من الثقة في الرئيس؟

هذا يحدث في الأحلام. لا ثقة بعد الآن. في الظروف الحالية، لا فوز في ذلك. كل الدوافع الباعثة تدفع الناس في الاتجاه المعاكس.

إذن سيغادر رودز إلى ركنه، يواجه تهمة لا يمكنه السيطرة عليها حقًا لأن جماعته تنتفض مع كل تغريدة. في بعض الأيام، لا يكون فيها حزبي أفضل بكثير منه. إنّ المشاركة في الشّأن العام يُحرّكها عوالم التغريد اللحظيّة في تويتر وسناب شات وفيسبوك ودورة الأخبار، على مدار الأربع وعشرين ساعة. نحن نستخدم التكنولوجيا الحديثة للعودة إلى أنواع بدائية وساذجة من العلاقات الإنسانية. تعرف وسائل الإعلام ما تبيع - الصراعات والانقسامات. إنها أيضًا سريعة وسهلة. في أحيان كثيرة يكون إظهار الغضب هو المطلوب، لا طرح الإجابات؛ يكون الاستياء أفضل عندهم من المنطق؛ والعاطفة تفوق الأدلة. التظاهر بالوَرَع، والاحتقار المُبطّن للآخرين، عبْر جُمْلة واحدة - رغم زيفها - يُنظَر إليه على أنه حديث صريح، في حين أنّ الردّ الهادئ المدروس يبدو لهم مُصطنعًا ومُزيّفًا. يذكّرني ذلك بنكتة سياسية قديمة تقول: لماذا تحمل مثل هذه الكراهية الجاهزة للناس؟ والجواب هو:

لأنها توفر كثيرًا من الوقت!

ماذا حدث للتقارير الواقعية المعتدلة؟ من الصعب حتى تعريف ذلك، مثل الخط الفاصل بين الحقيقة والخيال، وبين الحق والأكاذيب، تصبح ضبابية أكثر كل يوم.

لا يمكننا البقاء دون صحافة حرّة، مُكرَّسة للحفاظ على هذا الخط الرفيع وآمنة بما يكفي لمتابعة الحقائق إلى حيث يتقدّمون. لكنّ البيئة الحالية تفرض ضغوطًا خطيرة على صَحَفيّينا، على الأقل أولئك الذين يغطّون أخبار السياسة، لفعل العكس تمامًا - ليمارسوا سُلطتهم الخاصّة، وعلى حدّ تعبير أحد كُتّاب المقالات الحكماء النادرين: السياسيون كلّهم، حتى أولئك الذين يتمتّعون بالقوّة والنزاهة، أصبحوا كذلك بسبب قضايا غير مُهمّة نسبيًّا.

يُطلِق العلماء على هذه المعادلة اسم: المعادلة الكاذبة. ويعني ذلك أنه عندما تعثُر على جبل، تفضح به شخصًا ما أو طرفًا ما، فعليك حينئذ أن تنتقي كومة تراب فقط من الجانب الآخر وتحوّلها إلى جبل لتجنّب اتهامك بالتحيّز((12)). هناك فوائد عظيمة لمبدأ «من يصنع جبلًا من كومة تراب»: زيادة التغطية في أخبار المساء، وملايين من التغريدات، ومزيد من علف البرامج الحوارية. حين تتشابه كومة التراب مع الجبل، تكرِّس الحملات والحكومات قليلًا من الوقت والطاقة لمناقشة القضايا التي تهمّ شعبنا. حتى عندما نحاول القيام بذلك، غالبًا ما نغرق في عاطفة ذلك اليوم.

هناك ثمن حقيقي لهذا. يُوَلّد مزيدًا من الإحباط،

والاستقطاب، والعجز، والقرارات السيئة، والفرص الضائعة. لكن دون حافز لإنجاز شيء ما فعلًا، مزيد ومزيد من السياسيين يمشون مع التيار، ويعملون على إذكاء نار الغضب والاستياء، في حين أنهم يجب أن يكونوا بمثابة فرقة الإطفاء. يعلم الجميع أنه خطأ، لكنّ المردود الفوريّ كبير جدًّا، ومُربِك لنا، ذلك فقط بافتراض أنّ دستورنا ومؤسّساتنا العامة والقانون يتحمّلون أيّ اعتداء جديد دون إلحاق ضرر دائم بحرياتنا وأسلوب حياتنا.

هرعتُ للرئاسة لتغيير تلك الحلقة المفرغة. آمل أن يظلّ بإمكاني ذلك. لكن في الوقت الحالي، عليّ التعامل مع الذئب الذي عند الباب.

تَظْهر جوان، وتقول: «داني وأليكس هنا».

اعتادت جوان العمل مع حاكم ولاية كارولاينا الشمالية، حين نجحت كحاكم. وبينما كان يغادر الحاكم السابق منصبه، كنتُ في الطريق إليه، ركضتْ للانتقال بكفاءة حازت على إعجابي. فيما كان الجميع يخشاها. قيل لي ألا أوظّفها لأنها جاءت «منهم» - الحزب السياسي المعارض - لكن جوان أخبرتني، «السيد الحاكم المنتخَب، للتوّ حصلتُ على الطّلاق، لدي طفلين في المرحلة المتوسطة، وأنا مُفلسة. لم أتأخر أبدًا، ولم أمرض يومًا، ويمكنني أن أطبع أَسرع من قدرتك على البصْق، وإذا تصرّفتَ بحماقة، سأكون أول من يُعلِمك بذلك».
ومنذ ذلك الحين هي معي.

«سيدي الرئيس». يقول داني أكيرز، مستشار البيت الأبيض. كُنّا أنا وداني جارين، الباب بالباب، في مقاطعة

ويلكس في كارولاينا الشمالية، ونشأنا في بلدة صغيرة تبلغ مساحتها ميلًا مربّعًا، تقع بين طريق سريع وإشارة مرور واحدة. كُنّا نسبح ونصطاد الأسماك ونتزحلق على لوح التزلج ونلعب الكرة ونصطاد الطرائد معًا. علّمنا بعضنا كيفية عقد ربطة العنق وتشغيل سيارة معطّلة واستخدام صنارة الصيد ورمي كرات البيسبول. عشنا كل التفاصيل معًا - من صفوف المدرسة حتى الكلية في جامعة كارولاينا الشمالية. حتى أننا تجنّدنا معًا، وانضممنا إلى مُشاة قوّات الصاعقة البرية الأمريكية برتبة إي فور إس، بعد الكلية. الشيء الوحيد الذي لم نختبره معًا هو عملية عاصفة الصحراء: لم يتم تعيين داني في شركة برافو لتجارة الأسلحة، كما حدث لي، لذا لم يشهد أيًّا من «الأكشن» الذي وقع في العراق.

بينما كنت أحاول - دون جدوى - التغلّب على إصاباتي في عاصفة الصحراء ولعب البيسبول في ممْفيس، كان داني قد بدأ بالفعل دراسة القانون في جامعة كارولاينا الشمالية. حين كان في سنته الثالثة في كلية القانون، التحقتُ به. وهو الذي شهد لي أمام ريتشل كارسون.

«سيدي الرئيس». أليكس تريمبل - ذو الصدر الضّخم، يقولها بِدَوِيّ صارخ. عندما تراه يقوم بذلك للمرة الأولى، لن تجده مُضحكًا تمامًا، فهو من أكثر العاملين استقامة وقوة، ويدير أعمالي الأمنية بكفاءة مثل عملية عسكرية دائمة.

«اجلس، اجلس». يجب أن أعود إلى مكتبي، ومع

ذلك أجلس على الأريكة.

«سيدي الرئيس»، يقول داني، «ها هي مذكرتي الدبلوماسية في المادة 18، بند 3056». يسلّمني المستند باليد. «هل تريد النسخة الطويلة أم القصيرة؟» يسأل، وهو على علم بالإجابة مسبقًا.

«القصيرة. آخر ما أودّ فعله هو أن أقرأ خطابًا قانونيًّا الآن». ليس لدي شك أنّ المذكرة القانونية أُعدّت بقوة. لطالما أحببت أرض المعركة في قاعة المحكمة كنائب عام أو كمدّعٍ، لكنّ داني كان هو الباحث، حيث قام بتمحيص آراء المحكمة العليا الجديدة من أجل المتعة، ومناقشة نقاط الامتياز للقانون، والامتثال للكلمة المكتوبة. ترك مكتبه للمحاماة ليكون مستشاري القانوني عندما أصبحتُ حاكمًا لولاية شمال كارولاينا. كان عظيمًا في ذلك إلى أن رشّحه الرئيس آنذاك إلى محكمة الاستئناف الأمريكية للدائرة الرابعة. لقد أحبّ هذا العمل وكان بإمكانه المكوث فيه بسعادة مدى الحياة لو لم يتمّ انتخابي رئيسًا وطلبتُ منه الانضمام إليّ مرة أخرى.

«فقط أخبرني بما يمكنني فعله وما لا أستطيع فعله». أقول.

يغمزني داني قائلًا: «ينصّ القانون على أنه لا يمكنك رفض الحماية. لكن هناك سابقة لرفضها مؤقتًا كجزء من حقك في الخصوصية الشخصية».

أليكس تريمبل بالفعل يحدّق إليّ. لقد سبق لي فتح الموضوع معه، لذلك لا يأتي هذا من فراغ، لكنه كان

يأمل بالتأكيد أن يحدّثني داني عن ذلك.

أليكس يقول: «سيدي الرئيس. مع كامل احترامي المستحق، لا يمكن أن تكون جادًا».

«بل أنا جادّ مثل نوبة قلبية».

«الآن، في كل الأوقات، سيدي..».

«لقد قرّرت». أقول.

يقول: «يمكننا إحاطتك بحدودٍ فضفاضة. أو على الأقل القيام ببعض الحماية المسبقة».

«لا».

يتشبّث أليكس بذراع كرسيه، فاغرًا فمه قليلًا.

«أحتاج دقيقة مع مستشاري». أقول له.

«سيدي الرئيس، أرجوك لا تفعل..».

«أليكس». أقول. «أنا في حاجة إلى دقيقة مع داني».

مع تنهيدة عميقة وهزّة رأس، يتركنا أليكس.

ينظر داني إلى الباب ليتأكّد أننا وحدنا. ثم ينظر إليّ.

«يا بني، لقد جنّ جنونك في شهر مارس». يقول، في تلميح بنبرة قديمة في صوته كما يستحضر قول ماما المفضّل عندي. إنه يعرفهم جميعًا كما أعرف. كان والدا داني صالحيْن، وكادحيْن، لكنهما كانا يقضيان وقتًا طويلًا بعيدًا عن المنزل. سخّر والده الكثير من الوقت الإضافي لشركة نقل الشاحنات، وعملت أمه في النوبة الليلية في المصنع المحلّي.

كان والدي مدرّسًا للرياضيات في مدرسة ثانوية، توفي في حادث سيارة عندما كنت في الرابعة من عمري. لذلك عندما كنت صغيرًا، كنّا نعيش على تقاعد جزئي لمعلم صف دراسي وما جنت أمي من عملها كنادلة في كيرلي رايز بجانب ميلر كريك، لكنها كانت دائمًا في المنزل ليلًا، لذلك ساعدت الأكيرز مع داني. أحبّته مثل ابن ثان لها. لقد أمضى كثيرًا من الوقت في منزلنا.

عادة عندما يُطلِق مثل هذه الذكريات، يجلب ابتسامة إلى وجهي. لكن بدلًا من ذلك، أنحني إلى الأمام وأفرك كفّي معًا.

«حسنًا، أنت تريد أن تقول لي ما الذي يحدث؟» يقول وهو يحاول: «لقد بدأت تفقدني صوابي».

حتى هو لَحِقَ بالرَّكب، أشعر أنّ عدد الحرس الشخصي في انخفاض تدريجي. الآن أنا وحيد مع داني. في هذه الوظيفة، هو وريتشل كانا دائمًا مرفئي في العاصفة.

أتأمّل وجهه. وأقول: «لقد كبرنا الآن وأصبحنا بعيدين عن الزمن الذي كُنّا فيه نصطاد سمك السلمون المرقّط في حديقة كريك».

«جيّد. لأنه لا يمكنك أبدًا إرسال خطّ جوّي لإنقاذ حياتك بأي حال. »

مرة أخرى، لا أبتسم.

يقول: «أنت على حق في مكانك الذي من المفترض أن تكون فيه سيدي الرئيس. مع ذلك، إذا تأزّم الوضع وعمّت الفوضى، فأنت الشخص الذي أريده أن يكون

مسؤولًا».

سمحتُ للهواء بالخروج، وأومأتُ برأسي.

«يا». ينهض داني من كرسيّه ويجلس بجانبي على الأريكة. يلْكِز ركبتيّ بلطف، ويقول: «أن تكون مسؤولًا لا يعني أن تكون بمفردك. أنا مُحقّ هنا. أنا هنا في المكان نفسه الذي كنتُ فيه دائمًا، بصرف النظر عن لقبك. سأكون في المكان نفسه دائمًا».

«نعم، أنا... أنا أعلم». أنظر إليه، وأتابع: «أعلم ذلك».

«هذا لا يتعلّق بهراء الإقالة، أليس كذلك؟ لأن ذلك سيُحَلّ من تلقاء نفسه. ليستر رودز؟ ذاك الصبي المُغَفّل لا يمكنه أن يُدخل خيطًا في إبرة»

يسحب كل اعتراض، ينفض غبارًا آخر من أعظم ضربات أمي. إنه يحاول أن يعيدني إليها، إلى قوّتها. بعد أن توفي أبي، قطّعَت السّوط على جسدي مثل أي رقيب في الجيش التقيته لاحقًا، تصفعني على قمة رأسي إذا سمعَت صوتًا سلبيًا أو كلمة: لا، تخبرني أن أذهب للكلية أو ستضرب جلدي. تذهب للعمل باكرًا وتعود إلى البيت بعد الظهيرة مع علبتَيْ طعام من كرتون الستايروفوم، عشاء لي مع داني. كنت أفرك قدميها أثناء تفقّدها واجباتنا واستجوابنا حول يومنا في المدرسة. كانت دائمًا تقول: *أنتم الأولاد، لا تتمتّعون بما يكفي لأن تُتركوا دون مُتابعة.*

«إنه أمر آخر، أليس كذلك؟» يقول داني. «هذا الأمر الذي لا يمكنك إخباري به، هل قمت بإلغاء نصف جدولك خلال الأسبوعين الماضيين؟ السبب في أنك فجأة

أصبحت مهتمًا جدًا في الأحكام العرفية والمثول أمام القضاء ومراقبة الأسعار؟ مهما كان الأمر، فقد أبقاك هادئًا مثل تساقط الثلوج حول سليمان سيندوروك في الجزائر، في حين أنّ ليستر رودز يتفوّق بتصريحاته على كلّ ما تقول؟»

أجيبه: «نعم. إنه ذاك الأمر».

«نعم». يقول، ويتنحنح، ويطقطق أصابعه. ويتابع: «المقياس من واحد إلى عشرة».

«ما مدى سوء هذا؟»

«ألفًا».

«يا يسوع. يبدو أنك ستتجاوز حدودك؟ يجب أن أخبرك أنّ هذا يبدو مرعبًا ».

ربما يكون مرعبًا. لكنه أفضل ما لدي.

«أنت ترتعد خوفًا». يقول.

«نعم. نعم، أنا كذلك».

نصمت فترة طويلة.

«هل تعلم متى رأيتك خائفًا آخر مرّة؟»

«عندما منحتني أوهايو أكثر من مئتين وسبعين صوتًا انتخابيًا؟»

«لا ».

«عندما اكتشفت أنّ شركة برافو لتجارة الأسلحة كانت تنتشر على نطاق واسع؟»

«لا يا سيدي».

أنظر إليه.

يقول: «عندما كنّا ننزل من الحافلة في فورت بينينغ. وكان الرقيب ميلتون ينادي: *أين الإي فور إس؟ أين اخويّة اليرقات الملعونة؟* لم نوقف الحافلة بعد، وكان الرقيب يشحذ سكاكينه لصبيان الكلية، الذين بدأوا في الحصول على رواتب أكثر ورُتَب أعلى».

أضحك ضحكة خافتة. «أتذكّر».

«نعم. لن أنسى أبدًا جلسة الدّخان((13)) الأولى لك، أليس كذلك؟ رأيتُ النظرة على وجهك عندما كُنّا نسير في ممر تلك الحافلة. ربما كانت هي ذاتها نظرتي أنا. نظرة رعب مثل فأر في حفرة ثعبان. هل تتذكّر ما فعلت؟»

«تبوّلتُ في سروالي؟»

يلتفت داني وينظر إليّ بشكل مباشر.

«أنت لا تتذكّر، هل أنت من قوّات الصاعقة البريّة؟»

«أقسم أنني لا».

«لقد تقدّمتَ أمامي» يقول.

«هل فعلت؟»

«أنت متأكّد من أنك فعلت. كنتُ في المقعد عند الممر، وكنتَ أنت عند النافذة. لذلك كنتُ أمامك، في الممر. لكن في اللحظة التي بدأ فيها الرقيب بصرف جنود

الإي فور إس، كنتَ في طريقك أمامي حتى تكون أوّل مَن يخرج من الحافلة لمواجهة الرقيب، وليس أنا. كنتُ خائفًا كما كنتَ أنت، فكانت هذه أول موهبة لك. لتبحث عني».

«هاه». أنا لا أتذكر ذلك.

يربت داني على ساقي. ويردف قائلًا: «لذا امضِ قُدُمًا وكن خائفًا، أيها الرئيس دنكان. أنت ما زلت الشخص الذي أريده أن يحمينا».

---

(12) تحويل كومة تراب إلى جبل: يقصد به تضخيم الأمور التي لا تستحق التضخيم، أي الأمور التافهة.

(13) جلسة الدخان: هي مصطلح نشأ في تدريب المجندين العسكريين، والذي يشير إلى جلسة تدريب جسدية مكثفة، وعادة ما يبدأ كشكل من أشكال العقوبة على مخالفات بسيطة، حيث يقوم فرد أو أكثر عادة بنشاط بدني صارم حتى الإرهاق و / أو فشل العضلات.

9

بينما تغمر الشمس وجهها بالدفء، تغمرها سماعات الأذن بموسيقا ويلهام فريدمان هيرتسوغ التي تؤدي مجموعة كاملة من سوناتات يوهان سيباستيان ومقطوعات موسيقية للكمان المنفرد، تُقرّر باخ أنّ هناك طرقًا أسوأ لتمضية الوقت من مشاهدة المعالم السياحية في مجّمع التسوق الوطني.

نُصب لينكون التذكاري، بأعمدته اليونانية والتمثال الرخامي المهيب الذي يطفو فوق سلالم تبدو دون نهاية، وبشكل غير لائق، أكثر ملاءمة لإله من رئيس عُرِفَ بتواضعه. لكن هذا التناقض هو بشكل جوهري أمريكي، نموذجي لأمّة مبنيّة على أساس الحريّة، والحرية الشخصية، والحقوق الفردية، ومع ذلك يدوس -دون حساب - على تلك المبادئ خارج البلاد.

هذه الأفكار تمرّ فقط كملاحظات. السياسة الجيوسياسية ليست هي ما يحرّكها. وكما هو حال البلاد نفسه، فإن هذا النصب التذكاري، بكل ما فيه من تناقضات، ليس أقل من رائع.

البركة الصغيرة المتلألئة، تلمع في شمس منتصف النهار. الأنصبة التذكارية لقدامى المحاربين، خاصة نصب الحرب الكورية، أخذها في طريق لم تكن تتوقّعه.

لكن أفضل ما جذبها هو ذاك المكان الذي زارته في وقت سابق من هذا الصباح – مسرح فورد، وموقع اغتيال الرئيس الأكثر جرأة في تاريخ البلاد.

أشعة الشمس المُشرقة في الخارج قوية بما يكفي لإجبار

الشّخص على أن يغمض عينيه نصف إغماضة، مما يجعل من الطبيعي ارتداء نظارات شمسية كبيرة الحجم. وهي تُكرّس نفسها لاستخدام الكاميرا التي حول رقبتها بشكل جيد، مع تأكّدها من التقاط عدة لقطات لكل شيء - نصب واشنطن التذكاري، لقطات قريبة جدًا لأبراهام لينكون وفرانكلين ديلانو روزفلت وإليانور روزفلت، النقوش على النصب التذكارية للمحاربين القدامى. هذا كلّه لكي تغطّي على نفسها لو حدث أن سأل شخصٌ ما: كيف أمضت إيزابيلا ميركادو - الاسم الذي على جواز سفرها - يومها؟

في سماعات الأذن الآن الصرخات الحماسية للجوْقة، والكمان الراقص لعازف القديس يوحنا، والمواجَهة الدرامية بين بيلاطس والمسيح والجماهير.

بعيدًا، بعيدًا معه، اصلبه!

تغمض عينيها، كما تفعل غالبًا، تضيع في الموسيقا، تتخيّل نفسها جالسة داخل كنيسة القديس نيكولاس في لايبزيغ عندما عُزف الشّغف لأول مرّة عام 1724، تتساءل بِمَ شعر الملحّن حين سمع عمله يخرج للحياة، وشاهد جماله يغسل أرواح المُصلّين؟

شعرت أنها وُلدت في القرن الخطأ.

عندما فتحت عينيها، رأت امرأة تجلس على مقعد، تُرضِع صغيرها. ورفرفة الأجنحة تمرّ من خلالها. تزيل سماعات الأُذن وتراقب هذه المرأة وهي تنظر إلى رضيعها بينما تلقمه ثديها، وتلك الابتسامة الناعمة على وجه الأم.

هذا، ما تعرفه باخ، إنه ما يقصدونه عندما يقولون: الحب.

تتذكّر الحب. تتذكّر أمها، إحساسها بها أكبر من مجرّد صورة مرئية، رغم أنّ الأخيرة مدعومة بصورتين فوتوغرافيتين تمكّنت من النجاة بهما. تتذكّر أخيها بوضوح أكبر، رغم صعوبة استحضار أي شيء عدا ذاك العبوس على وجهه، ونظرة الكراهية الصّرفة في عينيه، في آخر مرة التقيا فيها. لديه زوجة وابنتين الآن. إنه سعيد، حسبما تعتقد. ولديه الحب، كما تأمل.

تدفع بحلوى زنجبيل أخرى في فمها وتنادي سيارة أجرة.

«إلى تقاطع شارع إم الجنوبي الغربي وشارع الكابيتول الجنوبي الغربي» تقول، ربما بنبرة كأنها لسائحة، لكن هذا يمضي على ما يرام. تشعر بالغثيان وتختنق بسبب الرائحة الدهنية والحركات المُتشنّجة لسيارة الأجرة. تضع سماعات الأذن مرة أخرى لمنع أي حديث مع السائق الأفريقي. ثم تدفع نقدًا وتتنفّس الهواء النقي بضع لحظات قبل الشروع في دخول المطعم.

الحانة، هكذا تسمّى، تُقدِّم كل أساليب طبخ الحيوانات المذبوحة في أطباق كبيرة مع تشكيلة من الخضراوات المقلية. كما أنها مدعوّة إلى تجربة «*تذوّق الناتشوز الخاص بنا!*» الذي يتكوّن من طبق من خبز التورتيلا المقلية والجبن المطبوخ، وقليل من نماذج الخضراوات، ومزيد من لحوم الحيوانات الأكثر ذبحًا.

هي لا تأكل الحيوانات، ولا تقتلها. فالحيوانات لم تقترف شيئًا لتستحق ذلك.

تجلس على مقعد أمام النافذة عند حافّة مُعدّة لزبائن وحيدين، تُطِلّ على الشارع، تصطف مركبات ضخمة عند إشارة المرور، تمر الإعلانات على اللوحات الإعلانية لمختلف أنواع البيرة والوجبات السريعة وقروض السيارات ومحلات الملابس والأفلام. الشوارع مُكتظّة بالمارّة. أما المطعم فلا، إنها الآن الحادية عشرة صباحًا، لذا فإن الاندفاع نحو الغداء، كما يسمّونه، لم يبدأ بعد. لا تقدّم لها القائمة الأطباق شيئًا يمكنها تناوله. تطلب مشروبًا غازيًّا وحساء، وتنتظر.

بدأت الغيوم بلونها الرّمادي بالظهور في جميع أرجاء السماء. وتتنبّأ الصحف بأن هناك فرصة لهطول الأمطار بنسبة ثلاثين بالمئة.

وهو ما يعني أنّ هناك فرصة بنسبة سبعين بالمئة لتكمل مهمّتها الليلة.

يأخذ رجل المقعد المجاور لها، إلى اليسار. لا تنظر إليه. بوجه مُصوّب للأمام، فقط تُلقي نظرة خاطفة نحو منضدة الحانة، في انتظار أحجية الكلمات المتقاطعة.

بعد لحظات، يضرب الرجل الصحيفة بقوة، تأتي مطويّة ومفتوحة على الكلمات المتقاطعة، يُدخِل الحروف في المربّعات على الخط الأفقي العلوي للأحجية.

تقول الحروف: «ت أ ك ي د».

تنظر إلى خريطتها الخاصة بالمول الوطني، تستخدم قلم حبر جاف للكتابة في الفراغ الأبيض في الأعلى: «مصعد البضائع؟»

مُتظاهراً بأنه يدرس حلّ أحجية أخرى، ينقر الرجل بقلمه على الكلمة التي كتبها بالفعل.

يصل النادل مع مشروبها الغازيّ. تأخذ رشفة طويلة وتتذوّق تأثير ترسيب الكربونات على معدتها المُعكّرة. ثم تكتب: «هل هناك دعم؟»

ينقر على الكلمة نفسها مرة أخرى، ويؤكد عليها ثانية.

ثم في العمود السفلي للأحجية، يكتب: «ل د ي ك ب ط ا ق ة؟»

«أ ج ل» تكتب. وتضيف، «إ ذ ا أ م ط ر ت س ن ل ت ق ي ف ي ا ل ت ا س ع ة؟»

يكتب: «ل ن ت م ط ر».

إنها ترى، لكنها لن تقول شيئًا ولن تفعل شيئًا سوى الانتظار.

«ا ل ت ا س ع ة أ ج ل» يكتب في عمود أفقي سفلي.

ينهض قبل أن يأخذ النادل طلبه، ويترك أحجية الكلمات المتقاطعة على المنضدة بجانبها. تنّسل خلسة وتفتح الصحيفة بشكل كامل، كما لو كانت مهتمّة بأحد المقالات. سيتم تمزيق الخريطة والصحيفة والتخلّص منهما في صناديق قمامة منُفصلة.

إنها نتطلّع بالفعل للمغادرة هذه الليلة. لديها شيء من الشك في أنها سوف تؤدي مهمتها. الشيء الوحيد الذي لا تستطيع السيطرة عليه هو الطقس.

لم تُصَلّ قط في حياتها، لكن إن فعلت، فإنها ستُصلّي

كي لا تمطر.

10

إنها الواحدة والنصف ظهراً الآن، ونحن في الغرفة المركزية الباردة العازلة للصوت، الخالية من النوافذ.

«سوف يعلن مونتيجو الأحكام العرفية في جميع أنحاء هندوراس غدًا». يقول برندان موهان، مستشار الأمن القومي. «لقد سَجَن بالفعل معظم خصومه السياسيين، لكنه سيتخطّى ذلك. هناك نقص في المواد الغذائية، لذا من المحتمل أن يضع ضوابط للأسعار للحفاظ على هدوء الشعب لبضعة أيام أخرى إلى أن يصل للسيطرة التامة. حسب تقديراتنا، يملك الوطنيون جيشًا من مئتي ألف رجل أشدّاء في الجوار، في ماناغوا، في انتظار كلمة. إذا لم يتنحَ... ((14))»

«لن يفعل ذلك». تقول نائبة الرئيس كاثي براندت.

موهان، جنرال سابق لا يحتمل المقاطعة في الكلام لكنه يُقدّر تسلسل الرّتب العسكرية. يهزّ كتفيه العريضين ويُحوّل اتجاهه.

«أوافق، يا سيدتي نائبة الرئيس، لن يفعل. لكنه قد لا يتمكّن من الاحتفاظ بالجيش. وإن لم يفعل ذلك، فسيتم الإطاحة به. وإذا فعل، حسب تقديراتنا، فإن هندوراس ستغرق في حرب أهلية في غضون شهر».

أنتقل لإيريكا بيتي، مديرة وكالة المخابرات الأمريكية، ومولعة بالكتب، وذات الصوت رقيق، وعيون راكونية((15)) وشعر رماديّ قصير جدًّا. كانت

جاسوسة أثناء فترة عملها في وكالة الاستخبارات المركزية. تمّ تجنيدها خارج الكلية من قبل الوكالة وأصبحت ضابطًا سريًّا تتمركز في ألمانيا الغربية في الثمانينيات. عام 1987، اختُطِفتْ من قبل شتازي - جهاز أمن الدولة في ألمانيا الشرقية - الذي زعم أنّه ضَبَطَها على جانبه من جدار برلين بجواز سفر مزيف ورسومات معمارية لمقرّ جمهورية ألمانيا الديمقراطية. وتم استجوابها واحتجازها لمدة شهر تقريبًا قبل إطلاقها. وأظهرت سجلات شتازي، التي نُشِرتْ بعد سقوط الجدار وإعادة توحيد ألمانيا، أنها تعرضت للتعذيب الوحشيّ لكنها لم تنْطق بأيّ معلومة.

أيّامها كضابط سريّ انتهت، تدرّجت في الرتب العسكرية إلى أن أصبحت واحدة من أبرز خبراء أُمّتنا في روسيا، تقدّم المشورة إلى رؤساء الأركان المشتركة، وتترأّس وكالة الاستخبارات المركزية في آسيا الوسطى، التي أشرفت على عمليات الاستخبارات في الأقمار الصناعية السوفيتية السابقة ودول حلف وارسو، وأخيرًا العمل على خدمة كبار الشخصيات في الاستخبارات. كانت أكبر مستشار حملة لي على روسيا. ونادرًا ما نتفوّه بكلمة ما لم تتحدّث معها، مع ذلك إذا ورّطتها، يمكنها أن تخبرك عن الرئيس ديمتري تشيرنوكيف أكثر مما يمكنه بنفسه أن يفعل.

أسألها: «ما رأيك، إيريكا؟»

تجيب: «إنّ مونتيجو يُبلي جيّدًا بيد تشيرنوكيف. لقد كان تشيرنوكيف يريد أن يشق طريقه نحو أمريكا الوسطى منذ تولّيه منصبه. هذه هي فرصته الأفضل حتى الآن. تحوّل مونتيجو إلى الفاشيّة، إنه يعطي مصداقية للوطنيّين، مما

يجعلهم يبدون وكأنهم مقاتلون من أجل الحرية، وليسوا دُمًى روسية. إنه يلعب على وجه التحديد الدور الذي كتبه له تشيرنوكيف. مونتيجو جبان ومغفّل».

تقول كاثي: «لكنه الجبان والمغفّل الذي يخصّنا أيضًا».

كاثي على حق. لا يمكننا أن نسمح للقوى الوطنية المدعومة من روسيا، دمى تشيرنوكيف، بالتوغّل في تلك المنطقة. يمكن أن نعلن عن انقلاب يسقط الرئيس مونتيجو ونقطع المساعدات الأمريكية كافة، لكن كيف يمكن أن يخدم ذلك مصالحنا؟ من شأن ذلك أن يحوّل هندوراس ضدّنا، وروسيا ستكون سعيدة بالحصول على موطئ قدم في أمريكا الوسطى.

«هل أملك أي خيارات جيدة هنا؟» أسأل.

لا أحد يستطيع أن يخرج بخيار واحد.

أقول: «لنذهب إلى المملكة العربية السعودية. ماذا حدث بحق الجحيم؟»

تتولى إيريكا بيتي معالجة هذا، بقولها: «لقد اعتقل السعوديون العشرات من الأشخاص فيما وصفوه بأنه مؤامرة لاغتيال الملك سعد بن سعود. ويبدو أنهم استعادوا الأسلحة والمتفجرات. لم يصل الأمر أبدًا إلى محاولة اعتداء على حياته، لكن السعوديين قالوا إنهم كانوا في «المراحل النهائية» من جمع المعلومات معًا عندما نفّذت المباحث المداهمات والاعتقالات الجماعية».

يبلغ سعد بن سعود خمسة وثلاثين عامًا فقط، الابن الأصغر للملك السابق. قبل عام واحد، قام والده بإعادة

تشكيل قيادته وفوجئ كثير من الأشخاص بتسمية سعد وليًا للعهد - المُرشّح القادم للعرش. أدّى ذلك إلى ظهور موجة اعتراض داخلية. وخلال ثلاثة أشهر من تسميته وليًّا للعهد، توفي والده، وأصبح سعد بن سعود أصغر ملك في تاريخ السعودية.

لقد كان طريقه وعرًا إلى الآن. استخدم شرطة المملكة الداخلية، المعروفة باسم المباحث، لتقصي المُعارضين، وفي ليلة واحدة منذ عدة أشهر، أَعدَم منهم من ثبتت خيانته العظمى، أكثر من إثني عشر شخصًا. ورغم أنني لم أؤيد ذلك، فإن بلاده هي أقرب حلفائنا. وبدون استقرار المملكة العربية السعودية، فإن نفوذنا سيتزعزع.

«مَن يقف وراء موجة الاعتراض تلك، إيريكا؟ إيران؟ اليمن؟ هل كانت خيانة داخلية؟»

«إنهم لا يعلمون، يا سيدي. ونحن لا نعلم. تزعم المنظّمات غير الحكومية لحقوق الإنسان أنه لا توجد مؤامرة اغتيال، وأنها مجرّد ذريعة لاعتقال أكبر عدد من معارضي الملك الشاب. نحن نعلم أنّ بعض الأثرياء، لكن الأقل نفوذًا، من العائلة المالكة عُزِلوا، أيضًا. أمامهم أيّام قليلة صعبة».

«هل قدّمنا لهم يد المساعدة؟»

«بدورنا عرضنا عليهم المساعدة. إلى الآن، لم نسمع منهم شيئًا. إنه... وضع مُتوتّر».

تجري الاضطرابات في البلد الأكثر استقرارًا في الشرق الأوسط، بينما أتعامل مع هذا في البيت الأبيض. إنه

بالتأكيد آخر ما أحتاجه الآن.

في تمام الساعة الثانية والنصف، أعود للمكتب البيضَوي، لأتحدّث عبر الهاتف: «السيدة كوبيكي، ابنك كان بطلاً. نحن نقدّر ما قدّمه لهذه البلاد. وأصلّي لك ولعائلتك ».

«لقد أحبّ... أحبّ وطنه، سيدي الرئيس دنكان» تقول، بصوتها المرتجف. « كان مؤمناً بمهمته..».

«أنا متأكد من أنه..».

تقول: «لم أكن. لا أعلم لماذا لم يزل علينا أن نكون في تلك البلاد. ألا يستطيعون معرفة كيفية إدارة بلدهم الغبي؟ »

في السقف، الأضواء تومض، ومضات سريعة خاطفة. ماذا يحدث للأضواء؟

«أفهمك، سيدة كوبيكي» أقول.

«نادني مارغريت... الجميع يناديني كذلك» تقول. وتضيف: «هل يمكن أن أناديك جون؟»

«مارغريت» أنادي السيدة التي للتوّ فقدت ابنها الذي لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره، وأتابع: «يمكنكِ التواصل معي لطلب أي شيء».

«أعلم أنك تحاول الخروج من العراق، جون. لكن قُم بما هو أكثر من المحاولة. أخرج من الجحيم».

عشر دقائق بعد الثالثة في المكتب البيضَوي، مع داني أكيرز وجيني بريكمان، مستشارتي للشؤون السياسية.

تخطو كارولين وتتواصل معي بالعين لتعطيني نظرة

مقتضبة على نحو فظّ، وتبادر لهزّ رأسها... لا أخبار، ولا تغيير.

من الصعب التركيز على أي شيء آخر. لكن ليس لدي خيار. العالم لن يتوقف لأجل هذا التهديد.

تنضمّ إلينا كارولين، وتشغل كرسيًا.

يقول داني: «هذا من وزارة الصحة».

لستُ في مزاج للاستماع لعرض سكرتير الصحّة اليوم، رغبتُ في تقليل الوقت الذي أمضيه في الأمور غير الضرورية، لذلك كان معي داني في هذه المشكلة وحلّها لي.

يقول داني: «إنها مشكلة برنامج الإعانة الصحيّة. انضمام ألاباما. هل تذكرون أنّ ألاباما كانت واحدة من الولايات التي رفضت قبول توسيع البرنامج بموجب قانون الرعاية بأسعار معقولة؟ »

«بالتأكيد».

تنهض كارولين فجأة من كرسيها وتندفع نحو الباب الذي يُفتح عند وصولها. تناولها سكرتيرتي جوان مذكّرة.

يتوقّف داني عن الكلام، ربما كي يرى التعابير على وجهي.

تقرأ كارولين المذكّرة، وتنظر نحوي، وتقول: «هناك حاجة لكَ في الغرفة المركزية، يا سيدي».

إذا كان هذا ما نخشاه - إذا كان الأمر كذلك - فنحن نسمع عنه معًا لأول مرة.

(14) هندوراس ونيكاراغوا (عاصمتها ماناغوا) بلدان في أمريكا الوسطى.

(15) العيون الراكونية هي العيون المحاطة بهالات سوداء من التعب أو قلة النوم أو من بقايا الماكياج وهي شبيهة بعيون دب الباندا.

11

بعد سبع دقائق، أدخل أنا وكارولين إلى الغرفة المركزية.

عرفنا على الفور: إنه ليس ما كُنّا نخشاه. لم يبدأ الهجوم بعد. تهدأ نبضات قلبي. نحن لسنا هنا من أجل المتعة واللّعب، مع ذلك لم يبدأ الكابوس. ليس بعد.

بينما ندخل الغرفة أرى: نائبة الرئيس كاثي براندت، ومستشار الأمن القومي بريندان موهان، ورئيس هيئة الأركان المشتركة الأدميرال رودريجو سانشيز، ووزير الدفاع دومينيك دايتون، وسام هابر وزير الأمن الداخلي، ومديرة وكالة الاستخبارات المركزية إيريكا بيتي.

«إنهم في مدينة تسمى البيضاء». يقول الأدميرال سانشيز. «وسط اليمن. ليس مركزًا للنشاط العسكري. التحالف الذي تقوده السعودية لدعم الشرعية في اليمن يقع على بُعد مئة كيلومتر».

«لماذا يجتمع هذان الاثنان؟» أسأل.

تجيب إيريكا بيتي، مديرة وكالة الاستخبارات المركزية، «لا نعلم، يا سيدي الرئيس. لكن أبو ضيق هو قائد العمليات العسكرية لحركة الشباب، والفضلي هو القائد العسكري للقاعدة في شبه الجزيرة العربية». وترفع حاجبيها.

كبار الجنرالات للإرهابيين الصوماليين والقاعدة في شبه الجزيرة العربية، معًا لعقد اجتماع.

«من هناك أيضًا؟»

تقول: «يبدو أنّ أبو ضيق جاء مع حاشية صغيرة. لكنّ

الفضلي أحضر عائلته، كما يفعل دائمًا».

هذا صحيح. يجلب عائلته لجعل نفسه هدفًا أصعب. «كم عددهم؟»

«سبعة أطفال». ترد وتُكمِل: «خمسة أولاد، وفتاتان. تتراوح أعمارهم بين عامين إلى ستة عشر بالإضافة إلى زوجته ».

«أخبريني أين هم، بالضبط. ليس كموقع جغرافي لكن من حيث المدنيين ».

«إنهم يجتمعون في مدرسة ابتدائية». تقول. ثم في عجالة تضيف: «لكن لا وجود لأي أطفال هناك الآن. تذكّر. أمامنا ثماني ساعات فقط. إنه الليل».

أقول: «أنتِ تقصدين أنه لا يوجد أي طفل هناك. بالإضافة إلى خمسة أولاد وابنتين للفضلي».

«بالطبع، يا سيدي».

ذلك الوغد، يستخدم أطفاله كدرع، يجعلنا نتجرأ على قتل عائلته بأكملها للوصول إليه. أي نوع من الجبناء يفعل ذلك؟

«أليس هناك فرصة لفصل الفضلي عن أولاده؟»

يقول سانشيز: «لقد ظهر في جزء آخر من المدرسة، ما الذي يستحقّ كل هذا. يُعقد الاجتماع في مكتب عادي داخلي. وينام الأطفال في حيّز كبير ربما تكون صالة للألعاب الرياضية أو غرفة تجمّع».

«لكن الصاروخ سيدمّر المدرسة بأكملها،» أقول.

«علينا أن نفترض أنه سيفعل، نعم، يا سيدي».

«الجنرال بورك؟» أتكلّم في سماعة الهاتف، وأتابع: «أهناك أي تعليق؟»

بورك جنرال ذو أربع نجوم ورئيس القيادة المركزية الأمريكية، على الهاتف من قطر. «*سيدي الرئيس، لستَ بحاجة أن أخبرك أنهما هدفان قيّمان. إنهما من أفضل العقول العسكرية في منظمتيهما. أبو ضيق بمثابة دوغلاس ماكارثر*((16)) *حركة الشباب. والفضلي ليس فقط القائد العسكري الأعلى بل أيضًا أفضل الاستراتيجيين لتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية. هذا سيكون هامًا يا سيدي. ربما لن تكون لدينا فرصة كهذه مرة أخرى*».

إنّ مصطلح هام نسبيّ. سيُستبدَل هؤلاء الرجال. واعتمادًا على عدد الأبرياء الذين نقتل، قد نخلق المزيد من الإرهابيين عندما يستفيقون من الصدمة أكثر مما نقتل منهم الآن. لكن هذا سيكون بمثابة نكسة لمنظماتهم، دون شك. ولا يمكن أن ندع الإرهابيين يعتقدون أنهم آمنون طالما أنهم يختبئون وراء عائلاتهم أيضًا.

«سيدي الرئيس». تقول إيريكا بيتي، «لا نعرف إلى متى سيستمر هذا الاجتماع. من الممكن أن ينفضّ الآن. ومن الواضح أنّ هناك أمرًا مهمًّا يريد هذان القائدان العسكريان أن يتباحثاه معًا، أو أن يتشاركاه، ويخشيان القيام به من خلال الوسطاء أو إلكترونيًّا. لكن رغم كل ما نعرفه، في غضون خمس دقائق سيغادران».

وبعبارة أخرى، الآن أو أبدًا.

«رود؟» أقول لرئيس هيئة الأركان المشتركة، الأدميرال

سانشين.

يقول: «أُوصي بتوجيه ضربة».

«دوم؟» أقول لسكرتير الدفاع.

«أوافق».

«بريندان؟»

«أنا أوافق».

أقول لنائبة الرئيس: «كاثي؟»

تأخذ نائبة الرئيس وقتًا قصيرًا، وتتنفّس الصعداء. ثم تشدّ خصلة من شعرها الرمادي خلف أذنها. وتقول: «هو مَن اختار، وليس نحن، أي أن نستخدم عائلته كدرع بشري. أوافق على أنّ من واجبنا توجيه ضربة».

ألقي نظرة على مديرة وكالة الاستخبارات المركزية، إيريكا، «هل لديكِ أسماء الأطفال؟»

إنها تعرفني جيدًا بما يكفي الآن. تسلّمني ورقة كتِبت فيها سبعة أسماء.

طالعتُ الأسماء، مِن الصبي البالغ ستة عشر عامًا، ياسين، إلى الطفلة ذات العامين، سلمى.

«سلمى». أقول بصوت مرتفع، وأكمِل: «هذا يعني 'السلام'، أليس كذلك؟»

تتنحنح، وتجيب: «أعتقد ذلك، يا سيدي».

أتخيّلُ الطفلة الصغيرة، مختبئة بين ذراعيْ والدتها، تغفو بهدوء، لا تعرف شيئًا عن العالم الممتلئ بالكراهية. ربما

تكبر سلمى لتغدو المرأة التي تُغيّر كل شيء. ربما هي من ستقودنا بعيدًا عن انقساماتنا وقُدُمًا نحو الاتفاق. يجب أن نؤمن أنّ هذا يمكن أن يحدث في يوم من الأيام، أليس كذلك؟

أقول: «يمكننا أن ننتظر إلى أن ينفضّ الاجتماع. عندما يمضي كلٌّ في طريقه، نتبع موكب أبو ضيق ونخرجه. هذا زعيم إرهابي محكوم عليه بالموت. ليس الاثنان، لكنه أفضل من لا أحد. »

«والفضلي؟» يسأل سانشيز رئيس هيئة الأركان.

«سنَتْبع موكبه أيضًا، ونأمل أن ينفصل عن عائلته. ثم نقصف».

«لن يفعل ذلك يا سيدي. أعني، فصْل نفسه عن عائلته. سيعود إلى منطقة مأهولة بالسكّان ويختفي، مثلما يفعل دائمًا. سنفقده».

تقول إيريكا بيتي: «نادرًا ما يظهر الفضلي على الملأ. لأجل هذا السبب هذه فرصة عظيمة».

«عظيمة،» أُقلّبُ يدي، وأُكمِل: «نعم. قتل سبعة أطفال هو شعورٍ... عظيم».

أقف وأبتعد عن مقعدي، وأسرع الخُطى على طول الجدار. أدير ظهري إلى الفريق، وأسمع صوت كاثي براندت.

تقول: «سيدي الرئيس، الفضلي ليس أحمق. إذا أخذنا أبو ضيق في حدود كيلومتر واحد أو اثنين من المكان الذي

عُقد فيه الاجتماع، سيعلم أنك تَعقّب كُلًّا منهما حتى تلك المدرسة الابتدائية. سيعرف لماذا ادّخرته. وسيشيع الأمر لإخوته حاملي السّلاح. أبقِ أطفالك بقربك، ولن يقصف الأمريكيون ».

تقول إيريكا بيتي: «إنهم لا يحفلون بأطفالنا».

أسأل: «إذن نحن لا نختلف عنهم. نحن لسنا أفضل؟ هم لا يحفلون بأطفالنا، لذا نحن لن نحفل بأطفالهم؟»

ترفع كاثي يدها. «لا يا سيدي، ليس هذا ما أقوله. إنهم يستهدفون المدنيين عمدًا. نحن لا نفعل ذلك عن قصد. نفعله كحلٍّ أخير. نقوم بضربة عسكرية دقيقة ضد زعيم إرهابي، لا عشوائية في اختيار المدنيين والأطفال كأهداف ».

تلك هي الحجة بالتأكيد. مع ذلك لا يرى الإرهابيون الذين نقاتلهم الفرق بين الضربة العسكرية التي تقوم بها الولايات المتحدة وما يفعلونه. لا يمكنهم إسقاط الصواريخ علينا من طائرات بدون طيار. ولا يمكنهم تحمّل جيشنا وقواتنا الجوية. ما يفعلونه هو تفجير أو مهاجمة الأهداف المدنية، وتلك هي نسختهم من الضربة العسكرية الدقيقة.

ألسنا مختلفين؟ ألا نرسم خطًّا عند القيام بضربة عسكرية مباشرة ندرك أنها ستقتل الأطفال الأبرياء؟ العواقب غير المقصودة هي أمر مختلف. لكننا هذه المرّة نعرف النتيجة قبل أن نبدأ.

يتحقّق رود سانشيز من ساعته، ويقول: «يمكن مناقشة نقطة الجدل هذه في أي لحظة. لكن أشك في أنهم

سيبقون معًا فترةً أطول...».

أقول: «نعم، هذه هي النقطة بالفعل. لقد سمعتها أول مرة».

كيف يمكنني قتل سبعة أطفال؟

أنت لا تقتلهم. أنت تقتل إرهابيَيْن يخطّطان لمذبحة قادمة في حق المدنيين الأبرياء. الفضلي يقتل أطفاله بالاختباء خلفهم.

صحيح، لكن هذه هي الدلالات. إنه خياري. مسألة حياتهم أو موتهم متوقفة على أساس خياري أنا. كيف سألتقي خالقي في يوم ما وأبرّر موتهم؟

إنها ليست دلالات. إذا كنت تمر بهذا، فإنك تكافؤهم على تكتيكاتهم الجبانة.

لكن هذا لا يهم. سبعة أطفال أبرياء هو ما يهم. هل هذا ما تمثّله الولايات المتحدة؟

لكن لماذا يجتمع هذان الإرهابيّان الخطيران شخصيًّا الآن؟ لم يحدث هذا من قبل. لا بدّ أنّهما يخطّطان لأمر كبير. أمر من شأنه أن يؤدي إلى ما هو أكثر من وفاة سبعة أطفال. أوقِف هذا الآن، ربما توقِف الهجوم. إنه إنقاذ خالص للأرواح.

أفتح عينيّ. آخذُ نفسًا عميقًا، في انتظار أن تهدأ طبول قلبي. لكنها لم تهدأ، بل راحت تتسارع.

أنا أعرفُ الإجابة. كنتُ دائمًا أعرف الإجابة. لم أبحث يومًا عن إجابة. إنما كنتُ أبحث عن مبرر.

أستغرق لحظة أخرى وأهمسُ مصليًا. أنا أصلّي من أجل هؤلاء الأطفال. أصلّي ألا يأتي يوم يضطّر فيه أي رئيس لاتخاذ قرار كهذا.

أقول: «ساعدنا أيها الرّب. لديك تفويض مني بالهجوم».

---

(16) دوغلاس ماكارثر (1880- 1964): قائد سابق لجيش الولايات المتحدة الأمريكية، لعب دورًا بارزًا في الحرب العالمية الثانية.

12

أعود إلى المكتب البيضَوي مع كارولين بينما يمر الوقت بطيئًا، ومقتربًا بشكل مؤلم من الساعة الخامسة، فيما نحن صامتون. العديد من الموظفين رجالًا ونساءً يتطلّعون إلى الساعة الخامسة من يوم الجمعة لأنها إشارة نهاية أسبوع العمل، والجميع بحاجة لشيء من الاسترخاء وقضاء بعض الوقت مع العائلة.

لكن خلال الأيام الأربع الماضية، كنتُ أنا وكارولين ننتظر ونخطّط لهذه الساعة المحددة في هذا اليوم بالذات - «الساعة الخامسة مساء. حسب التوقيت الشرقي، من يوم الجمعة، الموافق للحادي عشر من مايو» - لا يُعرف ما إذا كان بداية شيء، أو نهاية شيء، أو كليهما.

كان يوم الاثنين الماضي، من بعد الظهر، عندما تلقّيتُ مكالمة على هاتفي الشخصي النقال. كنت أنا وكارولين نمسك شطائر الديك الرومي في المطبخ، ونعلم بالفعل أننا نواجه تهديدًا وشيكًا لم نفهم إطاره أو حجمه. ولم يكن لدينا أي فكرة عن كيفية إيقافه. لقد فشلت مهمّتنا في الجزائر بالفعل بطريقة مثيرة على مرأى من العالم كله. وبقي سليمان سيندوروك حرًّا. استدُعي فريق الأمن القومي كاملًا للإدلاء بشهادته في اليوم التالي، أي يوم الثلاثاء، أمام اللجنة المختارة من مجلس النواب.

لكن عندما وضعتُ الشّطيرة وأجبتُ على تلك المكالمة في المطبخ، تغيّر كل شيء. قُلِبتْ فاعليتي المستمرة بالكامل. لأول مرة، كان لدي أصغر قطعة من الأمل.

لكنني كنت أكثر ذعرًا من أي وقت مضى.

«عند الخامسة عصرًا حسب التوقيت الشرقي، من يوم الجمعة، الموافق للحادي عشر من شهر مايو». قيل لي.

حتى عندما تقترب الساعة من الخامسة، يوم الجمعة، والحادي عشر من مايو، لم أعد أفكّر في الأطفال السبعة الأبرياء في جمهورية اليمن الذين ماتوا تحت كومة من الرماد والأنقاض بناءً على قرار اتّخذته.

أتساءل الآن ما الذي يحقّ الجحيم على وشك الحدوث في بلادنا وكيف يمكنني التعامل معه بشكل أفضل؟

«أين هي؟» أتمتم.

«إنها ليست الخامسة تمامًا، يا سيدي. سوف تصل إلى هنا».

«أنتِ لا تعرفين ذلك». أقول بينما أسرِع الخطى، وأضيف: «لا يمكنك معرفة ذلك. استدعيه فورا».

قبل أن تتمكن من ذلك، يرنّ هاتفها. تردّ. «نعم، أليكس... إنها - حسنًا... إنها وحدها؟ نعم... هذا جيد، قُم بما عليك فعله... نعم، لكن عجّل ذلك».

تضع هاتفها وتنظر إليّ.

«إنها هنا،» أقول.

«نعم يا سيدي، إنها هنا. إنهم يجثون عنها».

أنظر من النافذة، إلى السماء مُتغيّرة اللّون، المُنذِرة بهطول المطر. «ماذا ستقول، يا كارولين؟»

«أتمنى لو كنتُ أعرف يا سيدي. سوف أراقب».

التعليمات التي سُلِّمتْ إليّ أن الاجتماع فرديّ دون استثناء، سأكون وحدي في المكتب البيضَوي مع ضيفتي. لكنّ كارولين ستراقب من شاشة في غرفة روزفلت.

أثِبُ على قدميّ، ولم أعلم ما أفعل بيديّ. معدتي في حالة تمرّد على نطاق واسع.

«أيها الرّب، لم أكن بهذا التوتر منذ..». لا أستطيع إنهاء الجملة، ومع ذلك أقول: «لا أعتقد أنني كنت يومًا في مثل هذا التوتر».

«أنت لا تُظْهِر ذلك، يا سيدي».

أومئ لها قائلًا: «ولا أنتِ كذلك». كارولين لا تُظهر الضعف. إنها ليست طريقتها. وهي مرتاحة الآن، إنها الوحيدة التي يمكنني الاعتماد عليها، الشخص الوحيد في حكومة الولايات المتحدة التي تقف إلى جانبي، وتعلم عن أمر هذا الاجتماع.

تغادر كارولين. وأقف بجانب مكتبي وأنتظر جوان لتفتح الباب لزائرتي.

بعد ما يبدو وكأنه جهد كبير لا نهاية له من الزمن، تحرّك الساعة في إيقاع بطيء، تفتح جوان الباب. تقول: «سيدي الرئيس».

أومئ لها. إنها هي.

أقول: «أدخِليها».

13

تدخل الفتاة منتعلة حذاء عمل، وبنطال جينز ممزّق، وقميصًا رماديًّا بأكمام طويلة يحمل شعار جامعة برينستون. إنها شابة رقيقة نحيلة، لها رقبة طويلة، وعظام وجنتين بارزة، وعينين ضيقتين ممتدتين بعيدًا بطريقة تشير إلى أوروبا الشرقية. أمّا تسريحة شعرها فإنها من تلك التي يصعب عليّ فهمها، في الجانب الأيمن من رأسها قُصّ شعرها قريبًا من فروة رأسها أشبه بقصّة عسكرية، مع شعر أطول يتدلّى حتى كتفيها ذات العظام الناتِئة.

تبدو هجينًا بين عارض أزياء كالفن كلاين ومُغني روك من ذوي الأصول الأوروبية الأثرياء.

تتفحّص الغرفة، لكن ليس بالأسلوب الذي ينتهجه معظم الناس الذين يدخلون المكتب البيضَوي. لأول مرة يستوعِب زائر ما كل شيء فيها. لقد التهمت بلهفة كل اللوحات والزخارف والديكورات، ومتعجّبة من الختم الرئاسي وتصميم المكتب ريزوليوت((17)).

ليست هي. ما أراه في عينيها، خلف جدار وجهها المنيع، اشمئزاز خالص. كراهية لي، ولهذا المكتب، وكل ما يمثّله.

لكنها متوتّرة أيضًا، وفي حالة تأهّب – متسائلة إذا كان أحد ما سينقضّ عليها، ويقُيّد يديها، ويلُقي غطاء على رأسها.

إنها مطابقة للمواصفات التي وصلتني عنها. أعطت الاسم

الذي ننتظره على البوابة. إنها هي. لكن يتوجّب أن أتأكد، بغض النظر.

أخبرها قائلًا: «انطقي ما لديك من كلمات».

ترفع حاجبيها. لا يمكنها أن تتفاجأ.

«قوليها».

تلفّ عينيها.

«عصور الظلام» تقول، لاوية حرف *الراء*، كأنّ الكلمات تخرج مسمومة على لسانها. لكْنتها ثقيلة شرق أوروبية.

«كيف عرفتِ هذه الشّفرة السريّة؟»

تهزّ رأسها، وتُقرقِر بلسانها. لن يكون هناك إجابة لسؤالي. «عملاؤك.. الخدمة السّرية الوطنية.. لا يحبّونني» تقول في جُرعة إغراء لا تعجبني.

«أنتِ مستعدة للانطلاق للكشف عن المعادن؟»

«أنا أفعل ذلك... دائمًا. الـ.. ما هي كلمتك؟ القنبلة الانشطارية... الـ..».

أجيبها: «شظايا، أجزاء من القنبلة. من انفجار ».

«هذا، نعم..». تقول وهي تضغط على جبينها. «قالوا لي اثنين... سنتيميتر إلى اليمين... ولم أكن قد استيقظت».

تُدخِل إبهامها وتثنيه في حلقة حزامها الجينز. هناك جموح في عينيها، إنه التّحدّي.

«هل ترغب في معرفة... ماذا فعلت لأستحق ذلك؟»

سوف أظن أنّ الأمر يتعلّق ببعض الضربات العسكرية التي أمر بها رئيس أمريكي - ربما أنا - في بعض البلاد البعيدة. لكني لا أعرف شيئًا عن هذه المرأة. لا أعرف اسمها الحقيقي أو من أين هي. لا أعرف دافِعها أو خطّتها. بعد أول اتصال بي - بشكل غير مباشر - قبل أربعة أيام، يوم الإثنين، سقطتْ من الخريطة((18))، ورغم الجهود الكبيرة التي بذلتها لمعرفة المزيد عنها، فشلت. لا أعرف أي شيء عنها بالتأكيد.

لكني مُتأكد من أنّ هذه الشابة تحمل مصير العالم الحرّ بين يديها.

تقول: «كنتُ أمشي... ابن عمي... للتجمّع عندما ضرب الصاروخ».

أدسّ يديّ في جيوبي، وأقول: «أنتِ هنا في أمان».

تنتقل عيناها بعيدًا، وتفتحهما على آخرهما، ليتجلّى جمال لونهما النحاسيّ. حتى أنها بدت أصغر سنًا. تحت كل ذلك، بدت أقلّ صلابة من الصورة التي تحاول إظهارها، وأكثر من الطفلة الخائفة التي هي عليها.

يجب أن تكون مذعورة. آمل أنها مذعورة. سُحقًا، أنا متأكد أنني مذعور مثلها، لكن لن أقوم بإظهار ذلك أكثر مما ستفعل هي.

تقول بلكنة ركيكة: «لا. أنا لا أأتكد». أي: أنا لا أعتقد.

«أعدكِ».

تنظر بعينين مُتطرّفتين جدًا، بعيدًا، نظرة ازدراء. «وعود الرئيس الأمريكي». تمدّ يدها إلى جيب بنطالها الخلفي وتخرِج مُغلّفًا مهترئًا ومطويًا من المنتصف. تفرِده وتضعه على الطاولة بجانب الأريكة.

«شريكي لا علم له بما أعلم» تقول، وتتابع: «أنا أكتفي بالفعل. ولا أكتب شيئًا». وتضغط على الجانب الأيمن من رأسها، وتقول: «إنه هنا فقط».

إنه سرّها، هذا ما تعنيه. لن تخزّنه في كومبيوتر قد نخترقه أو في بريدها الإلكتروني يمكن أن نعترضه. إنها تخزّنه في مكان واحد فقط، مكان لا يمكن حتى لتقنيّتنا المتطوّرة التّسلل إليه - إنه عقلها.

تقول: «ولا أنا أعرف ما يعرفه شريكي».

صحيح. لقد فَصَلت نفسها عن شريكها. كل منهما. كما أخبرتني، يحمل جزءًا من اللغز. كل واحد منهما لا غِنى عنه.

«أنا في حاجة لكليكما». أقول لها، وأُوضح: «أفهم. رسالتك يوم الإثنين كانت واضحة بشأن ذلك».

«وستكون وحيدًا الليلة». تقول.

«نعم، كانت رسالتك واضحة حول ذلك أيضًا».

تومئ بالموافقة، كما لو أننا قمنا بتسوية شيء ما.

«كيف عرفتِ عن شفرة عصور الظلام؟» أسأل مرة أخرى.

تخفض عينيها للأسفل. ومن الطاولة بجانب الأريكة،

تلتقط صورة لابنتي ولي ونحن نخطو من مروحيّة حتى البيت الأبيض.

تقول: «أتذكّر أول مرة شاهدتُ فيها مروحيّة. كنتُ فتاة صغيرة. كانت على التلفاز، في افتتاح فندق في دبي. كان اسمه ماري بوسيدون. إنه... فندق فاخر على مياه الخليج. وكان مزوّدًا بمهبـ... مهبـ... طائرات؟»

«مهبط طائرات، نعم». أضيف، وأكمِل: «مهبط على السطح للمروحيّات».

«هذا هو، نعم. تهبط المروحيّة على سطح هذا الفندق. أتذكّر كيف فكرت في ذلك، في أنه إذا كان الناس يستطيعون الطيران، فيمكنهم فعل أي.. شيء».

لست متأكدًا من السبب الذي جعلها تخبرني عن فندق دبي أو المروحيّة. ربما لم تكن أكثر من ثرثرة عصبية.

أدنو منها. تلتفت، وتضع الصورة، وتمسك نفسها.

تقول لي: «إن لم أغادر من هنا. لن تلتقي بشريكي أبدًا. ولن يكون لديكَ أي سبيل لإيقاف هذا».

أرفعُ المُغلّف عن الطاولة. لا وزن له تقريبًا، رقيق جدًا. أستطيع أن أرى أثر اللّون من خلال الورقة. كان من المفترض أن تفتّشها الخدمة السّرية الوطنية، وتدقّق عن أيّ بقايا مريبة ومثيلاتها.

تتراجع، وتبقى حذرة، ولا تزال تنتظر أن يفتح وكلاء الحكومة الباب بقوة ويذهبوا بها بعيدًا إلى بعض غرف الاستجواب في غوانتانامو. إذا اعتقدتُ أنّ ذلك سينجح،

فسأفعله في غمضة عين. لكنها رتّبت هذا الأمر حتى لا يحدث ذلك. تمكنت هذه المرأة الشابة من القيام بشيء لا يستطيع سوى عدد قليل جدًا من الأشخاص الانسحاب منه.

أجبرتني على دخول هذه اللعبة بشروطها.

أسألها: «ماذا تريدين؟ لماذا تفعلين ذلك؟»

لأول مرة، نتغيّر تعابير وجهها الرّزين، شفتاها مُقوّستان، لكنه ليس تعبيرًا عن البهجة. «فقط رئيس هذه البلاد من سيطرح مثل هذا السؤال». تهزّ رأسها، ثم يتحوّل وجهها مرة أخرى لوجه لاعب البوكر الخالي من أي عاطفة.

«ستكتشف لماذا». تقول، وهي تميل نحو المُغلّف في يدي: «الليلة».

«لذا عليّ أن أثق بكِ». أقول.

يلفت انتباهها هذا، ويرتفع حاجبها، ونتلألأ عيناها، وتقول: «لَمْ أقنعك؟»

أجيبها: «لقد حصلتُ على هذا الآن. لكن لا، لم تقنعيني بالكامل».

تحدّق إليّ، بنظرة جريئة وواثقة، تجعل مني أحمق لو فكّرتُ في اختبار مدى جديّتها.

«إذن يجب عليك أن تقرر» تقول.

«انتظري» أقول بينما نتوجّه نحو الباب، وتصل إلى مقبض الباب.

تستنْفِر وتتجمّد في مكانها. وتستمر في النظر إلى الباب

وليس لي، قائلة: «إذا لم يُسمح لي بالمغادرة، فلن ترى شريكي أبدًا. وإذا تعقّبتني، فلن تجتمع أبدًا بِشريـ...».

«لا أحد سيوقفك». أقول لها: «ولا أحد سيتبعك».

لا تزال يدها تستعد ممسكة مقبض الباب. نتأمّل. وتفكّر في الأمر. بماذا، لا أعرف. يمكنني ملء الغرفة بما لا أعرفه.

تقول: «إذا مسّ شريكي أي مكروه. فإن بلادك ستشتعل».

تدير مقبض الباب وتغادر. هكذا فقط، تغادر.

ومن ثَمّ أنا مع المُغلّف وحيدًا. يجب أن أدعها تغادر. لا أملك خيارات. لا أستطيع المخاطرة باستبعاد فرصة واحدة أملكها، على افتراض أني أصدّقها، وعلى افتراض أنّ كل ما تقوله صحيح.

فتحتُ المُغلّف، الذي علمتُ منه مكان انعقاد الاجتماع التالي، الليلة. أعيدُ كل ما حدث للتّو. ضئيلٌ ما تمّ إنجازه. تقريبًا لم يكن لديها شيء لتقوله.

حقّقتْ أمرين، هذا ما أدركه. الأول، أنها بحاجة إلى أن تسلّمني هذا المُغلّف. والثاني، أرادت أن تعرف ما إذا كانت ستثق بي، إن سمحتُ لها بالمغادرة.

أمشي إلى الأريكة وأجلس، وأحدّق في المُغلّف، في محاولة لاستخلاص أي تلميحات مما قالته. وفي محاولة للتفكير مليًّا في المستقبل على رقعة الشطرنج.

يُقرع الباب، وتدخل كارولين.

«اجتزتُ اختبارها» أقول.

«هذا كل ما كان» توافق، وتضيف: «وهذا؟» وتومئ برأسها على المُغلّف الذي في يدي.

«لكن هل نجحت في اختباري؟ كيف أعرف أنّ هذا حقيقي؟» أسألها.

«أعتقد أنه كذلك يا سيدي».

«لماذا؟»

في الأعلى، تومض الأضواء مرة أخرى، لحظة تأثير قوية. تنظر كارولين وتلعن وتأخذ نفَسًا.

شيء آخر سيتعيّن عليها معالجته في وقت ما على الطريق.

أسأل: «لماذا تصدّقينها؟»

«جعلني السبب أستغرق بضع دقائق في التفكير، سيدي». تشير إلى هاتفها. «لقد وردني للتوّ نبأ من دبي. هناك حادث».

حادث في دبي. «مع مروحيّة ؟»

تنكّس رأسها وتتابع. «تعطّلت مروحيّة أثناء هبوطها على مهبط المروحيّات في فندق ماري بوسيدون ما أدى إلى تحطمها».

أُغطّي وجهي بيديّ.

«لقد تحققت من التوقيت، يا سيدي. حدث ذلك بعد أن دخلت المكتب البيضَوي. لا توجد وسيلة أخرى يمكنها أن تعرف بها ما حدث».

أرتدّ في اتجاه الأريكة. إذن لقد حقّقت هدفًا ثالثًا. بيّنت لي أنّ الصفقة كانت حقيقية.

«حسنًا» أهمس. «أنا مقتنع».

---

(17) مكتب ريزوليوت (Resolute): طاولة مكتبيّة كبيرة استخدمها سبعة رؤساء للولايات المتحدة في المكتب البيضَوي بالبيت الأبيض.

(18) سقطتْ من الخريطة: أي أصبحت غير شعبية أو غير معروفة بعد فترة من الشعبية.

14

في مقرّ إقامتي الخاص، أفتح أحد أدراج التسريحة، التي تحتضن صورة واحدة: صورة لريتشل. لديّ وفرة من تلك الصور حولي هنا، صورها النابضة بالحياة والفرح: التقاط الكاميرا، أو عناق، أو ضحك. هذا الشيء لي فحسب. استغرق الأمر أقل من أسبوع قبل وفاتها. وجهها مُبقّع من الأدوية، ولم يبق في رأسها سوى قليل من خصلات الشعر. يكاد وجهها أن يكون هيكلًا عظميًا. بالنسبة إلى معظم الناس، سيكون من الصعب النظر إلى هذا الأمر – ريتشل كارسون دنكان في أسوأ حالاتها، وهي في النهاية تستسلم لمرض مُدمّر.وبالنسبة إليّ ريتشل في أفضل وأقوى وأجمل حالاتها – الابتسامة في عينيها، وسلامها الداخلي، وعزيمتها.

انتهت المعركة عند هذه النقطة. لقد كانت مسألة وقت فقط، أخبرونا – أنها قد تكون مسألة أشهر، لكنها على الأرجح أسابيع. اتّضح أنها ستة أيام. كانت ستة أيام لن أقايضها مع أي كان في حياتي. كل ما كان يشغلنا هو حبّنا. تحدّثنا عن مخاوفنا، وعن ماما ليلي، وعن الرّب. قرأنا في الكتاب المقدّس وصلّينا وضحكنا وبكينا حتى جفّت ينابيع دموعنا. لم أعرف قبلًا علاقة حميمة ومجرّدة وشافية كهذه. ولم أشعر قط بأنها ملازمة لشخص آخر.

«دعيني آخذ لكِ صورة» همستُ لها.

بدأتْ تعترض، لكنها فهمت: أريد أن أتذكّر هذه الفترة؛ لأنّي لم أحبّها أكثر من تلك اللّحظة قط.

تقول كارولين بروك: «سيدي» وبخفة تقرع الباب بمفصل إصبعها.

«نعم، أعلم».

أضع أصابعي على شفتيّ، ثم أتحسّس صورة ريتشل. أقفل الدُّرْج وأنظر بتركيز.

أقول: «لنذهب». أرتدي ملابسي المدنية، وأحمل حقيبة صغيرة على كتفي.

يخفض أليكس تريمبل رأسه، ويطْبق فكّه باستنكار. عندما يفصّل رئيس الخدمة السّرية الوطنية أحلامه سيكون هذا هو أسوأ كوابيسه. يمكنه دائمًا أن يواسي نفسه بحقيقة أني أعطيته أمرًا، وأنه لم يكن لديه خيار سوى السماح لي بالرحيل.

يقول: «مجرد محيط فضفاض؟ لن ترانا أبدًا».

أمنحه ابتسامة تقول: لا.

أليكس معي منذ خُصّصت لي حماية أمنية خلال الانتخابات الأوّلية، عندما كنت محافظًا ينْظر إليه على أنّ أمامه فرصة بعيدة للترشّح. لم يكن إلى أن جاءت أوّل مناظرة كبيرة رفعَت أرقام استطلاعات الرأي، مما وضعني في أعلى مرتبة بين المرشحين خلف المرشّحة كاثي براندت. لم أعرف كيف وزّع أفراد الخدمة السّرية الوطنية المهام بينهم، مع ذلك أفترض أني كحصان أسود مرشّح، لم أحصل على أفضل وألمع ما لديهم. على الدوام قال لي: «أيها الحاكم، بقدر ما أنا قلق، أنت الرئيس». وكان منضبطًا ومنتظمًا. يخشاه فريقه بذات الطريقة التي يخشى

فيها الطلاب العسكريون رقيبهم. وكما أخبرته عندما جعلته رئيس أمن البيت الأبيض، لا أحد قتلني حتى الآن، لذا يجب عليه فعل الشيء الصحيح.

لا تقترب كثيرًا من حرّاسك الشخصيين، ولن يقتربوا منك. كل طرف من أطراف التنظيم يدرك الحاجة إلى الفصل العاطفي. لكنني دائمًا رأيت الخير في أليكس. تزوّج حبيبته في الكلية، جوين؛ يقرأ الكتاب المقدّس يوميًا ويرسل الأموال لوالدته في الوطن شهريًا. إنه أول من يخبرك أنه ليس شخصًا ذكيًا، لكنه حصل على منحة دراسية في كرة القدم في ولاية آيوا، حيث درس العدالة الجنائية وحلم بالانضمام إلى الخدمة السّرية الوطنية كي يتمكّن من فعل ما فعله في ملعب كرة القدم الأمريكية – وهو حماية الجانب الأعمى لموكّله.

عندما طلبت منه أن يترأّس الأمن في البيت الأبيض، أبقى على مستوى جمود تعابيره، وموقفه الصارم، لكنني أمسكتُ بشيء من بريق العاطفة عبر عينيه، حين همس قائلًا: «سيكون أعظم شرف في حياتي، يا سيدي».

«سنستخدم نظام تحديد المواقع العالمي جي بي إس» يقول لي الآن «كي نعرف مكانك فقط».

أقول: «آسف».

«نقاط تفتيش». يقول وهو يحاول، والسّلام عليكِ يا مريم العذراء!

«فقط أخبرنا بالمكان الذي ستذهب..».

أقاطعه، «لا، يا أليكس».

لا يفهم السبب. إنه مقتنع بأنه يستطيع أن يتبعني دون أن أشعر. أنا متأكد من أنه يستطيع. فلماذا لا أسمح له بذلك؟ إنه لا يعلم، وأنا لا يمكنني أن أخبره.

«ارتدِ سترة مضادة للرصاص، على الأقل» يقول.

أجيبه: «لا، ستكون ملحوظة للغاية. حتى أنّ الجديدة منها ضخمة كثيرًا».

أليكس يريد أن يجادل أكثر. كما أنه يريد أن يخبرني أنني غبيّ، لكنه لم يتحدث معي قط على هذا النحو. يدير أثناءها أعذارًا كاملة في رأسه، ربما لا تختلف عن الحجج التي يثيرها معي، قبل أن ينزل كتفيه ويتراجع عن قراره.

يقول: «كُن آمنًا». وهي الجملة الذي يقولها الناس كل يوم كتحيّة عابرة، لكن في هذه الحالة كانت مشحونة بالعاطفة والفزع.

«سأفعل».

ألقي نظرة على داني وكارولين، الشخصين الآخرين الموجودين في الغرفة. حان الوقت لأذهب وحدي، وأخرج من التغطية. لسنوات كنت أذهب باستمرار، لكني أبدًا لم أكن وحدي ولم أكن خارج التغطية بتاتًا. تخطو الخدمة السّرية الوطنية كل خطوة معي، وعلى الدوام هناك مساعد واحد على الأقل مرافق لي، حتى عندما أكون في إجازة. يتم الاحتفاظ بتسجيل أينما أكون في كل ساعة.

أعلم أنّ هذا هو الخيار الوحيد الذي سيجنّب البلاد البؤس الذي لا يمكن وصفه ويسمح لي بالقيام بواجبي

في الحفاظ عليها وحمايتها والدفاع عنها. أعلم أنّ زملائي الأمريكيين يذهبون وحدهم خارج التغطية طوال الوقت، على الرغم من أن كاميرات المراقبة والهواتف المحمولة ومواقع التواصل الاجتماعي الملغومة والقرصنة، كلّها تقلِّص مساحة الخصوصية التي تخصّهم أيضًا. ومع ذلك، فإن هذا تغيير كبير، وأشعر ببعض الارتباك وأنا مُجرّد من السلاح.

داني وكارولين إلى جانبي في المرحلة الأخيرة لفكّي من فخ منصبي. نحن صامتون. لقد حاول كُلٌّ منهما جاهدًا التحدّث معي عن هذا. لكنهما الآن كَفّا عن مساعدتي في إنجاحها.

إنّ الخروج من البيت الأبيض دون أن يلحظك أحد ما، أصعب مما تظن. نأخذ الدرج السّكني على طول الطريق. نمشي ببطء، نتقدّم مع كل خطوة نحو ما هو وشيك. ومع كل خطوة، أسلّم المزيد من السيطرة إلى مصير غير مؤكّد الليلة.

«أتذكرون أوّل مرة سلكنا فيها هذا الطريق؟» أسأل، مشيرًا إلى جولة ما بعد الانتخابات قبل أن أقسم اليمين.

تقول كارولين: «كأنه حدث بالأمس».

«لن أنسى ذلك أبدًا». يقول داني.

«كُنّا مُفعمين... بالأمل، أعتقد ذلك. كُنّا على يقين من أننا سنجعل العالم مكانًا أفضل».

تقول كارولين: «ربما أنت. أما أنا فكنت خائفة حتى الموت!»

أنا أيضًا كنتُ كذلك. كُنّا نعرف العالم الذي نرِثه. لم نكن نحمل أيّ أوهام بأننا سنترك كل شيء مثاليًّا. عندما أضرب الوسادة كل ليلة خلال تلك الأيام القاسية التي سبقت التنصيب، يتراجع عقلي بشدة عن أحلام الخطوات الواسعة التي تدفع الإصلاح إلى الأمام في مجال الأمن القومي، والعلاقات الخارجية، والازدهار المشترك، والرعاية الصحية، والعدالة الجنائية، للتخلّص من كوابيس الفساد التّام التي تخنق كل شيء وتُغرِق الأمّة في أزمة.

يقول داني: «أكثر أمنًا، وقوة، وعدلًا، ورعاية». مُذكّرًا إياي بالكلمات الأربع التي أشرتُ إليها كل صباح، حيث بدأنا بوضع نقاط جيدة على سياساتنا وبناء فريقنا لفترة الأربع سنوات القادمة.

وأخيرًا نصل إلى الطابق التحت أرضي، حيث يوجد ممر خشبي ضيّق، مثل ملجأ، لكنّه مركز عمليات مُجهّز بشكل جيّد ومُحصّن، شَغَلَه ديك تشيني بعد الحادي عشر من سبتمبر، ويحوي غرفتين صُمّمتا للاجتماع حول طاولات بسيطة أو للنوم على أَسِرّة متنقلة.

نعبر الأبواب ونتوجّه نحو نفق ضيّق يربط المبنى بوزارة الخزينة إلى الشرق، في المنطقة الخامسة عشرة وبنسلفانيا. ما هو بالضبط تحت البيت الأبيض كان موضوع أسطورة وشائعات تعود إلى الحرب الأهليّة، عندما خشّي جيش الاتحاد هجومًا على البيت الأبيض ووُضِعت خطط إخلاء للرئيس لينكون إلى قبو في مبنى وزارة الخزانة كملاذ أخير. لم يبدأ العمل الحقيقي على النفق حتى عهد فرانكلين روزفلت والحرب العالمية الثانية، عندما أصبح الخوف من

هجوم جوّي على البيت الأبيض احتمالًا حقيقيًا. صُمّم على شكل متعرّج تمامًا للتخفيف من تأثير قصف الضربة الجوية.

مدخل النفق مزوّد بجهاز إنذار على بابه، لكن كارولين تكفّلت به. يبلغ طول النفق نفسه عشرة أقدام فقط ويبلغ ارتفاعه سبعة أقدام – ليس مرتفعًا جدًّا، يبلغ عرضه أكثر من ستة أقدام. يمكن أن يكون لها تأثير خانق، لكنّي لا أشعر بذلك. بالنسبة لشخص لم يعد معتادًا على الذهاب إلى أي مكان دون الخدمة السّرية الوطنية أو المساعدين، فإن الفضاء المفتوح للنفق، تَحَرُّر.

ثلاثتنا نسير على طول النفق تقريبًا قبل مجيء طريق آخر، الذي يتحوّل يمينًا إلى مرآب صغير للسيارات تحت الأرض مُخصّص لموظفي وزارة الخزانة رفيعي المستوى والضيوف ذوي الأهمية. أيضًا هذه الليلة تحمل معها سيارتي الهاربة.

تسلّمني كارولين مفاتيح السيارة، ثم هاتفًا خلويًّا، أضعه في جيبي الأيسر، بجوار المغلّف الذي أعطتني إياه الفتاة قبل نصف ساعة.

«هذه الأرقام مبرمجة مسبقًا» تقول، مشيرة إلى الهاتف الخلوي. «كل شخص تحدّثنا عنه. بما فيهم ليلي».

ليلي. شيء ما يتكسّر داخلي.

تسألني: «أتَذكُر الشّفرة؟»

«أتذكّرها. لا تقلقي».

مِن خلف ظهري، أقوم بإخراج المُغلّف الذي بحوزتي،

والذي يحمل الختم الرئاسي ويحتوي على قطعة واحدة من الورق. عندما يراها داني، يكاد يفقد رباطة جأشه.

يقول: «لا، أنا لن أفتح هذا».

تضع كارولين يدها عليه وتأخذه مني.

«افتحيه». أخبرها: «إن كنتِ في حاجة لفتحه».

يضع داني يده على جبهته، ويردّ شعره إلى الوراء. يهمس: «يا يسوع، جون». للمرة الأولى منذ أن تولّيتُ منصبي يستخدم اسمي. ويسألني: «هل حقًا ستفعل هذا؟»

أهمس: «داني، إن حدث أي شيء لي..».

«مهلًا... مهلًا الآن». يقول ويضع يديه على كتفيّ. مُتردِّدًا، ومُحجّمًا عاطفته. «إنها كاللّحم والدّم لي. أنتَ تعلم ذلك. أحبّ تلك الطفلة أكثر من أي شيء آخر».

داني مُطَلّق الآن، مع ابن وحيد في المدرسة. لكنه كان في غرفة الانتظار عندما وُلِدَتْ ليلي. كان يقف على المذبح عند معموديّتها. بكى فرحًا مع كل واحد منا يوم تخرّجها. أمسك يد ليلي في جنازة ريتشل. في وقت مبكر، كان «العم داني» لليلي. في مكان ما على طول الخط، فُقِد شيء من «العم» سيكون الأقرب لها، سيكون والدًا لها.

يسألني: «هل جلبتَ عملة رينجر((19)) معك؟»

«ماذا، أنت تسألني عن تفقّد عملة رينجر الآن؟ «أربت على محفظتي. وأقول: «لا أذهب لأي مكان دونها، وماذا عنك؟»

«لا أستطيع القول إنها بحوزتي الآن. أظنّ أنني مدين

لك بمشروب. حتى الآن أنت...». لم يستطع أن يكمل حديثه كأنّ في حلقه غصّة. «الآن عليكَ أن تعود».

أتوقّف عن التحديق في داني، إنه ليس من عائلتي في الدّم لكنه كذلك في كل شيء. «عُلِم ذلك، يا أخي».

ثم أنتقل إلى كارولين. ليس بيننا علاقة تسمح لنا بالعناق. بخلاف الليالي التي فزتُ فيها بالترشيح ومن ثم الانتخابات العامة، لم نتعانق قط.

لكننا نفعل الآن. تهمس في أذني. «أنا أراهن عليك، يا سيدي. إنهم لا يعلمون ما يواجهون».

أردّ بالقول: «إن كان هذا صحيحًا، فلأنّي أجدكِ إلى جانبي».

أشاهدهما يغادران، ويرتجفان لكنهما مصمّمان. الساعات الأربع والعشرون أو الثماني والأربعون القادمة لن تكون سهلة بالنسبة لكارولين، التي ستكون الشخص الذي يمثّلني في البيت الأبيض. هذه أوقات غير مسبوقة. نحن، بالمعنى الحقيقي، نعمل على جعل هذا الأمر يمضي.

حين يغادران، وأكون وحدي في النفق، أنحني وأضع يديّ على ركبتيّ. ثم آخذ بعض الأنفاس العميقة لأحارب التوتّر.

«أرجو أن تكون على علم بما أنتَ مُقْدِم على فعله» أقول لنفسي. ثم أستدير وأتجّه أبعد في النفق.

---

(19) عملة رينجر: هي عملة للجيش الأمريكي.

15

أسير في مرآب سيارات وزارة الخزانة الأرضي خافضًا رأسي، ويديّ في جيوب بنطالي الجينز الأزرق، وحذائي الجلدي يتقدّم بهدوء على طول الإسفلت. لستُ الشخص الوحيد هنا في هذه الساعة، لذا فإن وجودي ليس لافتًا بأي شكل من الأشكال، على الرغم من ارتدائي ملابس غير رسمية أكثر من موظفي وزارة الخزانة المغادرين، ببدلاتهم الرّسمية وحقائبهم وشارات بطاقات هويّة كل منهم. من السهل أن تختبئ بين أصوات الكعوب التي تطقطق على الرصيف، وصفير أجهزة التّحكم عن بُعد بالسيارات، والأقفال التلقائية للسيارات التي يتم تشغيلها، والمحرّكات التي تُدار، لا سيما حين يكون الموظفون المغادرون أكثر اهتمامًا بخطط عطلة نهاية الأسبوع من النظر إلى رجل يبدو محافظًا يرتدي قميصًا قطنيًّا وبنطال جينز أزرق اللون.

قد أكون مُتواريًا عن الأنظار، وهذه ليست نزهة، لكن لا يمكنني إنكار الإثارة القليلة التي أشعر بها أثناء تَنقّلي في الأماكن العامّة من دون أن يلاحظني أحد. لقد مضى أكثر من عقد منذ أن وطئت قدماي مكانًا عامًّا ودون أن أكون باديًا للعيان، وبلا إدراك يأتي أحدهم لالتقاط صورة لي في أي لحظة، وبدون أن أشاهد العشرات يسعون للاقتراب مني للمصافحة أو لتحية سريعة، أو لالتقاط سيلفي، أو لخدمة، أو حتى لمناقشة شأن سياسي.

كما أُبلِغت، السيارة هي الرابعة من جهة اليسار، سيارة

سيدان عادية، طرازها قديم، وفضية اللون، تحمل لوحة صادرة من فرجينيا. أُمسِك جهاز التحكم عن بُعد وأضغط لفترة طويلة جدًا زر إلغاء القفل، مما يَفتح كل باب ثم تصدر سلسلة من أصوات التنبيه. بعيد أنا عن هذه الممارسة. فلم أقم بفتح باب سيارتي الخاصة منذ عشر سنوات.

خلف عجلة القيادة، وكأني شخص خارج للتوّ من آلة الزمن، نُقِل للمستقبل عبر آلة غريبة غامضة. أضبط المقعد، وأشغّل المحرّك، وأحثُّ البنزين لمرة واحدة، وأدفع مقبض القيادة للرجوع للخلف، وأستدير لأنظر للوراء، وذراعي خلف مقعد الراكب جواري. في الوقت الذي أخرج ببطء مبتعدًا عن السيارة، تصدِر السيارة تنبيهًا يزداد إلحاحًا. أضغط على الفرامل وأشاهد امرأة تمشي خلف السيارة، في طريقها لسيارتها. وبمجرد مرورها، يتوقّف التنبيه.

هناك نوع من الرادار، فيه جهاز مضاد للتصادم. أنظر إلى لوحة عدّاد السيارة وألحظ وجود كاميرا احتياطية. كي أتمكّن من إرجاع السيارة للخلف بينما هي متُجهة إلى الأمام، بمشاهدة الشاشة؟ لم يكن لديهم ذلك قبل عشر سنوات، أو حتى لو كان لديهم، تبًا، متأكد من أنّ سيارتي لم تكن فيها هذه المزية.

أقود السيدان عبر المرآب، في الممرّات الضيّقة بشكل مدهش، وكذلك الزّوايا الحادّة. استغرقتُ بضع دقائق للتعوّد عليها من جديد، والقفز إلى الأمام بشكل مفاجئ للغاية، والفرملة بصرامة شديدة، لكن بعد ذلك بدا وكأنه

الأمس عندما كنت في السادسة عشرة من العمر، أقود تلك الشيفروليه من موقف كريزي سام كِلسيز للسيارات الجديدة والمستعملة مقابل ألف ومئتي دولار.

أشاهد السيارات المُصطفّة أمامي لمغادرة المرآب. ترتفع البوّابة تلقائيًّا حين تصل كلّ سيارة إلى المُقدمة. لا حاجة للسائق أن يمدّ يده من النافذة ببطاقة بوابة الموقف الإلكترونية أو أي شيء من هذا القبيل. يحدث معي أني لم أفكّر حتى في السؤال عن ذلك.

عندما يأتي دوري في المُقدّمة، ترتفع البوابة، يُسمح لي بالمغادرة. أسحب السيارة ببطء على الرّصيف المُنْحَدِر، ضوء الفجر يدنو، وأحاذر المشاة المارين، قبل أن أنطلق إلى الشارع.

حركة المرور كثيفة، لذا فإن رغبتي تتركز في الإسراع بالسيارة، لأشعر بِحُرّية في هذا الاستقلال المؤقّت، مُحْبَطًا بسبب الازدحام عند كل تقاطع. أقوم بالنظر عبر الزجاج الأمامي إلى السماء مُتغيّرة اللّون، على أمل ألّا تمطر.

الراديو. أنقر فوق مقبض لتشغيله، ولا شيء يحدث. أضغط على زر، ولا شيء يحدث. أضغط على زر آخر، ويُدوّي الصوت، يرسل موجة مفاجئة لشخصين يتجادلان حول ما إذا كان الرئيس جوناثان دنكان قد ارتكب مخالفة لا يمكن المساس بها. أضغط على الزر نفسه، أقتل الصوت، وأركّز على القيادة.

أفكّر في المكان الذي سأذهب إليه، والشخص الذي على وشك أن ألتقيه، ودائمًا يعود عقلي للتساؤل...

16

راح البروفيسور وايت يتجوّل في قاعة المحاضرات، شابكًا يديه خلف ظهره. «وما هو الهدف من معارضة وجهة نظر القاضي ستيفنز؟» قال، وعاد إلى المنصّة، وألقى نظرة على اسمي المُدّون أمامه في جدول. «السيد... دنكان؟» ونظر في عيني.

تبًّا. ألقيت كلمة في كوبنهاجن بطريقتي المتعجرفة لذا بقيتُ يقظًا حتى بعد ليلة من الحصول على أوراقي. اطّلعت على القضية هذا اليوم فقط. كنتُ واحدًا من مئة في هذا الصف، وعلى أي حال، كانت احتمالات استدعائي ضئيلة. لكن هذا كان يوم حظّي السّيئ. كنتُ محطّ أنظار الجميع وغير مستعدّ أبدًا.

«القاضي ستيفنز... أختلف مع الأغلبية في... مع..». قلّبتُ الصفحات، وشعرت بالارتباك وبدأتْ الحرارة ترتفع في وجهي.

«حسنًا، نعم، سيد دنكان، عادة يختلف المعارضون مع الأغلبية. وأعتقد أنهم لهذا السبب أُطلِق عليهم اسم: معارَضة» ويطلق ضحكة عصبيّة يتردّد صداها في قاعة المحاضرات.

«نعم، سيدي، إنه... إنه يختلف مع تفسير الأغلبية للتّعديل الرابع..».

«لا بدّ أنك تخلط بين معارضة القاضي ستيفنز ومعارضة القاضي برينان، سيد دنكان. معارضة القاضي ستيفنز لم تذكر التعديل الرابع».

«حسنًا، نعم، أنا مُرتبِك - أعني أَخلِط..».

«أعتقد أنك كنتَ على صواب في المرة الأولى، سيد دنكان. سيدة كارسون، هل ستكونين لطيفة إلى درجة إنقاذنا من ارتباك السيد دنكان؟ »

« كانت وجهة نظر القاضي ستيفنز هي أنّ المحكمة العليا يجب ألّا تتدخّل في قرارات محكمة الولاية التي في أسوأ الأحوال، سيكون لها تأثير على رفع الحد الأدنى..».

اتّقد وجهي غضبًا للمرة الأولى بسبب البروفيسور وايت، حيث كان هذا الأسبوع الرابع فقط في سنتي الأولى في كلية الحقوق بجامعة نورث كارولاينا، نظرتُ عبر المكان إلى المرأة في الصف الثالث التي كانت تتحدث. قلتُ لنفسي: هذه آخر مرّة تأتي فيها إلى الصف غير مستعد، أنتَ تائه.

ومن ثَمّ ركّزت نظري عليها، تلك الجالسة في مقعدها في الصّف الثالث، واثقة، غالبًا وبشكل عرضي تُجيب. «الدستور الفيدرالي أرضية وليس سقفًا، وطالما أنّ هناك أساسًا كافيًا ومُستقلًا لاتخاذ قرار..».

شعرتُ بطاقتي بدأت تنفد.

«من... تلك؟» تمتمتُ لداني، الجالس إلى جواري. كان داني يسبقني بعامين في الجامعة - في السنة الثالثة - وكان يعرف الجميع تقريبًا.

«إنها ريتشل، ريتشل كارسون. طالبة قانون في السنة الثالثة. التي تغلّبتْ عليّ ونالتْ رئاسة تحرير مجلة القانون».

تمتم مرة أخرى.

«ما حكايتها؟»

«هل تقصد أن تسأل إن كانت عزباء؟ ليس لدي فكرة. مع ذلك، لقد تركت انطباعًا أوّليًا رائعًا».

كان قلبي يدق طيلة فترة قرع الجرس. قفزت من مقعدي وارتطمت بالباب، آمِلًا اللّحاق بها في الرّدهة وسط بحر من الطلاب.

شعر كستنائي قصير، معطف جينز...

... ريتشل كارسون... ريتشل كارسون...

هناك، كنتُ أترصّدها. اجتزتُ الحشد ولحقتها بينما كانت تنسلّ من حركة الجموع إلى الأمام، أمسكتْ بأحد الأبواب.

قلت لها: «مهلًا». صوتي مرتجف. كان صوتي مُرتجفًا؟

التفتتْ ونظرتْ إليّ، عينان خضراوان، وحاجبان رفيعان. أكثر وجه رقيق ومنحوت رأيته على الإطلاق.

«إمم. مرحبًا!» رفعتُ حقيبتي على كتفي، وتابعت: «أنا، فقط، أردتُ أن أقول شكرًا على، أتعلمين، أنكِ أنقذتِني هناك».

«أوه. لا مشكلة أبدًا. أنتَ طالب في السنة الأولى في كلية الحقوق؟»

«أنا مُدان بهذه التّهمة».

قالت: «يحدث هذا لنا جميعًا».

أخذتُ نفسًا، وأردفت قائلًا: «إذن، آه، ماذا عنكِ... أعني... ما الذي تفعلينه الآن؟»

ما هو بحق الجحيم الخطأ الذي اقترفته الآن؟ لقد خضتُ كل جلسات الدّخان التي أمكن الرقيب ميلتون الخروج بها. تعرّضت للتعذيب على يد الحرس الجمهوري العراقي، قاموا بإيهامي بالغرق، وضربوني، وعلّقوني، ودبّروا مسرحية لإيهامي بأني سأعدم. وفجأة انعقد لساني الآن؟

«في الوقت الرّاهن؟ حسنًا، أنا..». مالتْ برأسها إلى جانب واحد. للمرة الأولى، ركّزتُ في الباب الذي كنتُ على وشك الدخول إليه - إنه حمّام السيّدات.

«أوه، كنتِ ستذهبين..».

«نعم..».

«يجب عليكِ، إذن».

«يجب أن؟» قالت، ردّتْ على سبيل التّسلية.

«نعم، أعني، أنه ليس من الجيد - الاحتفاظ به، أو - أعني - إذا كان عليكِ الذهاب، فإنّه يجب عليكِ الذهاب، أليس كذلك؟»

ماذا بحق الجحيم حلّ بي؟

قالت: «صحيح، إذن... كان من الرائع أن ألتقي بك».

أكاد أسمع ضحكاتها داخل الحمّام.

بعد أسبوع من وضع عيني عليها، لم أتمكّن من إخراجها من عقلي. أنّبتُ نفسي: السنة الأولى في كلية الحقوق هي السّنة التي يجب أن تُشمّر فيها عن ساعديّ الجِد،

وهي السّنة التي تؤسّس فيها نفسك. لكن بغض النّظر عن مدى الصّعوبة التي وجدتها في محاولتي التركيز على الحدّ الأدنى لمبدأ الاتصال ((20))في الولاية القضائية الشخصية أو عناصر دعوى الإهمال أو قاعدة الصورة المتطابقة ((21)) في قانون العقود، تلك الفتاة في الصف الثالث من سلطتي الفيدرالية الانتخابية بقيتْ حاضرة في رأسي.

قدّم لي داني معلومات عنها: كانت ريتشل كارسون من بلدة صغيرة في غرب ولاية مينيسوتا، وذهبت إلى جامعة هارفارد، ونالت منحة المصلحة العامة للدراسة في كلية الحقوق بجامعة كارولاينا. كما كانت رئيسة تحرير مجلة القانون، الأولى في صفها، وكانت لديها وظيفة تنتظرها في منظمة غير ربحية تقدّم المساعدة القانونية للفقراء. كانت حلوة لكن هادئة. لقد حافظت على ملف شخصي اجتماعي، وكانت تميل إلى التسكّع مع كبار السن في الكلية الذين لم يأتوا مباشرة من الجامعة.

حسنًا، تبًا، قلتُ في نفسي. لم آتِ من الجامعة مباشرة، أيضًا.

استجمعتُ شجاعتي في النهاية ووجدتها في المكتبة، جالسة على طاولة طويلة مع بعض من أصدقائها. قلت لنفسي مرة أخرى إنها فكرة سيئة. كان لدى ساقي فكرة مختلفة، وفجأة وجدتني أقف بجانب طاولتها. عندما رأتني قادمًا، وضعت القلم من يدها وحدّقت إليّ.

أردتُ القيام بذلك على انفراد، لكن كنتُ أخاف أني

لو لم أقم بذلك الآن، فلن أفعل ذلك أبدًا.

إذن استمرّ، يا غبيّ، قبل أن يستدعي أحدهم الأمن!

انتزعتُ قطعة الورق من جيبي، وفتحتها، وتنحنحت. إلى الآن كان لديّ اهتمام الطاولة بأكملها. وبدأتُ اقرأ:

أوّل مرّتين سمِعتِني فيهما أتحدّث، بدوتُ مثل مغفّل.

كلامي بدا مُضحكًا ومُبهمًا مثل قبّعة على بغل.

لم أكن متأكدًا من أنّ محاولتي الثالثة ستؤدي إلى تحسّن حالتي،

لذلك قررتُ أن أضع أفكاري في رسالتي.

اختلستُ النظر إليها، فإذا بابتسامة عذبة تغازل وجهها. لم ترحل بعد، قلت لنفسي، وأحصل على ضحكة مكتومة من أحد أصدقائها، إنها بداية جيدة.

اسمي جون. جئت من هنا، بلدة بالقرب من بومر.

أنا خلوق، مستمع جيّد، وأحمل بلطف روح ساخر.

ليس لدي مال، ولا سيارة، ولا موهبة كشاعر،

لكني أحمل دماغًا عمليًّا، مع ذلك غالبًا ما أُخفِق في جعله ظاهر.

ذاك السّطر أكسبني ضحكة أخرى مكتومة من أصدقائها. «هذا صحيح». قلت لريتشل: «يمكنني القراءة والكتابة وكل هذه الأشياء غير المرغوبة».

«بالتأكيد، بالتأكيد».

«أيمكنني أن أتابع؟»

«بالتأكيد، بكل ما تحمله الكلمة من معنى». وتُرجِع يدها للوراء.

صديقي يقول، أنتِ هنا للدراسة. بروفيسور وايت أتذكرينه؟

لكني لسبب ما، لا يمكنني كثيرًا أن اذكره.

اقرأُ الفقرة المتعلقة بالحماية المتساوية والقانون والحصص العرقية،

لكني بدلًا من ذلك أفكّر في فتاة ذات عينين خضراوين من ولاية مينيسوتيه.

لم تستطع قمع ابتسامتها ووجهها الذي تلوّن. أمّا بقية الفتيات على الطاولة فصفّقن.

انحنيْت وقمت بتحِيّتهن جميعًا قائلًا: «شكرًا جزيلًا،» مُقلّدًا آلفيس بريسلي في أفضل أداء لي. «سأكون هنا طوال الأسبوع».

لم تنظر إليّ ريتشل.

«أقصد، إذا لم يكن هناك شيء آخر، الحقيقة أنني قفّيْتُ كلمة مينيسوتا..».

«لا ، هذا مثير للإعجاب». وافقتْ، وأغمضتْ عينيها.

«حسنًا، إذن، سيداتي، اسمحن لي، سأزعم أنّ هذا الأمر كلّه سار بشكل جيّد، وسأغادر بينما أنا متقدّم في النّقاط».

مشيتُ ببطء بما يكفي كي تمسك بي إن أرادت.

(20) الحد الأدنى من الاتصالات: هو مصطلح يستخدم في قانون الإجراءات المدنية بالولايات المتحدة لتحديد متى يكون من المناسب أن تقوم محكمة في ولاية ما بتأكيد الولاية الشخصية على المدعى عليه من دولة أخرى.

(21) قاعدة الصورة المتطابقة: هي قاعدة تقليدية لقانون العقود تتطلب القبول لاحتواء نفس شروط العرض، وإلا، لا يوجد عقد.

17

أخرُج من الاستغراق في تفكيري الحالم وأتسلّل تدريجيًّا إلى مكان وقوف السيارات، فقط حيث قيل إنها ستكون على بُعد ثلاثة أميال من البيت الأبيض. أُوقِف السيارة في موقف السيارات وأطفئ المحرّك. لا أحد في الأفق.

أمسك حقيبتي وأترجّل. يبدو المدخل الخلفي وكأنه رصيف تحميل لصنف ما، مع خطوات تصل إلى باب كبير ليس له مقبض خارجي.

يزعق مِن خلال نظام الاتصال الداخلي صوت في وجهي. «مَن هنا، لو سمحت؟»

«تشارلز كين». أجيب.

بعد لحظة، يُدفع الباب السميك فجأة ويُفتح إلى أن صار موارِبًا.

في الداخل منطقة شحن، خالية من الشخوص، مُكتظّة بصناديق يو بي إس وفيديكس، وصناديق كبيرة وعربات ذات عجلات. على اليمين مصعد رَحْب، الأبواب مفتوحة، الجدران مُغطّاة بحشوة سميكة.

أضغط الزّر العلوي، وتغلق الأبواب. أسحب نفسًا حادًّا بينما يتفاعل المصعد بشكل نجول، ثم يسقط لحظة قبل أن يرفعني، ويُسْمَع صرير التروس.

ولحظة أخرى من الدّوار. أضع يدي على الجدار المُغطّى وأنتظر بينما تتردّد كلمات د. لين في رأسي.

عندما أصل إلى الأعلى وتُفتَح الأبواب، أَخْرُج بحذر إلى

مدخل مجهّز جيدًا، الجدران فيه مطليّة بلون أصفر فاتح، تقودني لوحات مونيه((22)) نحو الباب الوحيد في الطابق العلوي، الشقة.

عندما أصل إلى الباب، يُفتح تلقائيًا.

«تشارلز كين، في خدمتك». أقول.

تقف أماندا بريدوود داخل الشقة، تمدّ ذراعها بالكامل وهي تمسك الباب المفتوح وتُقيّمني. ترتدي سترة رقيقة فضفاضة على قميص مناسب، وسروالًا أسود اللون ضيّقًا، ولا تنتعل شيئًا. شعرها طويل ومُلتف هذه الأيام، بسبب الفيلم الذي أنهته منذ شهر، لكنها هذه الليلة شدّته وربطته للخلف على شكل ذيل حصان، مع بضعة خصل متدلية لرسم إطار لوجهها.

تقول: «حسنًا، مرحبًا، هناك، سيد كين، عذرًا على الحيلة، لكنّ بوّاب المدخل الأمامي منشغل قليلًا».

في العام الماضي، صنّفَتها مجلة ترفيه تُعرف باسم منداي كواحدة من أكثر عشرين امرأة جمالًا على هذا الكوكب. ووصفتها أخرى بأنها واحدة من أفضل عشرين شخصية من كبار الممثلات الأعلى أجرًا في هوليوود، بعد أقل من عام من فوزها بجائزة أوسكار للمرة الثانية.

هي وريتشل عاشتا معًا طوال السنوات الأربع في جامعة هارفارد، وبقيتا على اتصال طوال تلك السنوات - كما يمكن لمحام من نورث كارولاينا ونجم أفلام عالمي أن ينجحا في المحافظة على علاقة كهذه. كان الاسم السّرّي المستعار، تشارلز كين، فكرة ماندي: قبل حوالي ثماني

سنوات، على زجاجة من النبيذ في الفناء الخلفي لقصر الحاكم. ريتشل وماندي وأنا اتفقنا على أنه تحفة أورسون ويلز((23)) الذي كان أرقى فيلم على الإطلاق.

تهزّ رأسها بينما تزهر ابتسامة على مهل على وجهها.

تقول: «يا إلهي، يا إلهي. الشعر المنكوش، الهيئة المُهلهلة». تضيف وهي تقبّل خدّي: «يا للخشونة. حسنًا، لا تقف هناك فقط وتنظر إلى كل ما هو موجود في الخارج... أدخل».

رائحتها، رائحة امرأة، ما زالت معي. لم تكن ريتشل تستخدم كثيرًا من العطور، لكن جِلّ الاستحمام ولوشن جسمها - كل ما تسمّونه من تلك الكريمات والمستحضرات والصابون - كلاهما من الفانيليا. لن أشمّ رائحة تلك الرائحة مرة أخرى، طالما أنا حيّ، دون رؤية صورة كتف ريتشل العاري وتخيّل نعومة رقبتها.

يقولون لا يوجد كُتيّب للتَّغلُّب على وفاة الزوجة وخسارتها. يَصدُق هذا بشكل أكبر عندما يكون النّاجي من الكارثة هو الرئيس وكل شيء ينهار، لأنك لا تملك وقتًا للحزن. هناك عدد كبير جدًا من القرارات التي تدفع ما سواها إلى الخلف، والتهديدات الأمنية المستمرة التي يمكن أن تؤدي إلى عواقب كارثية، حتى ولو كان ذلك لفترة قصيرة من الوقت. عندما وصلت ريتشل إلى المراحل النهائية من مرضها، شهدنا تقاربًا بين كل من كوريا الشمالية وروسيا والصين أكثر من أي وقت مضى، مع العلم أنّ قادة تلك الدول كانوا يبحثون عن أي

إشارة ضعف من البيت الأبيض. فكّرتُ في التنحّي مؤقتًا كرئيس - حتى أنني طلبت من داني تجهيز الأوراق - لكنّ ريتشل لم تقبل بأي من ذلك. كانت مُصمّمة على أنّ مرضها لن يسبب أي انقطاع في رئاستي. لقد كان مُهمًّا لها، بدرجة كبيرة لم تشرحها بالكامل ولن أفهمها أبدًا.

قبل ثلاثة أيام من رحيل ريتشل - عند هذه النقطة، عُدنا إلى رالي، عاصمة كارولاينا، كي تتمكّن ريتشل من الموت في المنزل - قامت كوريا الشمالية باختبار صاروخ باليستي عابر للقارات قبالة سواحلها، وأمرتُ بحاملة طائرات إلى البحر الأصفر. في اليوم الذي وارَيْنا جسدها في التراب، وبينما كنت أقف عند قبرها، وأمسك يد ابنتي، تعرّضت سفارتنا في فنزويلا إلى هجوم من قبل مهاجم انتحاري، وسرعان ما وجدت نفسي في مطبخنا مع الجنرالات وفريق الأمن القومي ننظر في خيارات للردّ المناسب.

على المدى القصير، قد يكون من الأسهل التعامل مع الخسارة الشخصية عندما يتطلب العالم حولك اهتمامك باستمرار. أنت مشغول جدًا بحيث لا يمكنك أن تكون لا حزينًا ولا وحيدًا في البداية. ثم تسقط الحقيقة - لقد فقدتَ حب حياتك، وابنتك فقدت أمها، وحُرمتْ امرأة رائعة من فرصة التمتّع بحياة طويلة وثرية. الآن، أنت ممتنّ لمتطلّبات وظيفتك. لكن هناك لحظات من الشعور بالوحدة الشديدة حتى عندما تكون الرئيس. لم أشعر بذلك من قبل. في أوّل عامين كان لديّ كثير من القرارات الصّعبة التي عليّ اتّخاذها، وفي كثير من الأوقات

لم أتمكن من فعل شيء أكثر من التضرّع في صلاتي أنني قمت بالدعوة الصحيحة، تلك الأوقات التي لا يهم فيها عدد مساعديّ لأنهم توقفوا بعد أن وصلوا للنهاية معي ومعي وحدي. لكني لم أشعر أنني وحيد. دائمًا كانت ريتشل معي، تعطيني رأيها الصادق حول اتّخاذ القرارات، وتخبرني أن أفعل ما بوسعي، ثم تطوّق عنقي بذراعيها عند انتهاء الأمر.

ما زلت أفتقد ريتشل في كل وقت، وبكل طريقة يمكن فيها للرجل أن يفتقد زوجته. الليلة أفتقد شعورها الغريب عندما كانت تنزع ملابسي عني، وترفع معنوياتي، تجعلني أؤمن أنه مهما حدث، فإنّ كل شيء سيتحسن.

لن يكون هناك ريتشل أخرى. أنا أعلم ذلك. لكنّي أتمنى لو أني لم أكن وحدي طوال الوقت. طلبت ريتشل أن نتحدث عما سيحدث بعد وفاتها. اعتادت على المزاح أنني سأكون أكثر أعزب مرغوب فيه على هذا الكوكب. ممكن. أشعر الآن بأنني مثل أحمق وجاهل على وشك أن يخذل الجميع.

«أتشرب؟» تسأل ماندي بِتوجّس.

أجيب: «لا وقت، ليس لدي وقت طويل».

«بصراحة، أنا لا أفهم حتى لماذا تريد القيام بذلك». تقول، وتكمِل: «لكني مستعدة. دعنا نمضي».

وأتبعها إلى داخل الشقة.

(22) كلود مونيه 14 نوفبر 1840 في باريس - 5 ديسمبر 1926 في غيفرني، كان رسّام فرنسي. رائد المدرسة الانطباعية في الرسم، قام بإنجاز لوحة جديدة عام 1872 م، وسماها «انطباع، شمس مشرقة»، ولما كان الأول في استعمال هذا الأسلوب الجديد من التصوير، فقد اشتق اسم المدرسة الجديدة من اسم لوحته: الانطباعية.

(23) أورسن ويلز (1985 - 1915) مخرج أفلام ومؤلف وممثل ومنتج أمريكي.

18

«هذا شعور غريب». أقول.

تهمس ماندي: «أنتَ بخير، لم يفعل ذلك أحد من قبل؟»

«لا، وآمل ألّا يفعل أحد ذلك مرة أخرى».

تقول: «سيكون أكثر متعة لكلينا، إذا توقفتَ عن الشكوى. لأجلال ربّ، جون، عُذِّبت في سجن في بغداد ولا يمكنك التعامل مع هذا؟»

«هل تفعلين هذا كل يوم؟»

«معظم الأيام. الآن تحمّل... ما زلنا في البداية. إنها أسهل بهذه الطريقة».

أسهل لها، ربما. أحاول البقاء قدر المستطاع، جالسًا على كرسي ورديّ في غرفة ارتداء الملابس داخل جناح غرفة نوم ماندي، بينما تستخدم قلم ماكياج على حاجبيّ. إلى يميني، حقيبة ماندي لمستحضرات التجميل مغطّاة بلوازم المكياج والعلب والفرش والمساحيق والكريمات والطين من جميع الأحجام والألوان المختلفة. يبدو وكأنه شيء عن مجموعة من فيلم درجة ثانية عن مصاصي الدماء أو الزومبي.

«لا تجعليني أبدو مثل غروتشو ماركس((24))» أقول.

«لا، لا. لكن أتحدّث عن...». تنزل إلى الأسفل وتسحب شيئًا ما من كيس وتظهره لي - نظارات غروتشو ماركس، والحاجبين الكثيفين والشارب الكثّ.

أتناولهم منها. «ريتشل..». أقول.

عندما بدأت تتدهور صحة ريتشل فعلًا، انزعجت من مشاعر الأسف التي شعر بها الجميع تجاهها. لذا حين كان الأصدقاء يأتون للزيارة، كان لديها روتين بسيط لتخفيف الأمور. كنت أحذّر الزّوار «ريتشل ليست على طبيعتها اليوم». وعندما يخطون نحو الغرفة، يزورون ريتشل في السرير، مرتديةً نظارات غروتشو. وأحيانًا كانت تضع أنف مهرّج. ولديها قناع ريتشارد نيكسون، أيضًا، المثير للضّحك فعلًا.

هكذا كانت ريتشل. دائمًا قلقة على الجميع لكنها ليست كذلك على نفسها.

«على أي حال». تقول ماندي، قبل أن تتّجه الأمور لمزيد من الغموض، وتكمِل: «لا تقلق حيال حاجبيك. فقط عملت على تكثيفهما قليلًا. ستندهش من كيف يمكن لهما أن يُغيّرا شكل المرء. أقصد العينين والحاجبين».

تعود إلى كرسيّها وتنظر إليّ، وتقول: «بصراحة، أيها الطفل، تلك اللحية التي أتيتُم بها كانت نصف المعركة هنا. وهي حمراء للغاية! تكاد لا تبدو حقيقية. هل تريدني أن أصبغ شعرك ليتلاءم معها؟»

«بالتأكيد لا!»

تهزّ رأسها، وهي لا تزال تدرس وجهي كما لو كان عينة مختبر، وتقول: «شعركَ ليس طويلًا بما يكفي لفعل الكثير به». تغمغم، متحدّثة مع نفسها أكثر مما تحدّث معي: «تغيير مفرق الشّعر من اليمين لليسار لن يساعد. يمكن

أن ننسى المَفرق ونمشّط الشّعر للأمام». تجعل أصابعها في شعري، وتمسك به، وتمشّطه بأصابعها، وتنفشه. «على الأقل ستحصل على تصفيفة الشعر التي تتطابق مع هذا العقد».

«كيف سأرتدي قبعة بيسبول؟» أقول.

«أوه». قالت وهي تتراجع، وتتابع: «بالتأكيد، سيكون ذلك أسهل. هل هذا مناسب لك؟ هل أحضرتَ واحدة؟»

«نعم». أمدُّ يدي إلى حقيبتي وأسحبُ قبعة البيسبول الوطنية، وأضعها على رأسي.

«اسْتَعِد أيام مجدك، إيه؟ أوكي، حسنًا، بين اللّحية وقبعة البيسبول الحمراء، والحاجبين، و... هممم». تدفعُ رأسها ذهابًا وإيابًا. «العين مرآة القلب،» تقول، مشيرة إلى وجهها. وتتنهّد قائلة: «لم تبد عيناكَ هكذا من قبل، يا عزيزي».

«ماذا تقصدين؟»

«منذ رحيل ريتشل». تقول وتُكمِل: «لم تعد عيناك كما كانتا في السابق». تتدارك الأمر، وتحاول الخروج من الأمر. وتقول معتذرة: «آسَف. لنجلب لكَ بعض النظارات. أنت لا ترتدي نظارة، أليس كذلك؟ «

«نظّارات للقراءة فقط عندما أشعر بالتعب». أقول.

«انتظر». تذهب إلى خزانة ملابسها وتخرج بعلبة مخملية مستطيلة الشكل. تفتحها وتكشف عن خمسين زوجًا من

النظارات، كل زوج منها وُضِع في شق صغير.

«يا إلهي، يا ماندي».

«لقد استعرتها من جيمي» تقول، وتكمِل: «استعرتها عندما قمنا بمتابعة التصوير في لندن العام الماضي. سيُعرض في عيد الميلاد هذا ».

«سمعتُ بذلك. تهانيّ»

«نعم، حسنًا، لقد أخبرتُ ستيفن أنّ هذا هو آخر عمل أقوم به. لم يستطع رودني أن يكُف يديه عني طوال الوقت. لكنني تعاملت مع هذا».

تُسلّم لي نظارة طبية ذات إطار بني سميك. أجرّبها.

تقول: «همم. لا. جرّب هذه ».

أجرّب زوجًا آخر.

«لا، هذه».

«أنا لا أحاول الفوز بجائزة للموضة». أقول.

تعطيني نظرة جامدة. «أنتَ لستَ في خطر بسبب ذلك على الإطلاق، يا حلو، صدّقني. هنا».

تُخرِج زوجًا آخر. «هذه. هذه، نعم».

تسلّمني زوجًا بإطار سميك مرة أخرى، لكن هذه المرة بلون بنّي محمرّ أكثر. أضعها، ويشرق وجهها.

«إنها تنسجم مع لحيتك». تقول.

أتصنّع وجهًا رافضًا.

«لا، أعني أنها ستخلّصكَ من اللّون كُليًّا، جون. أنتَ مقبول. شعر أشقر داكن ومختلط بشكل مناسب. النظارة واللحية تبرزان اللون البني المحمرّ».

أقف وأذهب إلى المرآة بجوار حقيبة مستحضرات التجميل.

تقول: «لقد خسرتَ شيئًا من وزنك. لم تكن لديك زيادة في الوزن يومًا، لكنك تبدو نحيلًا».

«أنا لا أستمع لإطراء عن هذا».

أتحقّق من نفسي في المرآة. ما زلت نفسي، لكني أرى وجهة نظرها حول التغيير في الألوان. القبّعة، والنظارة، واللّحية. ولم أدرك أبدًا كيف يمكن أن تغيّر الحواجب السميكة قليلًا مظهر الشخص. كل ذلك دون رفقة الخدمة السّرية الوطنية. لذا لن يتعرّف أحد عليّ.

«أتعلم يا جون، لا بأس من المضي قدُمًا في حياتك. أنت في الخمسين فقط. إنها تريد منك. في الواقع، جعلتني أعِدُهـ..».

نتوقف عن ذلك، يتلوّن وجهها قليلًا، وتلمع عيناها.

«تحدّثتِ أنت وريتشل عن ذلك؟»

تومئ، وتضع يدها على صدرها، ونتوقف لحظة كي تبدّد عاطفتها. «قالت لي، وأنا أقتبس منها: لا تدعي جون يقضي بقية حياته وحده مع شيء من الإحساس بالولاء في غير محلّه».

آخذُ نفسًا حادًّا. كانت تلك الكلمات - شيء من

الإحساس بالولاء في غير محله - هو بالضبط ما قالته لي أكثر من مرة. إنها تعيد ريتشل إلى هذه الغرفة، كما لو كانت أنفاسها على وجهي، وزاوية رأسها كما كانت دائمًا عندما كان لديها شيء مهم لتقوله. رائحة الفانيليا، غمّازة خدّها الأيمن، خطوط الابتسامة حول عينيها... يدها التي تتشبّثُ بي، ذلك اليوم الأخير، صوتها الواهن من الوجع، ضعفها الشديد، ومع ذلك كانت قوية بما يكفي لتضغط على يدي القوية لآخر مرة.

عِدْني أنك ستقابل أخرى، جوناثان. عِدْني.

تقول ماندي، بصوتها المثير للعاطفة: «نقطتي الوحيدة، هي أنّ الجميع يدرك أنّ هناك وقتًا يجب أن تعود فيه إلى الميدان. يجب ألّا تضطر إلى إخفاء مظهرك لمجرد الذهاب في موعد».

أتوقّف لحظة مع نفسي لأتعافى وأتذكر شيئًا لم يكن لي أن أنساه أبدًا - أنّ ماندي ليس لديها فكرة عما يحدث. بالتأكيد، الآن، أفكّر في الأمر، من المنطقي أنها تعتقد أنني كنتُ أخرج في موعد مع امرأة - دعوة عشاء أو مشروب أو فيلم - وقد لا أرغب في لقائنا الأول أن تلحظه الصحافة الدولية.

«أنت ذاهب في موعد، أليس كذلك؟» يجتمع حاجباها المشذّبان تمامًا بينما تفكّر في الأمر. إن لم أكن على موعد، فماذا أفعل؟ وإلا لماذا يتخلّى رئيس ما عن تفاصيل أمنه ويسافر متخفيًا؟

قبل أن أترك هذا الفكر الخيالي يذهب أبعد في هذا

الطريق، أقول: «سأقابل شخصًا ما، نعم».

تنتظر المزيد، وتتأذّى عندما لا يأتي. لكنها منذ وفاة ريتشل تعاملني بلطف وترعاني، ولن تضغط إن لم تكن لديّ رغبة في ذلك.

أتنحنح وأتفحّص ساعتي. لديّ جدول زمني صارم. لست معتادًا على ذلك. مع أني معتاد على جدول أعمال مزدحم، مع ذلك فإنّ الرئيس لا يجب أن يتأخر أبدًا. الجميع ينتظره، لكن ليس هذه المرة.

«يجب أن أذهب الآن». أقول لها.

---

(24) غروتشو ماركس (1977 - 1890) هو كوميديان ونجم سينمائي وتلفزيوني أمريكي، اشتهر بسُرعة بديهته.

19

آخذُ مصعد البضائع عائدًا للأسفل، وأخرجُ إلى الزّقاق. لا تزال سيارتي متوقفة في مكانها. أقودها إلى جوار حي الكونغرس، وأجد موقف سيارة بالقرب من تقاطع الشارع السابع وكارولاينا الشماليّ، وأترك مفاتيحي مع الموظف المناوب الذي بالكاد ينظر إلى وجهي.

أنخرط مع المشاة وأصوات الناس الذين يستمتعون بمساء جمعة ربيعي في حي سكني نابض بالحياة، المطاعم والحانات بنوافذها النائية المفتوحة، والناس يضحكون ويتعارفون، وموسيقا البوب تصدح من مكبرات الصوت.

مررت برجل يرتدي ملابس رثّة، يجلس مُسنِدًا ظهره إلى جدار ركن المقهى. ويستلقي إلى جواره راعٍ ألماني، يرتدي سروالًا لتدفئته وبقربه وعاء فارغ. الرجل، مثل كثير من المشرّدين، يرتدي طبقات أكثر مما يحتاج. كما أنه يرتدي نظارة شمسية داكنة وعاكسة كمرآة. اللافتة التي يحملها عادةً تقول: محارب قديم مشرّد، لكنها الآن تستند إلى جدار المبنى. لا بد أنه وقت الاستراحة. على الجانب الآخر، يحمل صندوقًا صغيرًا من الورق المقوى فيه بضعة فواتير بالدولار. تلعب الموسيقا بهدوء في راديو ضخم.

أُخرِجُ نفسي من موجة المشاة العابرين وأنحني بجانبه. أميّز الأغنية التي تُعزف، إنها أغنية فان موريسون((25)). ترجع ذاكرتي إلى رقصة بطيئة في سافانا أثناء تدريب أساسي، ووقت الإغلاق في أحد البارات في شارع ريفر، ودماغي ضبابية بفعل الخمر، وأطرافي متوجعة من جلسات

التدريب المرهقة.

أسأله: «هل أنت جندي قديم في حرب الخليج يا سيدي؟» من مظهره الخارجي، كنت قد خمّنتُ فيتنام قبل العولمة في السنوات العِجاف، والتي من المحتمل أنها جعلته يكبر في السّن أسرع مما ينبغي.

يقول: «نعم بالتأكيد، لكنني لم أكن نكرة يا سيدي. استحققْتُ مرتّبي، يا صديق. كنتُ رقيب الفصيلة في فرقة المشاة الأولى، الأحمر الكبير. كنتُ هناك عندما اخترقوا سلك صدام ».

أشعر أنّ الفخر يغمره. من الجيد أن نعطيه تلك اللحظة. أود أن أرمي حطبًا آخر على تلك النار؛ ليحصل هذا الرجل على شطيرة، وأستمع إليه أكثر قليلًا. لكنني أيضًا أشعر بضغط الوقت وأتحقّق من ساعتي.

«فرقة المشاة الأولى، هاه؟ أنتم يا رفاق من أخذتم على عاتقكم المسؤولية داخل العراق، أليس كذلك؟»

«نصيحة من الحرْبة، يا رجل. لقد دحرجنا شباب الحرس الجمهوري المنحرفين هؤلاء، مثلما قبضنا عليهم وهم نائمون».

أقول: «ليس سيئًا بالنسبة إلى ساق فرقة مشاة!»

«ساق؟» يقولها بصوت ممتلئ بالدهشة، ويتابع: «هل خدمت؟ هل كنت من القوات المحمولة جوًّا؟»

أجيبه: «هوّا! مثلك تمامًا. نعم، أمضيت عامين في الفوج الخامس والسبعين».

يجلس قليلًا ويرفعُ حاجبيه المتّصلين غير المرتّبين. ويقول: «أحد المشاة المحمولين جوًّا، هاه؟ أراهن أنك رأيت بعض القرف يا فتى من غارات ومهمّات استطلاع، أليس كذلك؟»

«ليس بالقدر الذي كنتَ عليه في الوحدات الأكبر» أقول، وأعيد دفّة الحديث إليه: «ما الذي تطلّبه الأمر يا رفيق - أسبوع واحد للحصول على نصف البلاد؟»

«ثم توقفنا قليلًا» يقولها عاضًّا على شفته، ويكمِل: «اعتقدتُ دائمًا أنّ هذا خطأ جسيم».

أقول: «مهلًا. أستطيع أن أبتاع شطيرة. ماذا عنك؟»

«سيكون هذا لطفًا كبيرًا منك» قال بينما أتقدّم نحو الباب، وأضاف: «بالمناسبة، هذا المكان يقدّم شطيرة رائعة من لحم الديك الرومي».

«لحم ديك رومي».

عندما أعود، ألتزم بالخروج بسرعة، لكن ليس من دون معرفة مزيد من الأمور عنه. «ما اسمك، هوّا!» أسأله.

«الرقيب أوّل كريستوفر نايت» يقول.

«خذ هذا، أيّها الرقيب». سلّمته كيس الطعام الورقي. أضع الطّبق المليء بالماء للكلب، الذي يلْعقه حتى يتمّه.

«لقد كان شرفًا أن ألتقي بك، أيها الرقيب. أين تضع رأسك في الليل؟ أين ستنام الليلة؟»

«في مأوى يصل بين أكثر من شارع. آتي إلى هنا معظم الصباحات. الناس ألطف قليلًا هناك».

«لا بدّ لي من الذهاب، لكن هنا، كريس، خذ هذا».

أسحب من جيبي المال المتبقّي من ثمن الشطيرة، وأعطيه له.

«باركَكم الرّب،» يقول، ويمسك يدي بقبضة محارب.

لسبب ما، أشعر بغصّة في حلقي. زرتُ العيادات والمستشفيات وبذلتُ قصارى جهدي لإصلاح وزارة شؤون المحاربين، مع ذلك هذا ما لم أره، جندي عريق يعاني من اضطراب ما بعد الصدمة ولا مأوى له، ولا يمكنه العثور على وظيفة أو الاحتفاظ بواحدة.

أعودُ إلى الرصيف، أخرج هاتفي الخلوي لتخزين اسمه ومكان المقهى حتى أتمكّن من التأكد من أنّ هذا الرجل يحصل على بعض المساعدة قبل فوات أوانه.

لكن هناك عشرات الآلاف مثله. والشعور المألوف الذي يجتاحني هو الشعور بأن قدرتي على مساعدة الناس واسعة ومحدودة في الوقت نفسه. نتعلّم العيش مع التّناقضات. إنْ لم تفعل ذلك، فإنّ تجاوز الحدود سيبعدك عن تحقيق أقصى استفادة مما يمكنك القيام به. في غضون ذلك، تستمرّ في البحث عن فرص لرفع القيود، لتقوم بأكبر قدر ممكن من أجل أكبر عدد ممكن، كل يوم. حتى في الأيام السيئة، هناك دائمًا شيء جيد يمكنك القيام به.

شارعان اثنان خلف الرقيب نايت، وبينما أمشي بين الظّلال التي أوْجدتْها الشمس، توقّف الحشد الذي أمامي عن الحركة. أتقدّم بين بعض المارّة وأخطو نحو الشارع

لأحصل على رؤية أفضل.

يحاول اثنان من ضباط شرطة مترو العاصمة، إجبار رجلٍ على الرّكوع أرضًا، وهو طفل أمريكي من أصل إفريقي يرتدي قميصًا أبيض وبنطال جينز. يقاوم، محاولًا إبعاد ذراعيه بينما يحاول أحد الضابطَين كبْح جِماحه. لديهم أسلحة ومسدسات، لكنهم لم يستخدموها، على الأقل إلى الآن. يمسك شخصان أو ثلاثة على طول الرصيف هواتفهم، ويقومون بتصوير الحادثة.

يصرخُ الضابطان: «تقدّم على الأرض! على الأرض!»

يتعثّر الرجل الذي يحاولون احتجازه على يمينه، الضابطان بقربه، وقد أوقفَت حركة المرور بواسطة سيارة شرطة.

أخطو للأمام، غريزيًا، ثم أتراجع. ماذا سأفعل، أُعلن أنني الرئيس، وأعالج هذا؟ لا يوجد شيء بالنسبة إليّ للقيام به، لكن إمّا أن أحدّق ببلاهة أو أبتعد.

ليس لدي أيّ فكرة عمّا أدى إلى هذه اللحظة. يمكن أن يكون هذا الرجل قد ارتكب جناية عنيفة أو حتى سرق محفظة، أو ربما أنه أغضب هؤلاء الرجال. آمل ببساطة أن يستجيب الضابطان للواجب ويتصرّفان بشكل صحيح. أعلم أنّ أغلب رجال الشرطة، معظم الوقت، يبذلون قصارى جهدهم. أعلم أنّ هناك رجال شرطة سيئين، تمامًا كما يوجد ممثلون سيئون في كل مهنة. وأنا أعلم أنّ هناك رجال شرطة يعتقدون أنهم رجال شرطة جيّدين، لكن، حتى لو كانوا دون وعي منهم، فقد يرون شخصًا أسود مرتديًا قميصًا وبنطال جينز أكثر تهديدًا من شخص أبيض

يرتدي الملابس نفسها وقام بالفعل نفسه.

أنظر حولي إلى حشود الناس التي تراقب، من كل الأجناس والألوان. يمكن لعشرة أشخاص أن يشاهدوا الشيء نفسه ويخرجوا بعشرة أشياء مختلفة. سيرى بعضهم رجال شرطة جيدين يقومون بعملهم. وآخرون سيرونه شخصًا أسود يعامَل بشكل مختلف بسبب لون بشرته. في بعض الأحيان إنّه الأوّل. وأحيانًا هو الآخر. وفي حين آخر سيكون شيئًا قليلًا من كليهما. بغض النظر، في الجزء الخلفي لعقل كل متفرّج يكْمن السؤال ذاته: هل سيترك هذا الرجل غير المسلّح المشهد دون أن يُصاب بعيار ناري؟

تندفع سيارة ثانية إلى الشارع بينما الشرطيان ينزِلانه إلى الأرض، ويضعان الأغلال في يديه، ثم يرفعانه على قدميه.

أعبر الشارع وأتّجه إلى وجهتي التالية. لا توجد حلول سهلة لمشاكل مثل هذه، لذا أحاول اتباع نصيحتي الخاصة - فهم حدودي والاستمرار في بذل كل ما في وسعي لجعل الأمور أفضل. إنه أمر تنفيذي، فاتورة تصل إلى مكتبي، خطابات رسمية، كلمات من منبري المُتنمّر، كل هذه الأشياء يمكن أن تحدّد النغمة الصحيحة، وتحركنا في الاتجاه الصحيح.

لكنها معركة قديمة قِدَم البشرية - نحن ضدّهم. في كل عصر وزمن، كافح الأفراد، والعائلات، والعشائر، والأمم كي يتوصّلوا لكيفية التعامل مع «الآخر». في أمريكا، العِرْق هو أقدم لعنة لنا. لكن هناك انقسامات أخرى - على الدين والهجرة والهوية الجنسية. في بعض الأحيان، تكون استراتيجية «هم» مجرد مُخدّر لإطعام الوحش الذي

فينا جميعًا. في كثير من الأحيان، يسود أولئك الذين ينقلبون على «هم» على مناشدات جادة ليتذكروا ما يمكن أن نفعله «نحن» ونفعله معًا. لقد عملت عقولنا بهذه الطريقة لفترة طويلة. ربما سوف يفعلون دائمًا. لكن علينا أن نواصل المحاولة. هذه هي المهمة الدائمة التي تركها آباؤنا المؤسسون - في اتجاه «نحو اتحاد أكثر كمالًا».

تهب الريح فيما أنتقل إلى الرّكن، وألقي نظرة على السماء المضطربة والغيوم الرمادية اللون.

حين أمشي إلى نهاية الشارع، تجاه الحانة في الزاوية، أخشى أن أواجه الجزء الأصعب من ليلة صعبة للغاية.

---

(25) الأغنية: Into the Mystic.

20

آخذ نفسًا عميقًا وأدخل البار.

في الداخل: لافتات لفريق جامعة جورج تاون هوياس لكرة السلة، ودراما المراهقين الأمريكية سكينز، وناشيونال للبيسبول، وتلفزيونات تطفو في زوايا جدران من الطوب المكشوف، والموسيقا الصاخبة التي تنافس الثرثرات المفعمة بالحيوية في ساعة الذروة السعيدة. كُثر يرتدون ملابس مدنيّة، وطلاب مدارس وجامعات، لكن بعضهم شباب يحضرون مباشرة بعد العمل في بدلاتهم الرسمية وربطات عنق مفكوكة ومسحوبة، أو بقمصان وبناطيل. يمتلئ الفناء المرصوف في الهواء الطلق حتى الحافة. الأرضيات لزجة والرائحة تعود لواحدة من أنواع البيرة القديمة. أعود بذاكرتي مرة أخرى إلى سافانا، إلى التدريب الأساسي، عندما كُنّا نُدمّر شارع ريفر في عطلة نهاية الأسبوع.

أومئ إلى اثنين من عملاء الخدمة السّرية الوطنية، يرتديان البدلات، ويقفان للحراسة. قيل لهم إنني قادم وكيف تبدو ملابسي. كما قيل لهم ألا يتعرفوا عليّ رسميًا على الملأ، وأن يتّبعوا هذا التوجيه، مع إيماءات قصيرة فقط، مع حذر طفيف بشأن وقْفتهم.

في الزاوية الخلفية، تجلس ابنتي على طاولة، محاطة بالناس - بعض الأصدقاء، وبعضهم ممّن يريدون فقط أن يكونوا في حضرة الابنة الأولى - يشربون شيئًا ملوّنًا بطعم الفاكهة من آنية زجاجية، فيما امرأة أخرى تهمس بشيء

ما في أذنها يعلو على الموسيقا الصاخبة. تتفاعل مع التعليق، وتضع يدها على فمها، وكأنها تحاول أن تضحك وتبتلع في الوقت نفسه. لكنها تبدو مُجبرة. إنها مهذّبة فحسب.

تتفحّص عيناها الغرفة. في البداية تتجاوزاني، لكن بعد ذلك تعودان إليّ. جانب من شفتَيْ ليلي وعينيها الضيّقتين. وأخيرًا، أسلوبها في التعبير ليّن وبصوت خفيض. استغرق الأمر وقتًا قصيرًا منها، لذا يجب أن يكون تنكّري جيّدًا جدًا.

أستمر في المشي، أعبر الحمّامات إلى المخزن عند الجزء الخلفي للبار، الباب غير مقفل. في الداخل، رائحته مثل رائحة منزل للأخوية، برفوف فوق رفوف للمشروبات الكحولية المتنوعة، وبراميل مصطفّة على طول الجدار، وصناديق مفتوحة من المناديل، وكؤوس الحانة على أرضية خرسانية.

ينتعش قلبي حين تمشي، الرضيعة ذات الوجه المستدير والعينين الواسعتين تصلني لتلمس وجهي، الطفلة الصغيرة ترفع نفسها على أصابع قدميها كي تقبّلني بوجه مُلطّخ بشطيرة زبدة الفول السوداني مع المربى، تقطع المراهقة الهواء بيدها كأنها ناقشت مزايا حوافز الطاقة البديلة في نهائيات المناظرة في الولاية.

عندما تتراجع وتنظر إليّ بعينيها، تختفي ابتسامتها «إذن، هذا حقيقي».

«إنه حقيقي».

«هل جاءت إلى البيت الأبيض؟»

«فعلت، نعم. لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك ».

تتساءل: «إلى أين أنت ذاهب؟ ماذا تفعل؟ لماذا ليس لديك عملاء من الخدمة السّرية الوطنية؟ لماذا تتنكّر بهذه الملابس؟»

«هاه، مهلًا..». أمسك كتفيها. «لا بأس، ليل. أنا ذاهب لألتقي بهم».

«مع نينا وشريكها؟»

أشك بشدة أنّ الفتاة ذات قميص جامعة برينستون قد أعطت ابنتي اسمها الحقيقي. لكن كلّما قلّ ما نتفوّه به، كان ذلك أفضل. «نعم». أجيبها.

تقول ليلي: «لم أرَها منذ أن تحدثت معي. ولا مرة واحدة. اختفت تمامًا من البرنامج».

أقول: «أنا لا أعتقد أنها كانت مسجّلة في برنامج جامعة السوربون، أعتقد أنها ذهبت إلى باريس لرؤيتك. لتمرير الرسالة ».

«لكن لماذا تحدّث معي، من بين كل الناس؟»

لا أجيب. لا أريد تقديم أي تفاصيل أكثر من اللازم. لكن ليلي تحمل ذكاء والدتها. لم يأخذ الأمر منها وقتًا طويلًا.

«لقد عرفتْ أني سأسلم الرسالة إليك مباشرة» تقول، «لا وسطاء. ولا فلتر».

هذا هو السبب بالضبط.

تسأل ليلي: «ما الذي قصدَتْه؟ ما هي عصور الظلام؟»

«ليد..». أسحبها بالقرب مني لكن لا أقول أي شيء.

«لن تخبرني. لا يمكنكَ ذلك». تضيف، وتُفسح لي مَخرجًا من سؤالها، كما أنها تسامحني «يجب أن يكون مُهمًّا، مُهمًّا جدًا حدّ أن تطلب مني العودة إلى الوطن من باريس، والآن أنت... تفعل كل ما تفعله». تلقي نظرة خاطفة بتوجّس. «أين أليكس؟ أين حمايتك؟ بخلاف فريك وفراك، الرجال الذين أرسلتهم لحراستي؟»

منذ تخرجها من الكلية، اختارت ليلي رفض الحماية، كما أنه حقّها. لكن في اللحظة التي تلقيتُ فيها المكالمة يوم الإثنين الماضي، هرعتُ بالخدمة السّرية الوطنية إلى جانبها. استغرق الأمر بضعة أيام لإحضارها إلى منزلها، لأنّ لديها امتحانًا نهائيًا، وتأكدت أنها آمِنة في باريس.

«الحماية حولي». أقول. لا تحتاج إلى معرفة أنني سأذهب بمفردي. لديها ما يكفي من القلق كما هو. ولا يزال التغلّب على خسارة أمها، قبل عام واحد فقط، مهمة قيد التقدّم. لا تحتاج إلى إضافة احتمال فقد والدها. إنها ليست طفلة، وقد نضجت، لكنها تبلغ فقط ثلاثة وعشرين عامًا، لأجل الرّب، لا تزال طفلة في الغاية عندما يتعلق الأمر بما ستُلحقه بها الحياة.

يضيق صدري من التفكير فيما قد يعنيه كل هذا إلى ليلي. لكن ليس لدي خيار، لقد تعهّدت بالدفاع عن هذه البلاد، وأنا الشخص الوحيد القادر على فعل ذلك.

«اسمعي». أقول، وأمسك بيدها مُكملًا: «أريدكِ أن تقضي الأيام القليلة القادمة في البيت الأبيض. غرفتك

جاهزة بالكامل. إذا كنتِ بحاجة إلى أي شيء من مسكنك، فإن العملاء سيحصلون عليه من أجلك».

«أنا... لا أفهم». تتحوّل وتنظر إليّ، ترتعد شفتاها قليلًا. «هل أنت في خطر، يا أبي؟»

كل ما يمكنني فعله هو كبح مشاعري. توقفت عن مناداتي أبي خلال فترة المراهقة، على الرغم من أنها فعلتها مرة أو مرتين عندما كانت ريتشل تحتضر. إنها تحتفظ بها للأوقات التي تشعر فيها أنها أكثر ضعفًا، ومرتعبة. لقد أوقفت رقباء تدريبات عسكرية ساديّين، ومحققين عراقيين قساة، ومشرّعين حزبيين، وفيالق من الصحافة في واشنطن، لكنّ ابنتي تستطيع أن تلكم قميصي مثلما لا يجرؤ أي شخص آخر.

أميل صوبها وأمسّها برأسي. «أنا؟ هيّا. أنا فقط أتوخى الحذر. أريد فقط أن أطمئن أنك بخير».

لا يكفيها ما قلته. تطوّق عنقي بذراعيها وتضغط برفق. أقترب منها أيضًا. أستطيع أن أسمع صوتها يتهدّج، وأشعر بجسدها يرتجف.

«فخور جدًا بكِ، يا ليلي». أهمس، في محاولة لتجنّب غصّة في حلقي. «هل أخبرتك بذلك؟»

«أنت تقول لي ذلك طوال الوقت». تقول في أذني.

أُمسّد بأصابعي شعر فتاتي الذكية، القوية، المستقلة. إنها امرأة الآن، تتمتّع بجمال أمها وذكائها وروحها، لكنها ستظلّ دائمًا الطفلة الصغيرة التي تضيء عندما تراني، وتصرخ عندما أمطرها بالقبلات، والتي لا يمكنها معاودة النوم بعد

كابوس، ما لم يمسك بابا يدها.

أهمس: «اذهبي مع العملاء الآن، ستذهبين؟»

تنسحب مني، وتمسح الدموع عن خديها، ثم تأخذ نفسًا، وتنظر إليّ بعينين مفعمتين بالأمل، وتومئ موافقة.

ثم تندفع نحوي، وتطوّقني بذراعيها من جديد.

أضغط على عينيّ لأغمضهما، قابضًا على جسدها المرتعش. فجأة أصبحت ابنتي أصغر سنًّا بكثير، عادَت طالبة في المدرسة وفي أمسّ الحاجة إلى أبيها، الأب الذي من المفترض أن يكون صخرتها، الذي لن يخذلها أبدًا.

أتمنى لو أمكنني حملها، وأن أمسح دموعها، وأن أبدّد كل مخاوفها. كان عليّ أن أعلِّم نفسي، منذ فترة طويلة، بأنني لا أستطيع متابعة طفلتي الرضيعة والتأكد من أنّ العالم كان لطيفًا معها. والآن لا بدّ لي من إعفاء نفسي، وأن أواصل العمل الذي بين يديّ، في هذه الساعة التي لا أحب شيئًا خلالها أكثر من البقاء معها إلى الأبد.

أطوّقُ بكفّيّ وجه ابنتي، وعينيها المتورمتين والمفعمتين بالأمل اللتين تنظران إليّ.

أقول لها: «أحبكِ أكثر من أي شيء في العالم، وأعدكِ بأن أعود إليك».

21

بعد أن تغادر ليلي الحانة مع عملاء الخدمة السّرية الوطنية، أطلب من الساقي كوبًا من الماء. أمدّ يدي إلى جيبي وأخرج حبوب دوائي، الستيرويد التي ستعزز عدد الصفائح الدموية. أمقتُ هذه الحبوب. إنها تعبثُ في رأسي. لكنني إمّا أن أعمل بدماغ مشوّش أو ألا أعمل أبدًا. لا شيء بينهما. كما أنّ هذا الأخير ليس خيارًا.

أعود إلى سيارتي. الغيوم مُلطّخة اللّون كالكدمات التي في ظهر ساقيّ. لم يسقط المطر، مع ذلك رائحته تملأ الهواء.

أسحب هاتفي من جيبي وأتصل بالدكتورة لين أثناء سيري. لن تتعرف على رقم الهاتف هذا، لكنها ترد على أي حال.

«الدكتورة لين، جون دنكان معك».

«سيدي الرئيس؟ كنتُ أحاول الوصول إليك طيلة الظّهر».

«أعلم. كنتُ مشغولًا».

«العدد في انخفاض مستمر. وصل إلى أقل من ستة عشر ألفًا».

«حسنًا، قمتُ بمضاعفة كمية الستيرويد، كما وعدت».

«هذا لا يكفي. أنتَ في حاجة إلى علاج فوري».

غالبًا كنت أمشي في اتجاه السيارات القادمة، غير عابئ بشيء وكأني أمشي في ممر المشاة. سائق سيارة دفع رباعي

يطْلِق بوق سيارته بغرض تنبيهي، في حال لم أكن قد لاحظت خطئي.

«لم أصل إلى العشرة آلاف حتى الآن». أقول للدكتورة لين.

«هذه هي القاعدة العامة. كل شخص مختلف. قد تعاني من نزيف داخلي بينما نحن نتحدّث الآن».

«لكن هذا غير محتمل» أقول، «كان التصوير بالرنين المغناطيسي سلبيًّا البارحة».

«البارحة، نعم. لكن اليوم من يدري؟»

أصل المكان الذي أوقفت سيارتي فيه. أسلّم التذكرة والنقود. ويسلّمني الموظف المناوب المفاتيح.

«سيدي الرئيس، أنت محاط بأشخاص موهوبين ومؤهلين. أنا متأكدة من قدرتهم على متابعة الأمور بضع ساعات أثناء تلقّيكَ العلاج. فكّرت في مسألة تفويض السُّلْطة».

إنهم يفعلون. معظم الوقت. لكن هذا الأمر لا أستطيع أن أفوّضه أحدًا. وأنا لا أستطيع إخبارها، أو أي شخص آخر، عن السبب.

«أسمع كل شيء تقولينه، ديبورا. يجب أن أذهب الآن. أبْقِ هاتفك في متناول يدك».

أخرِج الهاتف وأبدأ في تشغيل السيارة وأقود عبر حركة مرورية كثيفة. وأغرق في التفكير في فتاة قميص برينستون نينا. وبالتفكير في شفرة عصور الظّلام. وفي الاجتماع التالي الليلة، والتهديدات التي أستطيع إصدارها،

والعروض التي يمكنني تقديمها.

يحمل رجل لافتة بيضاء كُتِب عليها: *موقف سيارات*. أدفع المال وأتبع إشارات رجل آخر إلى مكان ما. أحتفظ بمفاتيحي وأمشي شارعين اثنين حتى أتوقف أمام مبنى سكني متوسط الارتفاع يحمل اسم: كامدن ساوث كابيتول. عبر الشارع، هناك ضجّة من الجموع.

أعبر الجادة، لا مهمة سهلة مع ازدحام حركة المرور. يمر بي رجل يقول: «من يحتاج إلى تذكرتين؟ من يحتاج تذكرتين؟»

أُخرِج المغلف الذي أعطته لي نينا والتذكرة الملوّنة الوحيدة إلى لعبة الليلة، مباراة البيسبول بين نادي ناشيونال ونادي ميتس.

عند البوابة اليُسرى لحديقة ناشيونال باركس، يقوم حرّاس الأمن بفحص الناس من خلال جهاز الكشف عن المعادن، ويفتّشون الأشخاص الذين لم يجتازوا الجهاز، كما يفتّشون الحقائب بحثًا عن أسلحة. أنتظر مكاني في الطابور، لكنه انتظار لوقت قصير. اللعبة بدأت بالفعل.

مقعدي في القسم 104، في مقاعد الساحة العامة البعيدة المرتفعة. لقد اعتدت الحصول على أفضل المقاعد في المنزل أو في مقصورة الملاعب الرياضية أو خلف لوحة تحمل اسم الوطن أو على اليمين من المخبأ على خط القاعدة الثالث. لكنني أحبّ هذا بشكل أفضل، هنا في مدرّجات الملعب اليسرى. رؤيتي ليست الأفضل من هنا، لكن تبدو أكثر واقعية.

أنظر حولي دون غاية. سيحدث الأمر عندما يحدث. وظيفتي هي الجلوس هنا والانتظار.

عادة أكون مثل طفل في متجر حلويات هنا. أنتزع مشروبًا ولُفافة نقانق. يمكنك أن تضع كل هذه الميكروبات على الرف: في لعبة الكرة، لا يوجد مشروب أرقى من الجعّة الباردة كالثلج. لم أذق أي طعام جيد كالنقانق مع الخردل أثناء متابعة لعبة الكرة، ولا حتى خلطة الضلوع السريّة التي تقدّمها أمي مع صلصة الخل.

أتراجع وأتذكّر أيّامَ كنتُ ألقي كرات سريعة في جامعة كارولاينا الشمالية، أحلم بالحصول على مهنتي الاحترافية عندما اختارني نادي الرويال في الشوط الرابع، عندما بلغت مستوى Double A مع فريق ممفيس تشيكس للبيسبول. أستدعي التعرّق في الحافلات، وتجمّد مِرفقيّ ليلًا في الحانات السيئة للفنادق الرخيصة على الطريق العام، واللّعب أمام الحشود التي بلغت المئات، وأكل وجبات البيغ ماك والغطس في كوبنهاغن.

لكن لا يوجد لي بيرة الليلة؛ تعاني معدتي بالفعل من الاضطراب وأنا أنتظر زميلي، شريك فتاة قميص برينستون.

يهتزّ هاتفي في جيبي. يظهر على الشاشة مُعرّف المتصل: كي بروك. ترسل كارولين رسالة نصّية كَتبت فيها رقمًا واحدًا: 3. أكتب ردًا عليها «نيومان» وأُرسلها.

هذه هي الشّفرة التي بيننا لتحديث الوضع: حتى الآن جيّد جدًا. لكني لست متأكدًا من أنّ كل شيء جيد

جدًا حتى الآن. تأخّرت عن لعبة الكرة. هل جاء بالفعل وذهب؟ هل أضعته؟

غير ممكن، لكن ليس في يدي شيء سوى الجلوس هنا والانتظار بينما أشاهد اللعبة. للرّامي في نادي ميتس للبيسبول ذراعًا بارعة، لكنّه يُطيح بالكرة السريعة بين أصابعه، لقد استهلّ اللعب ضد حامل المضرب من الناشيونال، الأعسر اليسراوي. كان على الرّامي أن يرمي الكرة عاليًا وفي الداخل، لكنه لم يفعل. يحالفه الحظ عندما يتعذّر على ضارب الكرة أن يضربها برفق للأسفل. في النهاية، مع ضربتين، وارتفاع الكرة طويلًا إلى عمق الملعب الأيسر، نحوي، قامت الحشود.

عندما نجلس جميعًا في الخلف، لا يزال شخص ما على مستوى نظري جانبيًّا واقفًا، ينزل إلى الصفّ نحوي. يرتدي قبعة الناشيونال التي تبدو جديدة، لكن بخلاف ذلك، بدا كأنه خارج لعبة البيسبول تمامًا. أعلم على الفور أنّ المقعد الذي سيأخذه هو المقعد المُتاح جواري.

هذا الرجل هو شريك نينا. لقد حان الوقت.

22

القاتلة المعروفة باسم باخ تغلق الباب، وتقفل الحمّام الصغير على نفسها. تطلق أنفاسًا متزعزعة، وتهبط على ركبتيها، وتتقيأ في المرحاض.

عندما تنتهي، تكون عيناها متّقدتين، ومعدتها مضطربة، تأخذ نفَسًا وترتدّ على وركيها. هذا ليس جيدًا. وغير مقبول.

عندما تكون قادرة على ذلك، فإنها تقف وتُجري مياه المرحاض، وتستخدم مناديل معقّمة لتنظيف المرحاض، ثم تُجري المياه على المناديل أيضًا. لا يوجد دليل، ولا DNA.

هذه هي المرة الأخيرة التي تتقيأ فيها هذه الليلة. نقطة، انتهى.

تتفحص نفسها في مرآة قذرة فوق الحوض. شعرها المستعار أشقر، ومرفوع بتسريحة كعكة. زِيُّها أزرق سماوي. ليس الأمثل، لكنها لم تتمكّن من اختيار الملابس التي ترتديها من قِبل طاقم التنظيف في شقق كامدن ساوث كابيتول.

عندما خرجتْ من الحمّام إلى غرفة الصيانة، حيث ما زال الرجال الثلاثة يقفون هناك، مرتدين قمصانًا زرقاء فاتحة وبناطيل داكنة. أحدهم مفتول العضلات حدّ أن صدره يكاد يمزّق قميصه. كرهَتْه فورًا حين التقته في وقت مبكّر اليوم. أولًا، لأنه لافت للنّظر. ولا أحد في مجالهم يجب أن يكون مُلفِتًا. وثانيًا، لأنه ربما يعتمد في كثير من الأحيان على قوة عضلاته لا ذكائه ومهاراته، ومزاجه

السيء.

الاثنان الآخران مقبولان. نحيلان لكنهما قويان وصلبان ولا يُلفتان النظر جسديًا. لهما وجهان مألوفان، وقابلان للنسيان.

«أتشعرين بالتّحسن؟» يقول الرجل مفتول العضلات. الاثنان الآخران يُعبّران بابتسامة إلى أن يشاهدا التعابير على وجه باخ.

تقول: «أفضل مما كنتَ ستشعر به، إذا سألتني ذلك مرة أخرى!»

لا تعبث مع امرأة في الثلث الأول من حملها، مع غثيان الصباح غير المحدود، الذي يتجلّى، في الصباح. خاصة تلك التي تتخصّص في الاغتيالات بالغة الخطورة.

تلتفت إلى زعيم الثلاثي، الرجل الأصلع ذي العين الزجاجية.

يرفع يديه للاعتذار قائلًا: «لا لتقليل الاحترام، لا لتقليل الاحترام». لغته الإنجليزية جيدة، مع ذلك لَكْنته ثقيلة - من جمهورية التشيك، إذا أرادت أن تخمّن.

تمدّ يدها. يسلّمها القائد سماعة الأذن. تثبّتها في أذنها، كما يفعل الرجل.

تسأل: «ماذا عن الوضع؟»

تأتي الإجابة من سماعة أذنها. «*لقد وصل. فريقنا جاهز*».

تقول: «إذن سنأخذ جميعًا مواقعنا».

تجرّ باخ حقيبة ظهر وحقيبة سلاحها، وتأخذ مصعد البضائع. بينما هي في الداخل، تُخرج معطفًا أسود من حقيبتها وتضعه عليها. وتنزعُ شعرها المستعار في الوقت الحاضر وتضع قبعة سوداء للتزلج. الآن ترتدي من رأسها إلى أخمص قدميها اللون الأسود.

تخرج من المصعد في الطابق العلوي وتصعد السلالم حتى الباب إلى السّطح. كما وُعِدت هو غير مقفل. تهبّ الريح على السّطح، مع ذلك يمكنها التّكيّف معها. تتيقّن أنها سوف تمطر في لحظة ما. لكن السماء على الأقل تمسك عن ذلك حتى الآن. لو أُلغي هذا الحدث الرياضي السخيف تمامًا، لأُجْهِضت عمليّتها.

لذا يجب عليها الآن أن تكون مُستعدة للمطر الذي سيقطع هذه المسابقة الرياضية، مما يجبر الآلاف من الناس على الخروج في وقت واحد، مُتخفّين وسط بحر من المظلات. لقد قتلت ذات مرة سفيرًا تركيًّا بإطلاق رصاصة عبر مظلّة في دماغه، لكنه كان مع شخص واحد فقط في شارع هادئ. إنّ مشكلتها الآن هي تحقيق هدفها حسب السيناريو الأوّل - إذا تحركت مجموعة من الناس في وقت واحد عبر المخارج.

هذا ما تمثّله المجاميع في الصفوف الأرضية.

تفتح حقيبة سلاحها بواسطة تعريف إبهامها ومجموعة آنا ماغدالينا، بندقيتها النصف آلية، وتركيب المجال التكتيكي، وتركيب مخزن البندقية.

تتحرّك إلى مكانها، تجثم تحت غطاء الظّل القريب.

ستغرب الشمس في أقل من عشرين دقيقة، وستحجب موقعها على السطح أكثر من ذلك.

تجد لنفسها مكانًا وتركّز على الهدف. تجد المدخل الذي تبحث عنه، البوابة اليسرى.

ستنتظر. ربما خمس دقائق، أو ثلاث ساعات. ومن ثَمّ سيتم استدعاؤها للعمل فورًا بِدقّة مميتة تقريبًا. لكن هذا ما تفعله، ولم تفشل قط.

أوه، كم نتوق إلى وضع سماعات الرأس والاستماع إلى كونشيرتو البيانو! لكن كل وظيفة مختلفة، ولهذا فهي بحاجة إلى فريق مُتقدّم يرشدها ويوجّهها عبر أذنها في أي وقت، بدلًا من الاستماع إلى أندريا باكيتي يعزف على البيانو الكونشيرتو الرابع، في مسرح تياترو أوليمبيكو، في فيتشينزا بإيطاليا. تُنصت الآن إلى حركة مرور السيارات، وهتافات الملعب المزدحم، وانفجارات موسيقا الأرغن التي تُسرّع الحشد، والتحديثات العرضية من الفريق المتقدم.

تأخذُ نفسًا، ثمّ تزفره. مما يتيح لنبضها أن يهدأ. تُبقي إصبعها حُرًّا ومع ذلك قريبًا من الزناد. ليس هناك درجة لنفاد الصبر. الهدف سيأتي لها، كما هو الحال دائمًا.وكالعادة، لن تفوّته.

23

يأخذ الرجل المقعد المجاور لي دون أن ينبس كلمة، رأسه إلى الأسفل بينما يمرّ أمامي ويجلس إلى يساري مباشرة، ويستقر كما لو أنّنا غريبين حدث أن حصلنا على تذكرتين لمقعدين متجاورين.

نحن في الواقع غريبين. لا أعرف شيئًا عنه. غير المُتوقّع شائع جدًا في وظيفتي كالمتوقّع، لكن عندما يحدث شيء ما، لديّ فريق من المستشارين لمساعدتي في تحليله، لجمع كل ما نعرفه وتفتيته، لفرض بعض النظام وسط الفوضى. لكن هذه المرة، أنا وحيد وجاهل.

قد لا يكون سوى رسول، ناقل معلومات قد لا يفهمها، ولا يتأثر بالاستجواب لأنه لا يملك شيئًا ذا قيمة لِيُفشيه. إن كان هذا صحيحًا، فقد قُدّم لي بشكل خاطئ، لكن الأمر ليس كذلك، أنا أثق في المصدر، المرأة المعروفة باسم نينا.

قد يكون قاتلًا. قد يكون هذا الأمر كلّه خدعة ليجعلني وحيدًا وضعيفًا. إذا كان كذلك، فإنّ ابنتي ستكون دون أيّ وليّ أمر على قيد الحياة. وسوف ألحِق الضرر بمكتب الرئيس من خلال سماحي بأن أكون محاصرًا في اجتماع سري بحيلة بسيطة.

لكن كان عليّ أن أغتنم الفرصة، كل ذلك بسبب هاتين الكلمتين: عصور الظّلام.

يستدير ويُلقي نظرة أوّلية عن قرب، على الرجل الذي فهم أنه الرئيس دنكان لكن بلحية حمراء ونظارات وقبعة

بيسبول، لا يشبه إلى حدّ كبير حليق الذقن، في بدلة القائد العام، الرئيس الأعلى الذي يراه في وسائل الإعلام. يومئ برأسه موافقًا، الأمر الذي أعتبره موافقة وليس بسبب قناعتي في حدّ ذاتها، لكن الحقيقة أني متنكّر كُليًّا. هذا يعني أني بدأت اللعب مباشرة - حتى الآن على الأقل. لقد وافقت على عقد اجتماع سري. مما يعني أنني اعترفت بالفعل بأهميته.

إنه آخر شيء أردت التنازل عنه، لكن كان عليّ أن أقوم به. بقدر ما أشعر بالقلق، يمكن لهذا الرجل أن يكون أخطر شخص في العالم في الوقت الحالي.

ألقي نظرة حولنا. لا أحد يجلس على جانبينا، لا أحد وراءنا مباشرة. أقول للرجل: «قل ما لديك».

إنه شاب مثل شريكته نينا، ربما في أوائل العشرينيات من عمره. نحيف مثلها. بِنْية جسده تشير إلى أوروبا الشرقية مثلها. إنه قوقازي، لكنه ذو بشرة أغمق من شريكته. قد يعود لتأثير البحر المتوسط فيه، وربما الشرق الأوسط أو أفريقيا. وجهه مَخْفِيّ إلى حد كبير بلحية طويلة ومُهَلْهَلَة، وشعر كثيف ومجعّد، يتدلّى من قبّعة البيسبول. يُثَبّت عينيه الغائرتين، كما لو أنّه تعرّض للأذى. أنفه طويل ومعقوف - ربما لسبب جيني، أو ربما نتيجة لكسره.

يرتدي قميصًا أسود تمامًا، وبنطال عُمّال داكن، وحذاءً رياضيًّا للجري. لم يُحضِر معه أي شيء، لا كيسًا ولا حقيبة ظهر.

ليس في حوزته مسدس؛ لأنه لو كان يحمل واحدًا فإنه لن ينجح في تخطي الأمن. مع ذلك، فإن هناك كثيرًا من الأشياء التي يمكن التسلح بها. يمكنك قتل شخص ما باستخدام مفتاح منزل، أو قطعة من الخشب، أو حتى قلم حبر جاف إذا غرزته بدقة جرّاح في جسد هدفك. في تدريب المشاة قبل أن أنتقل إلى العراق، أظهَروا لنا أمورًا - تكتيكات للدفاع عن النّفس، أسلحة نافعة - لم أكن لأفكّر فيها أبدًا. حركة واحدة سريعة بحافّة حادة في الشريان السباتي، وسأنزف قبل أن تصل المساعدة الطبية.

أُمسِكُ ذراعه، التي تلتف حول كامل طرفه العظمي. «قل ما لديك. *الآن*».

جَفَل من هذه الحركة. ثم أخذ ينظر للأسفل إلى حيث يدي وأنا أُمسك بعضلات ذراعه، ثم يتراجع. جَفَل، لكن - آخذ حذري - خاصة أنه لم يهتز.

أقول: «يا بني». أذكّر نفسي بأن أحافظ على تعابير وجهي وأراقب نبرة صوتي، وأتابع: «هذه ليست لعبة. ليس لديك أدنى فكرة عمّن نتعامل معهم. وليس لديك أدنى فكرة إلى أي مدى تجاوزتَ ارتفاع رأسك».

أتمنى أن يكون موقفي قويًّا كما أظنّ.

تضيق عيناه قبل أن يقرّر الكلام، ويسأل: «ما هي الكلمات التي تحب أن أتلفّظ بها؟ نهاية العالم؟ المحرقة النووية؟»

هو وشريكته لهما اللكنة ذاتها. لكن إلمامه باللغة الإنجليزية يبدو أقوى.

أقول: «هذه الفرصة الأخيرة؛ لأنك لن تحب ما سيحدث بعد ذلك».

يقطع التواصل بالعينين. وأتابع قائلًا: «أنتَ تقول هذه الأمور كما لو كنتُ أنا مَن يريد شيئًا منك. ومع ذلك، أنتَ من تريد شيئًا مني».

لا يمكن إنكار النقطة الأخيرة. حضوري هنا يؤكد ذلك. لكن العكس صحيح أيضًا. لا أعلم ما الذي يجب أن يخبرني به. إذا لم يكن الأمر أكثر من معلومات، فلديه قيمة. إذا كان الأمر يتعلّق بالإبلاغ عن تهديد، فهو يريد فدية. كما أنه لم يخض في كل هذا من أجل لا شيء. ولديّ شيء يريده أيضًا. أنا لا أعرف ما هو.

أحرّر قبضتي من ذراعه. «أنت لن تخرج من هذا الملعب» أقول، وأنهض من مقعدي.

«عصور الظلام» يهمس، كأنّه ينطق بكلمة ملعونة.

في الملعب، يردّ ريندون ضربة قوية عالية حيث يتوجب على لاعب الدفاع أن يلتقط الكرة ويرميها على المدى البعيد نحو الخارج.

أجلس في المقعد. آخذُ نفسًا. «ماذا أناديك؟»

«يمكنك مناداتي... أوجي».

التحدي، والسخرية، ذهبا. إنه انتصار غير هام لي. ربما تكون بطاقته أفضل من بطاقتي، لكنه طفل، وأنا ألعب لعبة البوكر من أجل لقمة العيش!

«وماذا... يجب أن أناديك؟» يسأل، بالكاد أعلى من

الهمس.

«نادني سيدي الرئيس».

أسند ذراعي على مقعده، كما لو كُنّا صديقين قديمين أو قريبين.

أقول: «إليك الآن كيف سنقوم بهذا. ستخبرني كيف عرفت هذه الكلمات. وستقول لي أي شيء آخر جئتَ إلى هنا لتقوله. ثم سأقرر ما الخطوة التالية. إذا كنّا معًا قادرين على العمل سويّة - في حال كنتُ راضيًا عن محادثتنا - فسيظهر ذلك بشكل جيد لك، يا أوجي».

أعطيه تلك اللحظة ليغرق فيها، إنه الضوء في نهاية النفق له. يجب أن يكون هناك مخرج واحد في أي تفاوض.

«لكنني إن لم أكن راضيًا». أواصل حديثي: «سأفعل كل ما هو ضروري لك، ولصديقتك، ولأي شخص آخر يهمك في هذا العالم، لحماية بلادي. لا يوجد شيء لا أستطيع فعله. لا يوجد شيء لن أفعله».

يلوي فمه مُدمدِمًا. هناك كراهية في هذا التعبير، دون شك، كراهية لي ولكل ما أمثّله. لكنه خائف أيضًا. لقد تعامل معي حتى الآن من مسافة بعيدة، مستخدمًا شريكته في الاتصال بابنتي في الخارج، ومستخدمًا التكنولوجيا الخاصة به عن بُعد، لكنه الآن هنا، شخصيًا، مع رئيس الولايات المتحدة. لقد اجتاز نقطة اللاعودة.

يميل للأمام، ويدفع بمرفقيه على رُكبتيْه، محاولًا الابتعاد عني. جيّد. لقد تراجع.

«أنتَ تودّ أن تعرف كيف حصلتُ على شفرة عصور الظلام» يقول، بصوت مرتجف فيه قليل من اليقين. «كما تودّ أن تعرف لماذا تستمر الكهرباء في البيت الأبيض... في الانقطاع؟»

لا أردّ على ذلك ظاهريًّا. يخبرني أنه مسؤول عن وميض الأضواء في البيت الأبيض. حيلة؟ أحاول أن أتذكر ما إذا كانت نينا قد رأتهم وهم يعبثون حين كانت هناك.

يقول: «إنه أمر مزعج، يمكن للمرء أن يفكر. الانغماس في مسائل مهمة تتعلّق بالأمن القومي وسياسة الاقتصاد والمفاهيم السياسية... في مكتبك البيضَوي بينما تضيء الأضواء وتطفئ كما لو كنت تعيش في كوخ في بلد من العالم الثالث».

يسحبُ نفسًا عميقًا. «لا يملك الفنيّون لديك أيّ فكرة عن السبب، أليس كذلك؟ بالطبع يجهلون السبب». ويستعيد الثقة في صوته.

«أمامك دقيقتان، يا ولد. ابتداء من الآن. إذا كنتَ لا ترغب في التحدّث معي، فستتحدث إلى الأشخاص الذين يعملون لأجلي، وهم غير ودودين».

يهزّ رأسه، على الرغم من صعوبة معرفة من يحاول أن يُقنِع، أنا أمْ نفسه. «جئت بمفردك». يقول، وثمّة أملٌ في صوته، دون اقتناع.

«هل فعلت؟»

يُسمع دويّ الحشد مع صوت المضرب يضرب الكرة،

والناس من حولنا يقفون على أقدامهم ويهتفون، ثم يخبو الهتاف لأن الكرة الطويلة تطير وتنحرف. لا يتحرك أوجي، ولا يزال مائلًا إلى الأمام، ونظرة فاحصة على وجهه وهو يحدّق في ظهر المقعد الذي أمامه.

أقول: «دقيقة واحدة، وثلاثون ثانية».

في اللعبة، يأخذ اللاعب ضارب الكرة مسمّى الضربة الثالثة، الكرة المُلتوية السريعة ترسم الزاوية، وتصيح الحشود وتصرخ كردّ فعل.

أتحقّق من ساعتي. وأقول: «دقيقة واحدة. بعدها تنتهي حياتك».

يتكئ أوجي للوراء لمواجهتي ثانية. أبقي عيني على الملعب، لا أمنحه الاحترام عبر النّظر في اتجاهه.

لكن في النهاية ألتفتُ إليه، وكأني مستعد الآن لسماع ما يقوله. يرتدي وجهه تعبيرًا مختلفًا الآن، حادًا وباردًا.

يمسك مسدّسًا في حضنه، ويصوّبه كأنه يتدرّب عليّ.

«انتهت حياتي؟» يسأل.

24

أُركّز على أوجي، لا على المسدّس.

أوجي الذي يُبقي المسدس منخفضًا في حضنه، وآمِنًا من أن يُكتشف من حاملي التذاكر الآخرين. أفهم الآن لماذا المقاعد خالية على كلا جانبينا، وكذلك المقاعد الأربعة وراءنا وأمامنا. اشتراها أوجي جميعًا ليعطينا شكلًا من الخصوصية.

من خلال شكله الصندوقي، أستطيع أن أرى أنه مسدّس من نوع غلوك، وهو ما لم أستخدمه مطلقًا، لكن جميع المسدّسات من عيار 9 مم متساوية، قادرة على إطلاق رصاصة صوْبي من مسافة قريبة.

في يوم من الأيام، ربما أُتيحت لي فرصة نزع سلاحه دون أن أصاب برصاصة قاتلة. كان ذاك منذ زمن بعيد، خمسون عامًا ربما، وأنا اليوم خائر القوى.

في كل الأحوال، إنها ليست المرة الأولى التي يصوَّب فيها مسدّس نحوي. عندما كنتُ أسير حرب، كان أحد حرّاس السجن العراقيين يضع مسدسًا في رأسي ويسحب الزناد يوميًّا.

لكن هذه هي المرة الأولى منذ وقت طويل، وهي الأولى وأنا في منصب الرئيس.

أعتقد أنه خلال تسارع نبضات قلبي، كان يمكنه بالفعل أن يدفع الزناد إذا كانت خطته أن يقتلني. لم يكن عليه الانتظار إلى أن ألتفت إليه. لكنه أراد أن أرى المسدّس.

أراد تغيير الديناميكية.

آمل أني محق في ذلك. لا يبدو كشخص لديه خبرة كبيرة في التعامل مع سلاح ناري. أنا عصبي ومتوتر بعيدًا عن إمكانية إصابتي برصاصة بين أضلاعي.

أقول: «جئتَ هنا لسبب ما، لذلك ضع هذا المسدّس بعيدًا وأخبرني ما هو».

زمّ شفتيه. وقال: «ربما أشعر بالأمان بهذه الطريقة».

أميل إلى الأمام، وأخفض صوتي. «هذا المسدّس يجعلك أقل أمْنًا. ويوتّر رجالي. ويجعلهم يريدون وضع رصاصة في رأسك الآن، بينما تجلس هنا في مقعدك».

ينظر بِحدّة، وتتحرك عيناه، محاولًا الحفاظ على سيطرته. فكرة أن يقوم شخص ما بتوجيه بندقية ذات إمكانيات عالية تجاهك يمكن أن تكون مثيرة للأعصاب.

«لا يمكنك رؤيتهم، أوجي. لكن صدّقني، يمكنهم رؤيتك».

هناك خطر فيما أقوم به. قد لا تكون هذه هي الخطوة الأكثر حكمة لإخافة رجل من جهنم، إصبعه على زناد مسدّس مُوجّه إليك. لكني أحتاجه إلى وضع هذا السلاح بعيدًا. وسأواصل إجباره على الاعتقاد بأنه لا يتعامل مع رجل واحد، بل مع بلاد بأكملها - بلاد لها قوّة ساحقة، وقدرات صادمة ومرعبة، وموارد تفوق قدرته على الفهم.

أقول: «لا أحد يريد أن يؤذيك، أوجي. لكن إذا سحبت هذا الزّناد، ستصبح ميتًا خلال ثانيتين».

يقول: «لا، لقد جئتَ..». ويتلاشى صوته.

«ماذا، جئتُ وحدي؟ أنت لا تُصدّق ذلك فعلًا. أنت ذكي لدرجة لا تُصَدّق! ضع المسدّس بعيدًا وأخبرني لماذا أنا هنا. وإلّا سأغادر».

يتحرّك المسدّس في حضنه. تضيق عيناه مرة أخرى. يقول: «إذا خرجت، فلن تستطيع إيقاف ما سيحدث».

«ولن تحصل أبدًا على ما تريده مني، أيًّا كان ما تريد».

يفكر في ذلك. إنه الشيء الذكي الذي يجب أن يفعله، مع أخذ كل الأشياء بعين الاعتبار، لكنه يريدها أن تكون فكرته، وليست فكرتي. وأخيرًا، ينحني ويرفع ساق بنطاله، ويمسك المسدّس.

أُطلق زفرة كنت أكتمها.

«كيف حصلت على جحيم هذا المسدّس الذي تجاوز جهاز كشف المعادن؟»

يُنْزِل ساق بنطاله. ويبدو هادئًا مثلي أنا.

يقول: «آلة بدائية، تَعرف فقط ما قيل لها أن تعرف. ليس لديها فكر مستقل. إذا قيل لها ألّا ترى شيئًا، فإنها لا ترى شيئًا. إذا قيل لها أن تغلق عينيها، فإنها تغلق عينيها. الآلات لا تسأل لماذا».

أفكّر مرة أخرى في جهاز الكشف عن المعادن الذي عبرتُ خلاله. لم تكن هناك أشعة سينيّة، كالتي توجد في المطار. ذاك مجرّد مدخل، إمّا أن يصدر تنبيهًا إذا عبره أحد أو لا يصدر، كما كان حارس الأمن واقفًا في انتظار

إشارة تنبيه مسموعة.

لقد شوّش عليها بطريقة ما. وعطّلها أثناء مروره.

اخترق النظام الإلكتروني في 1600 شارع بنسلفانيا.

عطَّل مروحيّة في دبي.

وكان يعرف شفرة «عصور الظلام».

أقول له: «أنا هنا، أوجي. لقد حصلتَ على اجتماعك. أخبرني كيف تعرف عن شفرة عصور الظلام؟»

يرتفع حاجباه، ويبتسم غالبًا. إنّ الحصول على تلك الشّفرة يعدّ بحقّ إنجازًا، وهو يعلم ذلك.

أسأل: «هل اخترقت الجهاز بطريقة ما؟ أو...».

يبتسم الآن. «إنها *أو* التي تهمّك الآن. إنها تتعلق بك كثيرًا لدرجة أنك لا تستطيع أن تحضّر نفسك لتقول أي كلمة بعدها».

أنا لا أزعم هذا الأمر. إنه على حق.

يقول: «لأنه إن لم أتمكّن من الحصول على هذا عن بُعد، فإنّ هناك طريقة واحدة أخرى يمكن أن أحصل عليها. وأنت تعرف ماذا يعني هذا».

إذا لم يعلم أوجي عن شفرة عصور الظلام من خلال الاختراق – ومن الصعب معرفة كيف يمكن أن يحدث ذلك – فإنّه حصل عليها من مصدر بشريّ، وقائمة الأشخاص الذين يمكنهم الوصول إلى هذه الشفرة محدود جدًّا.

يقول: «هذا هو سبب موافقتك على مقابلتي. أنت تفهم بوضوح... المغزى».

أومئ موافقًا، وأقول: «هذا يعني أنّ هناك خائن في البيت الأبيض».

25

يفصل الهُتاف الحشود من حولنا عنّا. يفرّ فريق ناشيونال من الملعب. شخص ما ينزل من الصف الذي خلفنا نحو الممر. أحسد هذا الشخص، فأكثر ما يُقلقه الآن هو أخذ مكان ما أو التقدّم في الصّف لانتزاع بعض رقاقات الناتشوز.

هاتفي يرِنّ. أمدّ يدي إلى جيبي، ثم أدرك أنّ الحركة المفاجئة يمكن أن تتسبّب في هجوم مباغت.

«هاتفي». أوضّح، وأضيف: «إنه فقط هاتفي. لخص الرفاهية».

يتجعّد جبين أوجي، ويسأل: «من هذا؟»

«إنها رئيسة هيئة الأركان. تتحقّق من أنني بخير. لا شيء أكثر».

يتراجع أوجي، مُرتابًا. لكنني لا أنتظر تصديقه. إن لم أردّ على كارولين، فإنها ستفترض الأسوأ. وستكون هناك عواقب. وستفتح تلك الرسالة التي أعطيتها لها.

الرسالة النّصية، مرة أخرى، هي من كي بروك. مرة أخرى، فقط رقمًا واحدًا، هذه المرة، الرقم 4.

أكتب ردًا عليها «ستيوارت» وأرسلها.

أضع هاتفي بعيدًا، وأقول: «أخبرني. كيف عرفت عن الشفرة؟»

يهز رأسه. لن يكون بهذه السهولة. لم تُعطِ شريكته تلك

المعلومة، ولن يقوم هو بذلك. ليس بَعد. إنه جزء من نفوذه. قد يكون نفوذه الوحيد.

«أنا بحاجة لأن أعرف» أقول.

«لا، أنت لا تحتاج ذلك. أنت تريد أن تعرف، صحيح، لكن ما تحتاج إلى معرفته أمرٌ أكثر أهمّية».

من الصعب تخيّل أي شيء أكثر أهمية من أنّ هناك شخصًا ما في دائرتي الداخلية قد خان بلادنا.

«إذن أخبرني ما أحتاج إلى معرفته».

يقول: «بلادك لن تنجو».

أسأله: «ما الذي تعنيه؟ كيف؟»

يهزّ كتفيه. «فعلًا، عندما يفكّر المرء في ذلك، فإنه ببساطة يرى أنّه أمر لا مفرّ منه. هل تعتقد أنه يمكنك منع انفجار قنبلة نووية إلى الأبد في الولايات المتحدة؟ هل قرأت رواية: نشيدٌ من أجل ليبوفيتز؟»

أهزّ رأسي، مُنقّبًا في رُكام ذاكرتي. يبدو العنوان مألوفًا، المدرسة الثانوية الإنجليزية.

«أو التحوّل الرابع؟» يقول: «مناقشة رائعة عن... الطبيعة الدائريّة المتكررة للتاريخ. البشر يمكن التنبؤ بأفعالهم. والحكومات تسيء معاملة الناس – شعوبهم وآخرين. كانوا دائمًا يفعلون، وسيفعلون على الدوام. لذا فإن الناس يتفاعلون. هناك فعل ورد فعل. هذه هي الطريقة التي تقدّم بها التاريخ وسيستمر كذلك دائمًا».

يشير بإصبعه. «آه، لكن اليوم – تسمح التكنولوجيا حتى

لرجل واحد بإلحاق دمار شامل بأيّ هدف. إنه يغيّر البناء، أليس كذلك؟ التدمير المؤكد المتبادل لم يعد رادعًا. تجنيد الآلاف أو الملايين لقضيتك لم يعد ضروريًا. لا حاجة للجيش، للتّحرّك. لا يحتاج الأمر إلا لرجل واحد، على استعداد لتدمير كل شيء، على استعداد للموت إن لزم الأمر، وهو ليس قابلًا للإكراه أو التفاوض».

من هناك في الأعلى تصلنا أولى أصوات السماء المضطربة. إنّه رعد دون برق. لم تمطر بعد. ملعب البيسبول كله مضاء، لذا فإنّ تأثير سواد السماء يكاد لا يُذكر.

أميل نحوه، وأمعن النظر في عينيه. «هل هذا درس في التاريخ؟ أم أنك تخبرني أنّ شيئًا على وشك أن يحدث؟»

ينظر لي بطرف عينه. يبتلع ريقه بصعوبة، فتصعد تفاحة آدم في حلقه وتهبط. يقول وقد تغيّر صوته: «شيء على وشك الحدوث».

«إلى أي درجة على وشك الحدوث؟»

«مسألة ساعات» يقول.

أشعر ببرودة تسري في دمي. وأسأل: «ما الذي نتحدّث عنه بالضبط؟»

«أنت تعرف هذا فعلًا».

بالطبع أعرف. لكنني أريد سماعه يقول ذلك. أنا لا أقدّم أي شيء مجانًا.

«أخبرني أنت» أقول.

«الفيروس» يقول، «الشّخص الذي شاهدتَه لوقت

قصير» - يطقطق أصابعه - «قبل أن يختفي. سبب مكالمتك مع سليمان سيندوروك. الفيروس الذي لم تتمكّن من تحديده. الفيروس الذي حيّر فريق خبرائك. الفيروس الذي يرعبك حتى النّخاع. الفيروس لن يتوقف أبدًا دوننا».

ألقي نظرة سريعة حولي، أبحث عن أي شخص يتابعنا عن كثب. لا أحد.

أهمس: «أبناء الجهاد وراء هذا؟ سليمان سيندوروك؟»

«نعم. كنتَ على صواب حيال ذلك».

أبتلع ريقي على دفعات. «ما الذي يريده؟»

تلمع عينا أوجي بقوة، وتتغير ملامحه، ويسوده الارتباك. «ما الذي يريده؟»

أقول: «نعم. سليمان سيندوروك. ما الذي يريده؟»

«هذا ما لا أعرفه».

«أنت لا..». أجلس في مقعدي. ما الهدف من طلب فدية إذا كنت لا تعرف ما الذي تُطالب به؟ أكان مالًا، أو إطلاق سراح سجناء، عفوًا، أو تغييرًا في السياسة الخارجية - شيئًا ما. جاء إلى هنا لتهديدي، ليحصل على شيء ما، لكنه لا يعرف ماذا يريد؟

ربما مهمّته هي أن يقوم بالتهديد. شخص آخر، في وقت لاحق، سيعرض الطلب. جائز، لكنني لا أشعر أنّ هذا صحيح.

أقول: «أنت هنا لا تمثّل سليمان سيندوروك».

يرفع كتفيه. «لم تعد اهتماماتي تتوافق مع سليمان، هذا صحيح».

«كانت ذات مرة. لقد كنتَ أحد أبناء الجهاد».

تجعّدُ دمدمةٌ ما شفته العليا، يتصاعد اللّون إلى وجهه، ويطفر غضبٌ من عينيه. ويقول: «كنتُ، لكنني لم أعد كذلك».

غضبه، تلك الاستجابة العاطفية - الاستياء من أبناء الجهاد أو زعيمها، الصراع على السلطة، ربما - هو شيء أستغلّه في وقت لاحق، وهو شيء قد أكون قادرًا على استخدامه.

يصدّ المضرب كُرة الرامي بقوّة، فتعلو هتافات الحشود. تعزف الموسيقا من مُكبّرات الصوت. أحدهم يضرب مسار الهدف. بدا الأمر وكأنّ سنوات ضوئية تفصلنا عن لعبة البيسبول الجارية أمامنا في الوقت الحالي.

أفتح يدي، وأقول: «إذن، أخبرني ما الذي تريده».

يهزّ رأسه قائلًا: «ليس بعد». لا غرابة في ذلك.

أوّل رذاذ للمطر ينّقر يدي. رذاذ خفيف، متفرّق، لا شيء ثقيل، يجلب امتعاض الحشد الذي لا يتحرك رغم ذلك، ولا يندفع للاختباء.

يقول أوجي: «لنذهب الآن».

«نحن؟»

«نعم، نحن».

تسري قشعريرة في جسدي. لكني افترضت أنّ هذا

اللّقاء سينتقل في النهاية إلى موقع مختلف. ليس آمِنًا، لكن حتى هذا الاجتماع لم يكن آمِنًا أيضًا. لا شيء حول هذا آمِن.

«حسنًا» أقول وأبتعد عن المقعد.

«هاتفك، أمسكه في يدك». يقول لي.

أنظر إليه متسائلًا.

يقف أيضًا، ويهمس: «ستفهم لماذا بعد بُرهة» يقول.

26

تنفّس. استرخاء. تصويب على الهدف. ضغط.

تستلقي باخ على السطح، إلى أن تلتقط أنفاسها، أعصابها لا تزال متوترة، وعيناها تنظران عبر نطاق البندقية أسفل ملعب البيسبول، إلى بوّابة الملعب اليُسرى، مسترجعةً كلمات رانكو، معلّمها الأول، كان عود الأسنان يبرز من جانب فمه، وشعره الأحمر الناري الفوضويّ مثل فزّاعة أمسكت النار شعرها، كما وصف نفسه ذات مرة.

اجعلي جسدك مُحاذيًا للسلاح. فكّري في البندقية كجزءٍ من جسدك. الهدف جسدك، وليس السلاح.

يجب أن تبقي ثابتة.

اختاري نقطة تصويبك، وليس هدفك.

اسحبي مزلاج الزّناد. تنفصل سبابتك عن باقي قبْضتك.

لا، لا، لقد هززتِ السلاح. حافظي على ثبات قبْضتك. أنتِ لا تتنفسين بشكل جيّد. تنفسي بشكل طبيعي.

تنفّس. استرخاء. تصويب على الهدف. ضغط.

أُولى قطرات المطر تضرب عنقها. يمكن للمطر أن يعجّل الأحداث بشكل كبير.

تحرّك رأسها بعيدًا عن نطاق القناص وترفع منظارها لتتحقّق من فريقها.

الفريق الأول إلى الشمال من المَخرج، ثلاثة رجال

يجتمعون معًا، يتحدّثون ويضحكون، من خلال هيئتهم ليسوا أكثر من ثلاثة أصدقاء يلتقون معًا في الشارع ويتحدّثون.

الفريق الثاني إلى الجنوب من المَخرج، ويفعلون الشيء نفسه.

مباشرة أسفلها، على الجانب الآخر للشارع من الملعب، بعيدًا عن مرمى نظرها، يجب أن يكون فريقها الثالث، بالمثل معًا، ومستعدًا لوقف أي هروب في اتجاههم.

المَخرج مُطوّق بالفِرق، الفِرق مستعدة للإغلاق مثل الأفعى العاصِرة.

«يغادر مِقعده».

قلبها يقف، ويضخ الأدرينالين عبره، كما تنساب الكلمات من سماعة الأذن.

تنفّس.

استرخاء.

يتباطأ كل شيء حدّ الزّحف. ببطء. إنه هدف سهل.

لن يمضي تمامًا كما هو مخطط له. لن يحدث أبدًا. وجزء صغير منها، منافس لها، يفضّل ذلك عندما لا يكون، وعندما يتعين عليها إجراء تعديل في الحال.

«توجّهي إلى المَخرج». تسمع من خلال سماعة الأذن.

تقول: «الفريقان الأول والثاني، انطلِقا. الفريق الثالث، ابقَ مستعدًا».

«الفريق الأول، إنه هو، انطلاق». وتأتي الاستجابة.

«الفريق الثاني، إنه هو، انطلاق».

«الفريق الثالث ابقَ مستعدًّا».

تحرّك عينها إلى نطاق بندقيتها.

تتنفّس.

تسترخي.

تصوّب على الهدف.

تلفّ إصبعها حول الزناد، وتستعدّ للضغط.

27

توجّهنا أوجي وأنا نحو المَخرج، في اتجاه بوابة الملعب اليُسرى التي دخلت منها، هاتفي الذكي في متناول اليد كما وُجّهت. انسحبت حفنة من الناس من الملعب مع بداية زخّات المطر الأولى، لكن أغلب الثلاثين ألفًا من الجمهور حافظوا على ثقتهم في الوقت الحالي، لذلك لا نغادر مع حشود الناس. كنت أفضّل ذلك. لكن القرار ليس لي.

يبدو أنّ رباطة الجأش والثقة فارقت أوجي. ومع اقترابنا من المَخرج، نصبح أقرب إلى ما سيأتي بعد ذلك، ويصبح هو أكثر عصبية، وعيناه تندفعان، وأصابعه تهتزّ دون هدف. يتفحص هاتفه، ربما لمعرفة الوقت، وربما للبحث عن رسالة، لكني لا أستطيع أن أتيقّن مما يفعله لأن يديه تحيطان بهاتفه. نمر عبر البوابة. يتوقف بينما نحن ما زلنا تحت المنطقة المظللة، في الخارج الآن، وننظر إلى شارع الكابيتول لكننا ما زلنا مُحْمِيّين بين الجدران. ترْك الملعب له معنى بالنسبة إليه، فالتواجد وسط حشد من الناس آمن له.

ألقي نظرة على السماء، حيث السواد فيها لا نهاية له الآن، تسقط قطرة من المطر على خدّي.

يأخذ أوجي نفَسًا ويهمس. «الآن». يقول.

يتقدّم ببطء إلى الأمام، ويمر وراء جدران المنطقة المظللة على الرصيف. بعض الناس يتحركون، لكن العدد قليل. على يميننا، إلى الشمال، تقف شاحنة كبيرة تابعة لمؤسسة على الرصيف. إلى جانب ذلك، تحت مصباح الشارع

يقف عاملان من عمال النظافة يتعرّقان ويدخّنان السجائر في فترة استراحتهما.

إلى الجنوب، على يسارنا، سيارة شرطة مترو العاصمة متوقّفة على الرصيف، ولا أحد داخلها.

تُسحب شاحنة صغيرة مباشرة خلف سيارة الشرطة، المتوقفة على الرصيف بعيدًا عنّا حوالي عشر ياردات.

يبدو أنّ أوجي ينظر إليها، في محاولة لرؤية السائق. أنظر أيضًا لكن من الصعب التقاط التفاصيل، مع ذلك فإنّ الملامح واضحة: الخطوط العريضة لعظام أكتافها، الزوايا الحادة لوجهها. إنها شريكة أوجي، فتاة برينستون، نينا.

على ما يبدو، ردًّا على ذلك، تومِض دعامات الشاحنة المرتفعة مرتين. ثم تُطفأ أضواؤها تمامًا.

يُسقِط أوجي رأسه على هاتفه، ليضيء ردًّا على اهتزاز أصابع يده. ثم يتوقف، وينظر، وينتظر.

بقي هناك لحظة. وكل شيء بقي كما هو.

نوع من الإشارة، كما أفكّر مع نفسي. شيء ما على وشك الحدوث.

تلك كانت فكرتي الأخيرة، قبل أن يصبح كل شيء أسود.

28

أنا كاثرين إيمرسون براندت... أقسم رسميًّا... بأنني سأقوم بإخلاص بإدارة مكتب رئيس الولايات المتحدة... وسوف أبذل كل ما في وسعي... من أجل المحافظة على، وحماية، والدفاع عن... دستور الولايات المتحدة.

تضبط كاثي براندت سترتها، وتومئ لنفسها في مرآة الحمّام داخل مسكنها الخاص بنائبة الرئيس.

ليس من السّهل أن تكون نائبًا للرئيس، على الرغم من أنها تدرك جيدًا أنّ أناسًا لا يُحصى عددهم يتمنون أن يحلّوا محلها. لكن كم من هؤلاء الناس جاء في لحظة إعلان فوز المرشّحين بالرئاسة ليرى أحلامه تطير بعيدًا عنه بسبب فوز بطل حرب ذي مظهر جيّد وصارم وحِسّ دعابة فطِن؟

لقد وعدتْ نفسها في ليلة الثلاثاء العظيمة تلك، عندما جاءت نتائج التصويت من تكساس وجورجيا في وقت متأخر لصالح دنكان، أنها لن تتنازل، ولن تصادق عليه، وأنها - ليساعدها الرّب - لن تنضم إلى لائحة مرشحيه.

ثم فعلتْ كل تلك الأشياء.

وهي الآن طُفيليّة تعيش خارج مُضيفِها. إن ارتكبَ خطأً، فإنّها هي من ارتكبته. كما لو أنّ هذا ليس سيئًا بما يكفي، لذا عليها أن تدافع عن هذا الخطأ كما لو كانت هي نفسها من اتّخذت القرار بشأنه. وإن لم تفعل ذلك، إن فَصَلَتْ نفسها وانتقدت الرئيس، فهي غير مخلصة. وسيقوم النّقاد بجمعها مع دنكان على أي حال، كما سيهجرها

مؤيدوها بسبب إخفاقها في الوقوف إلى جانب رئيسها.

يا لها من رقصة هشّة.

أنا كاثرين إيمرسون براندت... أقسم رسميًّا...

يرِنّ هاتفها. ودون تفكير تمدّ يدها إلى حقيبة مستحضرات التجميل الصغيرة، حيث هاتف العمل، مع أنها تدرك أنّ النّغمة تعود إلى هاتفها الآخر. هاتفها الشخصي.

تخطو نحو غرفة النوم، وتلتقط الهاتف إلى جانب السرير. ترى هوية المتصل. تسري فيها رجفة.

ها نحن، تفكّر مع نفسها بينما تردّ على المكالمة.

29

سواد، لا شيء غير السواد.

يصيح ثلاثون ألف مشجّع في انسجام في خلفيّة الملعب بينما يتدفق كل شيء في الظلام، المصابيح، والمباني، وإشارات المرور، والكهرباء المقطوعة عن الشوارع كلّها. المصابيح الأمامية القادمة من حركة السيارات في شارع الكابيتول بدت مثل هالات من الضوء تَعْبر، والأضواء الكاشفة التي تجتاح الرّصيف، في حين أنّ الهواتف الذكية هي اليراعات التي ترقص في الظلام.

«استخدم هاتفك». يقول أوجي، بصوته المُتوتّر، ويرتطم بذراعي. «تعال، عجّل!»

نتسابق في الظلام نحو سيارة نينا، وهواتفنا أمامنا لإضاءة خافتة.

يذهب الضوء إلى داخل الشاحنة بينما يُفتح الباب الهيدروليكي لنا. الآن يقابل الظلام من حولنا، تبرز ملامح فتاة برينستون بشكل كامل، وجه نموذجي نحيل منحوت، وحاجباها متشابكان بإحكام قلقًا، فيما تمسك عجلة القيادة. يبدو أنها تقول شيئًا، ربما تقول لنا أن نسرع... تمامًا في لحظة تهشّم زجاج النافذة الجانبيّ للسائق، وينفجر الجانب الأيسر من وجهها، والدّم والنّسيج والدّماغ ترش الزجاج الأمامي.

رأسها يتدلّى على يمينها، وحزام الأمان يُكبّلها، بقيت شفتاها مزمومتين في منتصف الكلام، عيناها الأشبه بعيون الظّباء تحدّقان في الفراغ إلى جانب الحفرة الملطّخة بالدّماء

على الجانب الأيسر من جمجمتها. وأنا مثل طفل خائف بريء، فجأة لم يعد خائفًا، بات الآن في سلام...

إن كنتَ مجبرًا على تلقّي رصاص عدوّك، انخفض أو قرْفص إلى أن ينتهي الأمر.

«لـ..لا...لا!» يصيح أوجي...

«أوجي..».

أقرّر بسرعة التركيز، وأمسكه من كتفيه، وأشدّه إلى الأسفل، ليسقط مقابل سيارة شرطة مترو العاصمة المتوقّفة شمال الشاحنة، يهبط على رأسه على الرّصيف. حولنا، تندلع انفجارات صغيرة في حجارة الرّصيف كما يَصْفُر الهواء مع المقذوفات. وتتكسّر نوافذ سيارة الشرطة، ويمطر الزجاج علينا. أمّا جدران الملعب فلفظت الحجارة والرّماد صوبنا.

فوضى الصراخ والعويل، وصرير الإطارات المشتعلة، وأبواق السيارات، وكل ما كُتِم من طَرَقات، داخل رأسي، وتتسارع نبضات قلبي. تنهار سيارة الشرطة تحت وابل من الرصاص الذي لا هوادة فيه.

أدفع أوجي على سطح الرصيف وأندفع للعثور على ساق بنطاله، المسدّس في جِرابه عند كاحله. من خلال اندفاع الأدرينالين تقرع نبضاتي بعنف بين أذنَيْ، أكثر من أي وقت مضى خلال القتال. لا يترك أبدًا جنديًّا مخضرمًا مثلي.

إنّه مسدّس جلوك، أخفّ من مسدسات شركة بيريتا التي تدرّبت عليها، مع مقبض أفضل، كما سمعت أنها

دقيقة، لكن الأسلحة تشبه السيارات - أنت تعرف أنّ لها معايير قياسية مثل الأضواء والتشغيل ومساحات الزجاج الأمامية، لكنّ الأمر لا يزال يستغرق بضع ثوان لتكشفهم عندما يكونون غير مألوفين. لذلك أحرق اللحظات الثمينة التي أشعر بها قبل أن أكون مستعدًّا للتصويب والإطلاق...

إلى الجنوب، هناك ضوء يسطع على الرصيف من الباب الجانبي للشاحنة. من العتمة، يظهر ثلاثة رجال في قلب الحدث، يركضون نحونا. أحدهم، ضخم بعضلات، لديه سُلطة على الرجلين الآخرين، يركض نحوي عبر ضوء الشاحنة، ويحمل مسدسًا للأسفل بكلتا يديه.

أُطلِق النار مرتين عليه، وأصوّب لمركز جسده الذي يتدلّى ويسقط إلى الأمام. لا أشاهد الاثنين الآخَرين يفِرّان في الظلام... أين هما... كم جولةً لديّ... هل هناك آخرون على الجانب الآخر... هل هذا سحر من عشر جولات... أين الشابان الآخران؟

أنتقل إلى يساري حيث تتلقّى سيارة الشرطة رصاصتين. وأنحني بجسدي فوق أوجي. أدير رأسي إلى اليسار، وإلى اليمين، ثم إلى اليسار، باحثًا في الظلام، فيما تأتي المزيد من الانفجارات على الرصيف المحيط بنا. يحاول القنّاص في كل زاوية الوصول إلينا لكنه لا يتمكن من ذلك. ما دمنا نحتفظ بانحنائنا خلف السيارة، فإن القنّاص، أينما كان، لا يمكن أن يصيبنا.

لكن ما دُمنا جاثمين على الأرض، فنحن نجلس جلوس البطة المنتظرة موتها.

يضغط أوجي للأعلى. «علينا أن نركض، يجب أن نركض..».

«لا تتحرك!» أصرخ، وأضغط عليه، وأبقيه ممدّدًا. «إذا ركضنا سنموت».

لا يزال أوجي صامدًا. وأنا كذلك، في شرنقة الظلام. هناك ضجيج من الملعب، وفوضى عامة آتية من العتمة، وإطارات تتمزّق، وأبواق سيارات، لكن لم يعد الرصاص يرشق سيارة الشرطة.

أو الرصيف المحيط بنا.

أو جدار الملعب المقابل لنا.

توقف القنّاص عن إطلاق النار. توقف عن إطلاق النار لأنه...

أستدير مرة أخرى وأشاهد رجلًا يقترب إلى جانب السائق من الشاحنة، مضاء بضوء القبة الداخلية، وهو سلاح يصل إلى مستوى الكتف. أسحب الزناد مرة واحدة، ومرتين، وثلاث مرات في الوقت الذي ينفجر الضوء من سلاحه، أيضًا، ترتدّ النيران عن غطاء محرك السيارة في تبادل لإطلاق النار، لكن لدي مزية، أنني أجثم منخفضًا في الظلام بينما هو يقف في النور.

أخاطر بنظرة أخرى نحو غطاء المحرك، ونبضي مثل موجة صدميّة تعبر جسدي. لا توجد إشارة على مطلق النار أو العضو الثالث.

صرير المكابح الحاد، صرخات الرجال، الأصوات التي

أدركها، الكلمات التي أعرفها...

«الخدمة السّرية الوطنية! الخدمة السّرية الوطنية!»

أخفض مسدّسي وهم فوقي، يحيطونني بأسلحة أوتوماتيكية مدرّبة في كل الاتجاهات بينما يمسك بي شخص ما تحت السلاح ويرفعني، وأنا أحاول أن أقول لهم «قنّاص» لكنني لستُ متأكدًا مما إذا كانت ستخرج مني، أفكّر فيها لكني لا أتمكّن من التفوّه بها، ولا يمكنني أن أصرخ «اذهب! اذهب! اذهب!» وأُحْمَل في سيارة منتظِرة، أحاطها من كل جانب أشخاص تدرّبوا على التضحية بحياتهم من أجلي...

ومن ثَم عمّ المكان ضوء يعمي العيون، وسادت همهمة صاخبة، وأضاء كل شيء مرة أخرى، وسطع مثل ضوء كشّاف في وجهي، وعادت الكهرباء من حولنا.

أسمع نفسي أقول: «أوجي» و«أحْضِره»». ثم يُغلق الباب وأنا مستلق في السيارة وأصيح: «اذهب! اذهب! اذهب!» ونحن نسير بسرعة على أرض غير مستوية، في الوسط العشبي وسط شارع الكابيتول.

«هل أُصبت؟ هل أصبت؟» يمرّر أليكس تريمبل يده بِجَزَع على جسدي، باحثًا عن علامات لأي جروح.

«لا». أجيب، لكنه لا يأخذ بِرَدّي، مُتحسّسًا صدري وجذعي، ورغمًا عني يقْلِبني على جانبي لفحص ظهري، ورقبتي، ورأسي، ثم ساقي.

«لم يُصَب». يصيح أليكس.

أقول: «أوجي...الولد».

«سيدي الرئيس معنا. إنه في السيارة خلفنا».

«الفتاة التي أصيبت بالرصاص... جَلَبْناها أيضًا».

يزفر، وينظر خارج النافذة خلفه، ويتباطأ الأدرينالين.

«يمكن لشرطة العاصمة أن يعالجوا..».

«لا، أليكس، لا». أقول: «الفتاة... إنها ميتة... تحفّظ عليها... أيًّا كان... مهما كان ما عليك أن تخبره لشرطة العاصمة..».

«نعم، يا سيدي».

أليكس ينادي السائق. فيما أحاول معالجة ما حدث للتّو. توجد نقاط، متناثرة مثل النجوم في مجرة، لكنني لا أستطيع توصيلها، ليس الآن.

هاتفي يرِنّ. أجد أنه في المساحة الفارغة للأقدام من مقدّمة المقعد الخلفي. كارولين. يمكن أن تكون كارولين فقط.

أُخبِر أليكس: «أحتاج... إلى الهاتف».

يمدّ يده إليه ويضعه في يدي المرتجفة. عدد الرسائل الواردة من كارولين واحدة. أفكاري مبعثرة للغاية الآن لتذكر اسم معلّمة الصف الأول. أستطيع أن أتصوّر هيئتها. كانت طويلة، وأنفها كبير معقوف...

أنا بحاجة لتذكّر ذلك. أنا بحاجة للرد عليها. إذا لم أقم...

ريتشاردس. لا، ريتشاردسون، السيدة ريتشاردسون.

يقفز الهاتف من يدي. أرتعش بشدة فلا أستطيع حمله، كما لا أستطيع الكتابة فيه. أقول لأليكس ما يكتب في الهاتف، ويفعل ذلك لأجلي.

أقول: «أريد أن أركب... مع أوجي. الـ.. رجل الذي كنتُ معه».

«سنلتقي في البيت الأبيض، سيدي الرئيس، ويمكننا..».

«لا». أقول: «لا».

«لا ماذا، يا سيدي؟»

أقول: «لن نعود... إلى البيت الأبيض».

30

لا نتوقّف إلى أن نصل الطريق السّريعة، ثم آمر أليكس أن يأخذ المَخرج. وأخيرًا تنفتح السماء، مُعلنة هطول الأمطار الغزيرة كأنّها تعاقب زجاج السيارة الأمامي، وتحلّق مسّاحات الزجاج الأمامي ذهابًا وإيابًا، فيما الإيقاع العاجل يتزامن مع تسارع نبضات قلبي.

يتحدث أليكس تريمبل بصوت مرتفع مع أحدهم على الهاتف مُبقيًا عينًا واحدة عليّ، ليتأكد من أنني لستُ في حالة صدمة. الصدمة هي الكلمة الخطأ. يتلاشى الأدرينالين من جسدي عندما أستعيد الأحداث، ثم يعود بالتدريج عند معرفته بأنني آمِن داخل هذه السيارة، ثم أعود بثأر أكبر، كما لو كان جسدي في حالة مدّ عالٍ.

إلى أن أموت، أنا على قيد الحياة. تلك كانت ترنيمتي المستمرة عندما كنت أسير حرب، عندما استحالت الأيام إلى ليالي في زنزانتي التي دون نوافذ، وكانوا يلفّون حول وجهي منشفة ويبلّلونها بالماء، ويستخدمون الكلاب، وحين كانوا يعصبون عينيّ ويرتّلون صلواتهم ويضربون صدغي بالمسدس.

أنا مفعم بالحياة. أنا على قيد الحياة لفترة بسيطة لكن أكثر من أي وقت مضى، النشوة التي تملأ جسدي بالكهرباء، كل إحساس يتصاعد الآن، رائحة المقاعد الجلدية، وطعم المرارة في فمي، والشعور بالعرق يسيل من وجهي.

«لا أستطيع أن أخبركم أكثر من ذلك». يقول أليكس

في هاتفه لشخص من قسم الشرطة، ساحباً الرُّتب - أو محاولًا سحبها. لن يكون الأمر سهلًا. لدينا الكثير لنقوم بشرحه. لا بدّ أنّ شارع كابيتول يبدو مثل منطقة حرب صغيرة: رصيف مدمّر، وواجهة جدار واحد من متنزّه المواطنين تعرّضت لأعيرة نارية، والسيارة التابعة لشرطة مترو العاصمة تمتلئ بالرصاص، وشظايا الزجاج في كل مكان. وأجساد، ثلاثة منهم على الأقل - الرجل الضّخم الذي ركض نحوي، والعضو الآخر من عصابته الذي حاول التّسلّل حول الشاحنة للوصول إلينا، ونينا.

أُمسك بأليكس من طرف ذراعه. يلتفت نحوي، ويقول لمن معه على الهاتف: «سأعاود الاتصال بك». ويضع هاتفه.

« كم عدد القتلى؟» أسأل، خوفًا من الأسوأ، سقط أبرياء من وابل رصاص القنّاصة، أو من ملاحقة الفريق على الأرض.

«الفتاة التي كانت في الشاحنة فقط، يا سيدي».

«ماذا عن الرجال؟ كان هناك اثنان منهم ».

يهزّ رأسه، ويقول: «رحلوا يا سيدي. من كان معهم لا بدّ أنه أخذهم بعيدًا. كان ذلك هجومًا مُنسّقًا جيّدًا».

دون شك. قنّاص على الأقل، وفريق واحد على الأرض.

ومع ذلك، ما زلتُ على قيد الحياة.

«لقد أزلنا للتّو الفتاة من مسرح العمليات، يا سيدي.

أخبرناهم أنه تحقيق مُزيّف للخدمة السّرية الوطنية».

كانت تلك خدعة ذكية. لكنها لم تكن سهلة – تحقيق مُزيّف ينتهي بإطلاق نار دموي خارج ملعب البيسبول – لكن أليكس لم يكن لديه أيّ أوراق أخرى يلعب بها.

«أعتقد أنّ هذا أفضل من القول بأن الرئيس كان يتسلّل إلى لعبة البيسبول، عندما حاول شخص ما اغتياله».

«فكّرت في الأمر نفسه، يا سيدي». يقول أليكس، بوجه جامد.

ألتقي بعينيه. إنه يؤنّبني. وينطِق، دون أن ينطِق بذلك، إنّ هذا نوع من التعقيد الذي ينتج عندما يتخلّى رئيس عن أمْنه.

لقد ساهمت العتمة في ذلك» يقول، مما سمح لي بالخروج من المأزق. «وضجيج الملعب أيضًا. كان هناك هرج ومرج. والآن تمطر مثل الجحيم، حتى الآن، هناك ثلاثون، أو أربعون ألف شخص يتدافعون خارج الملعب بينما تحاول الشرطة معرفة ما حدث للتوّ، في حين أنّ الأمطار تغسل معظم الأدلة الجنائية».

إنه على حق. الفوضى، في هذه الحالة، جيدة. سيكون الإعلام هناك في كل هذا، لكن معظمها حدث في ظلام دامس، وسوف تقوم وزارة الخزانة بكنس ما تبقى تحت السجادة كتحقيق رسمي. هل سيُجدي ذلك؟ مِن الأفضل أن يُجدي.

«أنتَ تعقّبتني». أقول له.

يردّ مستهجنًا: «ليس تمامًا، يا سيدي. عندما جاءت المرأة إلى البيت الأبيض، كان علينا أن نبحث عنها».

«لقد قمتَ بمسح الظّرف».

«كما هو الأمر بطبيعة الحال» يقول.

هذا صحيح. وأظهرت التذكرة لعبة الليلة في الناشيونال بارك. كانت أفكاري مبعثرة جدًا، لم أفكر حتى في ذلك.

ينظر أليكس إليّ، مما يمنحني فرصة لتوبيخه. لكن من الصعب أن توبّخ الشخص الذي أنقذ حياتك. أقول: «شكرًا لك، أليكس. مِن الآن، لا تعصِني مرة أخرى».

نحن الآن خارج الطريق السريع، ونتمهّل في مساحة مفتوحة، وبعض مواقف السيارات الكبيرة فارغة في هذا الوقت من الليل. بالكاد أرى سيارتنا الثانية من بين زخّات الأمطار. وبالكاد أستطيع رؤية أي شيء.

أقول له: «اجلب أوجي هنا معي».

«إنه بمثابة تهديد يا سيدي».

«لا، إنه ليس كذلك». على الأقل، ليس بالطريقة التي يعنيها أليكس.

«أنت لا تعرف ذلك يا سيدي. ربما كانت مهمّته هي إخراجك من الملعب..».

«لو كنتُ الهدف، يا أليكس، لكنتُ الآن ميتًا. يمكن أن يكون أوجي نفسه قد قتلني. وأَطلق القنّاص النار على نينا أولًا. أتصوّر أنّ الهدف الثاني كان أوجي وليس أنا».

«سيدي الرئيس، وظيفتي هي افتراض أنك الهدف».

أقول: «جميل. قيّده إن أردت. ألبسه سترة قيد ملعونة. لكنه سيركب معي».

«إنه مُقيّد بالفعل، يا سيدي. إنه... منزعج جدًا». يفكّر أليكس لحظة، ويتابع: «سيدي، قد يكون من الأفضل إذا تبعته في سيارة أخرى. أحتاج إلى البقاء على مقربة مما يجري في الملعب. تريد شرطة مترو العاصمة إجابات..».

وفقط هو يمكنه تسيير هذا الوضع. وهو فحسب من يعرف ما يقال وما لا يقال.

«جاكوبسون سيركب معك يا سيدي».

أقول: «حسنًا. فقط أَحضِر أوجي إلى هنا».

يتحدّث عبر قطعة اللاسلكي المُثبّتة في سترته. بعد لحظة، يفتح الباب الجانبي لسيارة. يبذل بعض الجهد بينما تصْفُر الرّيح العاتية بالقرب من السيارة، ويتطاير المطر الذي لا يمكن لأحد تجنّبه.

يعيد العملاء ترتيب أنفسهم. قام جاكوبسون، القائد الثاني بعد أليكس، بالصعود إلى السيارة بعد لحظات. جاكوبسون أصغر سنًا من أليكس، صارم ورشيق مع شِدّة لا هوادة فيها. إنه مبتلّ؛ ترشح قطرات المطر من سترته الواقية آخذًا المقعد جواري.

يقول: «سيدي الرئيس». بطريقة تعكس الحقيقة فقط، لكن مع شعور بأنّ هناك أمر مستعجل، وهو ينظر إلى الباب، وعلى استعداد للصعود.

بعد لحظة، يفعل ذلك فقط، يتقدم لأخذ عملية النقل

من عميل آخر. يطلّ رأس أوجي من الباب، ثم باقي جسده، حيث دفعه جاكوبسون بعنف إلى أحد المقاعد المتواجدة قربي في المقصورة الخلفية. قُيِّدَت يدا أوجي إلى الأمام. يتدلّى شعره الرّطْب على وجهه.

«أنت اجلس هناك ولا تتحرك، أتفهم؟» يصيح جاكوبسون في وجهه، ويُكرّر: «أتفهم؟»

يضرب أوجي ما حوله ضربًا، ويعمل على دفع حزام الأمان الذي شدّه جاكوبسون بإحكام حوله.

قلت له: «إنه يفهم». يجلس جاكوبسون إلى جانبي ويميل إلى الأمام مستندًا على مقدمة باطن قدميه.

عينا أوجي هي أفضل ما أستطيع رؤيته من خلال الشّعر الذي يلامس خدّيه، وأخيرًا يتواصل معي. ربما كان يبكي، على الرغم من أنه من المستحيل أن نرى ذلك على وجهه المُبتلّ بالأمطار. تتّسع عيناه بغضب شديد.

«لقد قتلتها!» يبصق. «لقد قتلتها!»

«أوجي». أقول بواقعية، في محاولة لتهدئته عبر نبرة صوتي، وأكمِل: «هذا لا معنى له. هذه كانت خطتك، وليست خطتي».

يتلوّى وجهه ألمًا حتى أنه يكاد يزمجر، وتنهمر الدموع على وجهه، باكيًا مُنتحِبًا. يمكن أن يكون ممثّلًا يصوّر سجينًا في ملجأ، يُجلَد فيما هو مُكبّل، يئِنّ ويلعن ويصرخ، باستثناء أنّ ألمه حقيقي، وليس نتاج قلب مكسور.

ليس هناك أي داعٍ لإخباره بأي شيء حتى الآن. إنه

يحتاج إلى الخروج من هذا أولًا.

تبدأ السيارة في التحرك مرة أخرى، والعودة إلى الطريق السريع، إلى وجهتنا. ستكون رحلة طويلة قبل أن نصل إلى هناك.

نركب بصمت لبعض الوقت، حيث أوجي، مُكبّل بالأغلال، يغمغم في كلمات تتناوب بين اللغة الإنجليزية ولغته الأم، كما يزمجر عاليًا بألم، فيما يناضل من أجل أن يتنفس بين نوباته.

أستخدم الدقائق القليلة التالية للتفكير في الأمور، لفرز ما حدث للتوّ. أطرح الأسئلة على نفسي. لماذا أنا على قيد الحياة؟ لماذا قُتلتْ الفتاة أولًا؟ ومن أرسل هؤلاء الناس؟

أتوه في هذه الأفكار، فجأة أُصبح على بيّنة من الصمت الذي عمّ في السيارة. يراقبني أوجي، في انتظار أن ألْحظ ذلك.

«أنت تتوقع مني...». يقول كاسرًا الصمت بصوته، ويُكمِل: «أتتوقّع مني أن أساعدك بعد كل هذا؟»

31

تغادر باخ بهدوء عبر مَخْرج المبنى الخلفي، مرتدية معطفها الواقي ذا الأزرار التي تصل إلى عنقها، وحقيبة على كتفها، ومظلة تخفي وجهها، ثم تأخذ في الدندنة مع تساقط المطر: رات، آ، تات، تات. تنطلق إلى الشارع في الوقت الذي تدوّي فيه صفّارات إنذار الشرطة، وتتوافد سيارات الشرطة والدّفاع والإنقاذ في الشارع التالي لشارع الكابيتول، في اتجاه الملعب.

رانكو، مُعلّمها الأول، الفزاعة ذات الشّعر الأحمر- الجندي الصربي الذي أشفق عليها بعد ما فعله رجاله بوالدها، الذي أخذها تحت جناحه (وتحت جسده) - ربما علّمها كيفية التصويب، لكنه لم يعلّمها أبدًا فن الإخلاء. لم يكن القنّاص الصربي في حاجة لأحد، ولم يضطر أبدًا إلى مغادرة جبل تريبيفيتش في البوسنة، حيث أطلق النار على المواطنين والأهداف العسكرية المعارضة على حدّ سواء خلال الحرب التي أطبق فيها جيشه على خناق سراييفو مثل ثعبان.

لا، قامت باخ بتدريب نفسها على عملية الإخلاء، مسارات للفرار مخطَّط لها والتحرّكات السّرية عند البحث عن الطعام في الأزقة الخلفية أو في حاويات القمامة في السوق، وتفادي الألغام الأرضية، والتفتيش الدّقيق للقنّاصة وكمائن الشرطة، والاستماع إلى التهديد الدائم لقذائف الهاون أو في الليل لثرثرة الجنود السكارى خارج أوقات الخدمة الذين لا يحترمون القواعد التي تخص

الفتيات الصغيرات المدنيات البوسنيات اللواتي يعثرون عليهن في الشارع.

في بعض الأحيان، بينما كانت تصطاد للحصول على الخبز أو الأرز أو الحطب، كانت باخ سريعة بما يكفي للابتعاد عن الجنود. وأحيانًا لم تكن كذلك.

«لدينا تذكرتان إضافيتان». يأتي صوت رجل عبر سماعة أذنها.

تذكرتان - أي جريحان.

تسأل: «هل يمكن إعادتهما إلى المنزل؟»

يجيب: «ليس لدينا وقت». حالتهم الطّبية مُلِحّة، هذا ما يعنيه.

وتقول: «سيكون الأمر على ما يرام في المنزل. ألقاك هناك».

يجب أن يعلموا بالفعل أنّ الخيار الوحيد هو نقطة الإخلاء. إنهم يشعرون بالذعر، ويفقدون التركيز. ربما كان وصول الخدمة السّرية الوطنية هو الذي تسبّب بذلك، أو ربما كان انقطاع الكهرباء، هو ما يجب أن تعترف به أنه مناورة تكتيكية مثيرة للإعجاب. كانت على استعداد، بالطبع، لتحويل مجال رؤيتها إلى وضع الرؤية الليلية لكنها كانت ستؤثّر بوضوح على الفِرق الأرضية.

تنزع سماعة أذنها وتضعها في الجيب الأيمن لمعطفها الواقي.

تمدّ يدها إلى جيبها الأيسر وتضع سماعة أذن مختلفة في

أذنها.

وتقول: «اللعبة لم تنته بعد. لقد اتّجهوا شمالًا».

32

يقول أوجي: «كانوا... إنهم عملاؤك». صدره منتفخ، وعيناه منتفختان جدًا، ومحمرّتان من البكاء، يبدو وكأنه شخص مختلف. إنه يبدو كصبي، وهذا ما هو عليه بالضبط.

«لم يُطلِق عملائي النّار على صديقتك، أوجي» أقول، في محاولة للتعبير عن التعاطف، لكن أيضًا، أكثر من أي شيء آخر، الهدوء والتعقل. أتابع: «مَن أطلق الرصاص عليها كان يطلق النار علينا أيضًا. إنّ عملائي هم السبب في أمننا وسلامتنا في السيارة هذه».

لا يفعل شيئًا لكفكفة دموعه. لا أعرف حدود علاقته مع نينا، لكن من الواضح أنّ أزمته أكثر من مجرد خوف. أيًّا كانت بالنسبة إليه، فهو يهتم لأمرها كثيرًا.

أنا آسف لخسارته، لكن ليس لدي الوقت كي أحزن. عليّ أن أُبقي عينيّ على الغنيمة. لدي ثلاثمئة مليون شخص لحمايتي. لذا فإن سؤالي الوحيد هو كيف يمكنني استخدام عاطفته لصالحي. لأن هذا قد يحوّل الأمور نحو الأسوأ بسرعة. إن صدّقتُ ما أخبرتني به نينا في المكتب البيضَوي، فقد حملت هي وأوجي أجزاء مختلفة من المعلومات، أجزاء مختلفة من الأحجية. والآن هي ميتة. إذا خسرتُ أوجي الآن، أيضًا - إن كان يهدّدني - لن يكون في حوزتي شيء.

السائق، هو العميل ديفيس، إنه هادئ حيث يركز على الطريق في الطقس المتقلّب. الراكب الأمامي، هو الموظف أونتيفروس، يسحب اللاسلكي من لوحة

القيادة ويتحدث عبره بهدوء. جاكوبسون، إلى جانبي في المقصورة الخلفية، إصبعه على سماعة أذنه، يستمع باهتمام إلى ما يتلقّاه من تحديثات من أليكس تريمبل في السيارة الأخرى.

يقول جاكوبسون: «سيدي الرئيس، صادرنا الشاحنة التي كانت تقودها. تمّ إخلاؤها هي والشاحنة على حد سواء من المشهد. كل ما تبقى هو رصيف مُحطّم وسيارة شرطة مترو العاصمة مليء بالأعيرة النارية حتى الجحيم. وحفنة من رجال الشرطة المغرورين» يُضيف.

أميل صوب جاكوبسون؛ ليتمكّن هو فقط من سماعي. «تحفَّظ على جسد المرأة والشاحنة تحت الحراسة. هل نعرف كيف نتحفّظ على جثة؟»

يومئ بشدّة قائلًا: «سنكتشف ذلك، يا سيدي».

«هذا يبقى مع جهاز الخدمة السّرية الوطنية».

«أفهم يا سيدي».

«أعطني الآن المفتاح لأصفاد أوجي».

يتراجع جاكوبسون، ويقول: «سيدي الرئيس؟»

أنا لا أكرّر قولي. ليس على الرئيس أن يفعل ذلك. فقط أمعن النظر في عينيه.

كان جاكوبسون من القوات الخاصة، مثلما كنتُ منذ زمن بعيد، لكن هذا هو المكان الذي ينتهي فيه من مثلنا. لم تولد شدته من الانضباط أو الولاء للواجب بقدر ما هي أسلوب حياة. لا يبدو أنه يعرف طريقة أخرى. إنه من

النوع الذي يخرج من الفراش في الصباح فورًا إلى أداء مئة تمرين شَدّ المعدة. إنه جندي يبحث عن حرب، وبطل يبحث عن لحظة بطولة.

يسلّمني المفتاح، ويقول: «سيدي الرئيس، أقترح عليك السماح لي القيام بذلك».

«لا».

أُظهِر المفتاح لأوجي، وكأني قد أمدّ يدًا تحذيرية إلى حيوان مصاب للإشارة إلى نهجي. اشتركنا للتوّ في تجربة مؤلمة، لكن أوجي لا يزال لغزًا لي. كل ما أعرفه هو أنه كان في يوم ما أحد أبناء الجهاد، وهو الآن ليس كذلك. لا أعرف السبب. لا أعرف ماذا يريد من هذا. أعلم أنه ليس هنا من أجل لا شيء. لا أحد يفعل أي شيء من أجل لا شيء.

أنتقل إلى جانبه في المقصورة الخلفية. رائحة الملابس الرطبة ورائحة الجسد والعرق. أميل نحوه وأُدخِل المفتاح في الأصفاد.

أهمس في أذنه: «أوجي، أعلم أنك تهتم لها».

«أنا أحبها».

«حسنًا. أعلم ما الذي يعنيه أن تخسر شخصًا تحبه. عندما فقدتُ زوجتي، كان عليّ أن أمضي دون أن أضيّعها. هذا ما يتعيّن علينا القيام به الآن، أنت وأنا. سيكون لديك كثير من الوقت لتحزن، لكن ليس الآن. جئتني لسبب ما. لا أعرفه، لكن يجب أن يكون مهمًّا حدّ أنك خُضْتَ كل هذه المشكلة وأخذت على عاتقك هذا الخطر الكبير.

لقد وثقتَ بي من قبل، ثِق بي الآن».

يهمس: «وثقتُ بك، والآن هي ميتة».

قلت: «وإن لم تساعدني الآن، فمن ستساعد؟ الناس الذين قتلوها للتوّ؟»

يمكنني سماع صوت أنفاسه المتلاحقة بينما أنسحب، وأعود إلى مقعدي، والأصفاد تتدلّى من إصبعي.

يسند جاكوبسون كتفي ليضبط جلستي كي أستريح بقية الطريق، ويربط لي حزام الأمان. هؤلاء حقًا يقدّمون خدمة كاملة.

يمسّد أوجي معصميه وينظر إليّ بنظرة أخرى ليس فيها كراهية. بل فضول، وتعجّب. يعرف أنّ ما أقوله يبدو منطقيًّا. إنه يعلم مدى قربه وأنا جئتُ للموت، لأتمكن من احتجازه، واستجوابه، وحتى قتله، لكن بدلًا من ذلك، قمت بتقديم عرض منذ البداية.

«إلى أين نحن ذاهبون؟» يسأل بصوت حياديّ.

«إلى مكان خاص» أقول بينما نأخذ الطريق السريع على الجسر فوق بوتوماك، مرورًا إلى فيرجينيا، وأضيف: «إلى مكان نكون فيه آمنين».

«آمِن». يكرّر أوجي، وينظر بعيدًا.

«ما هذا؟» يلمح ديفيس، السائق. «مسار دراجة، الساعة الثانية..».

«ماذا..».

قبل أن يتمكّن العميل أونتيفروس من إنهاء جملته،

يحدث أن يضرب شيء ما وسط الزجاج الأمامي بِدويّ صاخب، ويغرقه في الظلام. رشقات نارية تنفجر من مؤخرة السيارة، الرصاص على الجانب الأيمن لسيارتنا المُدرّعة، إنه فخ.

«أخرِجنا من هنا!» يصرخ جاكوبسون، عندما أصطدم به، ويتخبّط بحثًا عن سلاحه، بينما تخرج سيارتنا عن السيطرة على برك الأمطار وتدور على جسر شارع 14 تحت نيران معادية.

عزيزي القارئ، إن كنت تقرأ هذا الكتاب من موقع إلكتروني أو على شكل كتاب مطبوع، فتأكد من أنك تقرأ كتاب مسروق وليس لمن أخذه الحق في ذلك، وهذه النسخة مجانية بشكل كامل على قناة ضَاد في تطبيق تيليجرام. فتأكد من أنك مشترك فالقناة وتحمل الكتاب منها. أعتذر على المقاطعة، قراءة ممتعة.

33

لتجنّب زخات المطر، تتشبّث باخ بالمظلّة، التي بفعل الرياح العاتية تنتفخ وتنحرف جانبًا، وتجبرها على المشي بتثاقل، وهو ما لا تفضّله.

هكذا أمطرت في المرة الأولى التي أتى فيها الجنود.

تتذكر زخّات المطر على السطح. العتمة في منزلها، بعد انقطاع الكهرباء عدة أسابيع عن الحي. دفء النار في غرفة المعيشة. اندفاع الهواء البارد عند فتح باب منزلهم الأمامي، فكرتها الأولى عن كونها سبب رياح العاصفة. ثم صراخ الجنود، وزخّات من الرصاص، وتحطّم الأطباق في المطبخ، واحتجاجات والدها الغاضبة وهم يجرّونه خارج المنزل. كانت تلك آخر مرة سمعتْ فيها صوته.

وأخيرًا تصل إلى المستودع وتدخل عبر الباب الخلفي، وتجعل مظلّتها خلفها لتتمكّن من عبور الباب وتضعها مفتوحة ومقلوبة رأسًا على عقب، على الأرضية الخرسانية. وهي تسمع الرجال بالقرب من واجهة الفضاء المكشوف، حيث يقومون برعاية الجرحى، ويصرخ بعضهم على بعض، ويتلاومون بلغة لا تفهمها.

لكنها تدرك الذعر في كل اللّغات.

تركت كعْبها ينقر بصوت عالٍ بما يكفي كي يسمعوا مجيئها. لم تكن تريد أن تعيّن ساعةً وصولها خشية أن يكون هناك كمين ينتظرها - العادات القديمة تنتهي بمشقّة - لكن بالمثل لم تجد أي مزية في إثارة مجموعة من الرجال العنيفين، والمدجّجين بالسلاح.

يلتفت الرجال إلى صوت كعبها الذي يتردّد في السقف العالي للمستودع، اثنان من التسعة وصلوا بشكل غريزي لأسلحتهم قبل الاستراحة.

بينما هي تقترب، يقول قائد الفريق، الرجل الأصلع، الذي ما زال في قميصه الأزرق الباهت والبنطال الدّاكن: «لقد أفلت منّا».

تفرّق الرجال، ليفسحوا لها الطريق، لتجد رجلين يميلان على الصناديق. بدا لها أنّ أحدهما لاعب كمال أجسام، وهو من لم يرُق لها بتاتًا، بعينيه المغمضتين بشدة، ووجهه العابس المتكدّر، وقميصه المنزوع، وكتفه الأيمن الملفوف بالشاش. على الأرجح، نُظّف تمامًا وبشتى الطرق نتصوّر الكثير من العضلات والأنسجة لكن دون عظام.

والثاني أيضًا عاري الصّدر، ويتنفس بصعوبة، وعيناه جامدتان، ولونه شاحب، بينما يضغط رجل آخر على خِرقة دامية على الجانب الأيسر من صدره.

«أين المساعدة الطبية؟» يسأل رجل آخر.

لم تختر هذا الفريق. وتمّ طمأنتها أنه يضم بعض أفضل العناصر في العالم. وبالنّظر إلى أنهم قاموا بتوظيفها، وبالنّظر إلى ما دفعوه لها، فقد افترضتْ أنهم لا يدّخرون أي نفقات في الحصول على أفضل تسعة عملاء متاحين لهذا الجزء من المهمة.

من جيب معطفها الخشن تنزع مسدسها، جهاز كاتم الصوت مثبّت بفوهة المسدس، وتطلق رصاصة تخترق جسد رجل كمال الأجسام، ثم رصاصة أخرى عبر جمجمة

الرجل الثاني.

الآن يتوفّر سبعة من أفضل العناصر.

أما الرجال الآخرون فيعودون خطوة إلى الوراء، مذهولين في صمت من خلال خدعة الحنّية السريعة التي أنهت حياة اثنين من شركائهم. وتلاحظ أنّ أيًا منهم لم يصل إلى سلاحه.

تتواصل مباشرة بالعين مع كل منهم، لتسوية سؤال هل نحن ذاهبون إلى مشكلة أم لا. لماذا تفاجأوا؟ أحد الرجلين مجروح الصّدر، كان سيموت على أي حال. ولاعب كمال الأجسام تحول من شيء ثمين إلى عبء. إنها لعبة لا ربح فيها ولا خسارة. ولم تنته بعد.

الرجل الأخير الذي تبحث عنه هو الرجل الأصلع، قائد الفريق. تقول: «ستتخلص من هذه الجثث».

يومئ.

«أنت تعرف أين ستنقلها؟»

يومئ مرة أخرى.

تمشي نحوه قائلة: «هل لديك أيّ أسئلة أخرى؟»

يهز رأسه، من المؤكد لا.

34

«نحن نتعرّض إلى هجوم، أكرّر، نحن نتعرّض إلى هجوم..».

تنحرف سيارتنا انحرافًا تامًّا، سلسلة من الطلقات النارية آتية من أحد جانبيّ الجسر، يجتاحنا شعور بالتقزّز والعجز مع انزلاق السيارة على الطريق المبلّل وخروجها عن السيطرة بينما يكافح العميل ديفيس بشدة لاستعادة السيطرة.

ثلاثتنا في المقعد الخلفي نُقْذف كما لو كُنّا في لعبة الكرة والدبابيس، ونحن نُدفَع بقوّة عكس اتجاه أحزمة الأمان، وجاكوبسون وأنا يصطدم بعضنا ببعض فيما نتمايل من جانب إلى آخر.

تضربنا سيارة من الخلف بعنف، فتدور سيارتنا عبر حركة المرور، ثم يحدث تصادم مع أخرى من اليمين، مصابيحها الأمامية على بُعد بوصات فقط من وجه جاكوبسون، وأشعر بتأثيرها على أسناني، ورقبتي، وأُقذف على يساري.

كل شيء يدور، الجميع يصرخ، والرّصاص ينهمر على درع سيارتنا، يسارًا ويمينًا، شمالًا وجنوبًا، لا يمكن تمييزه...

يصطدم الجزء الخلفي من سيارتنا بالحاجز الإسمنتي، وفجأة نصبح في حالة سكون، ثم ندور في الاتجاه الخاطئ على جسر شارع 14، متّجهين للشمال في حركة المرور المتّجهة إلى الجنوب. تأتي انفجارات نيران الأسلحة الآلية من

يسارنا الآن، وبإصرار، وبعض الرصاصات ترتد، وبعضها ينغرس في الدّرع والزّجاج المضاد للرّصاص.

يصرخ جاكوبسون: «أخرِجنا». الأمر الأول من ترتيبات العمل هو - العثور على طريق نجاة للرئيس وإخراجه.

أهمس: «أوجي». يتدلى في اتجاه معاكس لحزام مقعده، واعٍ ودون أن يصاب بأذى لكنه في حالة ذهول، في محاولة لجمع شتاته، والإمساك بأنفاسه.

تومض الفكرة في رأسي: يمكنك أن ترى البيت الأبيض تقريبًا من هذا الجسر، في مواجهة مقابل هذا الاتجاه. مجموعة من حوالي عشرين عميلًا، من فرقة التّدخّل السّريع الخاصّة، على بُعد ستة شوارع سكنية فقط ومع ذلك هذا غير مُجْدٍ كما لو كانوا على الجانب الآخر من الكوكب.

العميل ديفيس يلعن وهو يكافح من أجل تغيير السرعات، حيث ينزع من الزجاج الأمامي ما يكفي من طلقات لنتمكّن من الرؤية أمامنا، ونتّجه جنوبًا. يتجدّد إطلاق النار ليس فقط من مسار المشاة لكن أيضًا من سيارة دعمنا، يطلق أليكس ترامبل وفريقه النار على المهاجمين.

كيف السبيل للخروج؟ لقد حوصرنا. يجب علينا أن نجعل...

«اذهب! اذهب! اذهب!» جاكوبسون يصرخ في هذا الإيقاع المتمرّس، بينما لا يزال مقيدًا بحزام مقعده، يحمل سلاحه الأتوماتيكي ويستعد.

أخيرًا يُخرِج ديفيس السيارة في الاتجاه المعاكس باستخدام رادار لوحة القيادة، وبعد أن تمسك الإطارات بالرصيف الزّلق نندفع وبسرعة للخلف، يتقلص تبادل إطلاق النار الذي نواجه أمامنا إلى أن يختفي تمامًا، فيما تتّجه سيارة أخرى نحو مسربنا، أكبر من التابِعة لنا.

تضغط شاحنة علينا بسرعة مضاعفة. نتسابق ونتراجع للخلف، يحاول ديفيس رفع السرعة قدر استطاعته لكن لا يمكن مقارنة سرعتنا بسرعة الشاحنة التي تقلّص بسرعة المسافة بيننا من الأمام. أصلّب نفسي من الصّدمة فيما شبكة مقدّمة الشاحنة الشيء الوحيد المرئي من خلال الزجاج الأمامي.

يتحكم ديفيس بكلتا يديه في عجلة القيادة، يدير بيديه عجلة القيادة إلى أن نتصالبا، وبفعل ذلك تدور السيارة في منعطف حاد. أُسرِع نحو جاكوبسون بينما مؤخرة السيارة تنحرف إلى اليمين مرة أخرى، تُشاهد السيارة الآن في مسار الشاحنة القادمة، والتي تتحول إلى جانب المسرب عند لحظة الاصطدام.

الصوت المُرْتَج من أثر الاصطدام يسحب أنفاسي، ويرسل النجوم ترقص أمام عيني وموجة الصدمة عبر جسمي. تسقط شبكة مقدمة الشاحنة إلى جانب الراكب الأمامي، دافعة أونتيفروس إلى السائق ديفيس، مثل دمية مرنة، ونهاية الجزء الخلفي للسيارة تُطوى يمينًا بزاوية ستين درجة بينما تظل الواجهة الأمامية مقفلة على شبك الشاحنة في كومة الحديد الباكي. يغزو الهواء الرّطب السّاخن المقصورة الخلفية حيث تحاول السيارة الحفاظ

على نفسها قطعةً واحدة متماسكة.

يتمكن جاكوبسون بطريقة ما من دفع النافذة للأسفل، حيث يطلق الرصاص من رشاش بندقيته إم بي فايف، في مقصورة الشاحنة، بينما تعصف بنا الرياح الساخنة والأمطار. تتّحد المركبات معًا، لتتوقّف. يقفز جاكوبسون دون هوادة بينما تقترب سيارة الدّعم، ويطلق أليكس وفريقه النار على الشاحنة من النوافذ الجانبية في سيارة الدفع الرباعي.

أُخْرِج أوجي.

أقول: «أوجي». وأفك حزام مقعدي.

«لا تتحرّك، سيدي الرئيس!» يصرخ جاكوبسون بينما يندفع غطاء محرك سيارتنا منفجراً مثل كرة برتقالية من لهب.

أما أوجي فوجهه يبْيَضّ رعبًا، ينزع حزام مقعده. أفتح باب الراكب الأيسر، وأسحب أوجي من رسغه. «ابقَ منخفضًا!» أصرخ بينما نحن نركض على طول ظهر السيارة تحمينا كابينة الشاحنة، ثمّ نركض نحو سيارة أليكس في المطر الغزير، مزيلًا أي زاوية يمكن للرماة في كابينة الشاحنة أن يصيبونا منها - إذا نجوا من هجوم جاكوبسون الوحشي.

«سيدي الرئيس، أدخل السيارة!» يصرخ أليكس من منتصف الجسر بينما نقترب. وحتى الآن، هو واثنين آخرين من العملاء غادروا سيارتنا المصفّحة الثانية وقصفوا الشاحنة مع نيران المدافع الرشاشة.

أوجي وأنا نتسابق على السيارة الثانية خلف السيارة هذه، تكدّس السيارات على الجسر، وتحولت في كل الاتجاهات.

«اصعد في الخلف!» أصرخ عليه، والمطر يصفع وجهي. آخذ مقعد السائق. أضع السيارة في وضعية الانطلاق وأضغط دواسة الوقود.

الجزء الخلفي من السيارة معطوب، لكن السيارة لا تزال قابلة للتشغيل، ما زالت كافية لإخراجنا من هنا. لا أحب ترك رجالي خلفي. إنه يتعارض مع كل ما تعلمته في الخدمة. لكن ليس لدي سلاح، لذا أنا لا أساعد. وأنا أحمي أهم الأصول... أوجي.

ويأتي الانفجار الثاني الذي لا مفر منه بينما نمر عبر الجسر إلى ولاية فرجينيا، مع أسئلة أكثر من أي وقت مضى وبلا إجابة واحدة.

لكن إلى أن نموت، نحن على قيد الحياة.

35

يداي ترتعشان وأنا أمسك عجلة القيادة، يتسارع نبض قلبي بينما أحدّق عبر الزّجاج الأمامي المُهشّم من وابل الرّصاص، والمتناثر من المطر، والمسّاحات تضرب بشراسة ذهابًا وإيابًا.

العَرَق يقْطر على وجهي، والنار تتّقد في صدري، أتمنى أن أتمكن من ضبط درجة الحرارة لكني أخشى أن أرفع عيني عن الطريق، وأخشى من إيقاف السيارة أو حتى إبطاء سرعتها، ألحص مرآة الرؤية الخلفية فقط لتفقّد إشارات سيارة أخرى تتبعني. هناك ضرر في مؤخرة سيارة هذه، صوت احتكاك المعادن بالإطارات، عَقَبة طفيفة أثناء القيادة. لا أستطيع أن أقودها فترة أطول.

«أوجي». أردد: «أوجي!» فوجئت من الغضب، والإحباط في صوتي.

يجلس رفيقي الغامض في المقعد الخلفي لكنه لا يتكلّم. يبدو مصابًا تمامًا بصدمة الصُّدفة، غارقًا، يحدّق بعيدًا عبر المسافة، فاتحًا فمه قليلًا مشكّلًا دائرةً بشفتيه من الجفول، ويفزع لكلّ ومضة برق أو مطَب على الطريق.

«الناس تموت يا أوجي. مهما كان ما تعرفه، اللّعنة، من الأفضل أن تخبرني بشكلٍ وافٍ، وأن تخبرني الآن!»

لكني لا أعرف حتى ما إذا كان يمكنني الوثوق به حتى الآن. منذ أن قابلته، مع تلميحاته الخفية إلى كارثة في ملعب البيسبول، قضينا كل لحظة في محاولة للبقاء على قيد الحياة. لا أعرف ما إذا كان صديقًا أو عدوًا، بطلًا أو

جاسوسًا.

هناك شيء واحد مؤكد - أنه مهم. إنه تهديد لشخص ما. لا شيء من هذا سيحدث خلاف ذلك. كلما حاولوا منعنا، ازدادت أهميته.

أصرخ: «أوجي! اللعنة، يا ولد، أُخْرُج من هذا! لا تدخل في الصدمة وأنت معي. ليس لدينا وقت للصدمة، صحيح..».

يطِنّ هاتفي في جيبي. أعثر عليه بيدي اليمنى، وأكافح لتحريره من جيبي قبل أن تذهب المكالمة إلى البريد الصوتي.

تقول كارولين بروك، والارتياح بادٍ في صوتها: «سيدي الرئيس، أنت على ما يرام، هل كنتَ على جسر شارع 14؟»

ليس من المستغرب أن تعرف بالفعل. لن يستغرق الأمر سوى دقيقة واحدة لشيء مثل ذلك ليصل إلى البيت الأبيض، على بُعد أقل من ميل واحد. سيكون هناك مخاوف فورية من الإرهاب، ضربة على العاصمة.

«أغلقي البيت الأبيض، يا كارولين». أقول بينما أتابع الطريق، الأضواء العلوية جعلت الألوان ضبابية في اتجاه الزجاج الأمامي الرّطب. «فقط مثل..».

«لقد تم إغلاقه بالفعل، يا سيدي».

«وآمِن..».

«تمّ تأمين نائبة الرئيس بالفعل في مركز العمليات، يا

سيدي».

آخذ نفَسًا. أيها الرّب، كم أنا بحاجة إلى ميناء سلام في هذه العاصفة مثل كارولين الآن، التي نتوقّع تحركاتي بل وحتى تعمل على تحسينها.

أشرح لها، في أقل عدد ممكن من الكلمات، تحاول ألا تتشاجر، تكافح من أجل أن تظل هادئة، نعم، ما الذي حدث على الجسر، ما الذي حدث في الناشيونال بارك، أشركني.

«هل أنت مع الخدمة السّرية الوطنية الآن يا سيدي؟»

«لا. فقط أنا وأوجي ».

«اسمه أوجي؟ والفتاة..».

«الفتاة توفّيت».

«توفّيت؟ ماذا حدث؟»

«في ملعب البيسبول. شخص ما أطلق النار عليها. أوجي وأنا فررنا. اسمعي، عليّ أن أخرج من الطريق، كارولين. أنا أتجه إلى المنزل الأزرق. أنا آسف، لكن ليس لدي خيار».

«بالطبع يا سيدي، بالطبع».

«وأحتاج إلى غرينفيلد عبر الهاتف الآن».

«لديك على هاتفك يا سيدي، إلا إذا كنت تريد مني أن أحوّله لك».

صحيح، هذا صحيح. وضعت كارولين رقم ليز غرينفيلد

في هذا الهاتف.

«فهمت ذلك. نتحدث قريبًا» أقول.

«سيدي الرئيس! هل أنت هناك؟» الكلمات، صوت أليكس، صرخ عبر لوحة القيادة. أُوقِع هاتفي على مقعد الراكب وأسحب اللاسلكي من اللوحة، أضغط على الزر بإصبعي الأيمن للتحدث.

«أليكس، أنا بخير. أنا فقط أقود على الطريق السريع. تحدّثْ معي». وأُفلت إبهامي.

«تم تحييدهم، يا سيدي. أربعة قتلى على مسار المشاة. الشاحنة فُجِّرت. لا توجد فكرة عن عدد الإصابات داخل الشاحنة، لكن بالتأكيد لم ينج أحد».

«الشاحنة مفخخة؟»

«لا يا سيدي. لم يكونوا انتحاريين. لو كانوا، لما بقي أيٌّ مِنّا على قيد الحياة. اخترقنا خزان الوقود مما تسبب في اشتعال البنزين. لا توجد متفجرات أخرى في الجوار. لا خسائر في صفوف المدنيين».

هذا يخبرنا بشيء، على الأقل. لم يكونوا مؤمنين حقيقيين، وليسوا متطرفين. هؤلاء لم يكونوا داعش أو تنظيم القاعدة أو أيًا من فروعهم السرطانية. كانوا مرتزقة مستأجرين وحسب.

آخذ نفَسًا وأسأل السؤال الذي أخافه. «ماذا عن رجالنا، يا أليكس؟» وأصلي صلاة صامتة وأنتظر الإجابة.

«لقد فقدنا ديفيس وأونتيفروس، يا سيدي».

أصفق قبضتي في اتجاه عجلة القيادة. تنحرف السيارة، وأعدّلها بسرعة، وأذكّر نفسي على الفور أني لا أستطيع التخلّي عن التزاماتي ثانية واحدة. إن فعلت ذلك، سيكون رجالي قد قدّموا حياتهم دون جدوى.

«أنا آسف، يا أليكس». أقول عبر اللاسلكي: «أنا آسف جدًا».

«نعم يا سيدي». يقولها بجدية، ويكمل: «سيدي الرئيس، هنا عاصفة بذاءة من شاحنات الإطفاء، وشرطة مترو العاصمة، وقسم شرطة أرلينغتون. الجميع يحاول معرفة ما حدث بحق الجحيم ومن هو المسؤول».

حقًا. بالتأكيد. انفجار على جسر يربط بين واشنطن وفيرجينيا، إنه كابوس قضائي. الارتباك الشامل.

أُخْبِره: «وضّح أنّك مسؤول. فقط قل هناك: يجري تحقيق فيدرالي في الوقت الحالي. والمساعَدة في طريقها إلينا».

«أجل يا سيدي. سيدي ابقَ على الطريق السريع. سنقوم بتتبّعك على نظام تحديد المواقع ولديك مركبات تحيط بك قريبًا. ابقَ في تلك السيارة يا سيدي إنه المكان الأكثر أمانًا إلى أن نتمكّن من إعادتك إلى البيت الأبيض».

«لن أعود إلى البيت الأبيض، أليكس. وأنا لا أريد موكبًا مرافِقًا. تكفي سيارة واحدة. واحدة فقط».

«سيدي، بغض النّظر عن هذا الآن، أو مهما كان، فقد تغيّرت الظروف. لديهم ذكاء وتقنية وقوة بشرية وأسلحة. كانوا يعرفون أين ستكون».

أقول: «نحن لا نعرف ذلك، كان بإمكانهم إعداد نقاط كمين متعددة. ربما كانوا مستعدين لنا إذا ذهبنا إلى البيت الأبيض أيضًا، أو إذا توجهنا جنوبًا من الملعب. يا للجحيم، ربما كانوا يأملون أن نعبر الجسر فوق بوتوماك».

«لا نعلم، سيدي الرئيس، هذه هي النقطة..».

«سيارة واحدة، يا أليكس. هذا أمر مباشر».

أنقر فوق زر الإيقاف وأعثر على هاتفي على مقعد الراكب. أجِدُ رقم ليز على هاتفي وأطلبه.

«مرحبًا، سيدي الرئيس». تقول مديرة مكتب التحقيقات الفيدرالي، إليزابيث غرينفيلد: «هل علمت بتفجير الجسر؟»

«ليز، منذ متى وأنت تتصرفين كمديرة؟»

«عشرة أيام، يا سيدي».

أقول: «حسنًا، سيدتي المديرة، لقد حان الوقت لخلع عجلات التدريب».

36

«المنزل التالي في الأسفل، يا سيدي». يصيح صوت جاكوبسون عبر لوحة القيادة، كما لو أنّي لا أعرف المنزل بالفعل.

أذهب بالعربة إلى هذا الحد، مرتاحًا أني فعلتُ ذلك حتى الآن. مركبات الخدمة السّرية الوطنية هذه كأنها بوارج حربية، لكني لم أكن متأكدًا إلى متى يمكنني قيادتها رغم الضّرر في الخلفية.

سيارة جاكوبسون تسير خلفي. لحِقني على الطريق السريع واستخدم نظام تحديد المواقع لإيصالي إلى هنا. زرت المنزل عدة مرات لكني لم أنتبه كثيرًا للطرق المختلفة التي تؤدي إليه.

أركن السيارة في الموقف وأوقف تشغيلها. عندما أفعل ذلك، أشعر باندفاع موجة عارمة، كما كنت أعرف أنني سأفعل - الهزات، ما بعد الأدرينالين، رد فعل ما بعد الصدمة الجسدية. حتى هذه اللحظة، اضطررت أن أحافظ على سيطرتي لأخرج أوجي ونفسي من طريق الأذى. عملي أبعد من أن ينتهي - بات أكثر تعقيدًا من أي وقت مضى - لكنني أسمح لنفسي بهذه الاستراحة المقْتضبة، أتنفّس بعمق، أحاول تجاوز أزمات الحياة أو الموت، في محاولة لتفريغ كل الذعر والغضب داخلي.

«عليك أن تبقيهما معًا». هامسًا لنفسي، ومُرتعدًا. «إذا لم تفعل ذلك، فلن يفعل أي شخص آخر أيضًا». أتعامل معه مثل أي قرار آخر، مثل شيء يمكنني التحكم فيه تمامًا،

وراغب في إيقاف ارتجالي.

يُهرول جاكوبسون ويفتح باب سيارتي. لا أحتاج إلى مساعدة للخروج من السيارة، لكنه ساعدني على أي حال. بعض القطع والأوساخ على جانب وجهه، يبدو سليمًا بشكل عام.

أقف مُنتصبًا، أشعر بالخنق لحظات، غير متأكد من ساقيّ. لن تكون دكتورة لين سعيدة بي الآن.

«أنتَ بخير؟» أسأل جاكوبسون.

«هل أنا بخير؟ أنا بخير. كيف حالك يا سيدي؟»

«بخير. لقد أنقذتَ حياتي». أقول له.

«ديفيس أنْقَذ حياتك، يا سيدي».

هذا صحيح أيضًا. كانت مناورة القيادة الخطرة، والدّوران الحاد الذي أجبر سيارتنا على الاستدارة مما جعل السيارة عمودية مع الشاحنة القادمة، تلك كانت طريقة ديفيس في تحمّل وطأة التأثير، لذلك لم أكن أريد ذلك في المقاعد الخلفية. كانت رحلة رائعة من القيادة لعميل مُدرَّب بشكل جيد. أما جاكوبسون فلم يقف خاملًا، قام بإطلاق النار على مقصورة الشاحنة قبل أن تضطر اثنتان من السيارات المتشابكة للتوقّف. لم يكن باستطاعتي أنا وأوجي الفرار من دون هذا الغطاء.

لا يحصل عملاء الخدمة السّرية الوطنية أبدًا على الفخر الذي يستحقونه مقابل ما يفعلونه كل يوم للحفاظ على سلامتي، ولمتاجرتهم بحياتهم الخاصة من أجلي، وللقيام بما

لا يمكن لأي شخص عاقل فعله عن طيب خاطر، فهم يتقدّمون أمام الرصاصة، وليس بعيدًا عنها. بين الحين والآخر، يقوم العميل بعمل غبيّ مع دافعي الضرائب لأجل مقدار ضئيل من المال، وهذا ما يذكره كل شخص. أما بقيّة التسعة وتسعين في المئة من أعماله في أداء واجبه فلا تُذكر أبدًا.

أسأل: «كان لديفيس زوجة وصبي صغير، أليس كذلك؟» لو علمت أنّ عملاء الخدمة السّرية الوطنية سيتبعونني هذه الليلة، كنت سأفعل ما أفعله دائمًا عندما أزور إحدى البقع الساخنة حول العالم، أحد تلك الأماكن التي تعاني فيها الخدمة السّرية الوطنية من انعدام الأمن حول سلامتي - مثل باكستان أو بنغلاديش أو أفغانستان: كنتُ أصرّ على ألاّ يرافقني أحد لديه أطفال صغار.

يقول جاكوبسون: «إنه الثّمن الذي يأتي مع الوظيفة».

قل ذلك لزوجته وابنه.

«وأونتيفروس؟»

«سيدي».، يقولها باقتضاب، ويهزّ رأسه.

إنه على حق. سأعمل على تهدئتهم وسأولي هذه المسألة كل اهتمامي. وسأتأكد من أنّنا لن ننسى عائلة ديفيس وأي عائلة تركها وراءه أونتيفروس. هذا هو العهد الشخصي الذي أخذته على عاتقي. لكن لا يمكنني التعامل معه الآن، ولا حتى الليلة.

ارْثِ خسائرك لاحقًا، بعد انتهاء القتال، لكن عندما

تكون في المعركة، قاتِل.

اعتاد الرقيب ميلتون أن يقولها.

يَخْرُج أوجي من العربة على ساقيه المُرْتعشتين أيضًا، غارِسًا قدمه في بركة صغيرة على الطريق. لقد توقفت الأمطار، تاركة رائحة ترابية طازجة في إثْرها في هذا الشارع السّكني المظلم الهادئ، كما لو كانت الطبيعة الأم تخبرنا، لقد نجحت في الوصول إلى الجانب الآخر، إنها بداية جديدة. آمل أن يكون ذلك صحيحًا، مع أنّي لا أشعر على هذا النحو.

ينظر أوجي لي وكأنّه جرو مفقود، في مكان غريب دون شريك بعد الآن، ولا سبيل للاتصال به سوى هاتفه الذكي.

المنزل الذي أمامنا مزخرف بالجص والطوب الفيكتوري الطّراز مع حديقة مُشذّبة، وله طريق يؤدي إلى مرآب يتسع لسيارتين، ومصباح يضيء الممر إلى الشرفة الأمامية - النور الوحيد الذي يظهر في الساعة العاشرة مساء. الجص مطلي باللون الأزرق الباهت، إلى هذا يعود أصل تسميته بالمنزل الأزرق.

أوجي وجاكوبسون يتبعاني على الطريق.

يُفتح الباب قبل أن نصل إليه. زوج كارولين بروك كان في انتظارنا.

37

غريغ مورتون، زوج كارولين بروك، مُرتديًا قميصًا من قماش أكسفورد، وبنطال جينز، ومُنتعلًا صندلًا، يلوّح لنا.

«آسف لأنّني أتيتُ إلى هنا، مورتي» أقول.

«لا، إطلاقًا، لا..».

احتفل مورتي وكارولين بمرور خمسة عشر عامًا على زواجهما هذا العام - رغم دورها ككبيرة موظفي الرئيس، فإن الاحتفال، كما أذكر، كان مجرّد عطلة نهاية أسبوع طويلة في مارثا فينيارد. تقاعد مورتي في سن الثانية والخمسين، بعد أن كسب من مهنته المُربحة كمحامي قضية في محاكمة انتهت بنوبة قلبية في قاعة محكمة مقاطعة كوياهوغا أمام هيئة محلّفين. طفله الثاني، جيمس، لم يبلغ العام وقتئذ. أراد أن يرى أطفاله يكبرون، ولم يكن في إمكانه إنفاق المال الذي جمعه كلّه لكثرته، لذا كفّ عن العمل (علّق قفازات الملاكمة.) في هذه الأيام، يصنع أفلامًا وثائقية قصيرة، مُطيلًا البقاء في المنزل مع الطفلين.

ينظر إلينا أكثر، إليّ وإلى طقم الخِرَق الذي أتخفّى فيه. كنت قد نسيت أنني سرت بهذا الشكل لإخفاء مظهري - اللحية التي لم يرها أحد قط، وملابسي المدنيّة المبلّلة، وشعري الذي ما زال تقطر منه مياه الأمطار على وجهي. ثم هناك أوجي، الأشعث فعلًا قبل أن يفعل المطر فعله عليه. على الأقل جاكوبسون يظهر نوعًا ما كعميل خدمة سرية.

«يبدو أنّ لديك قصة تستحق أن تُروى!» يقول مورتي

بصوت جهوري أغرى به عددًا كبيرًا من المحلّفين على مرّ السنين. «لكنني لن أسمع كلمة من ذلك أبدًا».

نخطو نحو الداخل. في منتصف الطريق أسفل الدرج اللّولبي الذي ينتهي في البهو، يجلس الطفلان ويحدّقان إلينا من خلال سياج الدرج - جيمس البالغ من العمر ستة أعوام، في منامة الرّجل الوطواط، وشعره واقف على آخره، وجينيفر ذات العشرة أعوام، كأنّه وجه والدتها يحدّق إلى وجهي. لا أجد شيئًا جديدًا بالنسبة إليهم في هذه المرحلة، لكنني لا أبدو مثل شخص جديد دخل البيت.

يقول مورتي: «لو كنتُ أحمل أيّ قدرة للسيطرة على هذين المتفرّجين خلال سياج الدّرج، لكانا في السرير الآن!»

تقول جينيفر: «لديك لحية حمراء». وتجعّد أنفها وتُكمِل: «أنت لا تبدو مثل رئيس».

«جرانت كان لديه لحية، وكان كوليدج بشعر أحمر».

«من؟» يسأل جيمس.

«إنّهم رؤساء سابقين، عباقرة،» أخبرَته شقيقته. «منذ زمن طويل حقًا، عندما كان أبي وأمي طفلين».

يقول مورتي: «مهلًا! كم تحْسَبين عمري؟»

تقول جنيفر: «أنت في الثانية والخمسين من العمر. لكننا سنجعلك تهْرَم قبل الأوان!»

«لقد حصلت على هذا الحق». يلتفت مورتي لي قائلًا:

«كارولين قالت مكتب الطابق الأرضي، سيدي الرئيس. هل هذا ما تريد؟»

«هذا رائع».

«أنت تعرف الطريق. سأحضر لك بعض المناشف. وطفلايَ سيذهبان إلى الفراش، أليس كذلك يا أطفال؟»

«أووووو..».

«اكتفينا من المؤثرات الصوتية. هيّا إلى السرير!»

انتهت كارولين من بناء الطابق الأرضي كمكتب مُتقَن، مع استكمال وضع خطوط آمنة للاتصالات، ممّا سمح لها بالعمل في المساءات المتأخرة من المنزل.

يذهب جاكوبسون أولًا، ينزل الدرج ويُخلي المنطقة قبل إعطائي إشارة من إبهامه.

أوجي وأنا نتّجه إلى الأسفل. القبو أنيق ومجهّز بشكل جيد، كما هو متوقع في منزل كارولين. هناك غرفة ألعاب مفتوحة كبيرة مؤثّثة، ذات مقاعد كبيرة مصنوعة من القماش ومليئة بخرز البولسترين، بالإضافة إلى مكتب وكرسيّ وأريكة. كما يوجد تلفاز معلّق على الجدار ومخزن نبيذ في القبو، وغرفة سينما مع شاشة عرض ومقاعد داكنة وفاخرة، وحمّام كامل في الردهة، وغرفة نوم، ومكتب كارولين في الخلف. يحتوي مكتبها المنزلي على مكتب ذي شكل حدوة حصان، تعلوه أجهزة كمبيوتر متعددة، بالإضافة إلى لوحة كبيرة على الحائط وعددٍ من خزائن الملفات وتلفاز كبير بشاشة مسطّحة.

«هنا يا رفاق». مورتي يسلّم كلًّا منّا منشفة. «هل أنت مستعد لكارولين، سيدي الرئيس؟ فقط اضغط على هذا الزّر هنا» يشير إلى فأرة الكمبيوتر.

«ثانية واحدة. هل هناك مكان ما يمكن أن يذهب إليه صديقي؟» أسأل، وأعني أوجي الذي لم أقدّمه إلى مورتي، ولم يطلب مورتي تقديمه.

«غرفة الاستراحة» يجيبني مورتي، «المساحة الكبيرة المفتوحة بجانب الدرج».

«عظيم. اذهب معه» أقول لجاكوبسون.

يغادران الغرفة معًا، ويومئ مورتي لي قائلًا: «أخبرتني كارولين أنّك تودّ تغيير ملابسك».

«سيكون هذا رائعًا» فالحقيبة التي حملتها معي تضمّ ملابس ليوم السبت، لكنني تركتها في السيارة التي أوقفتها في ملعب البيسبول.

«سأتركك تفعل إذًا، وسأصلّي لأجلك يا سيدي الرئيس»

أنظر إليه بشك. إنها كلمات قوية. لقد كان هذا غير تقليدي، دون شك، يظهر لي أنّه مُتَستّر بهذه الطريقة. إنه شخص رائع، لكنني أعرف أنّ كارولين لا تشاركه المعلومات السّرية.

يميل إليّ قائلًا: «عرفتُ كارولين منذ ثمانية عشر عامًا. شاهدتها تخسر انتخابات الكونغرس. ورأيتها عندما أجهضت، وعندما كدت أموت من احتشاء عضلة

القلب، وحين فقدنا جيني في مركز تسوّق في الإسكندرية ساعتين. كما عرفتها وهي محاصرة في وضع صعب جداً. ورأيتها مهمومة، ورأيت قلقها. لكن قبل هذه الليلة، لم أرها مذعورة بذاك القدر قط».

لا أقول أي شيء. لا أستطيع. إنّه يعرف ذلك.

يمُدّ يده: «أيًّا يكن، أراهن عليكما».

أهزّ يده، وأقول: «رغم ذلك، امضِ قُدُمًا واتلُ تلك الصلوات».

38

أُغلق باب مكتب كارولين في الطابق الأرضي، وأطوّق نفسي داخل جدران عازلة للصوت، وأجلس إلى المكتب. ألتقط فأرة الكومبيوتر. عندما أفعل، تتلوّن الشاشة من السواد إلى التشويش، ثمّ إلى الوضوح منقسمةً قسمَين إلى حدّ ما.

«مرحبًا، سيدي الرئيس». تقول كارولين بروك، متحدثة من البيت الأبيض.

تقول إليزابيث غرينفيلد، مديرة مكتب التحقيقات الفيدرالي، في النصف الثاني من شاشة التقسيم: «مرحبًا سيدي الرئيس». اخترت ليز مديرة للوكالة بعد وفاة سَلَفِها في المكتب بسبب تمدّد الأوعية الدموية قبل عشرة أيام. لقد رشّحتها لمنصب دائم، أيضًا. بكل المقاييس، هي أفضل شخص لوظيفة – عميل سابق، ومُدّعٍ عام فيدرالي، ورئيس القسم الجنائي في العدالة، تحظى باحترام الجميع باعتبارها غير حزبية وشخصًا مستقيمًا.

الاحتجاج لم يكن في صالحها، وهو ما لا أعدّه احتجاجًا على الإطلاق، لأنها قبل أكثر من عقد، انضمّتْ إلى الاحتجاجات ضد غزو العراق، لذلك أشار بعض الصقور في مجلس الشيوخ إلى أنّها تفتقر إلى الوطنية، وتناسوا على الأرجح أنّ الاحتجاج السلمي هو واحد من أكثر الأشكال الوطنية المثيرة للإعجاب. وقالوا أيضًا إنني أردت فقط أن أكون أول رئيس يُعيّن امرأة أمريكية من أصل أفريقي لإدارة مكتب التحقيقات الفيدرالي.

أقول: «أخبريني عن الجسر والناشيونال بارك».

«لدينا معلومات قليلة، قليلة جدًا من ملعب البيسبول. من المبكّر بالطبع التصريح بذلك، لكن العتمة محت أي صور، والمطر جرف معظم الأدلّة الجنائية. إن قُتل الرجال خارج الملعب، فلن يكون لدينا أي أثر. وإذا تركوا وراءهم أيّ أدلة جنائية تُثبت تواجدهم، فإنّ أمامنا عدة أيام قبل العثور عليها، واحتمال ذلك ضعيف للغاية».

«والقنّاص؟»

«القنّاص. الخدمة السّرية الوطنية أزالت السيّارة، لكن لدينا الرصاصات التي أُطلقت على الرصيف وعلى جدار الملعب، إلى أن نتمكن من الحصول على زاوية مناسبة. ممّا يمكننا جمعه، يبدو أن القنّاص كان يطلق من سطح مبنىً سكنيّ عبر الشارع من الملعب، وهو مبنى يُسمّى كامدن ساوث كابيتول. لم نعثر على أي شخص هناك بالطبع، لكن المشكلة هي أننا لم نعثر على أي شيء، نقطة انتهى. قام القنّاص بعمل جيد في الإخلاء. وبالطبع هناك المطر».

«صحيح».

«سيدي الرئيس، إذا أقاموا في ذلك المبنى، فسنكتشف من هم. كان سيتطلب تخطيطًا مسبقًا. الوصول. الزّي المسروق، على الأرجح. الكاميرات الدّاخلية. التّعرف على الوجوه. لدينا طُرُقنا الخاصّة. لكنك تقول لي أن لا وقت لدينا».

«ليس كثيرًا، لا».

«نحن نعمل بأقصى سرعة ممكنة، يا سيدي. لا يمكنني أن أعدك بأننا سنحصل على إجابات في غضون ساعات».

«حاولي. والمرأة؟» أسألها، في إشارة الى شريكة أوجي.

«نينا، نعم. تسلّمت الخدمة السّرية الوطنية السيارة والجثّة. سنحصل على بصمات الأصابع والحمض النووي في غضون دقائق، وسنقوم بالعمل عليها. سنتتبّع السيارة، وكل شيء».

«جيد».

«ماذا عن الجسر؟» تسأل كارولين.

تقول ليز: «لا يزال التحقيق في أحداث الجسر عملًا قيد التقدّم. إطلاق النار في الخارج. لقد أزلنا من مسار المُشاة الأشخاص الذين ماتوا. ستكون تلك الموجودة داخل الشاحنة أصعب، لكننا نعمل عليها. لكن سيدي الرئيس، حتى لو تمكّنّا من معرفة هوياتهم، فإن من يوظف هؤلاء الأشخاص لن يترك وراءه أي أثر. ستكون هناك فجوات. ووسطاء. يمكننا على الأرجح أن نتتبّع ذلك في النهاية، لكنني لا أعتقد...».

«ليس في غضون ساعات. أفهم. ما زال الأمر يستحق الجهد. وافعليها بتكتّم».

«هل تريدني أن أبقي الوزير هابر في الظلام حول هذا الموضوع؟»

لا تزال ليز جديدة على الوظيفة، لذا فهي لا تعتبر نفسها على قاعدة الاسم الأوّل مع الأعضاء الآخرين في فريقي

للأمن القومي، والذي يشمل سام هابر، من وزارة الأمن الداخلي.

«يمكن أن يعرف سام أنّكِ تتّبعين هؤلاء الأشخاص. كان يتوقع ذلك، على أي حال. لكن لا تكتبي النتائج التي توصّلتِ إليها لأي شخص سوى أنا أو كارولين. إذا سأل هو - إذا سأل أي شخص آخر - فإن إجابتك هي: «ليس لدينا أي شيء بعد. حسن؟»

«سيدي الرئيس، هل لي أن أتكلم بحريّة؟»

«دائمًا، ليز. سأكون غاضبًا منكِ إن لم تفعلي ذلك». لا يوجد شيء أقدّره في المرؤوسين أكثر من رغبتهم في إخباري بأنّي مخطئ، ليتحدّوني، ولِصَقل صُنعي قراراتي. إن إحاطة نفسك بالمتملّقين الأذِلّاء والمنافقين غير المُجْدين هو الطريق المؤكّد للفشل.

«لماذا يا سيدي؟ لماذا لا ننسّق ذلك علانية قدر الإمكان؟ نحن أكثر فعالية إذا تحدثّت جهة مع الأخرى. إذا كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر علّمتنا أي شيء، فهذا هو».

أنظر إلى وجه كارولين على الشاشة المنقسمة. لم تتجاهل ذلك، ووافقت معي على أنه من الجدير إخبار مديرة الوكالة.

«ليز، فقط ثمانية أشخاص في العالم يعلمون بأمر شفرة عصور الظّلام، بالإضافة إليّ. لم تُكتب قط، بناءً على طلبٍ مني. وأيضًا لم نتكرّر إطلاقًا خارج دائرتنا، بناءً على طلبي أيضًا. أليس كذلك؟»

«نعم، بالطبع، يا سيدي».

«حتى فريق المهام من الفنيّين الذين يحاولون تحديد موقع الفيروس وإبطال مفعوله، وفريق الاستجابة للتهديد الوشيك - لا يعرفون شيئًا عن شفرة عصور الظّلام، أليس كذلك؟»

«صحيح يا سيدي. فقط ثمانية منّا، وأنت».

أقول لها: «أحد هؤلاء الأشخاص الثمانية سرّبها إلى أبناء الجهاد».

توقّفت لحظة كي تستوعب ذلك.

أقول: «ما يعني أنّ ذلك الشخص قد قام بما هو أكثر من ذاك التّسريب».

«أجل، سيّدي».

أقول: «قبل أربعة أيام، يوم الاثنين، همست امرأة بهذه الكلمات في أذن ابنتي في باريس، لتنقلها إليّ. تلك المرأة هي نينا - وهي ذاتها المرأة التي أطلق القنّاص النّار عليها في الملعب».

«يا إلهي!»

«اقتربَت من ابنتي وأخبرتها أن تقول لي: عصور الظّلام، وأن تخبرني أنّ الوقت ينفد مني وأنها ستقابلني ليلة الجمعة».

يرتفع ذقن مديرة الوكالة قليلًا كأنّها تتعامل مع المعلومات.

تقول: «سيدي الرئيس... أنا واحدة من هؤلاء الثمانية، كيف تستبعدني؟»

نقطة جيدة لصالحها. «قبل أن أنظر إليك كمديرة للوكالة، أي قبل عشرة أيام، لم تكوني موجودة في حلقة الأشخاص الذين يعرفون الشفرة. وأيًّا يكن الفاعل من بين الثمانية، فإنّه سيستغرق بعض الوقت ليتقدّم في هذه المسألة. لن يحدث ذلك بين عشيّة وضحاها».

تقول: «لذلك لستُ أنا الخائنة، لأنني لم أملك الوقت».

«إنّ التوقيت يحكمك، نعم. لذا فإلى جانبك، كارولين، وأنا، هذا يترك ستةّ أشخاص، ليز. ستة أشخاص قد يكون صديقنا بينيديكت أرنولد((26))».

«هل يمكن اعتبار أنّ واحدًا من أولئك الستة قد أخبر أحد الزوجين أو الأصدقاء وهم الذين باعوا المعلومات؟ إنهم ينتهكون توجيهاتك السّرية، لكنهم لا يزالون ..».

«أخذت بعين الاعتبار ذلك، نعم. لكن من خذلنا فعل أكثر من تسريب شفرة، إنها جزء ممّا فعل وحسب. لن يكون لأحد الزوجين أو الصديق أي نوع من التواصل والمصادر اللازمة للقيام بذلك. هم في حاجة إلى مسؤول حكومي».

«إنه واحد من ستّة لدينا..».

«إنه واحد من ستة لدينا» أكررها موافقًا.

«إذن أنت تفهمين، يا ليز، أنّك الشخص الوحيد الذي يمكننا الوثوق به تمامًا».

(26) بينيدكت أرنولد (1741-1801): هو عسكري أمريكي وكان جنرالًا خلال حرب الاستقلال الأمريكية. قاتل مع الجيش القاري الأمريكي، ثمّ انشقّ وانضمّ إلى الجيش البريطاني عام 1780.

39

عندما انتهيت من الحديث مع غرينفيلد مديرة الوكالة، تخبرني كارولين أنّ مكالمتي التالية جاهزة.

لاحقًا فيما بعد، بعد شيء من الغشاوة والشاشة المشوّشة، تظهر صورة رجل، ذي عنق سميكة، وخطير للغاية، مع لحية مشذّبة ورأس أصلع، يأتي على الشاشة. إنّ الانتفاخات تحت عينيه هي شهادة ليست على عمره بل عن طبيعة الأسبوع الذي قضاه.

«سيدي... الرئيس». يقول. إنّ لغته الإنجليزية مثالية، أمّا لهجته الأجنبية فغير مُدْرَكة.

«ديفيد، جيّد أن أراك».

«من الجيّد أن أراك أيضًا، سيدي الرئيس. ونظرًا إلى أحداث الساعات القليلة الماضية، فإنّ هذا البيان أكثر من مجرّد مجاملة».

حقيقي بشكل كافٍ. «المرأة ماتت يا ديفيد. هل تعلم ذلك؟»

«هذا ما افترضناه».

«لكن الرجل معي، يطلق على نفسه اسم أوجي» أقول.

«أخبرَك أن اسمه هو أوجي؟»

«لقد فعل. هل هذه هي الحقيقة؟ هل حصلت على صورة لوجهه؟»

بعد أن استلمت التذكرة إلى مباراة الناشيونال من نينا،

اتصلتُ بديفيد وأخبرته أين سأكون جالسًا في المدرجات اليسرى. كان عليه أن يُزاحم مُشتري التذاكر، لكن فريقه حصل على تذاكر للمباراة وتمركز في كل مكان للحصول على صورة لوجه أوجي كي نمرّرها عبر برنامج التعرف على الوجوه.

«تمكّنّا من الحصول على صورة موثوق بها، نعم، رغم قبّعة البيسبول التي ارتداها. نحن نعتقد أنّ الشخص الذي يجلس إلى جانبك في لعبة البيسبول هو أوغستاس كوسلينكو. وُلد عام 1996 في سلوفينسك، في مقاطعة دونيتسك، شرق أوكرانيا».

«دونيتسك؟ هذا مثير للاهتمام».

«كنا نظن ذلك كذلك. والدته لتوانيّة. ووالده هو الأوكراني، عامل في مصنع للآلات. لا نعرف له أي انتماءات سياسية أو أي نشاط سياسي».

«ماذا عن أوجي نفسه؟»

«غادر أوكرانيا في المدرسة المتوسطة. كان معجزة رياضيات، عبقريًا. التحق بمدرسة داخلية شرق تركيا بعد حصوله على منحة دراسية. نحن نعتقد - أو نفترض أنّ هذا هو المكان الذي التقى فيه سليمان سيندوروك. قبل ذلك، لم نكن نعرف شيئًا عمّا قام به أو قاله في أي نشاط من أي نوع».

«لكنّه أداة حقيقية، كما تقول. فقد كان عضوًا في أبناء الجهاد ».

«نعم سيدي الرئيس. لكنني لست واثقًا من أنّي

سأستخدم الفعل الماضي».

أنا أيضًا لست كذلك. أنا غير واثق من أي شيء عندما يتعلق الأمر بأوجي. لا أعرف ماذا يريد أو لماذا يفعل ذلك. الآن، على الأقل، أعرف أنه أعطاني اسمه الحقيقي، لكن إذا كان ذكيًّا كما نعتقد، فيُحتمل أنّه علم أني سأتعرّف على هويّته في كل الأحوال. وإذا كان أساس شرعيّته الكامل هو أنه تابع لأبناء الجهاد، فهو يريدني أن أعرف اسمه، ويريدني أن أتأكد من ذلك. لذلك أنا لا أعرف أكثر ممّا كنت أعرف قبل لقاء أوجي.

«لقد قال إنه اختلف مع أبناء الجهاد».

«قال ذلك. هل فكّرتَ بوضوح في إمكانية أنه لا يزال يعمل معهم؟ أي أنّه يعرض مزايداتهم؟»

أرتجف. «بالطّبع، بالتّأكيد، لكن إلى أيّ حدّ؟ كان يمكن أن يقتلني في الملعب!»

«صحيح».

«وأحدهم يريده ميتًا».

«على ما يبدو ذلك. أو يريدون منك تصديق ذلك، سيدي الرئيس».

«حسنًا يا ديفيد، إذا كان ذلك زائفًا، فهو زائف بشكل جيّد جدًّا حدّ اللّعنة! لا أعرف مدى ما شاهده جماعتك خارج الملعب، وأفترض أنّك لم ترَ أي شيء على الجسر. لم يكونوا يدّعون. كان من الممكن أن نُقتَل بسهولة في أيّ لحظة».

«أنا لا أشك فيما تقوله، سيّدي الرئيس. أنا فقط أعرض فكرة أنّك يجب أن تُبقي جميع الاحتمالات الأخرى مفتوحة. من خلال تجربتي، فإن هؤلاء الأفراد بارعون. لذا يجب علينا إعادة تقييم موقفنا وتفكيرنا باستمرار».

إنه تذكير جيّد.

أقول له: «تفوّه بما تسمعه هناك».

يهدأ ديفيد بُرهة، ثم يَزِن كلماته.

«نحن نسمع حديثًا عن أمريكا وأنها أُخضعت على ركبتيها. نسمع نبوءات عن يوم القيامة. عن الأيام الأخيرة. كثيرًا ما نسمع مثل هذه الأشياء في الأحاديث العامة من الجهاديين، بالطّبع، وأنّ يوم الشيطان الكبير سيأتي، وأنّ الوقت قريب - لكن...».

«لكن ماذا؟»

«لكنّنا لم نسمع قط موعدًا ثابتًا عن مثل هذه الأمور. وما نسمعه الآن هو أنه سيحدث غدًا. السبت، كما يقولون».

آخذ نفسًا. السبت أي بعد أقل من ساعتين.

«مَن وراء هذا يا ديفيد؟» أسأل.

«لا يمكننا أن نعرف على وجه اليقين، سيدي الرئيس. لا يجيب سليمان سيندوروك على أي جهة رسمية، كما تعلم. نحن نتنصّت على عددٍ من المشتبه بهم. المشتبه بهم المعتادون، أفترض أنك ستقول. داعش. كوريا الشمالية.

الصين. بلادي. حتى بلادك - يقولون إنّ الحدث سيكون دعاية، أزمة ذاتية لتبرير الانتقام العسكري، نظرية التآمر النموذجية».

أقول: «أفضل تخمين؟»

لكنني متأكد من أنني أعرف الإجابة. انتشار تكتيكي من اللّغو، ونقل المعلومات السريّة التي كان المقصود منها في الواقع أن تعترضها وتسمعها المخابرات. مكافحة التجسّس بطرق ملتوية، والمهارات التي يعتمد الجهاز عليها في أفضل حالاته. تحمل علامة بلد واحد بارز على ما سواه.

يأخذ ديفيد جريجنيك، مدير معهد إسرائيل للمخابرات والعمليات الخاصة - الموساد، نفَسًا عميقًا.

للحصول على قياس دراماتيكي للحظة، ينقطع إرسال الشاشة ثم يعود من جديد، يتّضح وجهه تدريجيًا قبل أن يتحدث.

«أفضل تخمين لدينا هو روسيا» يقول.

40

أُنهي الاتّصال بمدير الموساد وأجمع أفكاري قبل أن أتحدّث مع أوجي. هناك العديد من الطرق للعب هذا، لكن ليس لدي وقت للدّهاء.

السبت، قال ديفيد. تسعون دقيقة مضت.

أدفع نفسي خارج الكرسي وأتّجه إلى الباب عندما تصيبني موجة من الدوار، كأنّ شخصًا يعبث بعقرب بوصلتي الداخلية. أمسك المكتب من أجل التوازن وأنظّم أنفاسي. أمدّ يدي إلى جيبي لأتناول أقراصي. أنا في حاجة إلى أقراص دوائي.

لكن أقراصي نفدت. لم يعد هناك مزيد منها في جيبي، وتُرِك الباقي ورائي في الحقيبة، في السيارة المتوقّفة في مواقف الملعب.

«اللّعنة». أطلب كارولين على هاتفي. «كارولين، أنا بحاجة إلى مزيد من الستيرويد. ليس لدي مزيد منه في البيت الأبيض، وفقدت الزجاجة التي كانت لدي. اتصلي بالدكتورة لين. ربما لديها بعض...».

«سأقوم بذلك، سيدي الرئيس».

«رائع». أضطر للخروج وترك المكتب العازل للصّوت، والمشي بحرص أسفل الممر نحو غرفة الاستراحة، بالقرب من الدرج. يجلس أوجي على الأريكة، وينظر إلى كل ما يحيط به مثل مراهق عاديّ متسكّع أمام تلفاز.

لكنّه ليس مراهقًا ولا عاديًا.

التلفاز المُعلّق الذي يشاهده مخصّص للأخبار ويعرض الآن تغطية لمحاولة اغتيال فاشلة تستهدف الملك سعد بن سعود في المملكة العربية السعودية، مع عناوين عن تزايد الاضطرابات في هندوراس.

أقول: «أوجي، قف».

يفعل ما أطلب، ويقف مواجهًا لي.

أسأله: «من هاجمنا؟»

يرفع شعره عن وجهه، ويهزّ كتفيه، قائلًا: «لا أعرف».

«لنفعل ما هو أفضل من ذلك. لنبدأ مع من أرسلك. لقد قلت إنّك لم تعد تلتقي سليمان سيندوروك وأبناء الجهاد؟»

«نعم، هذا صحيح. لم أعد ألتقيهم».

«إذن، من أرسلك؟»

«لم يرسلنا أحد. لقد جئنا بإرادتنا».

«لماذا؟»

«أليس هذا واضحًا؟»

أقبض على قميصه وأقول: «أوجي، لقي كثير من الأشخاص مصرعهم هذه الليلة، بما في ذلك شخص كنتَ تهتمّ به، واثنان من عملاء الخدمة السّرية الوطنية كنتُ أهتمّ أنا بهما، رجال تركوا عائلات شابّة وراءهم. لذا، ابدأ في الإجابة على...».

«لقد جئنا لوقفها». كما يقول، وهو يتحرّر من قبضتي.

«لوقف عمليّة عصور الظّلام؟ لكن... لماذا؟»

يهز رأسه، ويكتم ضحكة خافتة بمرارة. «هل تقصد، ما الذي يمكنني كسبه؟ ماذا... في ذلك لي؟»

أقول: «هذا ما أعنيه، لم تكن تريد أن تخبرني من قبل. أخبرني الآن. ماذا يريد طفل من دونيتسك من الولايات المتحدة؟»

يرجع أوجي للوراء، مندهشًا لحظة فقط. ليس هذا بمفاجأة على الإطلاق، حقًّا.

«لم يستغرق هذا وقتًا طويلًا».

«هل أنت جزء من المعسكر المؤيّد لروسيا أو المعسكر المؤيد لأوكرانيا؟ لديهم كُثر من كلا الطّرفين في دونيتسك، حسب آخر تحقيق لي»،

«نعم؟ ومتى كانت آخر مرة تحققت فيها من ذلك، يا سيدي الرئيس؟» يتغيّر لون وجهه، غضبًا، ويتابع: «عندما نتناسب مع أهدافك، متى ذلك. هذا» يقول لي، وهو يهزّ إصبعه نحوي، ويتابع: «هذا هو الفرق بيني وبينك. لا أريد شيئًا منك، هذا ما أريده. أريد... ألا أدمّر أمّة من ملايين الناس. هل هذا غير كافٍ؟»

هل الأمر بهذه البساطة؟ أنّ أوجي وشريكته كانا يحاولان ببساطة فعل الشيء الصحيح؟ هذه الأيام، ليس ذلك أوّل ما يخطر على بالك.

لست متأكدًا مما سأفعله الآن أيضًا. لا أعرف ماذا أُصدق!

«لكنك ابتكرتَ عمليّة عصور الظّلام!» أقول.

يهزّ رأسه. «ابتكرناها معًا، سليمان ونينا وأنا. لكن نينا كانت مصدر الإلهام الحقيقي، والقوة الدّافعة. دونها، لم يكن في استطاعتنا أبدًا التخطيط لها. لقد ساعدتها في برمجة الفيروس وكيفيّة زرعه».

«نينا؟ هذا اسمها الحقيقي؟»

«نعم».

«هم قاموا بابتكارها، وأنت تسلّلت إلى أنظمتنا».

«بطريقة ما، نعم».

«ويمكنك إيقاف العمليّة؟»

يتجاهلني، ويقول: «لا أعرف كيف».

«ماذا؟» أهزّه كتفه، كما لو كان هزّي له سيُسمعني إجابة مختلفة. «قلتَ أنّك تستطيع، أوجي. قلت ذلك من قبل».

«لقد فعلت، نعم». يميل، وينظر إليّ بعينين لامعتين. «نينا كانت على قيد الحياة قبل ذلك».

أُحرّره، وأمشي على طول الجدار الذي رحت أضربه بقبضتي. إنها خطوة واحدة إلى الأمام، واثنتان إلى الخلف.

آخذ نفَسًا عميقًا. ما قاله أوجي أضفى معنى على كل ذلك. كانت نينا النّجمة. لهذا السبب هي الهدف الأول للقنّاص. من الناحية العملية، كان من المنطقي إطلاق النار على أوجي أولًا، لأنه كان متنقلًا، ثم الذهاب إلى

نينا، التي كانت جالسة في سيارة متوقفة. من الواضح أنّ نينا كان لها الأولوية القصوى.

«سأبذل قصارى جهدي للمساعدة» يقول.

«حسنًا، حسنًا، من هاجمنا؟» أسأل للمرة الثانية: «هل يمكنك مساعدتي على الأقل في ذلك؟»

يقول: «سيدي الرئيس. إن أبناء الجهاد ليسوا... ديمقراطيين. هذا النوع من المعلومات لن يشاركه سليمان معي. لا يسعني إلا أن أقول لك شيئين: من الواضح أنّ سليمان يعرف أنّ نينا وأنا قد انفصلنا عنه، وقام بتتبّعنا بطريقة ما إلى الولايات المتحدة».

«هذا واضح» أقول.

يضيف: «والشيء الثاني هو بقدر ما أعرف، قدرات سليمان محدودة في أجهزة الكمبيوتر. إنه عالم هائل. يمكنه أن يلْحِق ضررًا كبيرًا، كما تعلمون جيّدًا. لكن ليس تحت تصرّفه مرتزقة مدرّبون».

وضعت يدي على الحائط. «يعني...».

يقول أوجي: «يعني أنه يعمل مع شخص آخر. دولة قومية، بعض الدول التي ترغب في دفع الولايات المتحدة إلى الركوع وتدميرها».

«أحد ما قام بتجنيد شخص ضمن دائرتي الداخلية» أضيف.

41

«حسنًا، أوجي، السؤال التالي» أقول، «ماذا يريد سليمان؟ لا بدّ أنّه يريد شيئًا. أو هم - من يعمل معهم. ماذا يريدون؟»

يرفع أوجي رأسه، ويسألني: «لماذا تقول هذا؟»

«لماذا أقول ذلك؟ حسنًا، لماذا أظهروا لنا لمحةً من الفيروس مسبقًا؟» أُخرج يديّ. «أوجي، قبل أسبوعين، ظهر فيروس فجأة في أنظمتنا داخل البنتاغون. ظهر، ثم اختفى. أنت تعرف هذا. قلت ذلك لي في ملعب البيسبول. ظهر فجأة ثم اختفى فجأة كما ظهر». - أفرقع أصابعي - «هكذا».

«لعبة بيكابو!»

«بيكابو، نعم، هذا الاسم الذي أطلقه خبراؤنا عليه: لعبة الظهور والاختفاء فجأة دون أي تحذير، ودون إشعال أيّ من تحذيراتنا الأمنية الحديثة، انطلق هذا الفيروس فجأة في جميع أنظمة وزارة الدفاع الداخلية ثم اختفى بالسرعة نفسها، دون أن يترك أثرًا. هكذا بدأ هذا الأمر برمّته. أسمينا ما حدث «عصور الظّلام» وشكّلنا فرقة عمل. لقد كان أفضل المختصّين في مجال الإنترنت لدينا يعملون على مدار الساعة في محاولة للعثور عليه، في محاولة لوقفه، لكنهم لم يتمكّنوا من ذلك».

يومئ أوجي، ويقول: «وهذا يرعبك بالطبع. لأنه اخترق نظامك دون أي تحذير وتبخّر في الهواء بالسرعة نفسها. تدرك أنه قد يعود مرة أخرى، أو ربما لم يكن قد غادر.

وليس لديك أي فكرة عما يمكنه فعله بأنظمتك».

أقول: «كل هذه الأشياء، نعم، لكن كان هناك غرض لهذا التّسلّل للمعاينة، هذا بيكابو. إذا أراد شخص ما تعطيل أنظمتنا حقًّا فإنّه ببساطة سيفعل ذلك دون تحذيرنا مسبقًا. أنت تحذّر شخصًا ما أوّلًا إذا كنت تريد منه شيئًا، إذا كنت ستطلب فدية ما».

يقول: «برنامج الفدية، نعم، أفهم منطق تفكيرك. عندما رأيتَ التحذير، كنت نتوقع أن يتبعه طلب من نوع ما».

«تمامًا».

«آه، لذلك هذا... هذا هو السبب في إجراء ذاك الاتصال الهاتفي مع سليمان». يومئ أوجي. ويكمِل: «كي تسأله عن مطلبه».

«نعم. كان يحاول جذب انتباهي. لذا جعلته يعرف أنه فعل. أردت أن أسمع طلبه دون أن يطلب مني مباشرة ذلك، دون أن يلمّح أنّ الولايات المتحدة ستستسلم للابتزاز».

«لكنه لم يقدّم طلبه».

أقول: «لا، لم يفعل. لقد لعب بخجل. كما بدا... أنه أضاع الكلمات. وكأنه لم يكن يتوقع مكالمتي. أدلى بتعليقات تحطّ من شأن بلادي، وهو النوع المعتاد من الأشياء، لكن دون أي طلب. لا اعتراف بلعبة بيكابو. لذلك كل ما استطعت فعله هو تهديده. أخبرته أنه إذا كان فيروسه قد أضر ببلادنا، فسألاحق كل مصدر يمكنني الحصول عليه».

«محادثة غريبة».

«إنها كذلك» قلت موافقًا، وتابعت «كان أخصائيو التكنولوجيا على يقين بأنّ هذا هو عمل أبناء الجهاد. وقالوا إنّ الأنظمة ليس فيها أيّ خلل، الأمر متعمّد. فأين طلب الفدية؟ لماذا يعيش معاناة لعبة الظهور والاختفاء دون أن يطالب بأي شيء؟»

يومئ أوجي قائلًا: «ثم جاءت نينا. وظننتَ أنها ستقوم بطلب الفدية».

«بالضبط هذا ما ظننته. أنت أو نينا. إذن؟»

أنْفض يديّ، والسّخط هو أفضل ما يمكن أن يَصْدر منّي. «أين بحقّ الجحيم هو طلب الفدية؟»

يأخذ أوجي نفَسًا عميقًا. ويقول: «لن يكون هناك طلب فدية».

«لم لا؟ لماذا يرسلون التحذير إذن؟»

«سيدي الرئيس، أبناء الجهاد لم يقوموا بلعبة الظهور والاختفاء تلك، وأيًّا كان من يرعى أبناء الجهاد فإنّه لم يقم بذلك أيضًا».

أحدّق إلى وجهه. يستغرق مني لحظة.

«أنت من أرسلت التحذير» أقول.

يقول: «نينا وأنا، نعم. إنّما لتحذيرك. لذا يمكنك البدء في إعداد بروتوكولات التخفيف. وحتى عندما اتصلت أنا ونينا بك، أخذتنا على محمل الجد. لم يعلم سليمان أي شيء عن هذا. إنّ آخر شيء يمكن أن يفعله هو أن يعطيك

إنذارًا مبكّرًا عن هذا الفيروس».

أفكّر في ذلك. أوجي ونينا أرسلا التحذير المبكّر إلينا قبل أسبوعين. وبعد ذلك، بعد أكثر من أسبوع، وجدت نينا ابنتي ليلي في باريس وهمست لها بالكلمات السّحرية.

لقد جاءوا لتحذيري. لمساعدتي. هذا هو الخبر الجيّد.

الأخبار السيئة؟ هي أنّ سليمان سيندوروك والعميل الذي يقف وراءه لم يرغب قط أن تعرف الولايات المتحدة عن ذلك مسبقًا. لن يطلبوا شيئًا. إنهم لا يسعون إلى تغيير سياستنا الخارجية. لا يريدون إطلاق سراح السجناء. إنهم لا يريدون المال.

لن يطلبوا فدية على الإطلاق.

إنّهم فقط سيُطلِقون الفيروس.

إنّهم يريدون تدميرنا.

42

«كم لدينا من الوقت؟» أسأل أوجي: «متى سيطلَق الفيروس؟»

يقول: «يوم السبت في أمريكا. هذا كل ما أعرفه».

تمامًا كما صرّح مدير الموساد.

«إذن يجب أن ننطلق الآن» أقول مندفعًا ومتجاوزًا أوجي، منتزعًا ذراعه.

«إلى أين نذهب؟»

«سأخبرك في الـ..».

أستدير بسرعة كبيرة، فأشعر أنّي أُفرط في الدّوران في الغرفة، أفقد التوازن، وأشعر بألم حاد في أضلعي، ويطعنني الخشب -حافّة الأريكة - وأضواء السقف اللّامع تؤذي عينيّ... أتقدّم خطوة إلى الأمام، لكنّ شيئًا لا ينجح، ساقي تلتوي، والأرض ليست حيث يُفترض أن تكون - كل شيء مُنحرف عن مكانه.

«سيدي الرئيس! »جاكوبسون، ذراعاه تحتي، ممسكًا بي، وجهي على بُعد بوصات فقط من السجادة.

«الدكتورة لين» يهمس، ويصل إلى جيبي.

الغرفة ترقص من حولي.

«اتّصل... كارولين» أتصرّف. وأمسك هاتفي، محرّكًا إياه ذهابًا وإيابًا، قبل أن يأخذه جاكوبسون من يدي. «إنها تعرف... ماذا تفعل..».

«السيدة بروك!» يصرخ جاكوبسون في الهاتف. التعليمات الواردة، والأوامر التي تلقّيناها، كلها في صدى باهت، وليس كصوت جاكوبسون العادي، في وضع القتال.

ليس الآن. لا يمكن أن يحدث هذا الآن.

«سيكون بخير، أليس كذلك؟»

«متى قريبًا؟»

السبت في أمريكا. السبت في أمريكا سيحلّ قريبًا.

سحابة فطر((27)). موجة الحرارة حمراء حارقة تجتاح البلاد. أين قائدنا؟ أين الرئيس؟

«ليس... الآن..».

«قل لها أن تسرع!»

ليس لدينا قدرة على الرّد، سيدي الرئيس.

لقد قاموا بتعطيل أنظمتنا، سيدي الرئيس.

ماذا سنفعل، سيدي الرئيس؟

ماذا ستفعل يا سيدي الرئيس؟

«ابق على الأرض سيدي. المساعدة في الطريق».

أنا لست جاهزًا، ليس بعد.

لا يا ريتشل، لست مستعدًا للانضمام إليك، ليس بعد.

السبت في أمريكا.

الصمت، الحلقة الناعمة للموت، الأبدية، الفضاء

اللامحدود.

«أين هو الطبيب بحق الجحيم؟»

ضوء ساطع.

---

(27) سحابة الفطر أو سحابة عيش الغراب: هي سحابة مميزة الشكل حيث تأخذ شكل فطر عيش الغراب، وتتكون من دخان كثيف ولهب وحطام، ناتج عن انفجار هائل. وفي الغالب يتم الربط بين هذه السحابة والانفجارات النووية.

السّبت

في أمريكا

43

تفتح نائبة الرئيس كاثرين براندت عينيها، مسلوبة من حلمها الضبابي. تسمع الصوت مرة أخرى، مفاصل أصابع تقرع باب غرفة نومها.

ينفتح الباب قليلًا، والطرْق أعلى. وجه بيتر إيفيان، رئيس هيئة الأركان، يُطلّ عليها. «آسف لإيقاظك سيدتي نائبة الرئيس» يقول.

لا تدرك شيئًا ممّا يدور حولها بُرهة، وتستغرق ثانية لتتحامل على نفسها. إنها في الطّابق تحت الأرضي، تنام وحيدة، وحيدة مصطلح نسبيّ طبعًا، على اعتبار أنّ العملاء يقفون خارج باب هذه الغرفة الصغيرة.

تصل إلى هاتفها على المنضدة وتحقّق من الوقت، إنها الواحدة وثلاث دقائق صباحًا.

«نعم، بيتر، تعال». تتحدّث بهدوء. *كوني دائمًا مُستعدة.* تقول لنفسها كل يوم. لأنه من الممكن أن يحدث أي شيء في أي وقت، ليلًا أو نهارًا، ودون سابق إنذار. رصاصة. تمدّد الأوعية الدموية. نوبة قلبية. هذه هي حياة نائبة الرئيس.

تجلس في السرير بينما بيتر، مرتديًا قميصًا وربطة عنق كما هو الحال دائمًا، يسير نحوها وفي يده هاتفه الذي يسلمه لها،

مفتوحًا على مقال في موقع إلكتروني لصحيفة على شبكة الإنترنت.

العنوان: الرئيس اختفى.

وتقول مصادر في البيت الأبيض إنّ المقال يؤكّد أنّ الرئيس ليس في البيت الأبيض. والأهم من ذلك أنّهم لا يعرفون أين هو.

وتنتشر التّخمينات في كل مكان، وتتراوح بين المعقولة وغير القابلة للتصديق إلى السخرية الواضحة: منها عودة مرضه الدموي، وأنّه مريض للغاية، وغادر المدينة للتحضير لجلسات استماع اللّجنة المختارة، وأنّه مُجتَمِع مع مساعدين مقرّبين لإعداد خطاب استقالته، وإنه يلوذ بالفرار بالأموال الطّائلة غير المشروعة من سليمان سيندوروك فارًّا من البلاد لتجنّب الملاحقة القضائية.

وقال البيان الرّسمي الليلة الماضية إنّ الرئيس ونائبة الرئيس في مأمن بعد الانفجار الذي وقع على الجسر وإطلاق النار في ناشيونال بارك. هذا ما حدث. ربما ذاك هو الطريق الصحيح للذّهاب. أخبر الجميع أنّ قادتهم آمنون ومعافون، لكن لا تحدّد موقعهم بدقّة. ولا أحد يتوقع أو يطالب خلاف ذلك.

لكنّ هذا المقال يقول إنّ جماعته لا يعرفون مكانه.

وهي كذلك، لا تعلم أين هو أيضًا.

تقول: «أحتاج إلى كارولين بروك».

44

تلاحظ كارولين بروك أنّ نائبة الرئيس ترتدي البدلة نفسها التي ارتدتها في الأمس. كما لو أنّ ذلك لم يكن كافياً، لتؤكد عيناها المحمرّتان عدم نومها.

يبدو أنّ رئيس هيئة الأركان الذي لا يعرف الكلل لم يعُد إلى البيت ليلة أمس.

تجلسان داخل قاعة مؤتمرات في مركز العمليات أسفل البيت الأبيض، متقابلتين على طرفيْ طاولة طويلة. كانت نائبة الرئيس تفضّل عقد الاجتماع في مكتبها الخاص في الجناح الغربي، لكنّها أُنزلت تحت الأرض ليلة أمس كجزءٍ من بروتوكول استمرارية الحكومة، ولا ترى سبباً لهزّ ذلك القارب في الوقت الحالي((28)).

تسأل: «أين أليكس تريمبل؟»

«إنّه غير موجود، سيدتي نائبة الرئيس».

تضيق عيناها. تلك النصف إغماضة، التي اعتاد مساعدوها أن يخبروها، هي من كان يخشاها الجميع أكثر من غيرها، بطريقتها الصلبة كالفولاذ لكن الصامتة في إيصال عدم رضاها.

«هذا كل شيء؟ إنه غير موجود وحسب؟»

«نعم، سيدتي».

يفور دمها غضباً. من الناحية العملية، كاثرين براندت هي ثاني أقوى شخص في البلاد. الجميع يعاملها على هذا النحو، على الأقل رسميًّا. يجب عليها أن تعترف بذلك، مهما

استاءت من جون دنكان لأنه تخطّاها وخطف التّرشيح الرئاسي الذي كان من حقّها، مع ذلك من الصعب عليها أن تعضّ لسانها وتتقبّل مكانها مثل كَمَانٍ ثانٍ، لقد أعطاها الدّور الذي وعدها به، سعياً لمساهماتها، ومنحها مقعداً على الطاولة لجميع القرارات الرئيسية. لقد حافظ دنكان على غايته في الصّفقة.

ومع ذلك، فإن كليهما يعرف أنّ كارولين هي صاحبة القوة الحقيقية في هذه القاعة.

«أين الرئيس، كارولين؟»

تفتح كارولين يديها، دائمًا بدبلوماسية. لا تستطيع براندت مقاومة الاحترام على مضض لكبيرة موظفي البيت الأبيض، التي قامت باستخدام سُلطتها الملتوية في الكونغرس، وحافظت على سير الأمور في الوقت المناسب، وشغّلتْ موظفي الجناح الغربي في الطّريق، وكل ذلك لأجل خدمة أجندة الرئيس. سابقًا، عندما كانت كارولين نفسها في الكونغرس، قبل ذلك التّعثر المؤسف، كان لها بث إذاعي حي ومباشر، الكثير من النّاس صفّقوا لها كمتحدّثة مستقبلية، وربما حتى مرشحة للرئاسة.

متحدّثة جيّدة، مُعَدّة جيّدًا، خفيفة في حركتها، مناضلة صلبة، جذّابة لكنها ليست ملكة جمال - ملكة رائعة - يجب إبراز النساء الرّاسخات في السياسة على الدّوام - إنّ كارولين واحدة من أفضلهن على الإطلاق.

«سألتك عن مكان الرئيس، كارولين».

«لا يمكنني الإجابة عن ذلك، سيدتي نائبة الرئيس».

«لا يمكنك أم لا تريدين؟» تقول نائبة الرئيس التي تقلّب يدها. وتردف قائلة: «هل تعرفين أين هو؟ هل يمكنك أن تخبريني بهذا القدر؟»

«أنا أعرف أين هو يا سيدتي».

«هل هو...». تقول وتهزّ رأسها. «هل هو بخير؟ هل هو آمن؟»

يميل رأس كارولين إلى جانب واحد. وتقول: «إنه مع الخدمة السّرية الوطنية، إذا كان هذا هو ما...».

«يا يسوع المسيح، كارولين، ألا يمكنك أن تعطيني إجابة مباشرة؟»

تغمضان أعينهما لحظة. كارولين بروك ليست خصْمًا سهلًا. وولاءها للرئيس يفوق كل شيء آخر. إذا كان عليها أن تتلقى بضع رصاصات بدل الرّجل، فسوف تفعل.

تقول: «لست مخوّلة أن أخبرك بمكانه».

«الرئيس قال ذلك؟ قال لا يمكنك أن تخبريني؟»

«لم يكن الطلب محدّدًا لك، بالطبع، سيدتي».

«لكنّه يشملني».

«لا يمكنني تقديم المعلومات التي تريدينها، سيدتي نائبة الرئيس».

تخفض نائبة الرئيس يديها عن الطاولة وتدفع نفسها للخروج من كرسيها. «منذ متى؟» وتقول بعد برهة: «هل يختبئ الرئيس عنّا؟»

تقف كارولين أيضًا، وتتبادلان التحديق مرة أخرى. لم تتوقع أن تجيبها كارولين، وبدورها كارولين لم تخيّب ظنّها. معظم الناس سيذوون تحت ضغط التّحديق، وتحت قلق الصّمت، لكن براندت على يقين من أنّ كارولين ستحدّق إليها طوال الليل إن كان ذلك ما يتطلبه الأمر.

«هل هناك أي شيء آخر، سيدتي نائبة الرئيس؟» هذا هو التّأثير الرائع في صوتها، الذي يثير نائبة الرئيس.

«لماذا فُرِضت علينا الإقامة الجبرية؟» تسأل.

تقول كارولين: «العنف الذي وقع الليلة الماضية. إنّه فقط إجراء وقا...».

تقول: «لا، كان العنف الليلة الماضية مع مكتب التحقيقات الفيدرالي والخدمة السّرية الوطنية كما ورد في التحقيق، أليس كذلك؟ أم أنّ التحقيق مزوّر؟ على الأقل، هذا ما أُعلن عنه».

تكتفي كبيرة موظفي البيت الأبيض بالصّمت، لا تحرّك. دائمًا بدت تلك القصة لبراندت زائفة. ثم تقول «هذا العنف - قد يتطلب إقامة جبرية وجيزة في البداية فقط».

«بضع دقائق، ساعة، إلى أن يترتّب كل شيء. لكنني كنت هنا طوال الليل! هل من المفترض أن أبقى هنا؟»

«في الوقت الحاضر، نعم سيدتي».

تتّجه نحو كارولين وتتوقّف فجأة. «إذن لا تخبريني أنه بسبب العنف في العاصمة الليلة الماضية. أخبريني لماذا

نحن في وضع الإقامة الجبرية حقًا. أخبريني لماذا نحن في بروتوكول استمرارية الحكومة. قولي لي لماذا يخشى الرئيس على حياته الآن».

تنظر كارولين بتطرّف وقسوة عدة مرات لكنها تحافظ على اتّزانها. «سيدتي، أعطيتُ أمرًا مباشرًا من الرئيس من أجل تأمين الإقامة الجبرية، ومن أجل بروتوكول استمرارية الحكومة. لست في مكانة تسمح لي بالسؤال عن الأمر. ولستُ في منزلة تسمح بالسؤال لماذا. وكذلك ليســ..». تنظر بعيدًا، وتثني شفتيها داخل فمها.

«وهذا ليس مكاني، أيضًا - هل هذا ما كنت ستقولينه، كارولين؟»

تستدير كارولين وتنظر بتركيز إلى عينيها. «نعم، سيدتي. هذا ما كنت سأقوله».

تنكّس نائبة الرئيس رأسها رويدًا رويدًا، ويتّقد وجهها ببطء.

«هل هذا بشأن الإقالة؟» تسأل، رغم أنها لم تكن تتخيل كيف.

«لا، يا سيدتي».

«هل هذه مسألة أمن قومي؟»

لا تجيب كارولين، وتُبقي هذه النقطة عالقة.

«هل هذا عن عصور الظّلام؟»

لم تجفل كارولين لكنها لا تجيب على هذا السؤال.

تقول: «حسنًا، سيدة بروك، قد لا أكون الرئيسة».

إلى الآن.

«لكنّي نائبة الرئيس. لا أتلقى أوامر منكِ. ولم أسمع أمرًا بتأمين الحماية من الرئيس. الذي يعرف كيف يصل لي. رقمي في دليل الهاتف. لذا متى ما أراد فإنه يستطيع الاتصال بي واطلاعي ما الذي يحدث بحق الجحيم».

تستدير وتتّجه نحو الباب.

«إلى أين تذهبين؟» تسأل كارولين، بصوت مختلف وأقوى وأقل مراعاة لها.

«أين تعتقدين أنني ذاهبة؟ أمامي يوم كامل، بما في ذلك مقابلة تلفازيّة في برنامج لقاء الصّحافة، وسيكون السؤال الأول فيه هو: أين الرئيس؟»

والأهم من ذلك، وقبل ذلك: اللقاء الذي حددته الليلة الماضية، بعد تلقي مكالمة هاتفية في محل إقامتها الشخصي. يمكن أن يكون واحدًا من أكثر الاجتماعات إثارة للاهتمام في حياتها.

«أنتِ لن تغادري مركز العمليات».

تتوقّف نائبة الرئيس عند المدخل. تستدير لمواجهة كبيرة موظّفي البيت الأبيض، التي تحدّثت إليها للتّو بطريقة لم يسبق أن فعلها أي شخص مرّ عليها منذ الانتخابات – منذ فترة طويلة قبل ذلك، في الواقع.

«عفوًا؟»

«لقد سمعت ما قلت». كبيرة موظّفي البيت الأبيض انتهت، على ما يبدو، مع أي شكل من أشكال الإذعان.

«الرئيس يريدك في مركز العمليات».

«وأنتِ تسمعينني، أنتِ غير منتقاة للإخفاق. أنا فقط أتلقى الأوامر من الرئيس. إلى أن أسمع منه، سأكون في مكتبي في الجناح الغربي».

تخرج من الغرفة إلى الرّدهة، حيث يراقب رئيس مكتبها، بيتر إيفيان.

«ما الذي يحدث؟» يسأل، وهو يسير معها جنبًا إلى جنب.

تقول: «سأخبرك بما لم يحدث. وأنا لن أسير في سفينته((29))».

((28)) هزّ القارب: أن تفعل أو تقول شيئًا قد يعرض وضعًا مستقرًا للخطر أو يزعج الوضع الراهن.

((29)) لن أسير في سفينته: أي لن أضحي بنفسي من أجل هذا.

45

هدوء ما قبل العاصفة.

الهدوء، الذي هو في الأساس ليس لأجله، بل لأجلهم، لأجل شعبه، لأجل طاقمه الصّغير من عباقرة الكمبيوتر، الذي قضى الاثني عشرة ساعة الأخيرة في عيش الحياة الجيدة. التي تمثّل في النساء اللّطيفات اللواتي عادة لا ينزعجن من إلقاء نظرة في اتجاههن، الطاقم الذي ثمل بعشرة طرق مختلفة، وتبدّت له المسرّات التي لم يختبرها قط في حياته اليانعة. الطاقم الذي شرب الشمبانيا من زجاجات تصل عادة إلى شفاه النّخبة في العالم فقط. واحتفل على بوفيه من الكافيار وكبد الإوز والكركند وأجود قطَع الستيك.

جميعهم ينامون الآن، وآخرهم أوى إلى فراشه قبل ساعة فقط.

لن ينهض أيٌّ منهم قبل الظّهيرة. ولن يستفاد من أيّ منهم اليوم.

حسناً. لقد قاموا بدورهم.

يجلس سليمان سيندوروك في شرفة شقة، تحترق السجائر بين أصابعه، والهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر المحمول والقهوة على المائدة المجاورة له، ويتناول الكرواسون بمفرده بينما يرفع وجهه في ضوء شمس الصباح.

استمتِع بهذا الصباح الهادئ، يقولها مذكّرًا نفسه. لأن

الشمس عندما تشرق غدًا فوق نهر سبري هذه المرة، لن يكون هناك سلام.

يضع فطوره جانبًا. لا يستطيع أن يجد السلام لذاته. ولا يمكنه إجبار نفسه على تناول الطّعام، فالحموضة تسبح في معدته.

يسحب جهاز الكمبيوتر المحمول، ويفعّل الشّاشة، ويتصفّح من خلالها أهم الأخبار على الإنترنت.

العنوان الرئيس: مؤامرة اغتيال الملك سعد بن سعود ملك المملكة العربية السعودية التي أُجْهِضتْ، واعتقال متورطين فيها. والدوافع المحتملة، حسب ما أوردته الأخبار على لسان الخبراء هي: إصلاحات الملك الجديدة المناصرة للديموقراطية، تحرير حقوق المرأة، الموقف المتشدد ضد إيران، قيادة السعودية لتحالف دعم الشرعيّة في اليمن.

العنوان الثاني: الأحداث التي وقعت في واشنطن الليلة الماضية، وإطلاق النار والانفجار على الجسر، وإطلاق النار في الملعب، والإغلاق المؤقت للبيت الأبيض. ليس إرهابًا، كما قالت السلطات الاتحادية. لا، لقد كان ذلك كله جزءًا من تزوير التحقيق الذي أجراه مكتب التحقيقات الفيدرالي ووزارة الخزانة. حتى الآن، يبدو أنّ وسائل الإعلام تمّ رشوتها، مرّ فقط بضع ساعات على القصة.

وإطفاء أنوار الملعب كافّة الذي سبق مباشرة إطلاق النار - هل هي مصادفة؟ نعم، تقول السلطات الفيدرالية. مجرد صدفة خالصة أنّ الملعب كان ممتلئًا بالناس، والجميع

داخل دائرة نصف قطرها ربع ميل، حدثت تجربة انقطاع التيار الكهربائي الضّخم، مجرّد نبضة قلب قويّة أو اثنين قبل أن يُشعل عملاء الحكومة الفيدرالية والمزيفون شارع كابيتول، كما لو كانوا يعيدون إطلاق النار القصير الشهير في إصطبل أولد كاندسليلي في أريزونا.

يجب على الرئيس دنكان أن يعرف أنّ هذه القصة السخيفة لن تصمد إلى الأبد. لكنه على الأرجح غير مهتم. ما يعني أنّ الرئيس يسعى لمجرد كسب الوقت.

لكنه لا يعرف كم من الوقت لديه.

يصدر أحد هواتف سليمان طنينًا، إنها المحرقة. كانت الرسالة النصيّة تنتقل حول العالم قبل أن تصل إليه، من خلال عملاء مجهولين، وتتوقف على الخوادم البعيدة في اثني عشر بلدًا مختلفًا. أي شخص يحاول تعقب الرسالة النصية سيصل إلى أي مكان من سيدني، أستراليا، نيروبي، كينيا، مونتيفيديو، أوروغواي.

«تأكيد - نحن على الموعد المحدّد،» تقول الرسالة.

يتصنّع ابتسامة. كما لو أنهم يعرفون ما هو الجدول الزمني!

يكتب ردًا «تأكيد - ألفا ماتت».

ألفا هي نينا.

في جميع العناوين التي نُشرت على الإنترنت حول العنف الذي حدث اللّيلة الماضية في ملعب البيسبول، وإطلاق النار والانفجار على الجسر بين العاصمة وفيرجينيا، لم يكن هناك أي ذكر لامرأة ميتة.

يضغط زر الإرسال، ينتظر بينما تسافر الرسالة النصيّة في مسارها غير المباشر.

تسري رفرفة عبر جسده. إنها لدغة الخيانة، خيانة نينا. وشعور الخسارة أيضًا. ربما حتى أنه لم يُدرك مشاعره تجاهها بالكامل. عقلها الثّوري. وجسدها الصّلب الرّشيق. شهيتها النهمة للاستكشاف، في عالم الحرب الإلكترونية كما في غرفة النوم. الساعات والأيام والأسابيع التي قضتها في التّعاون، وتحدّي بعضهم بعضًا، وتغذية بعض الأفكار الأخرى، وعرض وإطلاق الفرضيّات، والتّجارب، والأخطاء، والجلوس أمام جهاز كمبيوتر محمول، والتّنظير مع كوب من النبيذ أو عارية في السرير. قبل أن تفقد اهتمامها العاطفي به. الذي يمكنه أن يتعايش معه. لم تكن لديه نية للبقاء مع امرأة واحدة. لكنه لم يستطع أبدًا فهم كيف يمكنها أن تتعامل مع أوجي، ومن بين جميع الناس، ذاك الشّيطان الصغير.

توقّف. يلمس عينيه. لا هدف من ذلك.

يأتي الرّد كالتالي: «بلغنا أنّ ألفا توفّيت بالتأكيد».

هذا ليس تأكيدًا حقيقيًّا. لقد أكّدوا له على الكفاءة المهنية للفريق الذي أرسلوه إلى أمريكا، وليس لديه خيار سوى تصديقهم.

يرسل سليمان ردًّا: «إن ماتت ألفا، فنحن على الموعد المحدّد إذن».

يأتي الرد بسرعة بحيث أن سليمان افترض أنه تقاطع مع رسالته: «تأكيد - بيتا على قيد الحياة وفي وصايتهم».

بيتا تعني أوجي. إذن لقد فعلها. إنّه مع الأمريكيين.

لم يستطع سليمان فعل شيء سوى الابتسام.

رسالة أخرى، بعد وقت قصير من آخر رسالة. يبدو أنهم متوتّرون.

«تأكيد على أننا في الموعد المحدد رغم هذا التطوّر».

يجيب بسرعة: «تأكيد - في الموعد المحدد».

يعتقدون أنهم على علم بالجدول الزمني لتفجير الفيروس. إنهم لا يعلمون.

ولا حتى سليمان يعلم في هذه المرحلة. أصبح الأمر الآن في يد أوجي بالكامل.

سواءً أدرك ذلك أم لا.

46

«... لابدّ أن نوقظه».

«سيستيقظ عندما يستيقظ».

«تقول زوجتي إنّ علينا أن نوقظه..».

تغمرني المياه. أشعة الشمس المتلألئة على أمواج البحر الممتدّة.

أسبح باتجاه سطح الماء، أتخبّط بذراعيّ، أركل برجليّ.

اندفاع الهواء إلى رئتيّ، والضوء السّاطع يؤلم عينيّ...

أرمش، عدّة مرات، وأتّجه بنظري إلى الضوء المُسلّط على وجهي، وتعود عيناي بالتّدريج إلى التركيز.

أُركز على أوجي، الجالس على الأريكة، والمُقيّد بالأغلال في معصميه وكاحليه، وعينيه الثقيلتين المحاطتين بهالات داكنة.

تعويم الوقت لا يعني شيئًا، كما أرى عينيه تضيقان في محاولة للتّركيز، وتتحرّك شفتاه قليلًا.

من أنت، أوغستاس كوسلينكو؟ هل يمكنني أن أثق بك؟

لا أملك خيارًا. إمّا أنت أو لا أحد.

يلف معصمه قليلًا، بشكل غير ملحوظ. غير آبه بالحديد الذي يكبّله.

ومتفقّدًا ساعته.

ساعته فحسب.

«في أي وقت... في أي يوم..». أبادر في السؤال، أتوقّف بسبب الآلام في رقبتي وظهري، وجهاز القسطرة الوريدية الناتئ من ذراعي، بفعل الأنبوب المعلّق مباشرة خلفي.

«إنه يستيقظ، إنه يستيقظ!» يقول صوت زوج كارولين، مورتي.

«سيدي الرئيس، إنها دكتورة لين». يدها على كتفي. وجهها بيني وبين ضوء المصباح.

«أجرينا نقل الصّفائح الدّموية. أنت بخير. إنها الساعة الثالثة وخمس وأربعون دقيقة صباحًا، صباح السبت. لقد غبت أكثر من أربع ساعات بقليل».

«علينا أن..». أبدأ مرة أخرى، وأميل إلى الأمام، أشعر بشيء تحتي، شيء من الوسائد.

تضغط دكتورة لين بلطف على كتفي. «اهدأ الآن. هل تعرف أين أنت؟»

أحاول التّخلص من أنسجة العنكبوت. أشعر بعدم التّوازن، لكنني أعرف بالتأكيد أين أنا وماذا أواجه.

«لا بدّ لي من الذّهاب، دكتورة. ليس لديّ وقت. أخرجي جهاز القسطرة الوريدية هذا».

«قف. انتظر».

«أزِل جهاز القسطرة هذا، أو سأفعل أنا يا مورتي» أقول، وأشاهده غارقًا في هاتفٍ إلى أذنه. «هل هذه

كارولين؟»

تقول لي دكتورة لين دون ابتسامة: «توقف! انسَ مورتي دقيقة واحدة. امنحني ستين ثانية واستمع إليّ مرّة واحدة».

آخذ نفسًا. وأقول: «ستون ثانية، انطلقي».

«كبيرة الموظفين أوضحت أنّك لا تستطيع البقاء هنا، وأنك يجب أن تكون في مكان آخر. لا أستطيع أن أمنعك لكن يمكنني أن أذهب معك».

أردّ: «لا، هذا ليس خيارًا».

تعمل على فك الجهاز. «الأمر ذاته قالته كبيرة موظفيك. هذا جهاز القسطرة الوريدية، خذه معك في السيارة. انتهيت من الحقيبة. عميلك، العميل..».

«جاكوبسون» ينادي.

«نعم. يقول إنّه تدرّب بعض الشيء على السّيطرة على الجرح في الوقت الذي قضاه مع وحدات العسكرية البحرية. يمكنه إزالة جهاز القسطرة الوريدية عندما ينتهي».

«حسنًا». أقول، وأميل إلى الأمام، أشعر كأنّي رُكلت في الرأس ست مرّات أو ثماني. تدفعني للوراء. «الثواني السّتون لم تبدأ بعد». تميل لتصبح أقرب.

«يجب أن تكون مسطّحًا على ظهرك خلال الساعات الأربع وعشرين القادمة. أعلم أنك لن تفعل ذلك. لكن يجب أن تحُدّ من مجهودك البدني قدر الإمكان. اجلس،

لا تقف. امشي، لا تهرول أو تجري».

«أفهم». أمسك يدي اليمنى، وأهزّ أصابعي. «مورتي، أعطني كارولين».

«نعم يا سيدي».

يضع مورتي الهاتف في يدي. أضعه على أذني. «كارولين، سوف يكون اليوم. ألقِ كلمة لفريقنا بأكمله. هذا اعتراف رسمي بأننا سننتقل إلى المرحلة الثانية».

كل ما أريد أن أقوله هو مدى جاهزيّتنا لما نحن على وشك مواجهته. تحت سيناريوهات الكوارث «الطبيعية»، على الأقل تلك التي تحدث بعد عام 1959، أود أن أشير إلى مستويات حالة الاستعداد الدفاعي، إمّا لجميع الأجهزة العسكرية في جميع أنحاء العالم أو لقيادات مختارة. لكن هذا أمر مختلف - فنحن نواجه أزمة لم يتم تصوّرها في الخمسينيات، ويجب أن تكون هناك أشياء تتحرك بطرق مختلفة تمامًا عما يمكن أن نفعله أثناء هجوم نووي عادي. تعرف كارولين تمامًا ما تعنيه المرحلة الثانية، فقد كنّا في المرحلة الأولى مدّة أسبوعين.

لا شيء من الطّرف الآخر، فقط أنفاس كارولين.

تقول: «*سيدي الرئيس، ربما تكون قد بدأت بالفعل*».

أستمع إلى اثنتين من أسرع وأطول الدّقائق في حياتي.

أنادي: «أليكس، انس القيادة. اطلب لنا مروحيّة مارين ون».

47

يقود جاكوبسون السيّارة. يجلس أليكس إلى جانبي في المقعد الخلفي، وحقيبة جهاز القسطرة الوريدية تتوسّطنا. يعبر أوجي من ناحيتي ويجلس.

في حضني جهاز كمبيوتر، مفتوح على تسجيل فيديو. الفيديو عبارة عن لقطات تابعة للقمر الصناعي، ترصد أحد شوارع المدينة، حيث توجد منطقة صناعية في لوس أنجلوس. يقع على مُعظم الشارع مبنىً واحد كبير، ويُستكمل بالمداخن، إنه أشبه بمحطة كبيرة.

يسود الظلام كل شيء. يظهر الوقت في زاوية تسجيل الفيديو، حوالي الثانية صباحًا، أي قبل نحو ساعتين.

ومن ثم تنفجر كتلة نارية من اللّهب البرتقالي عبر السّقف والنوافذ الجانبية، ثم اهتزاز أدّى إلى انهيار في جانب المنشأة الصّناعية تلك. يختفي شارع المدينة بأكمله الذي تغطيه سحابة من الدّخان الأسود البرتقالي.

أُوقِف الفيديو مؤقتًا وأنقر على المُربع الموجود في جانب الشاشة.

يفتح المُربع على شاشة كاملة، تنقسم بدورها إلى ثلاث شاشات. في الشاشة المركزية كارولين، من البيت الأبيض. إلى يسارها تظهر مديرة مكتب التحقيقات الفيدرالي إليزابيث غرينفيلد. إلى يمين كارولين أرى سام هابر، وزير الأمن الداخلي.

أضع سماعات الرأس الموصولة بجهاز الكمبيوتر المحمول،

لذا فإن المحادثة من جانبهم ستصل إلى أذنيّ فقط. أريد أن أسمع هذا أوّلًا، بشكل كامل، دون أن يسمع أوجي شيئًا ولو عن طريق الصدفة.

أقول: «حسنًا، لقد شاهدته، ابدأ من البداية». صوتي مثير للشفقة وأتخلّص من مخلّفات العلاج وأحاول التّركيز.

يقول سام هابر: «*سيدي الرئيس. استمر الانفجار حوالي ساعتين. كان الانفجار هائلًا، يمكنك أن تتخيل ذلك، فما زالوا يحاولون السيطرة عليه*».

«أخبِرني عن المجموعة» أقول.

«*سيدي، إنه مقاول دفاع. إنه أحد أكبر المقاولين في وزارة الدفاع. و لديهم عدد من المواقع حول مقاطعة لوس أنجلوس*».

«ما المميز في هذا؟»

«*سيدي، هذه المحطة تبني طائرات استطلاع*».

أنا لا أربط الأمور، لكني أتساءل: «مقاولو الدفاع؟ طائرات الاستطلاع؟ الخسائر؟»

«*نحن نؤمن بالعشرات وليس بالمئات. كان ذلك في منتصف الليل، وكانوا على الأغلب أفراد الأمن فقط. لكن من المبكّر معرفة ذلك على وجه اليقين*».

«والسّبب؟» أسأل حذرًا لأحدّد طرفي من المحادثة.

«*سيدي، كل ما يمكننا قوله بكل يقين إنّه انفجار غاز. وهو تلقائي ولا يوجد ما يدلّ على أيّ عنصر عدائي. انفجارات الغاز تحدث، هذا معروف*».

أُلقي نظرة على أوجي الذي يراقبني. بينما يرِف بعينيه وينظر بعيدًا.

أقول: «هناك سبب لنقلكم هذا الأمر إليّ الآن».

«سيدي، هذا صحيح. وصلت المجموعة للدفاع. يصرّ الفنّيون على أنّ شيئًا ما بطريقة أو بأخرى، أعاد ضبط سرعة المضخّة وإعدادات الصّمام. بعبارة أخرى، التّخريب هو الذي أنتج ضغوطات طغت على الوصْلات واللّحامات. لكن ذلك لم يتم يدويًّا، بل هناك شخص ما قام بهذا. هذه الأماكن مُحاطة بأمنٍ أكثر تشدّدًا من المكاتب الحكومية».

«تمّ ذلك عن بُعد». أقول.

«سيدي، هذا صحيح. يعتقدون أنه تمّ عن بُعد. لكننا لا نستطيع أن نصرّح بذلك بعد على وجه اليقين».

لكنني أراهن أني أعرف من يستطيع ذلك. ألقي نظرة على أوجي، الذي ينظر في ساعته، غير مدرك أنني أشاهده.

«ماذا عن المشتبه بهم؟» أسأل.

يقول سام: *«لا شيء واضح لنا بعد. لدينا فريق الاستجابة لحالات الطوارئ الإلكترونية لأنظمة التحكم الصناعية لبحث الأمر»*. ويشير إلى فريق الاستجابة لحالات الطوارئ الإلكترونية في وزارة الأمن الأمريكي لأنظمة التحكم الصناعية. يقول: *«لكننا نعرف هذا جيدًا يا سيدي. لقد حاول الصينيون اختراق أنظمة خطوط أنابيب الغاز في عام 2011 و عام 2012. ربما يعني هذا أنهم نجحوا.*

إذا قاموا بتفريغ بيانات الاعتماد من مستخدم النظام، فإنّه يمكنهم القيام بما يريدون داخل النظام».

الصينيّون. ربما.

«أعتقد أنّ السؤال الأوّل هو، هل نعتقد...».

ألقي نظرة خاطفة إلى أوجي، الذي بدوره ينظر إلى خارج النافذة.

تقول كارولين: «هل يمكن أن تكون هذه عصور الظّلام؟» تتفهم امتناعي عن قول الكثير أمام أوجي. مرة أخرى، مِن هناك هي معي، وتقرأ أفكاري، وتنهي جُملتي كي لا يسمعها أوجي.

أطرح السؤال لرغبتي في أن أعرف. لكني أسأل أيضًا لأنني أريد أن أسمع رد وزير الأمن الداخلي. سام هو أحد أفراد دائرة الثمانية الذين يعرفون عن عصور الظّلام. لم تسرّب كارولين الأمر لأحد، كما لم تفعل ليز غرينفيلد. لذا استبعدت اثنين من الثمانية. أمّا سام هابر فهو واحد من الستة الذين لم أستبعدهم.

يخرج سام لاستنشاق الهواء، ويهزّ رأسه، وكأنّ شعورًا بوجود خطأ ما يجتاحه. *«حسنًا، سيدي الرئيس، السيدة بروك أبلغتني أنه لدينا سبب للاعتقاد بأنّ هذا اليوم هو اليوم الموعود».*

أقول: «صحيح».

«لم تخبرني بمصدر تلك المعلومات».

«صحيح». أكرّرها على طريقتي في الحديث، ونحن لن

نخبرك بالمصدر يا سام.

إنه ينتظر الانتصار ويدرك أنّه لن يحصل على أكثر من ذلك. يميل برأسه، لكنّه لا يرد. «صحيح، حسنًا، سيدي، إذا كان الأمر كذلك، فأنا أقرّ بأن التوقيت مشبوه. لكن مع ذلك، يجب أن أخبرك أنّ هذا الأمر مختلف. عصور الظّلام هي برمجيات خبيثة، فيروسات اكتشفناها».

حسنًا، لم نكتشفها تمامًا. كشف - أوجي ونينا - ذلك لنا. لكن سام لا يعرف ذلك. حتى أنّه لا يعرف أنّ أوجي موجود. وربما هو يعرف.

«لكن هذه - يبدو أكثر أنها طريقة تقليدية، مثل التصيّد الإلكتروني بالحربة» ويكمل قائلًا: «محاولة استغفال مسؤول تنفيذي في شركة ما، عن طريق إلهائه لفتح ملف مرفق مع بريد إلكتروني، أو النقر على رابط، ليتم تثبيت شفرة خبيثة يتيح للمُخترِق الوصول إلى بيانات الشّركة المعتمدة وجميع أنواع المعلومات الحسّاسة فيها. بمجرد أن تقوم بتفريغ البيانات المعتمدة وتحصل على هذا النوع من الاختراق، يمكنك أن تضرب كما تشاء - مثلما حدث هنا».

«لكن كيف نعرف أنّ الأمر يختلف عن عصور الظّلام؟» تضغط كارولين. «لا يمكننا أن نقول إنّ عصور الظّلام لم تأت من التصيّد الإلكتروني بالحربة. ليس لدينا أي فكرة عن كيفية إصابة النّظام بالفيروس».

«أنت على حق. لا أستطيع استبعاد ذلك بعد. فقد انقضت بضع ساعات فحسب. سنحصل على تصريح

للبحث في ذلك. وعندها سنحصل على إجابة في أسرع وقت ممكن».

إن جُملة في أسرع وقت ممكن تكتسب معنى جديدًا اليوم.

يقول سام: «*سيدي الرئيس، لقد توصّلنا إلى جميع شركات الغاز حول خط أمن الأنابيب، التي يعمل فريق الاستجابة لحالات الطوارئ الإلكترونية معهم على بروتوكولات التخفيف في حالات الطوارئ. ونأمل أن نوقف هذا قبل أن يتكرّر حدوثه*».

«سيدي الرئيس». يدفعني أليكس برفق. وصلت السيارة إلى مهبط المروحيّات في ولاية فرجينيا الشرقية، مارين ون مروحيّة مهيبة ذات لونين أخضر وأبيض، مضاءة فقط بالأضواء المحيطة بمهبط الطائرة.

«سام، سأسمح لك بالعودة إليها الآن». أقول. «أبْقِي على كارولين وليز في الدّائرة في جميع الأوقات. هما فقط. هل هذا واضح؟»

«*نعم يا سيدي. وأنا أؤيد ذلك*».

يختفي ثلث الشاشة الذي كان يشغَله سام. ويُعاد ضبط الشاشة لتظهر كارولين وليز كلٌّ في نِصف الشاشة.

أنتقل إلى أليكس. «أحضر أوجي إلى مروحيّة مارين ون. وسأكون هناك».

أنتظر أليكس وأوجي لمغادرة السيارة. ثم أنتقل إلى كارولين وليز.

أقول: «لماذا يريدون تفجير محطة مقاولي الدفاع لطائرات الاستطلاع؟»

48

«لا أحمل أي فكرة» يقول أوجي عندما أسأله السؤال نفسه.

نجلس داخل مارين ون، يقابل بعضنا بعضًا بترَف على مقاعد جلديّة ذات لون كريمي، بينما ترتفع المروحيّة بصمت في الجو.

يقول: «لستُ على علم بأي فعل من هذا القبيل. ولم أشارك في أي شيء من هذا الأمر».

«القرصنة في نظام خطوط الأنابيب. وفي نظام مقاولي الدفاع. أنت لم تفعل أشياء كهذه من قبل؟»

«سيدي الرئيس، إن كنّا نتحدث بشكل عام، فإذن نعم، لقد فعلنا مثل هذه الأشياء. أنت تتحدث عن التصيّد الإلكتروني بالحربة، ألم تقل ذلك؟»

«أجل».

«إذن نعم، لقد فعلنا هذه الأشياء. الصينيون أتقنوه كفن في البداية. حاولوا اختراق أنظمة أنابيب الغاز، أليس كذلك؟»

النّقطة نفسها التي أشار إليها سام هابر.

يقول أوجي: «هذ أمر معروف، ما فعله الصينيون. لكننا لم نفعل ذلك هنا. أو يجب أن أقول إننا لم نفعل ذلك».

«هل سليمان سيندوروك قادر على اختراق خطوط أنابيبنا دونك؟»

«بالطبع. لديه فريق من هؤلاء الأشخاص. أودّ أن أقول إنني على الأرجح الأكثر تطوّرًا بينهم، لكننا لا نتحدث عن شيء صعب. يمكن لأيّ شخص إلحاق فيروس ببريد إلكتروني، ثم نأمل أن يفتحه الشخص المستهدف».

المتوحّش، الغرب المتوحّش، هذا الإرهاب الإلكتروني. هذه الحدود الجديدة المخيفة. يمكن لأي شخص جالس على الأريكة بملابسه الداخلية زعزعة أمن أمّة.

«لم يصلك أي شيء عن لوس أنجلوس».

«لا».

«لذا أنت لا تعرف أي شيء عن هذا».

يقول: «لا أعلم. ولا أستطيع أن أفهم ما الفائدة من تفجير شركة تقوم ببناء طائرات لك».

لا أستطيع أن أختلف معه. ما الغرض الذي من شأنه أن يخدم تدمير محطة مقاولي طائرات الاستطلاع؟ يجب أن يكون هناك شيء أكبر من هذا.

«حسنًا. حسنًا، أوجي».

أفرك عينيّ لمحاربة الإنهاك من نقل الصّفائح الدّموية، ومحاربة الغضب المستمر لجهلنا ما هو آتٍ.

«إذن أخبرني، أخبرني كيف تسلّلتَ إلى أنظمتنا، وأخبرني ما هي الأضرار التي ستسبّبها».

أخيرًا لدينا فرصة. منذ أن التقينا أوّل مرة في الملعب، وما حدث لتفادي الرّصاص والفرار من كمين السيارة وانهياري قرب منتصف الليل، لم نُتح لنا الفرصة لإنهاء

هذا.

يقول: «يمكنني أن أؤكد لك أنّ جهودنا لم تكن بدائية جدًّا مثل الفيروسات المتسلّلة عبر رسائل البريد الإلكتروني، مع أمل أن يفتحها الشخص المستهدف. كما أؤكد لك أنّ شفرة عصور الظّلام ملائمة تمامًا».

49

أُجبرتُ على ارتشاف شيء من القهوة على متن مروحيّة مارين ون، بأمل أن أتخلّص من التّشويش الناجم عن الدواء. يجب أن أكون حاضر الذهن في اللعبة، مئة في المئة. إنها الخطوة التالية التي قد تكون الأهمّ.

الفجر مجرد استراحة، تتلوّن فيها الغيوم بالبرتقالي الناري الرائع. عادة ما أكون متأثّرًا بعمق في هذا المشهد، فهو تذكير بالقدرة المطلقة للطبيعة، وبمدى صغرنا في هذا العالم الذي ورثناه. لكن بدلاً من ذلك تستحضر الغيوم في ذاكرتي مشهد الكرة النارية في لوس أنجلوس عبر صور الأقمار الصناعية، وتخبرني الشمس المشرقة أنّ الساعة تدق دقًّا عميقًا ذا صدى.

يقول لي أليكس تريمبل: «إنهم مستعدون لنا». ويتطلعون إلى لقائي من بعد تلك المحادثات التي أجراها معي عبر سماعة الرأس.

«غرفة الاتصالات آمنة. غرفة الحرب آمنة. الأرضيات مُمشّطَت وآمنة. أما الحواجز والكاميرات فموزّعة في أماكنها».

هبطنا دون عناء في مكان مخصص لهبوط المروحيات، وهي قطعة أرض مربّعة الشكل مفتوحة بين الغابات الشاسعة في جنوب غرب فرجينيا. نحن الآن في وسط أرض مملوكة لصديقي، إنه صاحب رأسمال مغامر، لا يفهم شيئًا، بحسب اعترافه، فيما يسمّيها الأمور التقنية الحاسوبية، لكنه معروف كرابح عندما يشمّها، ويستثمر

الملايين في شركة برمجيات مبتدئة ومن ثَمّ يحوّل تلك الملايين إلى بلايين.

هذه هي جنّته، مكانه لصيد أسماك البحيرة أو صيد الغزلان عندما لا يكون في مانهاتن أو وادي السليكون. أكثر من ألف فدان من أشجار الصّنوبر والزهور البرية بولاية فرجينيا، والصيد وركوب القوارب، والتنزّه مسافات طويلة وحفلات السّمر. لقد جئت أنا وليلي إلى هنا بضعة أيام في عطلة نهاية الأسبوع بعد وفاة ريتشل، جلسنا على الجسر العائم، ومشينا مسافات طويلة، في محاولة للعثور على سرّ التعامل مع الخسارة.

«نحن أوّل الواصلين هنا، أليس كذلك؟» أسأل أليكس.

«نعم يا سيدي».

جيد. أحتاج على الأقل بضع دقائق أوّلًا، لترتيب بعض الأمور وتنظيف نفسي قليلًا. لا مجال للخطأ الآن.

في الساعات القليلة القادمة، يمكن أن نغير تاريخ العالم لأجيال.

جنوب موقع الهبوط هناك مسارات تؤدي إلى رصيف القوارب، لكن كل ما يمكنك رؤيته هو غابات كثيفة. إلى الشمال منّا يقع البيت الريفي الذي بُنِي منذ أكثر من عقد من الزمن من جذوع أشجار الصنوبر البيضاء، وقد تحوّل لون الخشب على مر السنين من الأصفر البني إلى البرتقالي الداكن الذي يتطابق تقريبًا مع السماء عند الفجر.

أحد أفضل الأشياء في هذا المكان، لا سيما من وجهة نظر أليكس، هو عدم إمكانية الوصول إليه. لا توجد طريقة للدخول إلى هذا العقار من الجنوب أو الغرب، لأنه محميّ بسياج كهربائي يبلغ ارتفاعه ثلاثة وستين قدمًا مزوّد بأجهزة استشعار وكاميرات.

الجانب الشرقي للعقار يتاخم بحيرة ضخمة، يحرسها عملاء الخدمة السّرية الوطنية الواقفين على الرّصيف. وللوصول إلى العقار بالسيارة، فإنّه يجب عليك العثور على طريق مرصوف بالحصى غير معروف قبالة الطريق السريع للمقاطعة، ومن ثم الانعطاف في طريق ترابي محاط بسيارات الخدمة السّرية الوطنية أيضًا.

صمّمت على حماية الموقع من الأضواء، لأنه يجب أن يظل سريًا. ما هو على وشك الحدوث يجب أن يبقى سريًا تمامًا. وتميل الخدمة السّرية الوطنية إلى الظّهور عندما تكون في كامل قوتها - فهي تهدف إلى التميز. لقد حقّقنا توازنًا جيدًا بين الأمان والتّخفي.

أمشي على ساقين غير مستقرتين فوق المنحدر الطفيف، حاملًا جهاز القسطرة الوريدية في يدي لأن العجلات لا تتحرك بشكل مريح عبر العشب الكثيف. الهواء هنا مختلف جدًا، إنّه منعش ونظيف ولطيف مع رائحة الزهور البرية، ممّا يغريني بأن أنسى ولو لحظة أنّ العالم قد يكون على حافة كارثة.

تنتصب خيمة سوداء بالكامل على أحد جوانب المرج الأخضر. إن لم يكن لأجل اللّون، وحقيقة أنّ الستائر تغطي جميع جوانبها، فإنها ستبدو مثل أيّ خيمة أخرى

أُعدّت لاحتفال خارجي. وبدلًا من ذلك، نُصِبتْ خيمة للسّماح بإجراء محادثات خاصة، إمّا شخصية أو إلكترونية، في عزلة تامة، وللتشويش على جميع الإشارات الأخرى، وأيّ محاولات للتّنصت.

سيكون هناك كثير من المحادثات الهامّة والسريّة اليوم.

في الداخل، تم الحفاظ على ثيمة الريف إلى حد كبير - هناك بعض التّذكارات البرية التي عُلّقت على الجدران، والصّور المُعلقة في إطارات من أخشاب الصنوبر، وقارب منحوت يصلح لخزانة كتب. ويقف رجل وامرأة على أهبة الاستعداد عند دخولي، يلفت نظرهما جهاز القسطرة الموصول إلى ذراعي لكنهما لا يقولان شيئًا. الرجل هو ديفين ويتمر، البالغ من العمر ثلاثة وأربعين عامًا، ويبدو كأستاذ جامعي - سترة وسروال للرياضة، وقميص بياقة مفتوحة، وشعره طويل مُصفّف إلى الخلف، وبعض اللّون الرّمادي الذي يتلألأ في اللّحية التي تغطي وجهه الرقيق - عدا ذلك، فإنّه يبدو شابًّا دون الانتفاخات أسفل عينيه التي تعكس الضغط الذي تحمّله خلال الأسبوعين الماضيين.

أمّا المرأة فهي كايسي ألفاريز، البالغة من العمر سبعة وثلاثين عامًا، وهي أطول قليلًا من ديفين، ولها نظرة أكثر احترافية كموظفة في الشركات الأمريكية. انسحب شعرها الأسود للخلف، والنظارات حمراء، والبلوزة والبنطال أسودين.

ديفين وكايسي مشاركان في العمل مع فريق الاستجابة للتهديد الوشيك، وفريق العمل هذا يعدّ جزءًا من فريق

مهمّات قُمت بجمْعه بعد أن أطلقنا اسم عصور الظّلام على الفيروس الذي ظهر واختفى على خوادم البنتاغون منذ أسبوعين. أخبرت شعبي أنني لا أريد سوى الأفضل لهم، أيًّا كان ما يبدو عليه الأمر، وأيًّا كان المكان الذي أتوا منه، ومهما كلّف الأمر.

قمنا بجمع ثلاثين شخصًا، من ألمع عقولنا في مجال الأمن الإلكتروني. واستعنّا بعدد قليل منهم، وفقًا لاتفاقات السريّة الصارمة، بين القطاع الخاص - شركات البرمجيات، وعمالقة الاتصالات السلكية واللاسلكية، وشركات الأمن الإلكتروني، والمُتعهّدين العسكريين.

اثنان من قراصنة الكومبيوتر السابقين أنفسهم، واحد منهم يقضي حاليًا حكمًا بالسجن مُدّته ثلاثة عشر عامًا في سجن فيدرالي. معظمهم من وكالات مختلفة في الحكومة الفيدرالية - وزارة الأمن الداخلي، وكالة الاستخبارات المركزية، مكتب التحقيقات الفيدرالي، وكالة الأمن القومي. وقد أُوكِلَ إلى نصف فريقنا للتخفيف من حدّة التهديد - كيفية الحد من الأضرار التي لحقت بأنظمتنا والبنية التحتية بعد هجوم الفيروس.

لكن حاليًّا، أشعر بالقلق إزاء النصف الآخر، فريق الاستجابة للتهديد الوشيك الذي يعمل معه ديفين وكايسي. لقد كرّسوا جهودهم لوقف الفيروس، وهو شيء لم يتمكنوا من القيام به خلال الأسبوعين الماضيين.

«صباح الخير، سيدي الرئيس» يقول ديفين ويتمر. القادم من وكالة الأمن القومي بعد تخرجه من بيركلي، بدأ في تصميم برامج إلكترونية لحماية الكمبيوتر للعملاء، مثل شركة

آبل، قبل أن تجنده الوكالة وتأخذه بعيدًا.

طوّر أدوات لتقييم الأمن الإلكتروني الفيدرالي لمساعدة الصّناعات والحكومات على فهم استعدادها ضدّ الهجمات الإلكترونيّة. عندما تعرّضت أنظمة الرعاية الصحية الرئيسية في فرنسا لفيروس رانسوم وير قبل ثلاث سنوات، قدّمنا لهم ديفين، الذي تمكّن من تحديد موقعه وتعطيله. لا أحد في أمريكا، وأؤكد على ذلك، أفضل منه في العثور على ثغرات في أنظمة الدّفاع الإلكتروني أو في ضربها.

«سيّدي الرئيس» تقول كايسي ألفاريز. كايسي هي ابنة لمهاجرَين مكسيكيّين استقرّا في ولاية أريزونا لبدء عائلة وبناء أسطول من محلّات البقالة في الجنوب الغربي على طول الطريق. لم تُظهر كايسي أيّ اهتمام بالنشاط التجاري، حيث انجذبت بسرعة إلى عالم أجهزة الكمبيوتر وتولّدت لديها الرغبة في الانضمام إلى تطبيق القانون. عندما كانت طالبة دراسات عُليا في جامعة بنسلفانيا، تم رفضها لتولّي منصب في وزارة العدل.

لذا حين حصلت كايسي على جهاز كمبيوتر، تمكنت من القيام بما لم تتمكن السلطات الفيدرالية والدولة من القيام به لسنوات - اخترقت موقعًا إباحيًّا للأطفال، وكشفت عن هُويّات جميع رُعاة الموقع، وقدمت هدية في الأساس - هي رفع دعوى قضائية فيدرالية من أجل العدالة وإغلاق عملية كان يُعتقد أنها أكبر مزوِد للإباحية الجنسية في البلاد.

عندها وظّفتها وزارة العدل على الفور، وبقيت هناك إلى أن التحقت بالعمل في وكالة الاستخبارات المركزية.

أُرسِلت مؤخّرًا للعمل في الشرق الأوسط مع القيادة المركزية الأمريكية، حيث تقوم باعتراض وفك تشفير الاتصالات الإلكترونية بين الجماعات الإرهابية.

تمّ التّأكيد على أنهما، حتى الآن، أفضل ما لدينا على الإطلاق. وهما على وشك مقابلة الشخص الذي كان حتى الآن الأفضل.

هناك مسحة احترام في تعابيرهما وأنا أقدّمهما لأوجي. أبناء الجهاد هو فريق كلّ النجوم من قراصنة الإنترنت، وهم شخصيّات أسطورية في هذا العالم. لكني أشعر بنيران تنافسيّة أيضًا، وهو ما سيكون أمرًا جيّدًا.

أقول: «ديفين وكايسي يمكن لهما أن يقوداك إلى غرفة الحرب. وهما على اتصال مع بقية فريق الاستجابة للتهديد الوشيك في البنتاغون».

«اتبعني» تقول كايسي لأوجي.

أشعر بشيء من الارتياح. على الأقل تمكّنتُ من جمعهم معًا. بعد كل ما مررنا به، هذا في حدّ ذاته انتصار صغير. الآن يمكنني التّركيز على الآتي.

«جاكوبسون». أقول بمجرد مغادرتهم. «أزِل جهاز القسطرة هذا».

«قبل أن يفرغ، يا سيدي؟»

أُحدّق إليه. «أنت تعرف ما هو على وشك الحدوث، أليس كذلك؟»

«نعم يا سيدي، بالطبع».

«حسنًا. وأنا لا أريد أنبوبًا في ذراعي. أخْرجه».

«سيدي، حسنًا سيّدي». يبدأ العمل. يرتدي قفّازات مطاطية أخرجها من حقيبته، ويجمع وصلات الدم الأخرى. يبدأ بالتحدّث إلى نفسه، مثل طفل يحاول حفظ الخطوات فِي دليل التعليمات - *أغلِق المشبك، ثّبت القسطرة، واسحَب الملابس واللّاصق في اتجاه موضع الحقنة، و...*

أتأوّه ألمًا: «آه».

«عذرًا، يا سيدي... لا يوجد علامة على الإصابة هنا..». ووضعَ ضمادة شاش على المكان. «أمْسِك هذا».

بعد دقيقة، أنقر للأعلى وأستعد للذّهاب. أذهب مباشرة إلى غرفة نومي، إلى الحّمام الصغير الذي في داخله. أسحب ماكينة الحلاقة الكهربائية وأحلق معظم اللحية الحمراء، ثم أستخدم ماكينة وكريم الحلاقة لإنهاء المهمة. ثم أشرع في الاستحمام، وأستمتع بضغط الماء الصّاعد إلى وجهي، لقد غدت مهمّة صعبة إذ كان عليّ الحفاظ على ذراعي المضمّدة دون بلل، أي أن أقوم بكل شيء بيد واحدة. ومع ذلك كنتُ بحاجة إلى الاستحمام. وكنتُ بحاجة إلى حلاقة. أشعر بتحسن، تظلّ المظاهر مهمّة، على الأقل ليوم واحد آخر.

أرتدي ملابس نظيفة أعطاني إيّاها زوج كارولين. ما زلت أرتدي بنطال جينز وحذاءً، لكنه أعطاني قميصًا خفيفًا مناسب جدًا أيضًا، بالإضافة إلى بوكسر نظيف وجوارب نظيفة. بالكاد انتهيت من تمشيط شعري حين

وصلتني رسالة نصية من ليز، مكتب التحقيقات الفيدرالي، تخبرني فيها أننا بحاجة إلى التحدّث.

«أليكس!» أنادي. يدخل إلى غرفة النوم، وأسأله: «أين هم بحقّ الجحيم؟»

«قريبون يا سيدي».

«لكن كل شيء على ما يرام؟ أعني، بعد كل ما مررنا به الليلة الماضية..».

«أفهمك يا سيدي، إنّهم آمنون وفي طريقهم إلينا».

«تحقّق من ذلك جيدًا، أليكس».

أطلب رقم مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي.

«نعم، ليز. ما هذا؟»

تقول: *«سيدي الرئيس، هناك أخبار عن لوس أنجلوس، لم يكن هدفهم مقاولو الدفاع».*

50

أتوجه إلى الطابق الأرضي، حيث الغرفة في الطّرف الشرقيّ، حيث قام مالِك هذا البيت الرّيفي بمساعدة وكالة الاستخبارات المركزيّة في تثبيت باب عازل للصوت، وإنشاء خطوط اتصالات آمنة لاستخدامي عندما أتواجد هنا.

تقع غرفة الاتصالات هذه على بُعد عدّة أبواب من غرفة الحرب، على الجانب الغربي من الطابق الأرضي، حيث يمكث كلّ من أوجي، وديفين، وكايسي. أُغلق الباب وأقوم بتوصيل الخط الآمن بجهاز كمبيوتري المحمول وأرفع الشاشة المقسّمة إلى ثلاث شاشات يظهر فيها الثلاثي كارولين بروك، وليز غرينفيلد، وسام هابر من وزارة الأمن الداخلي.

أقول لسام: «تكلّم معي. بسرعة».

«سيّدي، في الشارع نفسه حيث كانت محطّة مقاولي طائرات الاستطلاع، ثمّة مختبر صحي خاص شريك لولاية كاليفورنيا ومراكز مكافحة الأمراض».

أردّد: *«مراكز مكافحة الأمراض».*

«صحيح يا سيدي. داخل مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها، لدينا شبكة استجابة للمختبر. في الواقع، لدينا حوالي مئتي مختبر في جميع أنحاء البلاد مصمّمة كأوّل المستجيبين للإرهاب البيولوجي والكيميائي».

تلفح صدري موجة باردة.

«كان أكبر عضو في شبكة استجابة المختبرات في منطقة لوس أنجلوس الكبرى مجاورًا لمحطة مقاولي طائرات الاستطلاع. لقد هلك القسم الأعظم منه في النار يا سيدي».

أغمض عينيّ. «هل تقول لي إن المختبر الأساسي المكلّف بالرد على هجوم الإرهاب البيولوجي في لوس أنجلوس أُحرقَ تمامًا؟»

«نعم يا سيدي».

«يا للّعنة» أقولها، وأفرك صدغي.

«نعم يا سيدي. هذا يلخّص الأمر».

«وما الذي يقوم به ذلك المختبر بالضبط؟ أو ما الذي قام به؟»

يقول: «كان أوّل من يقوم بالتشخيص. وأوّل من يعالج. التشخيص هو الجانب الأكثر أهمّية لفهم ما يتعرّض له مواطنونا. لا يمكنك علاج المريض إذا كنت تجهل ما نعالجه».

لا أحد يتكلم للحظة.

أسأل: «هل نبحث في هجوم بيولوجي على لوس أنجلوس؟»

«حسنًا، يا سيدي، نحن نعمل على هذا الافتراض حاليًا. كما أننا على اتصال بالسلطات المحلّية».

«حسنًا يا سام – هل لدينا بروتوكولات لتحويل عمليات مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها في جميع أنحاء البلاد؟»

«*هذا ما نقوم به الآن، يا سيدي. نقوم بتعبئة الموارد من مدن أخرى على الساحل الغربي*».

إنها استجابة متوقعة. ما الذي يتوقعه الإرهابيون. هل رئيسهم هذا كاذب؟ هل يخدعوننا للتّوجه صوب لوس أنجلوس، وعندها سننقل كل شيء هناك إلى الساحل الغربي، ثم سيضربون بقعة أخرى مثل سياتل أو سان فرانسيسكو حيث حراستنا في أدنى مستوياتها؟

أنفض يديّ. «لماذا أشعر أننا نطارد أذيال سُتَرِنا الملعونة هنا، يا قوم؟»

يقول سام: «*لأنّ هذا حقيقة ما نشعر به على الدّوام، سيدي. هذا ما نفعله. نحن نتنافس للدّفاع ضد خصوم غير مرئيين. نحاول إخراجهم بالقوة. كما نحاول التنبؤ بما قد يفعلونه. ونأمل ألا يحدث ذلك أبدًا، لكن حاول أن نكون جاهزًا قدر الإمكان إذا كان ذلك ممكنًا*».

«هل من المفترض أن يجعلني هذا الحديث أشعر بتحسّن؟ لأني لم أشعر بذلك».

«*سيدي، نحن على الطريق. سنفعل كل ما في وسعنا*».

أمرّر أصابعي في شعري. «إجلبهم يا سام. وأطلعني على أيّ جديد».

«*نعم يا سيدي*».

يتم إعادة ضبط الشاشة لتظهر كارولين وليز فقط بينما يخرج سام.

أسأل: «هل هناك مزيد من الأخبار الجيدة؟ إعصار على

الساحل الشرقي؟ أعاصير؟ تسرّب نفط؟ هل سيثور بركان لعين في مكان ما؟»

تقول ليز: «*شيء واحد يا سيدي. عن انفجار الغاز*».

«شيء جديد؟»

تميل برأسها، وتقول: «*إنه أشبه بشيء قديم*».

تطلعني ليز على ما لديها. ولم أكن أعتقد أني يمكن أن أشعر بشعور أسوأ من ذلك.

بعد عشر دقائق، أفتح الباب السميك وأترك غرفة الاتصالات بينما يقترب أليكس مني. يمسك بي.

«لقد وصلوا فقط إلى المحيط الأمني على الطريق». يقول أليكس، ويضيف: «وصلت رئيسة الوزراء الإسرائيلية».

51

يصل وفد رئيسة الوزراء الإسرائيلية، نويا بارام، كما هو مخطط: سيارة متقدمة وصلت في وقت مبكّر، والآن سيارتان مدرّعتان، إحداهما تحمل تفاصيل أمنية ستغادر لاحقًا بمجرد وصول رئيسة الوزراء بأمان، والأخرى تحمل رئيسة الوزراء نفسها.

تترجّل نويا مرتدية نظارة شمسية، وسترة، وبنطالًا. تنظر إلى السماء لحظة، كما لو أنّها تتأكد من أنها ما زالت موجودة.

تبلغ نويا أربعة وستين عامًا، مع لون رمادي طاغ على شعرها الذي يصل إلى كتفيها، وعينين سوداوَين فيهما شراسة وجاذبيّة. إنها واحدة من أكثر الأشخاص الذين لم أعرفهم على الإطلاق. فقط اتصلت بي ليلة انتخابي رئيسًا. سألت إن كانت تستطيع مناداتي جوني، وهو ما لم يفعله أحد في حياتي. فقلت، بعد أن فاجأتني، كنتُ في حالة انعدام توازن، ومصابًا بدوار الفوز: «بالتأكيد تستطيعين!» ونادتني جوني منذ ذلك الوقت.

«جوني». تقول لي الآن، نازعة نظارتها الشمسية ومُقبّلة خدّي. تعانق يداها يديّ وترسم ابتسامة على وجهها، قائلة: «تبدو كشخص يمكنه الاستعانة بصديق الآن».

«بالتأكيد يمكنني ذلك».

«أنت تدرك أنّ إسرائيل لن تتركك أبدًا».

أجيب: «أعلم ذلك، وامتناني لا يعرف حدودًا يا نويا».

«أكان ديفيد متعاونًا؟»

«جدًّا».

تواصلت مع نويا عندما اكتشفت التّسريب في فريق الأمن القومي. لم أكن أعرف بمن أثق وبمن لا أعرف، لذلك اضطررت إلى الاستعانة بمصادر خارجية في بعض الأعمال الاستطلاعية للموساد، والتعامل مباشرة مع ديفيد جورالنك، مديرها.

لقد واجهت أنا ونويا اختلافات حول حلّ الدولتين والمستوطنات في الضفة الغربية، لكن عندما يتعلق الأمر بالأشياء التي تجمعنا اليوم، فلا فرق في مواقفنا. أمن واستقرار الولايات المتحدة يعني أمْن واستقرار إسرائيل. لديهم كل سبب لمساعدتنا ولا يوجد سبب للامتناع عن ذلك. ولديهم أفضل خبراء الأمن الإلكتروني في العالم. يتقنون لعبة الدّفاع أفضل من أي أحد آخر. اثنان منهم وصلا مع نويا وسوف ينضمان إلى أوجي وجماعته.

«أنا أوّل من وصل؟»

«أنتِ، نويا، أنتِ. لن أتفوه بكلمة معكِ قبل أن يصل الآخرون إلى هنا. لو كان لدي وقت لقمنا بجولة..».

«ماذا... جولة؟» وتلوّح بيدها. وتتابع قولها: «إنّه بيت ريفيّ. لقد عرفت بيوتًا ريفيّة من قبل».

نتمشّى عبر البيت الريفيّ في الفناء. تشاهد نويا الخيمة السوداء. ونكمل سيرنا نحو الغابات، والأشجار العالية التي تصل لارتفاع ثلاثين قدمًا، والأزهار البرية الصفراء والبنفسجية، ونتابع عبر الطريق الحجري إلى البحيرة. يتبعنا

أليكس تريمبل متحدّثًا عبر اللاسلكي.

أخبرتها بكل شيء لا تعرفه، وهو ليس كثيرًا.

«ما سمعناه حتى الآن». وتكمل قائلة: «لم يبد مثل مخطّط هجوم بيولوجي في مدينة كبرى».

«أتّفق معكِ. لكن ربما تكون الفكرة هي تدمير قدرتنا على الرّد، ثم إدخال بعض العوامل الحيوية البيولوجية. ويشمل ذلك تدمير المباني المادية والبنية التحتية التكنولوجية لدينا».

«صحيح، صحيح» تقول.

أقول: «إنّ انفجار خط أنابيب الغاز يمكن أن يقول ذلك».

«كيف؟»

«بعض فيروسات الكمبيوتر - بعض البرمجيات الخبيثة - تسببت في الانقطاع» أقول.

«أكّدناها منذ بضع دقائق فقط. تسبّب الفيروس في زيادة قسرية في الضغط الذي تسبب في الانفجار».

«نعم؟ و؟»

أزفر وأتوقف، وألتفت إليها: «نويا، في عام ألف وتسعمائة واثنين وثمانين، فعلنا الشيء ذاته مع السوفييت».

«آه. لقد قمتَ بتخريب أحد خطوط أنابيبهم؟»

أجيبها موضحًا: «للتّو أخبرني مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي. اكتشف ريجان أنّ السوفييت كانوا يحاولون

سرقة بعض البرمجيات الصناعية. لذا قرر السماح لهم بسرقتها. لكننا عبثنا معهم أولًا. نصبنا لهم فخًّا. وعندما سرقها السوفييت واستخدموها، تسبّب ذلك في انفجار هائل في خط أنابيب سيبيريا. قالت مجموعتنا إنّ صور القمر الصناعي أظهرت واحدة من أكبر الانفجارات التي شهدوها على الإطلاق».

تضحك رغم أزمتنا الراهنة. «ريغان» تقول، وتهزّ رأسها «لم أسمع هذه القصة» تميل برأسها، وتنظر إلى وجهي «هذا تاريخ قديم».

أقول: «نعم ولا. علمنا أنّ عددًا من الأشخاص ضُبِطوا بسبب هذا الخطأ. كان إحراجًا كبيرًا للكرملين. عوقب كثير من الأشخاص. ذهب بعضهم إلى السّجن مدى الحياة. نحن لا نعرف كل التفاصيل. لكن أحد عملاء الاستخبارات السوفييتية ممّن لم نسمع عنه مرة أخرى كان اسمه فيكتور تشيرنوكيف».

ابتسامتها تختفي. «والد الرئيس الروسي».

«والد الرئيس الروسي».

تصرخ عن دراية قائلة: «كنتُ أعرف أنّ والده كان في الاستخبارات السوفييتية. ولم أكن أعرف كيف مات. أو بسبب ماذا».

تلوك شفاهها، وهو شيء تفعله دائمًا عندما تركّز.

«إذن... ماذا ستفعل بهذه المعلومات، جوني؟»

«سيدي الرئيس... أعذرني يا سيدي. عفوًا، سيدتي

رئيس الوزراء».

ألتفت إلى أليكس. «ماذا هناك، أليكس؟»

«سيّدي» ويكمل: «المستشار الألماني وصل».

52

يورجن ريتشتر، المستشار الألماني، يخرج من سيارته المُصفّحة. يبدو كأنّه شخص ذو شأن من العائلة المالكة البريطانية في بدلة مُقلّمة من ثلاث قطع. لديه كرش بسيط، لكن طوله - ستة أقدام وأربعة إنشات- وهو الطول المثالي لحمله.

يضيء وجهه الملكيّ الطويل عندما يرى نويا بارام. وينحني من عند الخصر في أزيائه المبالغ فيها، فيما تقابله بموجات من الضّحك. ثم يتعانقان. إنها أقصر منه بأكثر من قَدَم، لذلك ترتفع ويميل حتى يتمكّنا من تبادل القبلات.

أمدّ يدي. يتناولها ويمسك كتفي باليد الأخرى، تلك اليد الكبيرة للاعب كرة سلّة ألماني سابق في أولمبياد 1992.

«سيدي الرئيس» ويتابع: «دائمًا في الأوضاع الصعبة، نلتقي».

رأيت يورجن آخر مرة في جنازة ريتشل.

«كيف حال زوجتك حضرة المستشار؟» أسأله. فزوجته الآن مصابة بالسرطان، وتتلقى العلاج في الولايات المتحدة.

«آه، إنها امرأة قوية، سيدي الرئيس، أشكركم على اهتمامكم. لم تخسر معركة يومًا. وبلا شك لا أحد معي». يجيبني وينظر إلى نويا من أجل ضحكة، وبدورها تعطيه

إياها. يورجن هو واحد من تلك الشخصيات الأكبر من مسؤوليات الحياة، التي تسعى دائمًا إلى المرح. أمّا حاجته إلى الأضواء فقد جلبت إليه المتاعب أكثر من مرة في المقابلات والمؤتمرات الصحفية، حيث عُرِف عنه أنه يُلقي ملاحظات غير لائقة في بعض الأحيان، لكن يبدو أنّ ناخبيه يقدّرون أسلوبه الحُرّ.

«أنا أقدّر مجيئك» أقول.

«عندما يواجه أحد الأصدقاء مشكلة، يساعده صديق آخر» يجيبني.

صحيح. لكن السبب الرئيسي الذي دعوته لأجله هو إقناعه بأن المشكلة ليست فقط في بلادي، بل هي مشكلة حلف شمال الأطلسي (الناتو) أيضًا.

آخذه في جولة قصيرة لأريه الأرض وما حولها، لكن هاتفي يصدر طنينًا من مدة طويلة. أعتذر من المجموعة وأردّ على الهاتف. بعد ثلاث دقائق، أعود إلى الطابق الأرضي، وأتصل عن طريق الكمبيوتر المحمول على الخط الآمن.

مرّة أخرى، إنهم ذات الأشخاص الثلاثة المعنيين. كارولين وليز، اللتان أثق بهما، وسام هابر، الذي يجب أن يشارك في قضايا الأمن الداخلي، والذي أودّ حقًّا أن أصدّق أنه يمكنني الوثوق به أيضًا.

كان سام هابر ضابطًا في وكالة الاستخبارات المركزية قبل ثلاثين عامًا عاد إلى مينيسوتا وانتُخِب للكونغرس. ترشّح لمنصب الحاكم، وخسر، وتمكن من الحصول على وظيفة

كأحد نواب مدير وكالة الاستخبارات المركزية. عيّنه سَلَفي الرئيس السابق سكرتيرًا لوزارة الأمن الوطني، ولفت الأنظار إليه بأدائه رفيع المستوى. وضغط عليّ ليكون مديرًا للوكالة، لكنني اخترت إيريكا بيتي لهذا المنصب وطلبت منه البقاء في وزارة الأمن الوطني. وفوجئت مفاجأة سارة عندما وافق. اعتقدَ معظمنا أنه سيقدّم إمكاناته لفترة مؤقتة فحسب، وأنه سيقوم بتجسير للإدارات قبل الانتقال إلى شيء آخر. لكنه أمضى أكثر من عامين في العمل، لكن في حال لم يكن سعيدًا، فإنه لم يُعلِم أي شخص بذلك.

تبدو عينا سام في حيرة دائمة تقريبًا، التجاعيد محفورة في جبينه أبدًا تحت قَصّة شعره العسكرية الحالية. كل شيء عنه مكثّف. إنها ليست سمة سيئة في سكرتير الأمن الداخلي.

أسأل: «أين حدث ذلك بالضّبط؟»

يقول سام: *«حدث في بلدة صغيرة خارج لوس انجلوس. إنها أكبر محطّة لمعالجة المياه في كاليفورنيا. إنها نضخ أكثر من نصف بليون غالون من الماء يوميًّا، معظمها في مقاطعة لوس أنجلوس ومقاطعة أورانج».*

«إذن ماذا حدث؟»

«سيدي، بعد الانفجار في المختبر البيولوجي الخاص، كنّا على اتصال بمسؤولين حكوميين ومحليين، مع التّركيز بشكل واضح على البنية التحتية العامة الحيوية - الغاز والكهرباء والسكك الحديدية - لكن الأكثر إلحاحًا هي خطوط المياه».

هذا منطقيّ. إنّه الهدف الأكثر بروزًا بين المرافق العامة لهجوم بيولوجي. أنت تقوم بإدخال مُسبِّب أو عامل حيوي بيولوجي في الماء، الذي ينتشر أسرع من الحرائق.

«قامت منطقة مياه متروبوليتان في جنوب كاليفورنيا وأعضاء من وزارة الأمن الوطني بإجراء تفتيش طارئ واكتشفوا الثغرة».

أقول: «اشرح معنى الثغرة، بلُغتنا!»

«لقد اخترقوا برامج الكمبيوتر، يا سيدي. تمكنوا من تغيير إعدادات التطبيقات الكيميائية. لكنهم أيضًا قاموا بتعطيل وظائف التّنبيه التي عادة ما تكتشف الشذوذ في عملية التّنقية».

«لذا لم تكن المياه القذرة التي كان من المفترض أن تمرّ عبر تطبيق كيميائي نتلقى هذا التطبيق الكيميائي، ووظائف التّنبيه في النّظام، والمصمّمة لاكتشاف تلك المشكلة بالذات..».

«لم تكن مُكتشَفة. سيدي، هذا صحيح. والخبر السّار هو أنّنا أمسكنا بها بسرعة. أوقعنا بهم في غضون ساعة من التّسلّل الإلكتروني. وكان الماء غير المعالج لا يزال في خزانات المياه النهائية».

«ألم تغادر أي مياه ملوّثة المحطّة؟»

«لا يا سيدي، لم تغادر. لم يكن أي شيء قد وصل إلى أنابيب المياه حتى الآن».

«هل تحتوي المياه على أيّ مسببات للأمراض

البيولوجية؟ أو أي شيء من هذا القبيل؟»

«سيدي، نحن لا نعرف في هذه المرحلة. فريق الاستجابة السريعة لدينا في هذا المجال...».

«أُحرِق المختبر المستخدم قبل أربع ساعات».

«سيدي، هذا صحيح».

«سام، أنا بحاجة إلى تركيزك الكامل هنا» وأميل إلى الأمام نحو الشاشة. «يمكنك أن تخبرني بثقة مئة في المئة... أنّه لم ترسل أيّ مياه ملوثة إلى مواطني لوس أنجلوس أو مقاطعات أورانج».

«سيدي، هذا صحيح. كانت هذه هي المحطّة الوحيدة التي اخترقوها. ويمكننا بِدقّة تحديد متى وقع الحدث الإلكتروني، عندما اختُرِقت برمجيات كيميائية وأنظمة كشف. لا توجد طريقة غادرت بها أي مياه غير معالَجة المحطّة».

أُطلِق نفَسًا. «حسنًا. حسنًا، هذا شيء، على الأقل، جيّد. أحسنت يا سام».

«نعم يا سيدي، جهد جيد للفريق. لكن الأخبار ليست كلها جيدة، سيدي».

«بالتأكيد ليست كذلك. لماذا في هذا الجحيم لن نتوقع سوى الأخبار الجيدة؟» وألوّح مهدِّدًا بموجة من الغضب. وأقول: «أخبرني بالأخبار السيئة يا سام».

«الخبر السّيئ هو أنّ أيًّا من الفنّيين لدينا لم يشهد على الإطلاق هجومًا إلكترونيًّا على هذا النحو. لم يتمكنوا حتى

الآن من إعادة استخدام التطبيقات الكيميائية».

«لا يمكنهم إصلاحها؟»

«بالضبط يا سيدي. لجميع الأغراض العملية، أُغلِقت محطّة معالجة المياه الرئيسة التي تخدم مقاطعة لوس أنجلوس ومقاطعة أورانج للأعمال».

«حسنًا، تمامًا، بالتأكيد، هناك محطّات أخرى».

«نعم، يا سيدي، بالتأكيد، لكن لا توجد طريقة عملية للتعويض عن الخسارة لفترة طويلة. سيدي، أنا قلق من أنّ القرصنة لم تنته بعد. ماذا لو ضربوا محطّة أخرى مجاورة للوس أنجلوس أيضًا؟ بالطبع نحن نراقب عن كثب الآن. سنغلق أي نظام مصاب ونَحول دون وصول مياه غير معالجة إلى شبكات المياه».

«لكن عليك إغلاق المحطّة أيضًا» أقول.

«نعم يا سيدي. يمكن أن نغلق عدة محطات معالجة مياه في الحال».

«ماذا تقول لي يا سام؟ هل يمكن أن يكون لدينا نقص هائل في المياه في لوس أنجلوس؟»

«هذا ما أحاول أن أقوله لك يا سيدي».

«كم يبلغ عدد الناس الذين نتحدث عنهم؟ في مقاطعات لوس أنجلوس وأورانج؟»

«أربعة عشر مليونًا يا سيدي».

«يا يسوع». ووضعت يدي على فمي.

ويقول: «*نحن لا نتحدّث فقط عن الحمّامات الساخنة ورشاشات العشب. نحن نتحدّث عن المياه الصالحة للشّرب. ونتحدث عن المستشفيات وأجنحة الجراحة..*».

«إذن، ماذا... ستكون هذه أزمة فلينت جديدة(30)؟»

يقول سام: «*سوف تكون فلينت، ميشيغان، لكنها مضروبة مئة وأربعين مرّة*».

---

(30) بدأت أزمة مياه فلينت في عام 2014 عندما تم تغيير مصدر مياه الشرب لمدينة فلينت بولاية ميشيغان إلى نهر فلينت. بسبب عدم كفاية معالجة المياه، كان أكثر من 100.000 من السكان معرضين لمستويات عالية من الرصاص في مياه الشرب.

53

تقول كارولين: «لكن لن يحدث ذلك على الفور. على الأقل ليس اليوم».

«ليس اليوم، لكن قريبًا. مقاطعة لوس أنجلوس وحدها تفوق في تعداد سكّانها عددًا من الولايات مجتمعة، وهي أكبر مورّد للمياه النقية. سنواجه أزمة تبدأ اليوم. ليست شبيهة بفلينت ميشيغان، ليس بعد، لكنها أزمة مأساويّة فعلًا».

أقول: «قم بتعبئة الوكالة الفيدرالية لإدارة الطوارئ».

«قمتُ بذلك فعلًا، يا سيدي».

«يمكننا الإعلان عن كارثة فيدرالية».

«لقد كتبت لك الإعلان بالفعل يا سيدي».

«لكن هناك شيء آخر يجب أن تضعه في اعتبارك» قلتُ.

«نعم يا سيدي. جِد حلًّا للمشكلة يا سيدي». هذا ما اعتقدت أنه سيقوله. وتابع: «سيدي، أنت تعلم أنّ هناك عددًا من الأفراد الجيّدين جدًّا وذوي الكفاءات العالية تحت مظلتنا عندما يتعلق الأمر بسرّية المعلومات الإلكترونية. لكن يبدو أنّ الكفاءات الجيدّة جدًا والعالية ليست كافية لوقف الأمر اليوم في لوس أنجلوس. يخبرنا موظفونا هناك أنهم لم يروا فيروسًا مثل هذا. إنهم لا يعرفون ماذا يفعلون».

«أنت في حاجة إلى الأفضل».

«نعم يا سيدي. نحن في حاجة إلى فريق الاستجابة السّريعة للتهديدات الذي جمعته».

«ديفين ويتمر وكايسي ألفاريز معي، سام».

لا يرد سام مباشرة. وأبقيه أنا بعيدًا. كلانا يعرف ذلك. لديّ مصدر يقول لي إنّ اليوم هو يوم الهجوم، لكنني لن أكشف المصدر له. وهذا غير معتاد. وفوق كل ذلك، أخبره الآن بما فكّر فيه بالفعل، وهو أنّ اثنين من خبرائنا المتخصّصين في الأمن المعلوماتي في بلادنا معي في مكان غير معروف. لا شيء من هذا له أي معنى. إنه وزير الأمن الداخلي - لجميع الناس في العالم، لماذا لم أخبره؟

«سيدي، إن لم نتمكن من الحصول على ويتمر وألفاريز، على الأقل أرسِل جزءًا من الفريق».

أفرك وجهي، أفكّر في الأمر.

«إنّها عصور الظّلام، يا سيدي. ليس هناك احتمال أن تكون هذه مصادفة. إنّها البداية. أين ستنتهي، لا أعرف. ما تبقّى من محطات المياه؟ شبكات الكهرباء؟ هل سيفتحون السّدود؟ نحن بحاجة لهم في لوس أنجلوس. لقد حالفنا الحظ اليوم. لا أريد الاعتماد على الحظ مرة أخرى».

أنهض من مقعدي، وينتابني شعور برُهاب الأماكن المغلقة هنا. يساعدني المشي بخطوات ثابتة. كما أني في حاجة للإلهام والأفكار الإبداعية. أحتاجهم جميعًا كي يتدفقوا في اتجاه أفضل قرار ممكن.

انفجار الغاز... المختبر البيولوجي المُدمّر... العبث في مختبر المياه.

أنتظر دقيقة. أنتظر فقط...

أسأل: «هل كان ذلك الحظ؟»

«العثور على عطل في محطة تنقية المياه؟ لا أعرف ماذا سأطلق عليه. كان يمكن أن يستلزم الأمر أيّامًا قبل الإمساك به. كانت هذه قرصنة متطوّرة للغاية».

«وهذا فقط بسبب تدمير مختبر الاستجابة للإرهاب الحيوي الذي اعتقدنا أنه يتحقّق يدويًّا من وظائف التّحكم في محطّة المياه هذه».

«صحيح يا سيدي. لقد كانت خطوة أولية وقائية وواضحة لاتخاذها».

أقول: «أنا أعلم. هذه وجهة نظري».

«لم أصل إلى ما تُريد قوله بالضبط، يا سيدي».

«سام، إذا كنت إرهابيًا، فما هو الترتيب الذي ستفعل به الأشياء؟ هل ستقوم بتلويث إمدادات المياه أوّلًا أو تفجير المختبر أوّلًا؟»

«أنا... حسنًا، إذا كنت...».

«سأخبركم ماذا سأفعل لو كنتُ من الإرهابيين». أستمرّ قائلًا: «سأقوم بتلويث إمدادات المياه أولًا. لن يكون ملحوظًا على الفور. ربما في غضون ساعات، ربما في غضون أيام. ثم سأفجّر المختبر. لأنه إذا قمت بتفجير المختبر أولًا... وإذا قمت بتفجير مختبر مخصّص للاستجابة الطارئة

للإرهاب البيولوجي أولًا..».

«*فأنت إذن تُظْهِر نواياك التي تضمرها*» تقول كارولين: «*أنت تعرف أنّ أول ما ستقوم به الحكومة الفيدرالية هو فحص أمور مثل إمدادات المياه*».

«ما الذي فعلناه على وجه التّحديد» أقول.

«*لقد أظهروا نواياهم*». يتمتم سام مع نفسه، بالقدر نفسه الذي يتمتم فيه معنا، ويفكّر في الأمر.

أقول: «لقد أظهروا نواياهم عمدًا. أخرجونا. أرادوا منّا أن نذهب لتفتيش جميع محطات المياه. كما أرادوا منّا أن نعثر على التسلّل الإلكتروني».

يقول سام: «لا أرى كيف يساعد ذلك..».

«ربما لا يريدون تسميم المياه في لوس أنجلوس. ربما يريدون منّا فقط أن نفكّر أنهم يفعلون ذلك. إنهم يريدون أن نرسل أفضل الخبراء في مجال الأمن المعلوماتي في الأمة إلى لوس أنجلوس إلى الجانب الآخر من البلاد، بحيث نكون مكشوفين أمامهم عندما يهاجم الفيروس».

أضع يدي فوق رأسي، وأفكّر في ذلك مرة أخرى.

«*نحن نأخذ مخاطرة كبيرة في وضع هذا الاقتراض، يا سيدي*».

أبدأ في التّقدّم بسرعة مرة أخرى. «ليز، ألديك أي أفكار هنا؟»

تبدو مندهشة لأني أسأل. «*أنت تريد أن تعرف ما الذي كنت سأفعله؟*»

«نعم، ليز. لقد ذهبت إلى واحدة من مدارس رابطة اللبلاب تلك، أليس كذلك؟ ماذا ستفعلين؟»

«*أنا... لوس أنجلوس هي منطقة حضريّة كبرى. لن أخاطر بها. سأرسل الفريق إلى لوس أنجلوس لإصلاح هذا النظام*».

أومئ موافقًا، وأقول: «وأنت يا كارولين؟»

«سيدي، أنا أفهم منطقك، لكن يجب أن أتفق مع سام وليز. تخّيل لو خرج للعلن في أي وقت أنك قررت عدم إرسال..».

«لا!» أصرخ، مشيرًا إلى شاشة الكمبيوتر. «لا توجد سياسة اليوم. لا تقلقوا بشأن ما قد يخرج في وقت لاحق. هذا هو عرض المهووسين بالكامل، يا قوم. كل قرار أتّخذه اليوم هو مخاطرة. نحن على السّلك ذي الجهد العالي دون تغطية. أقوم باتخاذ القرار الخاطئ، في كلتا الحالتين، ونحن مضطربون. ليس هناك لعبة آمنة هنا. لا يوجد سوى لعب صحيح ولعب خاطئ».

تقول كارولين: «*أرسِلوا جزءًا من الفريق. لكن ليس أيًّا من ديفين وكايسي، بل غيرهما من أفراد فريق الاستجابة للتهديدات في البنتاغون*».

أقول: «تمّ تشكيل هذا الفريق كوحدة متماسكة. لا يمكنك قطع دراجتك إلى النصف وتتوقّع أن تعمل، لا. كل شيء أو لا شيء. هل نرسلهم إلى لوس أنجلوس أم لا؟»

تصمت الغرفة.

يقول سام: *«أرسليهم إلى لوس أنجلوس»*.

«أرسِلهم». تقول كارولين.

تدخل ليز في النقاش قائلة: *«أوافق»*.

ثلاثة أشخاص على درجة عالية من الذكاء، جميعهم يصوّتون بالطريقة نفسها. كم من قراراتهم بُنِيت على العقل وكم منها على الخوف؟

إنهم على حق. لكن حدسي يقول خلاف ذلك.

«يبقى الفريق في موقعه الآن» أقول: «لوس أنجلوس هي الشّرك».

54

يوم السبت، الساعة السادسة واثنان وخمسون دقيقة صباحًا. سيارة ليموزين متوقّفة في الشّارع الثالث عشر الشمال غربي، على حافّة الرّصيف.

تجلس نائبة الرئيس كاثرين براندت في المقاعد الخلفية من سيارة الليموزين، ومعدتها تغلي، لكن ليس من الجوع.

مع تغطية مُحكمة: صباح كل سبت في تمام الساعة السابعة، لديها هي وزوجها حجز دائم لعجّة البيض في شارع جي الشمال غربي في مقهى بليك. طاولة جاهزة لهما هناك، ويفترض أنّ طلبها جاهز الآن - بياض البيض مع جبنة الفيتا والطماطم، بالإضافة إلى البطاطا المقلية المقرمشة. لذلك لديها كل سبب لتكون هنا في الوقت الحالي. لا أحد سيقول خلاف ذلك إذا واجهت أيًا كان على الإطلاق.

زوجها، الشّكر للرّب، خارج المدينة في رحلة أخرى للعب الغولف. أو ربما يكون في رحلة للصّيد. لقد فقدت أثره. الأمر أسهل حين كانوا يقيمون في ماساتشوستس، اختفت خلال أسبوع عندما كانت في مجلس الشيوخ. كان العيش معًا في واشنطن صعبًا عليهما. إنها تحبه، ولا يزال لديهما أوقات جيّدة معًا، لكنه لا يهتم بالسياسة، ويكره واشنطن، وليس لديه ما يفعله منذ أن باع شركته. وهو يضغط على علاقتهما ويجعل من الصّعب عليها أن تضعه في جدول يومها العادي الذي يمتد اثنتي عشرة

ساعة. في هذه الحالة، الغياب يجعل القلب يشتاق ويعشق أكثر.

إلى جانبها الآن، يشغل مكان زوجها كشريك في الإفطار رئيس موظفيها، بيتر إيفيان. يمسك هاتفه، ويُظْهِر لها الوقت: السادسة والسادسة والخمسين.

تومئ له سريعًا.

«سيدتي نائبة الرئيس». يقول بصوت مرتفع بما يكفي ليسمعه العملاء: «هل تمانعين لو قُمتُ بإجراء مكالمة شخصية لأنّ لدينا دقائق قليلة قبل الحجز؟»

«لا، على الإطلاق، بيت. اذهب وقُم بها».

«سأخرج الآن».

«خذ وقتك».

إنها تعلم، أنّ بيتر لمجرّد المظاهر فقط، سيفعل ذلك - سوف يتصل بوالدته وستكون له مكالمة هاتفية طويلة لطيفة موثقة معها.

بالكاد يغادر بيتر السيارة ويمر في الشارع الثالث عشر مع هاتفه على أذنه حتى تظهر مجموعة من ثلاثة مُهرولين في ألبسة رياضيّة ينعطفون إلى زاوية من شارع جي الشمال الغربي، ويتحرّكون باتجاه سيارة نائبة الرئيس الليموزين.

يبطئ المُهرولون عندما يمرّون قرب موكب نائبة الرئيس. الرجل الذي يتقدّم المجموعة، الأكبر سنًّا بكثير من رفيقيه والأقلّ منهما جهوزية، ينظر إلى الليموزين ويبدو أنه يذكر شيئًا لهما. يبطئون وينشغلون بعملاء الخدمة السّرية

الوطنية الذين يقفون في مواقعهم عند سيارتها.

«سيدتي نائبة الرئيس». يقول سائقها وهو ينقر على أذنه، «رئيس مجلس النواب هنا. إنّه واحد من أولئك المُهرولين».

«ليستر رودز؟ أنت تمزح» تقول، في محاولة منها ألّا تبالغ في إظهار اندهاشها.

«إنه يريد أن يُلقي تحية سريعة».

ترد: «دعنا ننتهي من هذا سريعًا قبل أن يشتعل رأسي».

لا يضحك العميل ويدير رأسه، في انتظار المزيد. ويضيف: «سأقول له..».

«حسنًا، لا أستطيع أن أصدّه تمامًا، أليس كذلك؟ قل له أن يأتي».

«نعم، سيدتي» متحدثًا عبر السماعة.

«امنحنا شيئًا من الخصوصية، جاي. لا أريد أن تحترق أنت وإيريك بِفعل أي ألعاب نارية».

هذه المرة يضحك العميل بشكل مناسب.

«نعم، سيدتي».

يخضع عملاء الخدمة السّرية الوطنية للاستدعاء مثل أي شخص آخر. كذلك فإن شرطة العاصمة تحرس رئيس مجلس النواب. سيقول الجميع القصة نفسها تحت القَسَم الآن، إذا ما وصل الأمر لذلك. كان كل ذلك مجرد مصادفة. حدث أن كان رئيس مجلس النواب يُهروِل بينما كانت نائبة الرئيس تنتظر أن يُفتح المقهى.

يترجّل العميلان من المقعد الأمامي لليموزين. رائحة العرق والجسد تكتسح السيارة بينما يبرز ليستر رودز في الخلف، إلى جانب كاثرين. «سيدتي نائبة الرئيس، أردت فقط أن أقول مرحبًا!»

يُغلِق الباب. هو وهي فقط داخل السيارة.

لا يبدو ليستر رائعًا في بدلة الجري. يحتاج إلى خسارة ثلاث أو أربع بوصات من محيط بطنه، وكان يجب أن يخبره شخص ما أن يرتدي شورتات طويلة. على الأقل إنه يرتدي قبّعة زرقاء كُتب عليها شُرطة العاصمة باللون الأحمر - ليجنّبها أن تنظر إلى ذلك الجزء الحاد الغبي تمامًا في شعره الفضّي.

يرفع قبعته ويمسح جبينه بعُصابة رأس لمسح العَرَق. هذا الأحمق يضع عُصابة رأس!

تصحيح: إنه ليس أحمق، فقد وضع تخطيطًا لا يرحم للاستيلاء على مجلس النواب، الذي يعرف أعضاءه أفضل مما يعرفون هم أنفسهم، والذي يلعب لعبة سياسية طويلة المدى، ولا ينسى أبدًا أي شخص يهينه، مهما كانت الإهانة طفيفة أو كناية عن عدم احترام، الذي يحرّك قطع الشطرنج فقط بعد دراسة دقيقة.

يلتفت إلى عينيها الزرقاوَين ذاتَي النّظرة القاتلة التي خُفّضت إلى النّظر بازدراء، ويقول: « كاثي».

ترد: «ليستر. اختصر».

«أملك الأصوات في مجلس النواب». يقول: «البيت

طوى المسألة. هل هذا موجز بما فيه الكفاية؟»

واحدة من الأشياء التي تعلمتها على مر السنين هي فنّ التأنّي في الرد. ممّا يُكسبك الوقت ويجعلك تبدو أكثر عُمقًا.

«لا تتصرفي هكذا دون مبالاة، كاثي. إن لم تكوني مهتمة، لما كُنّا هنا الآن».

تُمرّر له هذه النقطة. «ماذا عن مجلس الشيوخ؟» تسأل.

يرفع كتفيه، ويقول: «أنتِ رئيسة مجلس الشيوخ، وليس أنا».

تتكلّف ابتسامة، لترد: «لكن حزبكَ يسيطر عليه».

«لديكِ اثنا عشر عضوًا إلى جانبك، وأضمن أنّ الخمسة والخمسين الذين من حزبي سوف يصوتون للإدانة».

تضبط نائبة الرئيس مقعدها لمواجهته بشكل مباشر. «ولماذا تخبرني بهذا، سيدي رئيس مجلس النواب؟»

«لأنني لست مُضطراً إلى سحب هذا الزناد». يجلس في المقعد، ويستقر. «لستُ مضطراً إلى عزله. يمكنني فقط أن أدعه يذهب أدراج الرياح مجروحًا وبلا قيمة. إنه فاشل ولا أمل في أن ينجح مستقبلًا، كاثي. لن يعاد انتخابه. سوف أستحوذ عليه للسنتين القادمتين، فلماذا إذن أقضي عليه وأشاهد مجلس الشيوخ يعزله من منصبه ويمنح الناخبين وجهًا جديدًا مثلكِ للتغلب عليه؟»

حدث هذا الاحتمال معها – إنّ إصابة الرئيس كانت أكثر فائدة لليستر رودز من ذهابه.

تقول: «لأنّ اسمك سيُخلّد في حزبك، بأنك من عزل الرئيس، لهذا السبب».

«ربما ذلك» يبدو أنه يستمتع بهذه الفكرة. «لكن هناك أشياء أكثر أهمية».

«هناك شيء أكثر أهمية بالنسبة إليك من كونك رئيسًا لمجلس النواب مدى الحياة؟»

يساعد ليستر نفسه بزجاجة ماء من مخزن السيارة الجانبي. يفتح الغطاء، ويبتلع جرعة كبيرة من المياه، ثم يمسح شفتيه بارتياح. «شيء واحد أكثر أهمية، نعم». يقول.

تفتح يديها، قائلة: «أخبرني».

تعبر ابتسامة عريضة وجهه، ثم تختفي.

يقول: «إنه شيء لن يفعله الرئيس دنكان أبدًا. لكن الرئيسة براندت، بحكمتها اللامتناهية، ربما تفعل».

55

يقول ليستر: «سيكون هناك شاغر في المحكمة».

«أوه». لم تسمع ذلك من قبل. أنت لن تعرف أبدًا أيًا مِن هؤلاء القضاة، الذين يبقى معظمهم في مقاعدهم حتى يبلغون الثّمانينيات من أعمارهم. «من؟»

يستدير وينظر إليها، وتضيق عيناه، ووجهه كوجه لاعب بوكر خالٍ من أي عاطفة. يُقرّر، ويفكّر. يُقرّر ما إذا كان سيقول لي.

«حصل ويتمان على بعض الأخبار السيئة للغاية من طبيبه قبل أسبوع».

كما يقول.

«إنها العدالة يا ويتمان..».

يقول: «لقد كانت أخبارًا سيئة».

«تطوّعًا أو غير ذلك، لن يحقّق ما يُريد خلال هذه الفترة الرئاسية. يحثّونه على التّنحي الآن».

«أنا آسف لسماع ذلك». تقول.

«هل أنتِ؟» يقول بينما تزحف ابتسامة ساخرة إلى وجهه. «على أي حال، هل تعرفين ما لم يحدث منذ وقت طويل؟ لم يكن هناك أي مُتدرب في المحكمة العليا منذ جون بول ستيفنز. لا أحد من محكمة اتحادية مثل... أوه، مثل محكمة استئناف الدائرة السابعة. في قلب المدينة».

محكمة استئناف الولايات المتحدة للدائرة السابعة. إذا

كانت الذاكرة تخدمها، فإن هذه المحكمة تغطي قضايا فيدرالية من إلينوي، وويسكونسن ... وإنديانا، إنها ولاية ليستر. بالطبع!

«مَن، ليستر؟»

يقول: «المُدّعي العام السابق لإنديانا. إنها أنثى. معتدلة. محترمة جدًا. حصلت على موافقة بالإجماع تقريبًا من مجلس الشيوخ قبل أربع سنوات لمحكمة الاستئناف، بما في ذلك صوتكِ. جيّدة وشابة - ثلاثة وأربعون عامًا - مما يعني إرثًا جسديًا جيدًا. يمكنها الجلوس في المحكمة لثلاثين سنة. إنها إلى جانبي في الصف، لكنها ستصوّت لصالحك على المسائل التي يبدو أنّ جماعتك يهتمون بها».

تفتح نائبة الرئيس فمها متفاجئة. وتميل إليه.

«يا يسوع، ليستر». تقول: «هل تريدني أن أُعيّن ابنتك في المحكمة العليا؟»

تحاول أن تتذكر ما تعرفه عن ابنة ليستر. متزوّجة ولديها عدد قليل من الأطفال. خريجة جامعية في هارفارد، ودرست القانون فيها. عملت في واشنطن، وانتقلت إلى وطنها في ولاية إنديانا، وترشّحت لمنصب المدّعي العام كمنافس معتدل لسياسة والدها التي تتّسم بأنها سياسة النّار والكبريت((31)).

افترَض الجميع أنّ الخطوة التالية كانت الترشّح لمنصب الحاكم، لكنها انحرفت عن مسارها وأخذت منصبًا في محكمة الاستئناف الفيدرالية.

وأجل، صوّتت السيناتور كاثرين براندت بنعم على ترشيحها لمحكمة الاستئناف. كان التقرير عنها أنها لم تكن مثل والدها - على الرغم من أي شيء انحرفت عنه في الاتجاه الآخر، وعلى الرغم من الانتماء الحزبي. ذكية ومعقولة.

يُؤطّر ليستر بكفّيه عنوان الصحيفة. ويقول: «الحزبيّين، الحزبيّين، الحزبيّين. يوم جديد بعد الجمود في إدارة دنكان. ستقوم بتأكيدها بسهولة. أستطيع أن أضمن أعضاء مجلس الشيوخ إلى جانبي، وسيكون جانبك سعيدًا. إنها مناصِرة لحق الاختيار كاثي، التي يبدو أنها تهمّ كل جماعتك».

ربما... قد لا يكون هذا الجنون.

«ستبدأ رئاستكِ بانتصار كبير. بحق الجحيم، أنتِ تنافسين بحق يا كاثي، يمكنكِ أن تخدمي حوالي عشر سنوات في منصبِك».

تنظر نائبة الرئيس إلى خارج النافذة. تتذكر ذلك الاندفاع عندما أُعلنَت لأول مرة، عندما كانت هي الأفضل، وكانت تستطيع رؤية ذلك، والشعور به، وتذوقه.

يقول ليستر: «بخلاف ذلك، لن تبقي في منصبك يومًا واحدًا. سأُبقي دنكان في منصبه، وسيُسحق في إعادة الانتخاب، وستصلين أنتِ إلى طريق مسدود».

ربما كان على حق في الانتخابات القادمة. لن تصل هي إلى طريق مسدود، كما يقول، لكنها ستخوض معركة شاقة بعد أربع سنوات، شغلت منصب نائبة الرئيس

السابق الذي خسر محاولة إعادة الانتخاب.

«وأنتَ بخير، لا شيء عليك». كما تقول: «مع خدمتي التي امتدّت لعامين ونصف كرئيسة؟»

ينزل رئيس مجلس النواب مُنزلقًا نحو الباب، يصل إلى المقبض. «بحق الجحيم، ما الذي يعنيني فيمن هو الرئيس؟»

تهز رأسها بارتباك، ولكنها ليست متفاجئة.

«مع ذلك، يجب أن تحصلي على هذه الاثني عشر صوتًا في مجلس الشيوخ». يقول، وهو يلوّح بإصبعه.

«وأعتقد أنّ لديكم فكرة عن كيفية القيام بذلك».

يحرّك رئيس مجلس النواب رودز يده على مقبض الباب. ويجيب: «في واقع الأمر، سيدتي نائبة الرئيس، لدينا».

---

(31) النار والكبريت: هو تعبير اصطلاحي للإشارة إلى غضب الله في الكتاب المقدس العبري (العهد القديم) والعهد الجديد.

56

يتناول كبار الشخصيات المجتمعون وجبة إفطار خفيفة من خبز البايغل الأمريكي والفاكهة والقهوة في المطبخ المُطِلّ على الفناء الخلفي والغابات، حيث أُطلعهم على المكان الذي نحن فيه حتى الآن. تلقّيت للتوّ تحديثًا عن لوس أنجلوس، حيث تعمل وزارة الأمن الداخلي والوكالة الفيدرالية لإدارة الطوارئ، تحت مظلة وزارة الأمن الوطني، مع المدينة وولاية كاليفورنيا بشأن توصيل المياه النظيفة. لطالما كانت هناك خطط طوارئ لانقطاع أو تعطّل محطات تنقية المياه للمدى القصير، وسيكون هناك إلحاح على تطبيقها لكن لن تنفع أبدًا في أزمة واسعة النطاق. لن أُرسل فريق الاستجابة للتهديد الوشيك إلى هناك، لكننا سنرسل أي شخص آخر لدينا.

قد أكون مخطئًا بشأن لوس أنجلوس. قد لا يكون شَرَكًا. قد تكون نقطة انطلاق أي شيء قادم. إذا كان هذا صحيحًا، فقد ارتكبت خطأً هائلًا. رغم ذلك، لن أُرسل فريقي. هم الآن في الطابق الأرضي مع أوجي وخبراء أمن المعلومات من إسرائيل وألمانيا، يعملون بالتنسيق مع بقية فريقنا، المتمركز في البنتاغون.

يجلس المستشار يورجن ريتشتر مع أحد مساعديه، وهو شاب ذو شعر متوسط يدعى ديتير كول، رئيس مؤسسة بي إن دي الألمانية، جهاز الاستخبارات الدولي. أحضرت رئيسة الوزراء نويا بارام رئيس موظفيها، وهو رجل قوي وذو هيئة رسمية، وكبير في السن كان يعمل

جنرالًا في الجيش الإسرائيلي.

إننا نحاول الحفاظ على سرّية هذا الاجتماع، فجعلناه محدودًا ومُصغّرًا. قائد واحد ومساعد واحد لكل منهما، بالإضافة إلى معلّميهم الفنيّين. لم يكن هذا في عام 1942، عندما التقى فرانكلين روزفلت وتشرشل سرًا في مكان قبالة الطريق السريع السّاحلي، في جنوب فلوريدا، لعقد سلسلة من مؤتمرات الحرب. كانوا يأكلون في مطعم رائع يدعى كابس بلايس، وأرسلوا خطابات التقدير للمالك، التي أصبحت الآن كنوز مطعم معروف عن المأكولات البحرية، وفطيرة الليمون الرئيسة، وأجواء الأربعينيات.

في أيامنا هذه، مع الصّحافة النّهمة الجريئة، فإن الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، كل الأعيْن مصوبة على قادة العالم ليلًا ونهارًا، من الصّعب للغاية على أيٍّ منّا أن يتنقّل متخفيًا. الشيء الوحيد الذي في صالحنا هو الأمْن: في ضوء التهديدات الإرهابية هذه الأيام، نحن قادرون على الحفاظ على تفاصيل خطط سفرنا تحت غطاء.

تحضر نويا بارام مؤتمرًا غدًا في مانهاتن وقالت إنها كانت تستغل السبت لزيارة الأسرة في الولايات المتحدة. بالنظر إلى أنّ لديها ابنة تعيش في بوسطن، وشقيقها خارج شيكاغو، وحفيدة تُكمل عامها الدراسي الجديد في جامعة كولومبيا، فإنّ ذرائعها مقبولة. أمّا إذا كانت ستصمد لتتابع خطّتها تلك، فهي قصة أخرى.

استخدم المستشار ريتشتر سرطان زوجته كغطاء، متجهًا يوم الجمعة في رحلة مقررة إلى مركز سلون كيترينج للسرطان. خطتهم المعلَنة هي قضاء عطلة نهاية الأسبوع في

مدينة نيويورك مع الأصدقاء.

«أعذروني». أقول للمجموعة التي تمّ جمعها في غرفة معيشة البيت الريفيّ أثناء رنين هاتفي. «لا بدّ لي من أخذ هذه المكالمة. إنه... إنه أحد تلك الأيام العصيبة».

أتمنى لو كان معي مساعد أيضًا، لكني في حاجة إلى كارولين في البيت الأبيض، ولا يوجد أي شخص آخر يمكنني الوثوق به.

أنتقل إلى السطح المُطل على الغابة. تأخذ الخدمة السّرية الوطنية زمام المبادرة، لكن هناك وحدة صغيرة من العملاء الألمان والإسرائيليين في الفناء ومنتشرة حول العقار.

«سيدي الرئيس» تقول ليز غرينفيلد، «الفتاة، نينا. تعود بصماتها لفتاة اسمها نينا شينكوبا. ليس لدينا الكثير من الملفات عنها، لكننا نعتقد أنها ولدت تقريبًا منذ ستة وعشرين عامًا في منطقة أبخازيا في جمهورية جورجيا».

أقول: «المنطقة الانفصالية. أي الإقليم المتنازع عليه». ساندَ الرّوس مطالبَ أبخازيا في الحكم الذاتي عن جورجيا. في حرب عام 2008 بين روسيا وجورجيا، تنازعتا خلالها على أبخازيا، ظاهريًا على الأقل.

«نعم يا سيدي. كانت الحكومة الجورجية قد اشتبهت في قيام نينا شينكوبا بقصف محطة قطار على الجانب الجورجي من الحدود المتنازع عليها في عام 2008. وكانت هناك سلسلة من الهجمات على جانبيّ الحدود قبل اندلاع الحرب بين أبخازيا وجورجيا».

التي أصبحت حربًا بين روسيا وجورجيا.

«لقد كانت نينا مُنشقّة؟»

«على ما يبدو. جمهورية جورجيا تسميها إرهابية».

وأردفُ قائلًا: «من شأن ذلك أن يضعها في فئة المناهضين للغرب. هل ستجعلها موالية لروسيا؟»

«الروس كانوا معهم. لقد حارب الروس والأبخاز في الجانب نفسه من تلك الحرب. إنه استنتاج منطقي».

لكن ليس بشكل تقائي.

«هل يجب أن نتواصل مع الجورجيين لمعرفة ما يمكننا معرفته عنها؟»

أقول: «احتفِظ بهذه الفكرة. أريد أن أسأل شخصًا آخر أوّلًا».

57

«كنتُ أعرفها فقط باسم نينا» يقول أوجي، وهو مُنْهَك من عمله في الطابق الأرضي، ويفرك عينيه بينما نقف معًا في غرفة المعيشة في البيت الريفيّ.

«تجهل اسم العائلة. ألم تستغرب ذلك؟ لقد وقعتَ في حُبّ امرأة لا تعرف اسمها الأخير؟»

يتنهّد، ويجيب: «كنتُ أعرف أنّ لديها ماضٍ تهرب منه. لم أكن أعلم التفاصيل. لم أهتم».

أراقبه، لكنه لا يقول أكثر من ذلك، لا يبدو أنه يكافح من أجل شرح نفسه أكثر من ذلك.

أقول: «لقد كانت أبخازية مُنْشقّة. عملت وعائلتها مع الروس».

«هذا ما قلته. لو كانت... متعاطفة مع روسيا، فإنها لم تكن أبدًا لتتشارك هذا معي. لقد عرفت دائمًا يا سيادة الرئيس أنّ أبناء الجهاد هاجموا المنشآت الغربية. نحن نعارض نفوذ الغرب في جنوب شرق أوروبا. بالطبع، هذا يتفق مع جدول الأعمال الروسي. لكن هذا لا يعني أننا نعمل لصالح الروس. ما أفهمه هو، نعم، لقد قَبِل سليمان المال من الروس في الماضي، لكنه لم يَعد في حاجة إلى أموالهم».

أقول: «إنه يبيع خدماته إلى أعلى مُزايِد».

«إنه يقوم بكل ما يريد. وليس دائمًا مقابل المال. إنه لا يستجيب لأي إنسان عدا نفسه».

هكذا فهمَت استخباراتنا السرية أيضًا.

أقول: «هكذا أصيبت نينا. أقصد تلك الشظايا في رأسها. وقالت إن صاروخًا وقع بالقرب من كنيسة. أنهم الجورجيون. يجب أن يكونوا هم».

ترحل عينا أوجي بعيدًا، باحثة عبر المسافة، وممتلئة بالدموع. يهمس: «هل الأمر مهم حقًا؟»

«مهم إذا كانت تعمل مع الروس، يا أوجي. إذا تمكنت من معرفة من وراء هذا، فإنّ ذلك سيمنحني مزيدًا من الخيارات المتاحة».

يومئ أوجي، بينما لا تزال عيناه تبحثان بعيدًا عبر المسافة. «التهديدات. الردع. سيدي الرئيس». يقول: «إذا لم نتمكن من إيقاف هذا الفيروس، فستكون تهديداتك فارغة. ومحاولات الردع لن تعني شيئًا».

لكن الفيروس لم يضرب بعد. ما زلنا أقوى بلد في العالم.

ربما حان الوقت لتذكير روسيا بهذه الحقيقة.

يعود أوجي إلى الطابق الأرضي. أسحب هاتفي وأتصل بكارولين.

«كارولين». أقول: «هل الرؤساء المشاركون في غرفة العمليات؟»

«نعم يا سيدي».

أقول: «سأنضم إليهم في غضون دقيقتين».

58

«سيدي الرئيس». يقول المستشار ريتشتر بهيئته الرسمية الفاخرة المعتادة، وكأنه يُباهي بقبضتيْ قميصه فرنسيّة الطراز. «أنا لا أحتاج إلى أيّ إقناع بتورّط الروس في هذا الهجوم. كما تعلم، شهدت ألمانيا العديد من هذه الحوادث في الماضي القريب. قضية البرلمان الألماني، ومقرّ الحزب الديمقراطي المسيحي. وما زلنا نواجه التّبعات إلى يومنا هذا».

إنه يشير إلى اختراق 2015 في خوادم البوندستاغ الألماني، لمجلس النواب في الهيئة التشريعية الفيدرالية. قام المُخترِقون بنشر رسائل إلكترونية وكميات من المعلومات الحساسة قبل أن يكتشفها الألمان في النهاية ويقوموا بتصحيحها. ويستمر تسرّب هذه المعلومات على الإنترنت، بالتقطير الاستراتيجي قطرة فقطرة، إلى يومنا هذا.

كما تم الاستيلاء على مقر حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي في ألمانيا - حزب المستشار ريتشتر - حيث سُرقت عدة وثائق تحتوي على مقايضات حسّاسة وأحيانًا حادّة حول مواضيع الاستراتيجيات السياسية وتنسيق الحملات سواء العسكرية أو السياسية والقضايا الأساسية.

وقد نُسب كل من هذين الهجومين إلى مجموعة من المتسلّلين الإلكترونيين المعروفين باسم فانسي بير، المنتسبين إلى جهاز الاستخبارات العسكرية الروسي.

«إننا على دراية بما يقرب من خمسة وسبعين من حوادث الإرهاب الإلكتروني منذ البوندستاغ والحزب الديمقراطي

المسيحي»». يقول مساعد ريتشتر، ديتر كول، رئيس ضباط الاستخبارات الخارجية في ألمانيا. «أتحدّث عن حملات التسلّل إلى الخوادم التابعة للحكومات الفيدرالية والمحلية ومختلف الأحزاب السياسية، وكلها مُعادية للكرملين. وأتحدث عن حوادث تضمّ مؤسّسات حكومية، وصناعيّة، ونقابات عمالية، ومراكز أبحاث. جميعها» يقول: «ينتسبون إلى فانسي بير».

«معظم المعلومات التي..»». يلتفت المستشار ريتشتر إلى زميله، بحثًا عن الكلمة الصحيحة. «حصلوا عليها، نعم. معظم المعلومات التي حصلوا عليها لم تُسرَّب. نتوقع، مع اقتراب موسم الانتخابات، أن نراها. لذا، سيدي الرئيس، أستطيع أن أقول لكم إنّ ألمانيا لا تقلق بشأن مسألة ما إذا كان الروس متورطين؟»

تقول رئيسة الوزراء نويا برام: «لكن هذا مختلف. إذا كنت على صواب بشأن الفيروس الذي اكتشفته على خادم البنتاغون، فإنّه لم يكن هناك... أيّ فتات خبز، أعتقد أنك ستقول ذلك»».

أقول: «صحيح. لم يترك المتسلّلون وراءهم أي أثر هذه المرّة. ولا فتات خبز. ظهروا من العدم واختفوا دون أثر»».

«وهذا ليس الاختلاف الوحيد»». تكمل قائلة: «قلقك، يا جوني، لا يتعلّق بسرقة المعلومات. قلقك هو استقرار بُنيتك الأساسية»».

أقول: « كلاهما، لكنكِ مُحقّة يا نويا. قلقي نابع من أنْ

يهاجموا أنظمتنا. المكان الذي ظهر فيه الفيروس، عندما غمزنا قبل أن يختفي - إنه جزء من بنيتنا الأساسية التشغيلية. إنهم لا يسرقون رسائل البريد الإلكتروني. بل يُهدّدون أنظمتنا».

«قيل لي». يقول المستشار ريتشتر: «إنه إذا كان باستطاعة أي شخص أن يفعل ذلك، فإنهم أبناء الجهاد. » - ينظر إلى رئيس الاستخبارات الخارجية، الذي يومئ - « يقولون لنا إن أبناء الجهاد هم الأفضل في العالم. قد يعتقد المرء أننا يمكن أن نجد أشخاصًا يتمتعون بالكفاءة. لكن ما نتعلمه هو لا، في الواقع، هناك عدد قليل جدًا من نخبة الإرهابيين الإلكترونيين، مقابل عدد قليل فقط، إن لم يكن أقل، من نخبة الخبراء في مجال الدفاع الإلكتروني. في بلادنا، أنشأنا قيادة إلكترونية جديدة، لكننا نواجه مشكلة في ملء الشواغر. لدينا ربما أكثر من عشرة، أكثر أو أقل، من المؤهلين جيدًا بما فيه الكفاية للدفاع».

أقول: «إنه مثل أي شيء آخر. الرياضة والفنون والأوساط الأكاديمية. يوجد بعض الأشخاص على قمّة الهرم وهم ببساطة الأكثر مهارة مِن سواهم. لدى إسرائيل العديد منهم إلى جانب الدفاع. كما أنّ لديها أفضل أنظمة الدفاع عن الفضاء الإلكتروني في العالم». أومئ إلى نويا، التي تقبل الإطراء دون اعتراض؛ إنه مصدر فخر لهم.

يقول ريتشتر: «إن لعبَت إسرائيل أفضل دفاع، فإن روسيا هي أفضل هجوم».

«لكن أوجي معنا الآن».

يهزّ ريتشتر رأسه موافقًا، وتضيق عيناه. تنظر نويا إلى ريتشتر، ثم إلى وجهي. «وأنت واثق من أنك تستطيع أن تثق في هذا الرجل، هذا أوغستاس كوسلينكو؟»

«نويا». أفتح يديّ، وأتابع: «أنا واثق من أنه ليس لدي خيار آخر سوى الثقة به. لا يمكن لجماعتنا إلغاء قُفل هذا الشيء. لا يمكنهم حتى العثور عليه». أجلس في مقعدي. وأضيف: «لقد زوّدَنا بمعلومات. لو لم يفعل، ما كنّا لنعرف عن ذلك إلى الآن».

«هكذا قال».

«لذلك قال». أعترف. «هذا صحيح. انظروا، أيًّا كان وراء هذا الهجوم، أبناء الجهاد أو روسيا أو أي شخص آخر – نعم، فإنهم قد أرسلوا لي أوجي. قد يكون لديه بعض الدوافع الخفيّة. كنت في انتظار سماع ذلك. كنت في انتظار أن أسمع بعض المطالب، أو شيء عن فدية. لكني لم أسمع ذلك. وتذكّر، حاولوا قتله. مرّتين. لذا بالنسبة لأصحاب الثروات، إنه بمثابة تهديد لهم. مما يعني أنه مصدر قوة لنا. أملك أفضل الأشخاص وتملك أفضل الأشخاص أيضًا، ويورجن أفضل شخص يراقبه مع كل حركة يقوم بها في الطابق الأرضي ومستمعًا ومعلمًا ومحقّقًا. لدينا حتى كاميرا في الغرفة، لمجرد أن أبقي عليه». أضع يدي، وأُكمِل: «إذا كان لدى أي شخص فكرة أفضل، فأنا مُنفتح لسماعها. خلاف ذلك، فإن هذا أفضل شيء يمكنني القيام به في محاولة لتجنب... وتتدحرج كلماتي. لا أستطيع أن أحمِل نفسي لأقول لهم.

«لتجنب...ماذا؟» يسأل ريتشتر: «لدينا إحساس بالضرر

المحتمل؟ يمكننا جميعًا التكهّن. كما يمكننا جميعًا وضع سيناريوهات الكابوس. ماذا يقول الولد؟»

أنتقل إلى أليكس، الواقف في الزاوية البعيدة لغرفة المعيشة. وأقول: «أليكس، أحضر أوجي إلى هنا. يجب أن تستمعوا لكل هذا بأنفسكم».

59

يقف أوجي أمام زعماء العالم المتواجدين في غرفة المعيشة، مُرهَقًا ومنهَكًا، ومُرتديًا ملابس غير ملائمة وجدناها له بعد الاستحمام، ومسحوقًا بأحداث الاثنتي عشرة ساعة الأخيرة. ومع ذلك، يبدو أنّ هذا الشاب غير مستاء ولو قليلًا من الرِّفقة. إنهم رجال ونساء الإنجازات الكبيرة، مع قوة مذهلة في متناول أيديهم، لكن في هذا المجال، هو المعلّم، ونحن التلاميذ.

«إحدى أهم المفارقات في العصر الحديث». يبدأ بالقول، ويتابع: «هو أنّ تقدّم البشرية يمكن أن يجعلنا أكثر قوة وأكثر ضعفًا في الوقت نفسه. كلما زادت القوة، زاد الضعف. أنت تعتقد، ومعك حق في ذلك، أنك في قمّة قوتك، يمكنك القيام بأشياء أكثر من أي وقت مضى. لكني أراكَ في ذروة ضعفك».

«السبب هو الاتّكال. لقد أصبح مجتمعنا يتّكِل بالكامل على التكنولوجيا. إنها الأتمتة - هل أنتم على دراية بهذا المفهوم؟»

«ليس تمامًا». أقول: «اتصال الأجهزة بالإنترنت».

«نعم، هذا في الأساس. ولا تقتصر فقط على أجهزة الكمبيوتر المحمولة والهواتف الذكية. بل تشمل أي شيء مزوّد بمفتاح طاقة. الغسالات وآلات إعداد القهوة وأجهزة تسجيل الفيديو الرقمية والكاميرات الرقمية وأجهزة تنظيم الحرارة ومكونات الماكينات والمحرّكات النفاثة - قائمة بالأشياء الكبيرة والصغيرة، تكاد لا تنتهي.

قبل عامين، كان هناك خمسة عشر مليار جهاز متصل بالإنترنت. سنتين من الآن؟ لقد قرأت تقديرات أنّ العدد سيغدو خمسين مليارًا. وسمعت مئة مليار. لا يستطيع الشخص العادي تشغيل التلفزيون بعد الآن دون رؤية إعلان عن أحدث جهاز ذكي وكيف سيفعل شيئًا لم تكن لتظن أنه ممكن قبل عشرين عامًا. وسوف تطلب الزهور لك. وسيتيح لك رؤية الشخص الذي يقف خارج الباب الأمامي لمنزلك أثناء وجودك في العمل. سوف يخبرك ما إذا كان هناك أعمال طُرق ويرشدك لطريق أسرع إلى وجهتك».

«وكل ذلك الاتصال يجعلنا أكثر عرضة للبرمجيات الخبيثة وبرامج التجسّس». أقول. «نحن نفهم ذلك. لكنني لا أشعر بقلق كبير، في الوقت الحالي، حول ما إذا كانت سِيْري في الهاتف الذكي ستخبرني بالطقس في بوينس آيرس أو إذا كانت بعض الدول الأجنبية تجسس عليّ من خلال محمصة الخبز».

يجول أوجي في الغرفة جيئة وذهابًا، كما لو كان يحاضر على مسرح كبير لآلاف الجماهير. «لا، لا، انحرفت عن الموضوع. أكثر من ذلك، يعتمد كل شكل من أشكال التطوّر على الأتمتة تقريبًا، وكل المعاملات تقريبًا في العالم الحديث، تعتمد على الإنترنت. دعني أقولها على هذا النحو: نحن نعتمد على شبكة الطاقة الكهربائية، أليس كذلك؟»

«بالطبع».

«وبدون كهرباء؟ ستعمّ الفوضى. لماذا؟» وينظر إلى كلّ واحد منا، في انتظار إجابة.

أقول: «لأنه لا يوجد بديل عن الكهرباء. أليس كذلك؟»

يُشير إلي. «هذا صحيح. لأننا نعتمد على شيء لا بديل له».

«والشيء ذاته ينطبق الآن على الإنترنت». تقول نويا لنفسها وللآخرين.

ينحني أوجي قليلًا. «بلا شك، سيدتي رئيسة الوزراء. لا يمكن تنفيذ مجموعة كاملة من الوظائف التي نُفّذت من قبل بدون الإنترنت الآن إلا عبر الإنترنت. لا تراجع. ليس بعد الآن. وأنت على صواب... لن ينهار العالم إذا كففنا عن البحث في هواتفنا الذكية عن ما هي عاصمة إندونيسيا. ولن ينهار العالم إذا توقفت أفران المايكرويف عن تسخين لُفافة للإفطار، أو إذا توقف جهاز تسجيل الفيديو عن العمل».

يتقدّم أوجي قليلًا، وينظر للأسفل، وكفّاه في جيوبه، كل شيء يشي بأنه أستاذ في منتصف المحاضرة.

«لكن ماذا لو توقّف كل شيء عن العمل؟» يقول.

يسود الصمت الغرفة. يرفع المستشار ريتشتر فنجانًا من القهوة إلى شفتيه، ويتجمّد في منتصف المسافة. فيما تبدو نويا وكأنها تحبس أنفاسها.

أفكّر مع نفسي في عصور الظّلام.

«لكن الإنترنت ليس عرضة للخطر كما تقول». يقول ديتر كول، الذي ربما لا يساوي أوجي في هذه القضايا لكنه

أكثر دراية من أيِ من المسؤولين المنتخبين في الغرفة: «قد يصبح الخادم مُختَرَقًا أو بطيئًا في حركة المرور أو حتى قاطعًا لها، لكن بعد ذلك يمكن استخدام خادم آخر. مسارات حركة المرور ديناميكية».

«لكن ماذا لو اختُرِقت كل المسارات؟» يسأل أوجي.

يعمل كول على ذلك، فمه مزموم كما لو كان على وشك الكلام، وعالق في هذا الموقف. يغلق عينيه ويهز رأسه. «كيف سيكون... ذلك ممكنًا؟»

يقول أوجي: «سيكون من الممكن مع الوقت، والصبر، والمهارة. إذا لم يتم اكتشاف الفيروس عندما يتسلّل إلى الخادم. وإذا ظلّ ساكنًا بعد التسلّل ».

«كيف تسللت إلى الخوادم؟ هجمات الاحتيال؟ »

يتصنّع أوجي وجهًا، كما لو أنه تعرّض للإهانة. «في بعض الأحيان. لكن بالدرجة الأولى، لا. وبالدرجة الأولى استخدمنا التضليل. هجمات دي دو إس، وفساد قوائم بي جي بي».

أقول: «أوجي!»

«أوه، نعم، أعتذر. لقد طلبت مني التحدّث بلغتكم التي تفهمونها. ممتاز. هجوم دي دو إس، هو هجوم الحرمان من الخدمة الموزعة. هجوم الطوفان، بشكل أساسي، على شبكة الخوادم التي تقوم بتحويل عناوين المواقع التي نكتبها في متصفحاتنا إلى أرقام آي بي، التي تستخدمها أجهزة توجيه الإنترنت».

«أوجي!» أقول مرة أخرى.

يبتسم معتذرًا. «هنا: تطبع عنوان شبكة سي إن إن الإخبارية، لكن الشبكة تقوم بتحويله إلى رقم مسَار لتوجيه حركة المرور. يُرسل هجوم الطوفان حركة مرور زائفة إلى الشبكة ويسيطر عليها، لذا نتعطل أو نتوقف الشبكة. في أكتوبر عام 2016، قام هجوم دي دو إس بغلق عددٍ من الخوادم، وبالتالي عدد من المواقع الإلكترونية البارزة في أمريكا، لمدة يوم كامل تقريبًا. وتعطّل كلّ من تويتر وبلاي ستيشن و سي إن إن و سبوتيفاي وشيرجن وكومكاست، بالإضافة إلى آلاف عمليات البيع بالتجزئة عبر الإنترنت».

«ثم هناك فساد قوائم بي جي بي - قائمة بروتوكول البوابة الحديدية أو بروتوكول التوجيه. مزوّدو الخدمات، على سبيل المثال، إي تي آند تي - سيقومون بشكل أساسي بالإعلان عن تلك القوائم مع عملائهم. إذا كانت شركة أي بي سي تستخدم إي تي آند تي لخدمة الإنترنت، فستقوم إي تي آند تي بالإعلان عن هذه القوائم: إذا كنت ترغب في الوصول إلى موقع شركة أي بي سي الإلكتروني، فتصفّح عبرنا. لنفترض أنك في الصين، على سبيل المثال، باستخدام فيلاتيل، وتريد الوصول إلى موقع شركة أي بي سي. سيكون عليك الانتقال من فيلاتيل إلى إن تي تي في اليابان، ثم الانتقال إلى إي تي آند تي في أمريكا. تخبرك قوائم بي جي بي بالمسار. نحن، بالطبع، نطبع العنوان في موقعٍ ويب أو ننقر على رابط، لكن ما يحدث على الفور غالبًا هو سلسلة من القفزات عبر مزوّدي

خدمات الإنترنت، وذلك باستخدام قوائم بي جي بي لخريطة».

«تكمن المشكلة في أنّ قوائم بي جي بي هذه أُعِدّت على أساس الثقة. ربما تتذكّر أنه منذ عدة سنوات، زعمت فيلاتيل، التي كانت تسمى تشايناتيل في ذلك الوقت، بأنها كانت القفزة الأخيرة للمرور إلى البنتاغون، وبالتالي لفترة من الوقت، جزءًا كبيرًا من حركة مرور الإنترنت المقصود للبنتاغون تم توجيهه عبر الصين».

أعرف ذلك الآن، لكنني لم أكن على عِلم به وقتها. كنتُ فقط حاكم ولاية كارولاينا الشمالية في ذلك الوقت. المواعيد أبسط. وأسلس من هذا القرن.

يقول أوجي: «يمكن للمُخترِق المتطوّر أن يخترق قوائم بي جي بي في أفضل عشرين مزوّد لخدمات الإنترنت في جميع أنحاء العالم، يتبارون على القوائم، وبالتالي سيخطئ في توجيه المرور. مما سيكون له التأثير ذاته لهجوم دي دو إس. وسيؤدي إلى إيقاف خدمة الإنترنت مؤقتًا لأي شخص يخدمه هذا المزوّد».

«لكن كيف يرتبط ذلك بتنصيب الفيروس؟» تسأل نويا. «الهدف من هجوم دي دو إس، كما أفهمه، هو إيقاف خدمة الإنترنت عن مزوّد الخدمة».

«نعم».

«ويبدو الأمر كما لو كانت هذه... هذه الهرولة على قوائم بي جي بي لها التأثير نفسه».

«نعم. وكما يمكنكِ أن تتصوّري، الأمر خطير للغاية. لا

يستطيع مزوّد الخدمة تحمّل خسارة الخدمة لعملائه. هذا هو السبب الرئيسي الذي على أساسه أُنشئت. لذا يجب أن تعمل فورًا على إصلاح المشكلة أو أنها ستفقد عملائها وتخرج من سوق العمل».

«بالتأكيد». تقول نويا.

«كما قلت من قبل، التضليل».

يلوّح أوجي بيديه. «استخدمنا قوائم بي جي بي وهجمات دي دو إس كمنصّات لاختراق الخوادم».

ترفع نويا ذقنها وتصلها الفكرة الآن. كان على أوجي أن يشرح لي كل هذا أكثر من مرة.

«عندما كانوا يركّزون على هذه الحالة الطارئة، كنتَ تتسلّل وتزرع الفيروس».

«ملخص دقيق بما يكفي، نعم». لا يمكن لأوجي أن يساعد لكنه الشعور بالفخر. «ولأن الفيروس كان خاملًا - لأنه كان مخفيًا ولم يؤدّ وظيفة ضارّة - فإنهم لم يلاحظوا ذلك مطلقًا».

يسأل ديتر كول: «خامل إلى متى؟»

«سنوات. أعتقد أننا بدأنا..». ينظر للأعلى بعينين مغمضتين نصف إغماضة. «قبل ثلاث سنوات؟»

«لقد كان الفيروس خاملًا لمدة ثلاث سنوات؟»

«في بعض الحالات، نعم».

«كم عدد الخوادم التي ضربتها؟»

يأخذ أوجي نفسًا، مثل طفل على استعداد لتقديم الأخبار السيئة لوالديه. «الفيروس مبرمج لإصابة كل عقدة - كل جهاز يتلقى خدمة الإنترنت من المزوّد».

«و ..». توقّف كول لحظة، وكأنه خائف من الاستفسار أكثر من ذلك، خائف من فتح باب الخزانة المظلمة لمعرفة ما يختبئ في الداخل. «تقريبًا، كم عدد مزودي خدمات الإنترنت الذين قمت بإصابتهم؟»

«تقريبًا؟» يهزّ أوجي كتفيه. « كلّهم». يجيب.

الجميع يذوي تحت الضغط. ريتشتر، غير قادر على الجلوس ساكنًا، ينهض من كرسيه ويميل نحو الجدار، طاويًا ذراعيه. تهمس نويا شيئًا ما لمساعدها. الأشخاص ذوو النفوذ يشعرون بالعجز.

«إذا كنتَ قد أصبت جميع مزوّدي خدمة الإنترنت في البلاد، وهؤلاء المزوِّدون بدورهم نقلوا الفيروس إلى كل زبون، وكل عُقدة، وكل جهاز، هذا يعني..». يعود ديتر كول إلى مقعده.

«لقد أصبنا فعليًّا كل جهاز يستخدم الإنترنت في الولايات المتحدة».

رئيسة الوزراء والمستشار كلاهما ينظران نحوي، ويتحوّل وجهيهما إلى اللّون الشاحب. الهجوم الذي نناقشه على أمريكا، لكنهم يعرفون جيدًا أنّ بلدانهم قد تكون التالية. وهذا جزء من السبب الذي أردت لأجله أن يوضح لهم أوجي الأمر بنفسه.

«الولايات المتحدة فقط؟» يسأل المستشار ريتشتر.

«لكن الإنترنت يربط العالم بأسره!»

«وجهة نظر عادلة». يقول أوجي. «نحن نستهدف فقط مزوّدي خدمات الإنترنت في الولايات المتحدة. لا شك في أنه سيكون هناك بعض الانتقال إلى دول أخرى حيث يتم إرسال البيانات من الأجهزة الأمريكية إلى الخارج. لا توجد طريقة لمعرفة ذلك بشكل مؤكد، لكننا لا نتوقع أن يكون الامتداد هامًّا. كنا نركّز على الولايات المتحدة. كان الهدف هو شلّ الولايات المتحدة».

هذا أبعد بكثير من أسوأ مخاوفنا. عندما اختلس الفيروس النظر إلينا، كان الأمر على خادم البنتاغون. كلنا فكّرنا في الأغراض العسكرية، أو الحكومية على الأقل. لكن أوجي يخبرنا أن نذهب إلى أبعد من ذلك بكثير، أبعد من استخدام الحكومة. إنّ الفيروس سيؤثر على كل صناعة، وجوانب لا حصر لها من الحياة اليومية، و على كل منزل.

«ما تقوله لنا». يقول المستشار ريتشتر، بصوتٍ مُتهدّج: «هذا يعني أنك سوف تسرق الإنترنت من أمريكا».

ينظر أوجي إلى ريتشتر، ثم إلى وجهي.

«نعم، لكن هذه هي البداية وحسب». أقول: «أوجي، أخبرهم بما سيفعله الفيروس حقًّا».

60

يقول أوجي: «الفيروس أساسًا هو ما تسمونه الفيروس الماسِح. كما يوحي الاسم، هو مُقاوم للحذف. ستكون أجهزة كمبيوترك المحمولة مفيدة فقط كحواجز على الأبواب، أما الأجهزة المُوجِّهة (الرّاوتر) ستكون كثقّالات الورق. سيتم مسح الخوادم. لن يكون لديك خدمة إنترنت، هذا صحيح طبعًا، لكن أجهزتك لن تعمل أيضًا».

إنها عصور الظّلام.

يختار أوجي تفاحة من وعاء الفاكهة ويقذفها بيده. «معظم الفيروسات وشفرة الهجوم مصمّمة للتسلّل خِلسة وسرقة البيانات». يكمل حديثه موضّحًا. «فكّر في اللّص الذي يتسلّل من خلال النافذة وعلى رؤوس أصابعه بهدوء إلى المنزل. يريد الدخول والخروج دون أن يُكشف. وإذا تمّ اكتشاف السرقة في أي وقت، يكون الأوان قد فات».

«من ناحية أخرى، هجمات الماسِح، مزعجة. يريدون منك أن تعرف ما يفعلون. ليس هناك سبب للاختباء. لأنهم يريدون شيئًا منك. هم أساسًا - حسنًا، ليس بشكل أساسي - يحتفظون في الواقع بمحتويات جهازك رهينة. ادفع الفدية أو ودّع جميع ملفاتك. بالطبع، ليس لديهم رغبة خاصّة في حذف جميع بياناتك. إنهم فقط يريدون أموالك».

يفتح يده. «حسنًا، فيروسنا هو ماسِح يهاجم بصمت. لقد دخلنا بهدوء وتسلّلنا إلى أقصى حد ممكن. لكننا لا نريد

فدية. نريد حذف جميع ملفاتك فقط».

يقول ديتر كول، وهو يهزّ رأسه: «إن الملفات الاحتياطية لا تساعد. لأنك أصبتها أيضًا».

«بالطبع. تمّ تحميل الفيروس على ملفات النُّسخ الاحتياطية من خلال عمل نَسخ احتياطي للأنظمة على أساس روتيني».

أقول: «إنها قنابل موقوتة. لقد كانوا مختبئين داخل الأجهزة في انتظار لحظة استدعائهم للعمل».

«نعم».

«وهذا اليوم هو اليوم».

يتفحّص بعضنا وجوه بعض. لقد استغرقت ساعتين حتى أستوعب هذا الأمر، بعد أن أوضح لي كل هذا أوجي في مروحيّة مارين ون. ربما كنتُ أشعر بما يشعر به الآخرون على متن المروحية من دهشة وتعجب في هذه اللحظة.

يقول أوجي: «إذن أنت تقدّر العواقب. قبل خمسين عامًا، كان لديكم آلات كاتبة وورقة كربون. الآن لديك أجهزة الكمبيوتر فقط. منذ خمسين عامًا - في معظم الحالات، قبل عشرة أو خمسة عشر عامًا - لم تعتمد على الاتصال لإجراء كثيرٍ من عملياتك. لكنك الآن تفعل. إنها الطريقة الوحيدة التي تعمل بها. خذها بعيدًا، ليس هناك احتياطي».

الغرفة هادئة. ينظر أوجي إلى الأسفل نحو حذائه، ربما

بسبب الاحترام، أو ربما بسبب الاعتذار. ما يصفه هو شيء كان له يد كبيرة في خلقه.

«أعطونا فكرة عن...». تفرك نويا بارام صدغها.

«أوه، حسنًا». يبدأ أوجي في التحرّك جيئة وذهابًا مرة أخرى. «الأمثلة لا حدود لها. أمثلة صغيرة: نتوقف المصاعد عن العمل. قارئ الأسعار في محلات البقالة. حركة مرور القطارات والحافلات. أجهزة التلفاز. الهواتف. أجهزة الراديو. إشارات المرور. ماسحات بطاقة الائتمان. أنظمة الإنذار المنزلية. سوف تفقد أجهزة الكمبيوتر المحمولة جميع برامجها، وجميع الملفات، كل شيء سيُمحى. حاسوبك الشخصيّ لن يكون سوى لوحة مفاتيح وشاشة فارغة».

«ستتعرض الكهرباء لخطر شديد. مما يعني الثلاجات. في بعض الحالات، الحرارة. الماء - حسنًا، لقد رأينا بالفعل التأثير على محطات تنقية المياه. ستصبح المياه النظيفة في أمريكا شحيحة وبشكل سريع».

«وهذا يعني مشاكل صحية على نطاق واسع. من سيهتم بالمرضى؟ المستشفيات؟ هل سيكون لديهم الموارد اللازمة لعلاجك؟ العمليات الجراحية هذه الأيام محوسبة للغاية. ولن يتمكنوا من الوصول إلى أي من سجلاتك الطبية السابقة على الإنترنت».

«لهذا الأمر، هل سيقومون بعلاجك أساسًا؟ هل لديك تأمين صحي؟ من يقول ذلك؟ البطاقة في جيبك؟ لن يتمكنوا من البحث عنك والتأكد من ذلك. ولن يكونوا

قادرين على طلب التعويض من شركة التأمين. وحتى إن تمكنوا من الاتصال بشركة التأمين، فلن تعرف شركة التأمين ما إذا كنت عميلًا أم لا. هل لديها قوائم مكتوبة من حاملي وثائق التأمين؟ لا، كل شيء على أجهزة الكمبيوتر. أجهزة الكمبيوتر التي مُسِحت. هل ستعمل المستشفيات مجانًا؟»

«لا مواقع إلكترونية، بالطبع. ولا تجارة إلكترونية. ولا نطاقات ناقلة. أو آلات متطورة داخل مصانع التصنيع. ولا سجلات رواتب. ستبقى الطائرات على الأرض. حتى القطارات قد لا تعمل في معظم الأماكن. والسيارات، على الأقل أيّ من تلك التي صُنّعت منذ عام ألفين وعشرة، أو نحو ذلك، ستتأثّر».

«السجلات القانونية. سجلات الرعاية. قواعد بيانات تطبيق القانون. قدرة الشرطة المحليّة على التعرف على المجرمين والتنسيق مع الولايات الأخرى والحكومة الفيدرالية من خلال قواعد البيانات... لا أكثر».

«السجلات المصرفية. هل تعتقد أنّ لديك عشرة آلاف دولار في حساب التوفير؟ خمسون ألف دولار في حساب التقاعد؟ هل تعتقد أنّ لديك معاشًا يسمح لك بتلقي دفعة ثابتة كل شهر؟» يهزّ رأسه. «ليس إذا مُسحت ملفات الكمبيوتر ونسخها الاحتياطية. هل لدى البنوك كمية كبيرة من المال، ملفوفة في شريط مطاطي يحمل اسمك عليها، تقعد في قبو في مكان ما؟ بالطبع لا. كل تلك البيانات في الكمبيوتر».

«يا أم يسوع! »يقول المستشار ريتشتر، ويمسح وجهه

بمنديل.

«بالتأكيد». يُكمل أوجي قائلًا: «كانت البنوك من أوائل الشركات التي أدركت مدى ضعفها وعزلت بعض سجلاتها في أنظمة منفصلة. لكننا أصبناها بالفعل. كانت تلك أول قطاع نستهدفه. لذا فإن شبكاتهم المنفصلة مكشوفة أيضًا».

«الأسواق المالية. لم تعد هناك طوابق تداول. كل شيء إلكتروني. كل التداولات من خلال التبادلات الأمريكية سوف تتوقّف».

«وظائف الحكومة، بالطبع. تعتمد الحكومة على تحصيل الإيرادات. قوائم الضرائب لضريبة الدخل. جمْع ضرائب المبيعات وضرائب الإنتاج وما شابه. كل ذلك، ذهب. من أين ستحصل الحكومة على المال لتعمل، وإلى أيّ مدى يمكن أن تستمر في العمل؟»

«سيتم خفض تدفّق العملة فجأة إلى المعاملات اليدوية نقدًا. والنقود من أين؟ لن تتمكن من الذهاب إلى البنك المحلي أو إلى أقرب جهاز صراف آلي لسحب النقود، لأن البنك ليس لديه سجل لك».

«سوف يتوقف الاقتصاد في هذا البلد صارخًا بذعر. إنّ القطاعات الصناعية الكاملة التي تعتمد حصرًا على الإنترنت لن يكون لها أي وسيلة للعيش. سيتعرض الآخرون لخطر شديد. لا شك أنّ هذا التأثير سيؤدي إلى بطالة هائلة، وخفض هائل في توفّر بطاقات الائتمان، والركود الذي من شأنه أن يجعل الكساد الذي أصابكم في الثلاثينات

من القرن العشرين يبدو وكأنه زوْبعة مؤقّتة».

«ذعر». كما يقول: «ذعر واسع النطاق. يمتد إلى البنوك. ونهب محلات البقالة. وأعمال الشغب. وجرائم كبيرة. وتفشّي الأمراض. وهكذا سيختفي كل شكل من أشكال النظام المدني».

«ولم آتِ على ذِكر قدرات الأمن العسكري والوطني. قدرتك على تعقّب الإرهابيين. إمكانياتك في المراقبة. سيتم شلّ قواتك الجوّية المتطورة للغاية. وقدرتك على إطلاق الصواريخ؟ لا أكثر. الرادار والسونار؟ قدرات جيشك في الاتصالات عالية التقنية؟ ذهبت».

«الولايات المتحدة ستكون عرضة للهجوم بِطُرق لم تعهدها من قبل». يقول: «ستكون دفاعاتك العسكرية في مستويات القرن التاسع عشر ضد الأعداء الذين يتمّتعون بقدرات القرن الحادي والعشرين».

مثل روسيا، والصين، وكوريا الشمالية.

يرفع ديتر كول يده. «إذا تمّ قطع الإنترنت بشكل دائم، فإنه سيكون... بمثابة كارثة ملحميّة. لكن هذه المشاكل سوف تكون ثابتة. ليس الأمر كما لو أنّ أمريكا ستفقد الإنترنت إلى الأبد».

يومئ أوجي، وينحني قليلًا. «أنت على صواب، يا سيدي، في نهاية المطاف، سوف يُستعاد الإنترنت. ربما يستغرق الأمر شهورًا لإعادة بناء الشبكة بالكامل، بدءًا من مزوّدي خدمات الإنترنت وصولًا إلى أجهزة الاستخدام النهائي، وكل الأنظمة في كل خطوة من السلسلة، سيتمّ تدميرها

بالكامل. خلال ذلك الوقت، ستكون الولايات المتحدة عُرضة لهجوم عسكري أو عمل إرهابي كما لم يحدث من قبل. وأثناء ذلك الوقت، سيتم تدمير قطاعات كاملة من الاقتصاد، تعتمد بشدة على الإنترنت، إن لم يكن حصرًا على الإنترنت. وخلال ذلك الوقت، لن يتلقى المرضى الذين في حاجة ماسّة للرّعاية، علاجاتهم أو رعايتهم الطبية. كل شركة، وكل بنك، وكل مستشفى، وكل مكتب حكومي، وكل فرد، سيضطر لشراء أجهزة جديدة بسبب تدمير القديمة منها».

«كم من الوقت يمكن أن تقضي البلاد بأكملها دون مياه الشرب النظيفة؟ دون كهرباء؟ دون تبريد؟ دون القدرة على تنفيذ الإجراءات الطبية الحيوية والعمليات الجراحية؟ من المؤكد أنّ الولايات المتحدة ستركز أولًا على مثل هذه الاحتياجات والخدمات الحيوية، لكن ما مدى سرعة إعادة تلك الأمور إلى نصابها في بلاد يبلغ تعداد سكانها ثلاثمئة مليون شخص؟ بالتأكيد ليس في غضون أسبوع، وليس للبلاد بأكملها. أسبوعين؟ عدة أشهر، الأكثر احتمالًا. أعتقد أنّ عدد القتلى سيكون صاعقًا».

«وحتى في حال استعادة خدمة الإنترنت في نهاية المطاف، ضع في اعتبارك الضرر الذي لا يمكن إصلاحه. سيخسر الجميع في أمريكا كل مدّخراتهم، وكل استثماراتهم، وكل تلك السجلات ستحذف إلى الأبد. سيكون الجميع مفلسًا تمامًا باستثناء الأموال التي حصلوا عليها عندما وقع الفيروس. وينطبق الشيء نفسه على معاشاتهم، وتأمينهم الصحي، وفوائدهم على الرعاية

الاجتماعية والضمان الاجتماعي، وسجلاتهم الطبية. هذه البيانات لن يتم استردادها. أو إذا كانت قادرة على التعافي بطريقة أو بأخرى، فدون بيانات إلكترونية، ستكون عملية غير مُكتملة وغير قابلة للتحقق منها، وقد تستغرق سنوات. *سنوات*. كم يمكن لأي شخص أن يعيش دون مال؟»

«وإذا لم يكن لدى الناس المال، كيف يمكن لأي قطاع من قطاعات الاقتصاد أن يظل قابلًا للتطبيق؟ لا يوجد متجر واحد في أي شارع في هذه البلاد، من الجادّة الخامسة في نيويورك وحيّ مجنيفيسنت مايلز في شيكاغو والحيّ الرّاقي في بيفرلي هيلز روديو درايف وصولًا إلى أصغر المتاجر في أصغر البلدات - كيف يمكن لأيّ منها أن يستمر دون عملاء؟ لنقُل شيئًا عن القطاعات القائمة على الإنترنت في الصناعة. لن يكون هناك شيء، لا شيء على الإطلاق، من الاقتصاد الأمريكي ».

«يا إلهي العظيم». يتمتم المستشار ريتشتر. «إنه أسوأ بكثير مما تصوّرت».

يقول أوجي: «الأمر أسوأ مما يمكن لأي شخص أن يتخيّله. ستصبح الولايات المتحدة الأمريكية أكبر دولة من دول العالم الثالث على وجه الأرض».

61

يترك أوجي ضيفيّ، رئيسة الوزراء نويا بارام والمستشار يورجن رينشتر، في حالة من الغضب والصمت. يخلع رينشتر معطفه، كاشفًا عن سترته، ومرة أخرى يمسح جبينه بمنديل. تقدم نويا لنفسها كوبًا كبيرًا من الماء.

«لماذا..». يرفع رينشتر يده إلى ذقنه، ويحكّها. «لماذا تفعل روسيا هذا؟»

هذا إذا كانت روسيا، أُحدّثُ نفسي.

«هل هذا غير واضح؟» تسأل نويا برام بعد شرب كثير من الماء، وتربت على شفتيها بمنديل.«بالنسبة إلي ليس كذلك. هل هناك عنصر عسكري هنا؟ إذا تعرّضت قدرات أميركا العسكرية للاختراق، وإذا كانت بنيتها التحتية في حالة يرثى لها، فهل يجعل ذلك الولايات المتحدة عرضة لهجوم عسكري؟ لا يمكن ذلك».

«هل يمكن ذلك؟ روسيا ستهاجم الولايات المتحدة؟ بالتأكيد..». يلوّح بيده. «من المؤكد أنّ الولايات المتحدة قد تكون عُرضة للهجوم، نعم، لكن بالتأكيد ستعيد أمريكا بناء قوتها. ومن ثمّ، بالتأكيد، هناك المادة الخامسة».

بموجب المادة الخامسة من معاهدة شمال الأطلسي، فإن الهجوم على دولة واحدة من دول حلف شمال الأطلسي هو هجوم على الجميع. يمكن أن يؤدي هجوم على الولايات المتحدة إلى نشوب حرب عالمية.

نظريًا، على الأقل. هذا المبدأ لم يخضع أبدًا للاختبار النهائي. إذا شلّت روسيا بُنيتنا التحتية العسكرية وتبِعتْها بضربنا بأسلحة نووية، فهل سيرُد حلفاؤنا من دول حلف شمال الأطلسي النووية – ألمانيا مثلًا، أو بريطانيا أو فرنسا – على روسيا؟ سوف يتمّ اختبار تحالفنا كما لم يحدث من قبل. وكل واحدة من تلك البلدان، إذا فعلت ذلك، ستضمن ضربة نووية انتقامية.

لذلك من المهم للغاية بالنسبة لريتشتر أن يدرك أنّ ألمانيا قد تكون التالية، وأنه لا يستطيع أن يدع روسيا – أو أيًّا كان المسؤول – تُفلِت من هذا.

تسأل نويا: «لكن من هو أكبر عائق في روسيا؟ ومن الذي تخشاه روسيا أكثر؟»

يقول ريتشتر: «حلف شمال الأطلسي».

ترتفع أكتاف نويا. «حسنًا، نعم... نعم، يورجن. نعم، يُشكّل توسّع حلف الناتو إلى حدود روسيا مصدر قلق كبير لها. لكن في نظر روسيا، وبالطبع لا أعني التقليل من احترام أحد، يورجن... لكن في نظر روسيا، عندما ترى حلف شمال الأطلسي، فإنها ترى أمريكا. أمريكا، أولًا وقبل كل شيء، ومن ثَمّ حلفاؤها».

«إذن، ماذا كسبت روسيا؟» أنهض من مقعدي، غير قادر على الجلوس ساكنًا. «أستطيع أن أفهم أنّ روسيا تريد تعطيلنا. لإعاقتنا. وتركنا جرحى. لكن هل تريد تدميرنا؟»

«جوني». تقول نويا، وهي تضع كوب الماء من يدها.

«خلال الحرب الباردة، الولايات المتحدة - كنتَ دائمًا تعتقد أنّ السوفييت يريدون تدميرك. وافترضوا أنك تضمر لهم الشيء ذاته. لقد تغيّر الكثير خلال الخمس وعشرين سنة الماضية. انهارت الإمبراطورية السوفييتية. تدهور الجيش الروسي. توسّع حلف شمال الأطلسي إلى حدود روسيا. لكن هل تغيّر أيّ شيء حقًا؟ تشعر روسيا بأنكَ مصدر تهديد لها. في النهاية، لديك الفرصة. ألا تعتقد أنه سيكون خيارًا قابلًا للتطبيق مرة أخرى؟ هل أنتَ على استعداد لأن تخاطر بأن تكون مُخطئًا؟» تقول ورأسها يميل جانبًا، وتُطلق تنهيدة ثقيلة: «ولا يوجد أمامك خيار سوى الاستعداد لإمكانية توجيه ضربة مباشِرة إلى أمريكا».

إنه تقريبًا أمر مُبهم. كما يبدو لي. لكن وظيفتي هي الاستعداد للأسوأ، حتى وأنا أعمل من أجل الأفضل. وأي شخص يعتقد أنه يفهم تمامًا الرئيس تشيرنوكيف فإنه مخطئ. الرجل يلعب لعبة طويلة. لكن هذا لا يعني أنه لن يتخذ طُرُقًا مختصرة إن كان بإمكانه ذلك.

يتحقق المستشار ريتشتر من ساعته. يقول: «ما زلنا وفدًا واحدًا صغيرًا. كنتُ أعتقد أنهم سيكونون هنا الآن».

أقول لهم: «لديهم بعض الأشياء في أذهانهم».

ينتقل أليكس تريمبل إلى الغرفة. وأذهب معه.

يقول: «وصلوا سيدي الرئيس. الروس هنا».

62

موكب من سيارات الدفع الرباعي السوداء تنحرف نحو الطريق الفرعي المؤدي إلى البيت الريفي. يخرج عملاء الأمن الروس من سيارة الدفع الرباعي الأولى، ويتشاورون مع جاكوبسون وآخرين من الخدمة السرّية الوطنية.

أقف مستعدًا لاستقبالهم، أحدهم يفكّر في الهيمنة على الآخرين: هكذا تبدأ الحروب.

طلبت من الرئيس تشيرنوكيف حضور قِمّتنا في الوقت الذي تواصلت فيه مع إسرائيل وألمانيا. لم أكن أعلم بتورّط روسيا حينها - ما زلت لا أعلم ذلك، لستُ أكيدًا - فإن لم يكونوا هم وراء ذلك، يمكنهم إذن المساعدة ولديهم ما يخشونه بالقدر نفسه. إذا كانت الولايات المتحدة ضعيفة، فالجميع كذلك. بما فيهم روسيا. وإن كانت روسيا هي مَن تقف وراء هذا، فإنه لا يزال من المنطقي أن تكون الدولة ممّثلة هنا. عندما قال سون تزو: «أبق أصدقاءك قريبين وأعدائك أقرب» كان لديه وجهة نظر.

لكنه كان أيضًا اختبارًا. إذا كانت روسيا تقف وراء عصور الظّلام، فإني لم أكن أعتقد أنّ الرئيس تشيرنوكيف سيكون مستعدًا للحضور والجلوس معي في الوقت الذي يُطلَق فيه الفيروس وينشر الدّمار الشامل في إثره. كان سيرسل شخصًا بدلًا منه، لأجل المظاهر.

يفتح العملاء الرّوس الباب الخلفي لسيارة الدفع الرباعي الثانية. وبخطوة واحدة رسمية يخرج: رئيس الوزراء إيفان

فولكوف.

تشيرنوكيف اختير ليكون الثاني في القيادة، كما أنه كولونيل سابق في الجيش الأحمر. وبالنسبة لبعضهم فهو جزّار القرم.

القائد العسكري وراء جرائم الحرب المشتبه في ارتكابها في الشيشان، والقرم، ولاحقًا أوكرانيا، من اغتصاب وقتل مدنيين أبرياء إلى تعذيب أسرى حرب، وتُطارده أيضًا شُبهة استخدام الأسلحة الكيميائية.

إنه رجل ذو بُنية صلبة، قصير وجامد، وشعره قُصّ بهيئة خطّ ضيق من الشَّعر الداكن فوق رأسه، تمامًا مثل شعور قبائل الموهاوك. يقترب من الستين لكنه لائق جسديًّا، ملاكم سابق يقضي وقته كل يوم في صالة الألعاب الرياضية، على حد علمنا، مع تجاعيد حادّة على جبينه البارز، وأنفه مُسطّح كُسِر أكثر من مرّة في الحلبة.

«السيد رئيس الوزراء». أقول، وأنا أقف وحدي في الطريق الفرعي، ويداي مُمتدّتان.

«سيدي الرئيس». قالها بأسلوب قاس، وعيناه الداكنتان تُحدّقان إلي، ويصافحني بقبضة حديدية. يرتدي بدلة سوداء وربطة عنق نصفها العُلوي أزرق، وبقيّتها أحمر، وثلثي العلم الروسي.

«شعرت بخيبة أمل لأن الرئيس تشيرنوكيف لم يتمكن من القدوم شخصيًا».

كنت أشعر بأكثر من خيبة الأمل.

«كما هو، سيدي الرئيس. لقد كان مريضًا عدة أيام. لا شيء خطير، لكنه لم يكن قادرًا على السفر. يمكنني أن أؤكد لكم أنه منحني سلطته الكاملة لأتحدّث معكم. كما أراد الرئيس أن أنقل خيبة أمله أيضًا. في الواقع أكثر من خيبة الأمل. القلق. قلقه العميق إزاء الإجراءات الاستفزازية الأخيرة التي قامت بها بلادكم».

أشير إلى الفناء الخلفي. يومئ موافقًا، ونبدأ في السّير إلى الفناء الخلفي. يقول: «الخيمة، نعم. إنها مناسِبة لهذه المحادثة».

لا يوجد أي باب للخيمة السوداء، ولا سحّاب، فقط سديلة متشابكة وثقيلة في المُقدّمة. أضع يديّ معًا وأنخفض لأدخل من خلال السديلة المتشابكة، كما يتبعني رئيس الوزراء فولكوف.

وفي الداخل، حُجِبت جميع الأضواء الخارجية، وهي الإضاءة الوحيدة التي توفرها مصابيح الكيروسين الاصطناعية في الزوايا. وأُعدّت طاولة وكراسي خشبية صغيرة، كما لو تمّ التخطيط لنُزهة، لكنني لم أتحرك صوبها. في هذه المحادثة، كلانا فقط - أنا والرجل المسؤول عن الذبح الوحشيّ لمدنيين أبرياء، رجل يمثّل دولة قد تكون وراء هذا الهجوم المروّع على بلادي - لذا أُفضّل الوقوف.

«لقد انتاب القلق الشديد الرئيس تشيرنوكيف إزاء أعمالك العسكرية الاستفزازية في الساعات الست والثلاثين الأخيرة». كما يقول. مع لهجته الثقيلة، فإن الكلمات تقطر من لسانه، ولا سيما الاستفزازية.

أقول: «مجرد مهمّات تدريب».

يمرر ابتسامة تعكّر وتتلاشى من شفتيه. «مهمّات تدريب». يقول، الكلمات مريرة على لسانه. «كما هو الحال في عام 2014».

في عام 2014، بعد أن غزت روسيا أوكرانيا، أرسلت الولايات المتحدة اثنين من قاذفات الشبح بي-2 إلى أوروبا «للقيام بمهام تدريبية». وكانت الرسالة واضحة بما فيه الكفاية.

«مثل تلك، نعم». أقول.

يقول: «لكنها أكثر شمولًا بكثير. حركة حاملات الطائرات والغواصات النووية المسلحة في بحر الشمال. وتدريبات الطائرات الشبح فوق ألمانيا. وبالطبع المناورات العسكرية المشتركة في لاتفيا وبولندا».

دولتان من حلف وارسو السابق، وهما الآن عضوتان في حلف شمال الأطلسي. إحداهما، لاتفيا، التي تتقاسم الحدود مع روسيا، والأخرى، بولندا، وهي ليست بعيدة، على الجهة الجنوبية الغربية لبيلاروسيا.

«بما في ذلك محاكاة لضربة نووية». يضيف قائلًا.

«لقد فعلت روسيا الشيء نفسه في الآونة الأخيرة». أقول مُبديًا ملاحظتي.

«ليس في حدود خمسين ميلًا من حدودك». تنكمش عضلات فكّه، وترتدّ على وجهه. هناك تحدٍّ في كلماته، لكن هناك خوف أيضًا.

الخوف حقيقي. لا أحد منّا يريد الحرب. لن يفوز أيّ منّا. السؤال هو دائمًا، إلى أي مدى نحن على استعداد للصّد؟ لهذا السبب يجب أن نكون حذرين للغاية حول رسم الخطوط في الرمال((32)). إذا تقاطعتْ هذه الخطوط ونحن لم نفعل شيئًا، فإننا سنفقد المصداقية. وإذا تقاطعوا معنا واستجبْنا - حسنًا، فإنّ هذه الاستجابة هي الحرب التي لا أحد منّا يريدها.

«السيد رئيس الوزراء». أقول: «أنت تعرف السبب الذي دعوتك لأجله. الفيروس».

يغمض عينيه ويفتحهما، ويقوّس حاجبيه الكثيفين، كما لو أنه فوجئ في جلسة استماع. لكن هذه خدعة. إنه يعلم أنّ شيئًا يتبع الآخر.

«لقد اكتشفنا وجود الفيروس قبل نحو أسبوعين». أضيف: «وعندما فعلنا، كان أول شيء حدث لنا هو ضعفنا أمام هجوم عسكري. إذا كان الفيروس سيعطّل فاعليتنا العسكرية، فسنكون مكشوفين للهجوم. لذا، يا سيادة رئيس الوزراء، قمنا على الفور بأمرين. أول شيء قمنا به هو إعادة إنشاء أنظمتنا القارّية، هنا في الوطن. بدأنا بشكل أساسي. ما يُطلَق عليه إعادة اختراع العجلة، الهندسة العكسية، سَمّه كما تشاء. أعدنا بناء أنظمتنا التشغيلية، وفصلناها عن أي جهاز يمكن أن يكون مصابًا بالفيروس. خوادم جديدة، أجهزة كمبيوتر جديدة، كل شيء جديد».

«لقد بدأنا بالأشياء الأكثر أهمية - أنظمة الدفاع -

الاستراتيجي لدينا، أسطولنا النووي - وتأكدنا من خلوّها من أي فيروس. ثمّ انطلقنا من هناك. يسعدني إبلاغ السيد رئيس الوزراء أننا أكملنا هذه العملية بنجاح. استغرقنا كل ثانية من هذين الأسبوعين، لكننا فعلناها. أعدنا بناء بنيتنا التحتية العسكرية بالكامل في الولايات المتحدة القارية. وأنشأنا هذه الأنظمة في المرة الأولى، بعد كل شيء،لذا لم يكن أمر إعادة إنشائها صعباً كما تظن».

فولكوف شخص جامد، يتلقى ما أخبرته به. إنه لا يثق بي أكثر مما أثق به. لم نعلن عن أي من هذه الخطوات التي قمنا بها. لقد أُعيد إنشاء بُنيتنا التحتية العسكرية، لأسباب واضحة، في سرّية مطلقة. من وجهة نظره، قد أكون مخادعاً. لا يمكنه التأكّد من أي شيء أخبرته به للتوّ.

لذلك سنتحدث الآن عن شيء يمكنه تأكيده.

أقول: «الشيء الثاني الذي فعلناه، في الوقت نفسه. تأكّد من أننا فصلنا البنية التحتية العسكرية في الخارج عن أي شيء في الولايات المتحدة. نفس النوع من الهندسة العكسية. فطولها وقصرها، أي الأنظمة المحوسبة في ترسانتها الأوروبية تعتمد على بُنيتنا القارية - حسناً، استبدلناها بأنظمة جديدة. جعلناها مُستقلّة. أردنا أن نتأكد من أنه إذا أصيبت بالعطب جميع أنظمتنا في الولايات المتحدة، وإذا كانت جميع أجهزة الكمبيوتر قد ذهبت إلى حد الإفلاس..».

يبدو أنّ هناك شيء ما غامض في عيني فولكوف. يغمض عينيه ويحدّق بعيداً، لكنه سرعان ما يعيد نظره

إليّ.

أقول: «أردنا أن نتأكد، حضرة رئيس الوزراء. أنه حتى لو قام أحدهم بتدمير أنظمة التشغيل العسكرية لولاياتنا، فإننا مسلّحون وجاهزون بمواردنا الأوروبية - لأننا كنّا على استعداد للرد عسكريًا ضد أي دولة مسؤولة عن الفيروس. أو أي أمة لديها فكرة سخيفة بأن باستطاعتها الاستفادة من الولايات المتحدة في ذلك الوقت العصيب من خلال، مثلًا، مهاجمتنا».

أضيف: «من الواضح أنّ هذه التدريبات الأوروبية كانت ضرورية. والخبر السّار هو أنها جميعًا كانت ناجحة. من المُحتمل أنك تعرف ذلك بالفعل».

يتغيّر لون وجهه. هو يعرف ذلك. من الواضح أنّ الروس تابعوا تدريباتنا عن كثب. لكنه لن يشبع رغبتي في معرفة هذه الحقيقة.

الحقيقة؟ كان هناك كثير ممّا يمكن أن نحقّقه في غضون أسبوعين. فقط جنرالاتنا يعلمون كيف تكون هذه الأنظمة الجديدة هشّة ومؤقتة، وكم هي بدائية مقارَنة بأنظمتنا الحالية. لكنهم يؤكدون لي أنها فعّالة وآمِنة. الأوامر سَتَمُر. والصواريخ ستُطلق. والأهداف ستُضرب.

«لدينا الآن ثقة تامة». وأواصل حديثي. «على الرغم من أنّ الفيروس ما زال قادرًا على إصابة شبكة العمليات التابعة لنا، فإن لدينا القدرة الكاملة على المشاركة في أي نوع من أنواع الحرب - النووية، والجوية، والتقليدية، وغيرها - من قواعد حلف شمال الأطلسي في أوروبا. أي

شخص مسؤول عن هذا الفيروس، السيد رئيس الوزراء، أو أي دولة تحاول الاستفادة من هذا الوقت العصيب لمهاجمة الولايات المتحدة أو حلفائها - فإننا نحتفظ بحق الرد، وسيكون لدينا القدرة الكاملة، للرد بقوة ساحقة».

«لذلك لا شيء يخصّ روسيا تحديدًا. يحدث أنّ العديد من حلفائنا في حلف شمال الأطلسي يتمركزون في فناء دولتك الخلفي، بالقرب منك. حسنًا». أقول، «اغْوِهم بالخروج. إنهم في فنائك الخلفي».

يتوهّج حاجبا فولكوف قليلًا بهذا التذكير. لقد كان توسّع حلف شمال الأطلسي إلى الحدود الروسية، كما أشارت نويا، قد تسبّب في بثّ الذعر الشديد في الكرملين.

«لكن إذا لم يكن لروسيا أي علاقة بهذا الفيروس، كما أكّد لنا الرئيس تشيرنوكيف، وطالما أنها لا تحاول استغلالنا، فإنّ روسيا ليس لديها ما يدعو للقلق». وألوّح بيدي. «لا شيء على الإطلاق».

يميل ببطء، وبعض الامتعاض في تعابير وجهه بدأت في الزوال الآن.

أقول: «سأقولها لأي شخص. من المسؤول عن هذا الفيروس. سنعرف من فعل هذا. وإذا تمّ إطلاق هذا الفيروس، فسنعتبره عملًا حربيًّا»

ولا يزال فولكوف يميل إلى الأمام، وتُراوِح تفاحة آدم مكانها فيما هو يبتلعها للأسفل.

«لن نبدأ أولًا، حضرة رئيس الوزراء. إنه إنذار رسمي. لكن إذا ضُرِبْنا، فسنرد».

وضعت يدي على كتف رئيس الوزراء. «لذا يرجى إبلاغ ذلك إلى الرئيس تشيرنوكيف. وأرجو أن تنقل إليه أنني آمل أن يشعر بتحسّن».

أميل إليه. «ثم دعْنا نرى ما إذا كان يمكنك مساعدتنا على وقف هذا الفيروس». أقول.

---

(32) رسم خط في الرمال: ترمز لإنشاء حدود مجازية يرفض أحد أو مجموعة ما عبورها أو لا تقبل أي تقدم أو حل وسط آخر.

63

أقف مع نويا بارام على الرصيف نتأمّل البحيرة، وأشعّة الشمس تتوسّط سماء منتصف النهار، وتنعكس على المياه المتلألئة، صفاء وجمال المشهد يتباين بشكل غريب مع شعور الموت الوشيك الذي يتّخذ أحشائي مقرّ إقامة له.

منذ أن كان كينيدي يمعن النظر في خروتشوف حول الصواريخ في كوبا، كانت دولتنا قريبة من حرب عالمية. لقد فعلتها للتّو. رسمتُ خطًّا في الرّمال.

والآن باتوا يعرفون أنّ بنيتنا العسكرية جاهزة للعمل، بالرغم من وجود الفيروس. وهم على علم أنهم إذا زرعوا هذا الفيروس وأطلقوه، فإن الولايات المتحدة ستعتبرها ضربة أولى تستوجب الرّد.

يقف أحد عملاء الخدمة السّرية الوطنية إلى جانب الرصيف مع عضو واحد من طاقم الأمن من ألمانيا وإسرائيل. على بُعد خمسين ياردة من الشاطئ، يجلس ثلاثة رجال في زورق آلي رمادي يبلغ طوله خمسة وعشرين قدمًا، اثنان منهما يمسكان بكسل صنارة صيد بغرض الاستعراض، على الرغم من أنهما ليسا هناك للقبض على سمك القرش أو سمك السلور.

ثلاثتهم من الخدمة السّرية الوطنية - رجال ليس لديهم أطفال صغار، بناء على إلحاحي. مركبهم هو مركب «تشارلي» من فئة الدفاع الذي يستخدمه الأمن الداخلي وخفر السواحل، والذي أُخذ مؤخرًا خارج نطاق المناوبة في خليج غوانتنامو وانتزعه جهاز الخدمة السّرية الوطنية.

يبدو الآن مثل قارب سريع عادي، لكن ذلك يرجع إلى أنه من المستحيل معرفة أنّ هيكله المحدّث هو مُدرّع ومضاد للرصاص. وقد ألقى العملاء القماش المُشمّع فوق المدافع الرشاشة التي رُكّبت على الميناء والأطراف اليُمنى من البيت الريفيّ فضلًا عن رشاش من عيار50 عند القوس.

إنهم على خليج صغير من المياه يتغذى على خزّان أكبر من صنع الإنسان، ومُقام على مقْربة من فتحة ضيقة تحمي هذا الخليج الخاص من بقية البُحيرة.

أنظر إلى الوراء أعلى الطريق صوب البيت الريفيّ، والخيمة السوداء على العشب. «دخل فولكوف إلى تلك الخيمة وخرج منها عدة مرات، لدرجة أنك تعتقد أنه سيحصل على وسام الاستحقاق».

خلال الساعات الثلاث الأخيرة، طلبت موسكو فولكوف مرارًا وتكرارًا لإجراء المزيد من المكالمات الهاتفية، فأعادته إلى الخيمة.

تقول نويا: «هذا يعني أنه صدّقك».

أقول لهم: «أوه، إنهم يعتقدون أننا قادرون على شنّ هجوم مضاد. تلك التدريبات لم تترك مجالًا للشك. هل يعتقدون أنني سأفعل ذلك حقًّا؟ هذا سؤال آخر ».

وبشكل غريزيّ ألمس بيدي المحفظة التي في جيبي، والتي تحمل الشفرة النووية.

تلتفت نويا وتنظر إلي. «هل تعتقد أنك ستفعل ذلك؟»

هذا هو سؤال المليون دولار. «ماذا كنتِ ستفعلين يا نويا؟»

تتنهّد قائلة: «تخيّل إن أُطلِق الفيروس. سيودي بنا إلى الانهيار الاقتصادي، والذّعر، والهستيريا الجماعية. وفي خِضمّ ذلك، هل سترسل قوات إلى روسيا؟ وهل ستطلق صواريخ نووية على موسكو؟»

«إنهم يردّون بالمثل». أقول.

«نعم. لذلك فأنت لا تواجه مشاكل محليّة غير مسبوقة فحسب، بل إنّ ملايين الأمريكيين يتعرّضون للإشعاع النووي. هل يمكن لدولتك البقاء على قيد الحياة كلّ مرة؟»

أضع يديّ على ركبتيّ. تلك عادة قديمة عندما أكون متوتّرًا، من أيامي على تلّ لعبة البيسبول.

«لكن عليك أن ترى الوجه الآخر للأمر». كما توضح: «كيف لا ترد على ذلك؟ ما الذي ستكون عليه الولايات المتحدة إن لم يكن هناك أي انتقام؟ يجب أن تنتقم بطريقة ما، بلى؟»

أتعثّر بحَجَر بين الأعشاب، أمسكه، وأرميه في البحيرة. كانت لديّ رمية سريعة. ما حدث هو أنني لو لم أُحطّم كتفي عندما سقطت من مروحية بلاك هوك في العراق، فإنني ما كنتُ لأكون حيًّا واقفًا هنا الآن.

أقول: «الولايات المتحدة ستنتقم. لا يوجد سيناريو لا ننتقم فيه».

وتقول: «قادتكم المشتركون يفضلون حربًا تقليدية، أفترض ذلك».

بالطبع يفضّلون ذلك. الحرب النووية هي اقتراح خاسر. أنت تطرح هذا فقط إذا لم يكن لديك خيار، لأن الجانب الآخر طرحه أولًا. هذا هو السبب في أنّ أحدًا لم يفرض هذا الخيار أولًا. يفعّل الدمار المتبادل المؤكّد لسبب ما.

تقول: «لكن الغزو البري لروسيا؟ وحتى إذا انضم حلفاؤك في حلف شمال الأطلسي، سيكون طويلًا ودمويًّا».

أقول «سنكسب الحرب. في النهاية. لكن بعد ذلك ماذا سيفعل تشيرنوكوف؟ كان يستخدم الأسلحة النووية، وهذا ما يفعله. إن حوصِر وظهره إلى الجدار في وضع صعب؟ وإذا كان سيُطاح به؟ لن يكون لديه ما يخسره. إنه يهتم بنفسه أكثر من اهتمامه بشعبه».

«إذن، أنت تعود لترجيح كفّة المحرقة النووية».

«هذا صحيح. فيما نحن نفقد الآلاف من الرجال والنساء في ساحة المعركة الروسية، يطلق هو الأسلحة النووية في كل الأحوال».

نويا هادئة. ماذا الذي يمكن أن تقوله؟

«حسنًا، حسنًا». أقول وأفرد يدي. «لا شيء من هذا خيار. الخيار الوحيد هو وقف هذا الفيروس الملعون وعدم الاضطرار إلى اتخاذ هذا القرار».

«وقد فعلت ما بوسعك، جوني. أعطيت روسيا كل

الأسباب لتحثّها على مساعدتك».

أفرك وجهي بكفّيّ، كما لو كنت أستطيع إزالة التّوتّر. «حسنًا، هذا هو الهدف من تهديدي». أخطو على الطريق، نحو البيت الريفيّ. وأكمِل: «لا يزال فولكوف في الخيمة السوداء، ويتواصل مع الديار. آمل أن يأخذوا الرسالة على محمل الجد».

تُذكّرني قائلة: «باعتبار أنها روسيا. نحن لا نعرف هذا على وجه اليقين. كيف تردّ الصين على التدريبات اليابانية؟»

فقط في اليابان قمنا بالشيء نفسه الذي قمنا به في أوروبا، من التدريبات الجوية والمحاكاة النووية.

«لم تكن بكّين سعيدة بذلك». أقول: «أساسًا يقرأ وزير دفاعنا من السيناريو نفسه. أخبرَهم بأننا نختبر تقنية جديدة، مستقلة عن أنظمتنا القارية. لم يذكر الفيروس، لكن إن كانت الصين تقف وراء ذلك، فإنّ الرسالة قد وصلتهم».

«هم على الأرجح قلقون بشأن ما يفكر فيه بيونج يانج».

نعم، يمكننا أن نتوقّع مزيدًا من لغة النار والكبريت من الدكتاتور الكوري الشمالي.

تمسك نويا ذراعي. «إذا كان هناك أي عزاء، فلن أفعل أي شيء مختلف عما فعلته. لقد قمت بتحصين قدراتك العسكرية، وأثبتّ تلك القدرات المحصنة للعالم كي يرى، وقمت بتوجيه إنذار إلى فولكوف، وجمعت أفضل العقول التي يمكنك جمعها معًا لوقف هذا الفيروس».

«ليس لديكِ أي فكرة عن كمّ المواساة التي أجدها في ذلك». أقول بينما نستدير ونبدأ السير على الطريق نحو البيت الريفيّ.

«إذن تؤمن بالخطة». تقول.

نقترب من الخيمة السوداء في الفناء الخلفي، حيث لا تزال التفاصيل الأمنية الروسية قائمة. يقف رجالهم بانتباه. ثم يتراجعون، ويخرج رئيس الوزراء فولكوف من الخيمة، ويصلح ربطة عنقه، ويومئ برأسه لرجاله.

«إذن سيغادر الآن». أهمس إلى نويا، وأتابع: «سنحصل على إجابة لسؤالنا».

«سيختلق عذرًا. سيقول إنه يغادر للاحتجاج على تدريباتك العسكرية خارج حدودهم».

صحيح. لكن السبب المُعلن غير مهم. إذا غادر الروس الآن، بعد التهديد الذي أطلقته، فلن يكون هناك شك في أنهم وراء هذا.

يستدير فولكوف ويقترب منا.

«سيدي الرئيس، سيدتي رئيسة الوزراء». يشاهد نويا لأول مرة، يحييها ويصافحها، كإجراء شكلي.

ثمّ يلتفت إليّ. لا أقول شيئًا. إنه دوره.

«الرئيس تشيرنوكيف يؤكد لك، سيدي الرئيس، أنّ روسيا لا تزال ملتزمة بمساعدتك على منع هذا الفيروس الفظيع من الانفجار». وهو يشير إلى البيت الريفيّ، قائلًا: «هل نتّجه إلى الداخل؟»

64

الخطّة «ب».

هذه هي. مهمّتها الأخيرة. آخر عمليّة قتل. وبعد ذلك سينتهي كلّ شيء، ستصبح ثريّة وحُرّة كي تُربّي ابنتها التي لم تولد بعد في مكان ما بعيد عن كلّ هذا. ستعرف ابنتها الحب والسعادة، أمّا الحرب والعنف فستقرأ عنهما في الكتب أو تسمع عنهما في الأخبار وحسب.

تتفقّد ساعتها. اقترب الوقت.

تترنّح في شمس الظهيرة. تشعر بغثيان الصباح كما هو الحال دائمًا، يتفاقم بسبب تأرجح المركب اللطيف على البحيرة، لكن الأدرينالين يطغى عليها. ليس لديها وقت للغثيان.

تُلقي نظرة سريعة على أعضاء الفريق الآخرين على متن المركب. يبدون مثيرين للسخرية وهم يتطلّعون حولهم بقبعاتهم وصنارات صيدهم، فيما أبقوا مسافة بينهم وبينها بعد أن قتلتْ اثنين من رفاقهم. هذا جيد لها في كل الأحوال، لأن دورهم في المهمّة قد انتهى الآن، بخلاف منحها دفّة القيادة الآن.

قد تحتاج إلى إعادة النظر في رأيها عن الرجال الآن. تشير الدراسات إلى أنّ الأطفال الذين يعيشون مع والدين هُم أكثر سعادة، وأكثر صحة وأكثر انضباطًا. لذلك ربما تتزوج. لكن من الصعب تخيّل ذلك. فلم تشعر قط بالحاجة إلى رجل في حياتها.

الجنس؟ هو الثّمن الذي كان عليها أن تدفعه. ثمن دفعته

أمها للجنود الصّربيين للسّماح لها ولطفليها بالبقاء في منزلهم بعد أن قتلوا والدها. لقد بقيت حيّة رسميًّا لأنها مسيحية، وليست مسلمة، مثل زوجها، لكن في الواقع بسبب جمالها واستعدادها، من أجل أطفالها، لتلبية احتياجات الجنود عند الطلب كل ليلة. كان الجنس هو الثمن الذي دفعته باخ للخبز والأرز الذي كانت تسرقه من السوق في تلك الأمسيات عندما لم تستطع الهروب من كمين الجنود. كان الجنس هو الثمن الذي يتعيّن عليها دفعه لتتقرّب من رانكو، الجندي الصربي الذي وافق على تعليمها كيفية إطلاق النار من بندقية بعيدة المدى.

وبالطبع كان الثّمن الذي يجب دفعه مقابل إنجاب طفل لها. الرّجل الذي خصّبها، جيفري، كان طيّبًا، رجل اختارته عمدًا لهذا الغرض بعد بحث دقيق. عقليًّا: أخصائيّ الأشعة الذي درس هنا في الولايات المتحدة، في جامعة ييل. القدرة الموسيقية: يلعب التشيلو. القدرة الرياضيّة: لعب الرجبي في الكليّة. وسيم مع بنية جسديّة جيّدة. لا يوجد تاريخ من السّرطان أو المرض العقلي في عائلته المباشِرة. كان والداه لا يزالان على قيد الحياة، في الثمانينيات. نامت معه ثلاث مرات على الأكثر كلّ أسبوع لتعظيم رجولته. كانت عالقة حتى حصلت على نتيجة اختبار حمل إيجابية، ثم غادرت ملبورن دون أن تقول له شيئًا. ولم يعرف اسمها الحقيقي.

يقول أحد الرجال وهو ينقر على ساعته: «آن الأوان».

ترفع باخ خزّان الأوكسجين على ظهرها. وتُكوّمه على حقيبتها الأخرى. وترفع بندقيتها، آنا ماغدالينا، المحفوظة في

حقيبتها التي فوق كتفها.

تضع القناع وتعدّله، وتومئ لبقية فريقها، تُعطي كل واحد منهم نظرة أخيرة. عندما ينتهي هذا نتساءل، هل سيقومون في الواقع بنقلها إلى نقطة خروج؟ أم أنهم سيحاولون قتلها بمجرد قيامها بالمهمة، حين لا تعود مفيدة لهم؟

الاحتمال الأخير هو المُرجّح. إنه شيء سوف نتعامل معه عندما يحين الوقت. تنقلب إلى الوراء في المركب، لتغوص في مياه البحيرة.

65

داخل غرفة الاتصالات، في حديث إلى مديرة وكالة الاستخبارات المركزية، إيريكا بيتي، التي اعتاد داني وصفها بالمخيفة، ليس بسبب ولائها المهنيّ ووظيفتها، بل سلوكها البادي على وجهها الخالي من أي عاطفة، والهالات السوداء تحت عينيها ذاتَيْ الجفنين المُرتخيين. أعلم أنها رأت وفعلت الكثير، *قال مرّة*. ومن يدري ما فعله الألمان الشرقيون حقًا بها في الأسْر، لكن الّلعنة، لا أستطيع أن أنفض صورتها التي أراها فيها كالعجوز الشّمطاء التي تطبخ الجرعات السامّة في مِرْجل يغلي في بيت كعك الزنجبيل!

إنها مخيفة، نعم. لكنها جاسوستي وهي تعرف أكثر من أي شخص آخر عن روسيا.

إنها أيضًا واحدة من الأشخاص الستة الذين يمكن أن يكونوا قد سرّبوا شفرة عصور الظّلام.

«إذن ماذا يفعل، يا إيريكا؟»

تهزّ رأسها، وتهضم كل شيء أخبرتها به.

تقول: «سيدي الرئيس، هذا ليس أسلوب تشيرنوكيف. إنه قاسٍ، نعم، لكنه ليس متهوّرًا. بالطبع سيكون مُهتمًّا بإحداث ضرر كبير لبلادنا، لكن الخطر مرتفع جدًا. إذا كانت روسيا متورّطة في هذا، فهو يعلم أننا سنردّ بقوة كبيرة. لا أراه سيستغل هذه الفرصة».

«مع ذلك، أجيبي على سؤالي» أقول. «إذا كان هو وراء

هذا الفيروس، ويرى الآن أننا استعدنا قدراتنا العسكرية، فماذا سيفعل؟»

«سيتخلّى عن خطّته». تقول. «الخطر أكبر بكثير بالنسبة إليه الآن، لأنه بغض النظر عن مدى الشلل الذي نعاني منه في الديار، فإنه لا يزال بإمكاننا ضربه. لكن سيدي الرئيس، لا أرى أثرًا لبصمات روسيا على ذلك».

يرن هاتفي. إنّها كارولين بروك.

«لا بد لي من الرد، إيريكا».

«هل أنت قريب من الكمبيوتر؟» تسأل كارولين عندما أرد على الهاتف.

بعد لحظات، تنقسم شاشة جهازي بين كارولين بروك، في البيت الأبيض، وشريط فيديو، أُوقِف حاليًا على صورة توني وينترز، مضيف برنامج لقاء الصحافة، وشعره مُشذّب بيدٍ خبيرة، وربطة عنقه معقودة تمامًا، رافعًا يديه وفمه مزموم في منتصف الحديث.

تقول كارولين: «انتهوا منه قبل نصف ساعة. سيبدؤون بتشغيل مقتطفات هذا الصباح. تُعرض المقابلة الكاملة صباح الغد».

أوافق. ويبدأ تشغيل الفيديو.

يقشعر بدني عند سماعي منتصف العبارة: «... بين ليلة وضحاها تشير التقارير إلى اختفاء الرئيس، وأن معاونيه يجهلون مكانه. سيدتي نائبة الرئيس، هل اختفى الرئيس؟»

بتعابير مُتجهّمة، تنكّس كاثي رأسها، كأنها نتوقّع

السؤال. لم أتوقّع سؤالًا مثيرًا للسخرية كهذا، يا له من سؤال مثير للسخرية. ترفع يدها وتهبط بها للأسفل مثل فأس صغيرة.

«توني، الرئيس يعمل على مدار الساعة لشعب هذه البلاد، لاستعادة الوظائف، وللحفاظ على أمن أمريكا، ولتوفير إعفاء ضريبي للطبقة الوسطى».

«لكن هل اختفى؟»

«توني..».

«هل تعرفين أين هو؟»

تبتسم برِقّة. وأخيرًا. «توني، لا أحتفظ بسجل عن تحرّكات رئيس الولايات المتحدة. لكن يمكنني أن أفترض فقط أنه محاط بمساعديه والخدمة السّرية الوطنية على مدار الساعة».

«تقول التقارير أن مساعديه لا يعرفون مكانه».

تفتح يديها. «لن أجيب على التّخمينات».

«تشير التقارير إلى أنّ الرئيس ابتعد عن واشنطن ليستعدّ للإدلاء بشهادته هذا الأسبوع أمام اللجنة المختارة من مجلس النواب. ويلمّح آخرون إلى أنّ المرض الذي يعاني منه في دماءه نشَط مرة أخرى وهو في مرحلة تلقّي العلاج».

تهزّ نائبة الرئيس رأسها.

«هنا». تقول كارولين. «الآن مباشرة».

تقول كاثي: «توني، أنا متأكدة من أنّ منتقديه سيفضّلون رسم صورة له وهو يعاني من انهيار عصبي أو مختبئ تحت

غطاءه أو هارب من العاصمة في حالة من الذّعر. لكن ليست هذه هي المسألة. وسواء كنتُ أعرف مكان وجوده بدقّة في هذه اللحظة أم لا، فأنا أعلم أنه يسيطر تمامًا على الحكومة. وهذا كل ما سأقوله حول الموضوع».

ينتهي المقطع. وأجلس في مقعدي.

تنفجر كارولين قائلة: «سيُحِبّ المنتقدون رسم صورة لانهيار عصبي واختباء تحت الأغطية؟ وفرار في حالة من الذّعر؟ إنها من رسمت تلك الصورة! انهيار عصبي؟ هل تمزح معي؟»

«هل هذا هو السبب في أنك اتصلت بي؟»

«هذه اللّسعة الصوتية ستستمر طوال اليوم. سيتداولها الجميع. وستتصدّر صحف الأحد معها».

«لا أهتم؟»

«التقارير الليلية لم تذكُر أيّ شيء عن أيّ انهيار عصبي أو فرار..».

«كارولين».

«سيدي الرئيس، خُذ هذا في الحسبان. إنها ليست مُبتدِئة. كانت تعلم أنّ هذا السؤال سيُطرح عليها. وقد تأهّبت له بهذا الرد..».

«كارولين! فهمتُ، حسنًا؟ فعلَت ذلك عن قصد. طعنتني في الظهر. إنها تنّأى بنفسها عني. لا يهمّني! هل تسمعينني؟ لا يهمّني!»

«علينا أن نرد. إنها مشكلة».

«هناك مشكلة واحدة فقط الآن، يا كارولين هل سمعت؟ إنه الأمر الذي قد يجبر بلادنا على الرّكوع في أي لحظة الآن. لدينا..». أنظر إلى ساعتي. إنها الساعة الثانية ظهراً «... قبل حوالي عشر ساعات من انتهاء برنامج السبت في أمريكا، في أي لحظة، يمكن لبلادنا أن تشتعل. وبقدر ما أقدّر ولاءك، فقط أبقي عينيك مفتوحتين. هل فهمت؟»

تحني كارولين رأسها، وكأنها مُعاقَبة. «نعم سيدي، أعتذر. وأنا آسفة لأنني تركتها تغادر مركز العمليات. هي رفضت الاستماع إليّ. لم أتمكن من طلب الخدمة السّرية الوطنية لاحتجازها».

أزفر وأحاول أن أهدأ. «هذا ضدّها، لا عليك».

بعيدًا عن السياسة، هل كاثي خائنة كبيرة؟ إنّ كاثي، بعد كل شيء، واحدة من ستة أشخاص لم أستبعدهم من دائرة الشّك. لو مُتّ الليلة الماضية، لكانت هي الرئيس الآن.

أقول: «كارولين، أحضريها. وأخبريها أنني أريدها أن تعود إلى مركز العمليات في الطابق تحت الأرضي. وأبلغيها أنه عندما تصل إلى هناك، سأتصل بها».

66

تمدّد باخ على بطنها بطول لوحها المائيّ الغوّاص، وتُحكِم قبضتيها على ذراعَيه، مثلما يقبض طفل على لوح سباحة أثناء تعلّم السباحة، عدا أنّ تلك الألواح ليست مدفوعة بدفاعات نفاثة ثنائية.

تضغط على زر أخضر في الذراع اليُسرى، وتدفع باللوح نزولًا تحت سطح البحيرة ثلاثين قدمًا. ثم تضغط على زر الدّفع فيتحرك اللوح أفقيًّا بسرعة 10 كيلومترات في الساعة عبر المياه المُظلمة. أمامها مسافة معقولة لتقطعها. إنها في الطرف الشرقي من أعماق البحيرة.

«مركب الحراسة أمامك». يخبرها الصوت في سمّاعات الرأس. «انحرِفي إلى الجنوب. يسارًا. انحرِفي إلى اليسار».

تشاهد المركب على سطح الماء، لكنها لم تسبق فريقها في رؤيته، فلديهم نظام متطوّر لتحديد المواقع ورادار.

تتّجه إلى اليسار، وتندفع خلال المياه الخضراء الضبابية، والأعشاب الضارّة، والأسماك. تعرض لوحة التحكم في لوحها المائيّ النفّاث المسافة بينها وبين وجهتها التي تومض بنقطة خضراء.

1800 متر ...

1500 متر ...

«هناك حارس يتزلّج على الماء إلى يمينك. لا تتحركي. لا تتحركي».

ترى مركب الحراسة فوقها عبر المياه، ومُحرّك مِزلاج

الحراسة يلطم المياه بقوة، ويتبعه قشط للرّغوة.

لم نتوقّف. إنها تحتهم مباشرة. تحثّ لوحها وتجاوزهم، من أسفلهم. يجب أن تحصل على واحدة من ألعاب التزلج هذه!

1100 متر ...

تُبطِئ. ينبسط قاع البحيرة على عمق خمسين مترًا، لكن عند اقترابها من الشاطئ، يرتفع القاع بشكل حاد صوب السّطح، وآخر ما تحتاجه هو ضربة عنيفة من القاع.

«لا تتحركي. لا تتحركي. ابقي هادئة. ابقي هادئة. الحرّاس. الحرّاس».

نتوقف فجأة على بُعد 900 متر من الشاطئ ولا تتحرك، وتوشك أن تفلت قبضتها من اللوح النفّاث، ما سيسمح بانجرافها إلى البحيرة بعيدًا عن الشاطئ. لابدّ أن أحد أفراد الأمن - الخدمة السّرية الوطنية الأمريكية أو الألمان أو الإسرائيليين - في الغابة هناك بالقرب من الشاطئ، ويتلفّت حوله.

لا يمكن أن يكون هناك كثير منهم يقومون بدوريّات في الغابة. سيتطلب الأمر مئات الأشخاص لتأمين أكثر من ألف فدان من الغابات الكثيفة.

البارحة - قام الحرّاس بالتأكيد بتمشيط المساحة بالكامل، واجتاحوها تمامًا، قبل وصول الرئيس. لكنهم الآن لا يستطيعون القيام بدوريات في الغابات. سيكون معظم الأمن حول البيت الريفي، مع وجود عدد قليل منهم على الرّصيف وقليل منهم في الفناء الخلفي، حيث

تنتهي الغابة.

في النهاية يقول صوت: «تقدّمي الآن».

تعطي نفسها دقيقة أخرى لتقدير الموقف بشكلٍ جيّد، ثم تمضي قُدُمًا. عندما تكون على بُعد 300 متر من الشاطئ، تُطفئ المُحرّك تمامًا، وتدفع لوحها، هذه اللعبة الممتعة، صعودًا إلى أن تطفو فوق المياه، مثلها مثل شخص يستلقي على لوح تزلّج قُربَ شاطئ. تبقى منخفضة - منخفضة بقدر ما تستطيع مع خزّان الهواء وبندقيتها والحقيبة المربوطة إلى ظهرها - وتسبح إلى أن تسحب اللوح على رمل الشاطئ.

تنزع قناع التنفس وتتنفس الهواء النقي. وتنظر حولها فلا ترى أحدًا. هذا الجزء من البحيرة يلتف حولها، بحيث تكون بعيدة تمامًا عن مجال الرؤية لأي شخص على الشاطئ. لا يمكن للخدمة السّرية الوطنية رؤيتها.

تصعد الأرض وتجد المكان الذي ستُخفي فيه اللوح المائي ومعدّات الغوص. تفعل ذلك بسرعة، وتتجرّد من المعدّات وترميها على الملابس النظيفة الجافّة في حقيبتها. تجفّف شعرها وتتأكّد من خلوّ وجهها وعنقها من أيّ نداوة قبل أن تضع طلاء التمويه.

تُمسك بندقيتها وتضعها على كتفها. وتتحقّق من سلاحها.

إنها مستعدة للقيام بذلك الآن. وحدها، وكما تُفضّل دائمًا.

توفّر الغابة غطاء ممتازًا لباخ. تحجب الأشجار الطويلة ذات الظّلال الكثيفة أشعّة الشمس، مما يجعل الرؤية صعبة لسببين - الظّلام نفسه والخطوط المتقطّعة لضوء الشمس التي تخترق الظّلال، والتي تلعب الحِيل على العيون. من الصعب رؤية الكثير من أي شيء هنا.

وجدت نفسها تعود مرة أخرى إلى سفح جبل تريبيفيتش، هاربة، مختبئة، بعد أن انتهت، وبعد أن قلبت الطاولة على القنّاص، رانكو، الجندي الصربي ذي الرأس الأحمر، المُثير للشّفقة أو الجنس أو كليهما، الذي علّمها كيفية إطلاق النار من بندقية.

«هنا، مرة أخرى، أنتِ تستخدمين ذراعيك أكثر من اللازم!» قال رانكو بينما كانا يجلسان في النادي اللّيلي المدمَّر الذي كان بمثابة مخبأ للقنّاصة في الجبال. «أنا لا أفهمك يا فتاة. في يوم من الأيام، يمكنك إطلاق زجاجة بيرة من جذع شجرة على بُعد مائة متر، واليوم، فإن تقنياتك هي تقنيات مبتدئ؟ دعيني أريكِ مرة أخرى». أخذ البندقية منها، التي تستقر في سمك الفرخ. وقال: «أمسكيها بثبات، هكذا». وكانت تلك كلماته الأخيرة قبل أن تمسك بسكين المطبخ وتغرزها في عنقه.

تأخذ بندقيته، التي أصبحت الآن مدرّبة تدريبًا جيدًا عليها، إلى النافذة المفتوحة للنادي الليلي المطل على سراييفو، واستهدفت رفاق رانكو، جنود الدورية الصربيين الذين ضربوا والدها حتى الموت ونحتوا صليبًا في

صدره. كل هذه الجريمة لكونه مسلمًا. صوت طلقات البندقية، بوب... بوب... بوب... بوب... بوب، تطلق النار من البندقية في تتابع سريع، تصطادهم واحدًا تلو آخر، يضطر آخرهم إلى تسلّم القيادة عندما يسقط سلاحه ويركض نحو الأشجار.

اختبأت في الجبال أكثر من أسبوع بعد ذلك، في حالة من الجوع والعطش والبرد، كانت تتحرك باستمرار، وذلك لخشيتها من البقاء في المكان نفسه، بينما كانوا يطاردون فتاة صغيرة قتلت ستة جنود صربيين، أحدهم كان قريبًا والآخرين على بُعد مئة متر منها.

مع الحقيبة والبندقية على ظهرها، تتحرك إلى الأمام بحذر شديد. مع كل خطوة، تغرس قدميها قبل أن تبدّل الوزن عليهما. إلى يمينها، شيء يقفز، وقلبها تخطّى نبضة من نبضاته عندما تصل إلى سلاحها. حيوان صغير، ربما أرنب أو سنجاب، فرّ قبل أن تتمكّن من إبعاده. وتنتظر إلى أن يتلاشى الأدرينالين.

«كيلومتران إلى الشمال». أبلغوها عبر سمّاعات الأذن.

تواصل بحركاتها الهادئة المُعتدلة التقدّم. غريزتها هي التحرّك بسرعة إلى وجهتها، لكن الانضباط أمر ضروري. فهي تجهل هذه الغابة. ولم تستكشف الموقع مطلقًا، كما تفضّل عادة. الأرض داكنة وغير مستوية، تحجبها الأغصان والحاجة إلى الضوء، مليئة بجذور الأشجار والفروع ومن يدري ماذا أيضًا.

تقدّمي خطوة، وزنكِ للأمام، توقّفي وأصغي. تقدّمي

خطوة، وزنكِ للأمام، توقّفي وأصغي. تقدّمي خطوة، وزنكِ لـ...

حركة أمامها! إنه يظهر من وراء شجرة.

حيوان ليس أكبر من كلب كبير، بفرو سميك من الأبيض والأسود، ومزيّن بآذان طويلة، وأنف طويل، وعيون سوداء مستديرة ولامعة وتُحدّق إليها.

ليس من المفترض أن يكون هناك أي ذئاب هنا. ذئب البراري؟ يجب أن يكون هو. ذئب البراري يحول بينها وبين وجهتها.

والآن هناك آخر، واحد ثانٍ، ظهر رأسه، إلى الأسفل، بالحجم نفسه. والثالث، أصغر قليلًا ولونه أغمق، ويفصل نفسه عن الآخرين، وينتقل إلى يسار باخ، عيناه عليها، وهناك شيء دُهنيّ يقطر من فمه. ورابع، إلى يمينها. نصف دائرة من الأربعة، فيما يمكن أن تفترضه فقط نوع من التشكيل.

تشكيل دفاعي. أو تشكيل هجومي. *إنّه الأخير*، هكذا تُقرّر.

ثمانية عيون صغيرة وبرّاقة عليها.

تأخذ خطوة إلى الأمام وتسمع زمجرة خافتة، وترى الارتعاش على جانبي الأنف الطويل لأول حيوان، يُشمّر عن أسنانه - يُفترض أنّ له أنيابًا مُسنّنة - إنه بعيد جدًا عن المُبادرة أوّلًا. أما الآخرون، الذين حفّزهم قائدهم، فينضمّون ويزمجرون، ويهدرون.

هل هم ذئاب البراري؟ من المفترض أنهم يخافون من

البشر.

الطعام، ما يخطر ببالها الآن. يجب أن يكونوا قريبين من طعام أو وليمة بالفعل، ربما شيء كبير ولذيذ، مثل جثّة غزال. يجب أنهم رأوا أنها تهديد لغدائهم. هذا إذا لم يروها هي نفسها غداء لهم.

ليس لديها وقت لهذا. ستكون مخاطرة كبيرة وستأخذ وقتًا طويلًا لتغيير مسارها. سيكون على أحد الطرفين أن يتحرك، ولن تكون هي.

جسدها لا يزال مكانه، فهي تنزع سلاحها، مسدس سيج سوير مع كاتم صوت.

يخفض الحيوان القائد رأسه، ويهدر بصوت عال، ويزمجر في وجهها.

تُصوّب سلاحها في المساحة الصغيرة بين عينيه. ثم تُعدّل هدفها على أذنه وتُطلق النار مرة واحدة، وهي عبارة عن خدعة واحدة مكبوتة.

يعوي الحيوان ويتلوّى على الأرض، ويقفز بعيدًا في لحظة، لا شيء أسوأ من جرح جزء صغير من اللحم على طرف أذن. اختفى الآخرون معه ببساطة.

ربما كانت ستكون هناك مشكلة لو تعرّضت إلى الهجوم في آنٍ واحد، مثلًا أن يهاجموها من اتجاهات مختلفة. كانت ستدفعهم إلى الفرار جميعًا، لكنها ستحتاج إلى مزيد من الذخيرة، وربما تكون قد تسبّبت في مزيد من الضوضاء.

دفع القائد إلى الفرار هو الحل الأسهل دومًا.

لو كان هناك أمر نتعلّمه من التاريخ، فهو أن البشر والحيوانات، الأكثر بدائية و الأكثر تحضّرًا على السواء، يحتاجون إلى من يقودهم.

ادفع القائد إلى الفرار، وسيدُبّ الذّعر في بقية المجموعة.

68

«سيكون من الأفضل لو جاء الأمر منك». أقول للمستشار ريتشتر أثناء حديثنا في الغرفة التي أسميها غرفة العائلة في كوخ الغابة. «الزعماء الآخرون في الاتحاد الأوروبي يتطلّعون إليك، حضرة المستشار. هذا ليس سرًّا».

«نعم، حسنًا». يعيد ريتشتر فنجان القهوة إلى صحنه، ويبحث عن مكان لوضعه، يمنح نفسه لحظة للتفكير.

لا يضر أبدًا أن أعزف على أوتار غرور المستشار، أطول من خدم بين رؤساء الاتحاد الأوروبي، ومن وجهة نظري ودون تملّق، هو الأكثر تأثيرًا بينهم أيضًا.

ناهيك عن حقيقة أنه إذا نشط الفيروس واتُّخذ قرار الحرب، فإنني سأقوم بإجراء المكالمات الهاتفية نفسها، مع قدْر أكبر أو أقل من المناشدات ذاتها، لقادة فرنسا والمملكة المتحدة وإسبانيا وإيطاليا، ودول حلف شمال الأطلسي الأخرى.

إذا كان علينا التذرّع بالبند الخامس من معاهدة حلف شمال الأطلسي والذهاب إلى الحرب مع روسيا أو أي بلد وراء الهجمة، فإنّ أفضل اقتراح للتذرّع به قد جاء من جهة أخرى غير الولايات المتحدة. سوف يبدو قرارًا غير مرغوب فيه بدلًا من كونه التماسًا من قوّة عظمى جريحة.

لا يجيب على الفور. لم أتوقع منه هذا. مع ذلك، هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها يورجن ريتشتر يفقد الكلمات.

في الخلفية من الزاوية، يعرض التلفاز سلسلة متواصلة من الأخبار السيئة: صعوبات في تمديدات المياه في لوس أنجلوس، ربما بسبب الإرهاب. كوريا الشمالية تتعهّد باختبار صاروخي باليستي آخر بعد مناوراتنا العسكرية في اليابان، الاضطرابات المدنية في هندوراس، حيث استقالت نصف حكومة الرئيس؛ وبالإضافة إلى التطورات في مؤامرة الاغتيال ضد ملك المملكة العربية السعودية. لكن القصة الرئيسة، بالطبع، هي شهادة رئيس الولايات المتحدة المنتَظرة أمام اللجنة المختارة من مجلس النواب، وكياسة نائبة الرئيس، ومسألة ما إذا كان الرئيس يعاني من انهيار عصبي أو فرّ من العاصمة في حالة من الذّعر!

طنين الهاتف - ليز مكتب التحقيقات الفيدرالي - ينقذ المستشار من الصمت الغريب. «اعذرني،» أقول.

أنقر على سماعة الأذن حين أصل المطبخ وأنظر إلى الفناء الخلفي، والخيمة السوداء، وحائط الأشجار التي لا نهاية لها. «تابعي ليز» أقول.

تقول إليزابيث غرينفيلد، مديرة مكتب التحقيقات الفيدرالي: «أعضاء الفريق الذين قتلهم عملاء الخدمة السّرية الوطنية على الجسر، تمكّنّا من التعرّف عليهم».

«ثمّ؟»

«إنهم أعضاء في مجموعة تُدعى راتنيسي، أي المحاربون. إنهم مرتزقة. يأتون من جميع أنحاء العالم، وقد حاربوا في جميع أنحاء العالم».

ناركوس استخدمهم في كولومبيا. وقاتلوا من أجل المتمردين في السودان إلى أن وظّفتهم الحكومة لتغيير اتجاههم. وقاتلوا من أجل الحكومة التونسيّة ضد تمرّد داعش هناك.

«هذا ما فكّرنا فيه. لكن الانقطاع جعل تعقّبهم أمرًا مُتعذّرًا».

«لكن جماعة راتنيسي لا يعملون دون مقابل. إنهم جنود، وليسوا أيديولوجيين أو مذهبيين. شخص ما دفع لهم. وبالنسبة لشيء من هذا القبيل، يا سيدي الرئيس، يمكنك فقط أن تتخيّل مقدار المال الذي يطلبونه».

«هذا صحيح». أقول: «جيد. ستتعقّبون تلك الأموال إذن .»

«نحن نحاول يا سيدي. بأفضل ما لدينا».

«استمروا في ذلك، بأسرع ما يمكن» قلت، وكان الباب المؤدي إلى الطابق الأرضي خلفي يُفتح.

ما عليك سوى مواكبة الأمركيين في فريقنا التقني، ديفين ويتمر وكايسي ألفاريز، وغيمة من رائحة دخان السجائر التي تنبعث منهما. لم أعرف عنهما أنهما مدخنان. لكنني أفترض دومًا أن بين الأوروبيين مدخنون دومًا. لم يعد ديفين يرتدي سترته الرياضية. لقد كان قميصه غير مطوي جزئيًّا، وأكمامه مَثنيّة، والضعف بادٍ على وجهه. لكن ترتسم ابتسامة على وجهه. أمّا كايسي فجزء من شعرها مصفّف على هيئة ذيل حصان غير مكتمل. تنزع نظارتها وتفرك عينيها، لكن فمها المزموم يَعِد بشيء ما.

أشعر بشيء يرتعد في صدري.

يقول ديفين: «لقد حدّدناه يا سيدي الرئيس. وجدنا الفيروس».

69

تقدّمي خطوة، وزنك للأمام، توقّفي وأصغي.

تقدّمي خطوة، وزنك للأمام، توقّفي وأصغي.

عملت بهذا المبدأ عندما كانت تبحث عن الطعام في أسواق سراييفو. وعملت به عندما كانت تختبئ عن الجيش الصربي في سفح الجبل أثناء بحثهم عن فتاة نصف مسلمة بوسنيّة قتلت ستة من رجالهم.

نجحت هذه الطريقة بعد أسبوع من الاختباء أيضًا، عندما استجمعت أخيرًا شجاعتها لتتسلّل من الجبال إلى منزلها. منزل مُحترق تهاوى أرضًا. منزل من طابقين، بات كومة رماد ورُكام. وإلى جواره، جسد والدتها العاري، مربوط إلى شجرة، وقد شُقّ عنقها.

كيلومتران. استطاعت باخ أن تقطع المسافة في اثنتي عشرة دقيقة، رغم الحمولة على ظهرها. يمكنها اجتيازها في عشرين دقيقة. لكن الأمر عادة يستغرق ما يقرب من أربعين دقيقة مع هذا الأسلوب الحذِر والمُراوِغ في التقدّم.

على طول الطريق، ترتدّ الحيوانات الصغيرة عن طريقها، حتى الغزلان القليلة، تتجمّد في مكانها، ثم تثِب بعيدًا. لكن لا مزيد من الذئاب البريّة، أو أيًّا كانت. ربما خرجت كلمة «لا تعبث مع هذه الفتاة» من البندقية.

لم تنحرف بعيدًا عن الجانب الشرقي من الأراضي، متجهة إلى الشمال خلال رحلتها القصيرة وبالقرب من شاطئ البحيرة. من غير المحتمل أن تأتي الدوريات من هذا

الجانب بل من الشمال أو الجنوب أو الغرب.

تصل إلى الشجرة، وهي الأعرض بين الأشجار التي رأتها في هذه الغابة. قيل لها إنّ ارتفاعها ستون قدمًا وقُطرها قدمين، مما يعني أنّ طولها ثمانية عشر مترًا وعرضها ستون سنتيمترًا. شجرة طويلة ورفيعة.

هذا هو المكان الذي سيشهد الحدث. هذا هو المكان الذي ستضع حدًّا فيه لحياته.

فوقها، ترتفع شجرة سميكة لها أوراق وأغصان قوية، سهلة التسلّق. لكن على الأرض، لا يوجد ما يمكن التعلّق به. قد تكون معدّات التسلّق كاملة - وهي حبْل، وحذاء رياضي ذو مسامير - مُرهقة وثقيلة للغاية ولا يمكن نقلها.

من حقيبتها، تفك رباط الحبل من العُقدة من جهة واحدة. وترميه فوق أدنى فرع مُتدلّ، على ارتفاع أربعة أمتار، أي حوالي ثلاثة عشر قدمًا. يأخذ الأمر منها ثلاث محاولات للحصول على نهاية العُقدة فوق الفرع. ثم تَرْفع الجانب الآخر من الحبل حيث يصبح الطرف السفلي أقصر.

بمجرّد أن تضعه في يدها، ينزلق الطرف المستقيم من الحبل عبر العُقدة. ثم تسحب الطرف المستقيم ببطء وحذر لتجنّب أيّ عقبات، حيث ترتفع نهاية العُقدة ببطء مرة أخرى. على الفرع، يجتمع الجانبان في العُقدة.

تحمل حقيبة ظهرها مرة أخرى، والبندقية، وتمسك الحبل. ستحتاج إلى القيام بهذا بسرعة. هناك وزن ثقيل يجب وضعه على الفرع، لذا كلما كان الوقت أقل، كان

ذلك أفضل.

تأخذ نفسًا. وقد خف غثيانها، لكن عظامها متعبة، وهي مرهقة وخائرة القوى. تحلم بالنوم، ومدّ ساقيها وإغماض عينيها.

إنّ لفريقها غاية من ذهابها وحدها. أرادوا نشر قوّة من عشر رجال أو اثني عشر في الغابة. لكان ذلك أفضل لها لو تمّ، لكن الخطر سيغدو كبيرًا جدًّا. لم تستطع معرفة مدى كثافة دوريات الحراسة في الغابة، المهمّة في غاية الصعوبة والخطورة عليها وحدها، فما بالك لو كان معها أحد؟ اضرب شخصًا واحدًا في اثني عشر، يعني اثنتي عشرة فرصة مختلفة لكشف أمرهم. لا يلزم اصطيادهم سوى خطأ واحد فقط، من شخص واحد وحسب كان صاخبًا أو أخرق، وستنهار العملية بأكملها.

تنظر حولها مرة أخرى، ولا ترى شيئًا، ولا تسمع شيئًا. تتسلق الحبل، وتتجه صعودًا بذراعين مجهدتين، تضع يدًا فوق الأخرى، وتشبك أرجلها فوق الحبل. وبالكاد وصلت إلى الفرع حين سمعت ضجّة ما.

إنه ضجيج من بعيد. لا صوت حيوانات صغيرة هاربة، ولا هديرًا منخفضًا أو نباحًا غاضبًا من حيوان مفترس. إنها أصوات بشرية، قادمة في طريقها. موجة من الضحك تسمعها في البداية، ثم ثرثرة متحركة.

هل تسقط وتنزع أسلحتها؟ لا يزال الحبل مرئيًّا، ومتدليًّا من الفرع.

تقترب الأصوات. وتتزايد الضحكات.

تنزع قدميها من الحبل وتشدهما على الشجرة لتثّبت نفسها، وتشعر بضغط الفرع. إن بقيت ساكنة تمامًا، فقد لا يراها أحد أبدًا. الحركة توجّه العين أكثر من أي شيء آخر، أكثر من اللون أو الصوت.

مع ذلك، إذا انكسر فرع الشجرة، فإن الضوضاء ستكون واضحة.

تحافظ على سيطرتها. ذراعاها مُجْهدتان، والعرق يقْطر في عينيها.

ترى الآن اثنين منهم، من خلال الأشجار إلى الغرب، في أيديهم أسلحة نصف آلية، أصواتهم ترتفع أكثر.

تُفْلِت يدها اليمنى الحبل، وتُمسك سلاحها.

لا يمكن أن نتدلّى هنا إلى الأبد. الفرع لن يحتمل. وعاجلًا أو آجلًا، الذراع الواحدة التي تمسكها ستنهار أيضًا.

تتمكّن من سحب سلاحها وتحريره.

يدنون منها أكثر، ولا يسيرون على وجه التحديد في اتجاهها - أكثر من اتجاه الجنوب الشرقي - لكنهم يقتربون. إذا تمكّنت من رؤيتهم، فإنّه يمكنهم رؤيتها.

في محاولة لإخفاء حركة السلاح، تُمسِك به إلى جانبها. سيتعيّن عليها قتلهما قبل أن يتمكنا من إطلاق رصاصة واحدة، وقبل أن يطالا أجهزة هواتف اللاسلكي. ومن ثم سيتعين عليها معرفة ما ستفعل بعد ذلك.

70

أتحقق من ساعتي، إنها الثالثة مساء تقريبًا. قد ينفجر الفيروس في أي لحظة، لكن في موعد لا يتجاوز تسع ساعات من الآن.

ووجد فريقي الفيروس.

«إذن... هذا عظيم، أليس كذلك؟» أقول لديفين وكايسي. «عثرتم عليه!»

«نعم، يا سيدي، عظيم هي الكلمة الصحيحة». تُصلح كايسي من وضع نظّارتها. «الفضل كلّه لأوجي. الذي لولاه لما تمكّنّا من تحديد موقعه بأنفسنا. لقد حاولنا لأسبوعين. جرّبنا كل شيء. قُمنا حتى بالبحث اليدوي، والتعديل..».

«لكنّكِ الآن وجدته».

«نعم». تقول وتهتف: «هذه هي الخطوة الأولى».

«ما الخطوة الثانية؟»

«إبطال مفعوله. ليس الأمر كما لو أن علينا فقط النقر على زر الحذف فيُمحى. وإذا فعلنا ذلك بشكل خاطئ، حسنًا، إنه أشبه بقنبلة. إذا لم تقم بتعطيله بشكل صحيح، فسينفجر».

«تمامًا، حسنًا». أقول: «إذن..».

يقول ديفين: «لذلك نحن نحاول إعادة إنشاء الفيروس على أجهزة الكمبيوتر الأخرى».

«هل يمكن لأوجي القيام بذلك؟»

«أوجي كان هو المُخترِق، يا سيدي، تذكّر. نينا كانت كاتبة الشّفرة. في الواقع، إذا كان هناك أي شخص أكثر فائدة، فهم الروس».

أُلقي نظرة حولي وأخفض صوتي. «هل سيقدّمون المساعدة بالفعل أم يتظاهرون بتقديمها فقط؟ يمكن أن يأخذوك إلى الطريق الخطأ».

تقول كايسي: «لقد حرصنا على ذلك. لكن لا يبدو أنها مُضَلّلة لنا. لقد أخبرونا بأشياء عمّا يفعلونه لم نعرفها قط. ويبدو أن أوامرهم كانت أن يفعلوا كل شيء ممكن لمساعدتنا».

أتّفق معها. هذا بالتأكيد ما كنت أسعى إليه. ولا يمكنني معرفة ما إذا كان ذلك صحيحًا أم لا.

تقول: «هذا الفيروس الذي ابتكَرته نينا - يقول أوجي إنها أنشأت هذا الفيروس منذ ثلاث سنوات. إنه أكثر تقدّمًا من أي شيء رأيناه. إنه مدهش للغاية».

«يمكننا بعد وفاتها منحها جائزة أفضل إرهابي إنترنت على الإطلاق، لكن عندما ينتهي هذا، حسنًا؟ أخبرني ما الذي سيحدث. ستقوم بإعادة إنشاء الفيروس ومن ثَمّ نتعلم كيفية تحييده، مثل لعبة محاكاة الحرب؟»

«نعم يا سيدي».

«ولديك كل الموارد التي تحتاجها؟»

«أعتقد أنّ لدينا ما يكفي من أجهزة الكمبيوتر المحمول

هنا، يا سيدي. وهناك الآلاف في البنتاغون مما تبقى لفريق التهديد والاستجابة».

لديّ مئات أجهزة الكمبيوتر التي شُحِنت إلى هنا لهذا الغرض بالذات. وهناك خمسمئة أخرى تحت حراسة القوّات البحريّة في المطار، وهي على بُعد أقل من ثلاثة أميال.

«وماذا عن الماء، والقهوة، والطعام... وكل ذلك؟» آخر ما أحتاجه هو أن يتداعى هؤلاء الخبراء جسديًّا. لديهم ما يكفي من الضغط الذهنيّ. «والسجائر؟» أقول، وأهشّ بيدي على الرائحة النّتِنة.

«نعم، نحن بخير. الروس والألمان ينفثون الدخان كعاصفة».

«إنّ المكان ملوّث تمامًا هناك». ويتصنّع ديفين وجهًا، ويتابع: «على الأقل حصلنا لهم على الموافقة على التدخين في غرفة الغسيل. هناك يمكنهم فتح النافذة».

«همم، هناك نافذة؟»

«نعم، في غرفة الغسيل..».

«أقفلت الخدمة السّرية الوطنية جميع النوافذ». أقول، مُدركًا بالطبع أنها لا تمنع أي شخص من فتحها من الداخل.

أتوجّه أسفل الدّرج إلى الطابق الأرضي، ديفين وكايسي يتبعانني.

«سيدي الرئيس؟» أليكس ينادي، وهو يتبعني أسفل

الدرج أيضًا.

أصل أسفل الدرج وأتوجه إلى غرفة الحرب، تحرّكتُ بسرعة فانطلق طنين في أذني إلى جانب كلمات تحذير الطبيب.

تمتلئ غرفة الحرب بالمكاتب وأجهزة الكمبيوتر المحمولة، وثمّة عشرات غيرها جانبًا، وهناك لوح أبيض كبير. بخلاف كاميرا الأمان في زاوية الغرفة، فإنها تبدو مثل فصل دراسي عادي. هناك ستة أشخاص هنا - اثنان من كلّ من روسيا وألمانيا وإسرائيل، يدردشون أثناء فتح أجهزة الكمبيوتر المحمولة والانغماس على لوحات المفاتيح.

ولا وجود لأوجي.

«ألقِ نظرة على غرفة الغسيل، أليكس». أقول. وأسمعه يتحرّك خلفي. وأسمع كلماته أيضًا، من غرفتين بعيدًا عني.

«لماذا هذه النافذة مفتوحة؟»

لا يستغرق أليكس سوى دقيقة واحدة ليندفع بقوة إلى الطابق الأرضي بأكمله، بما في ذلك الغرفة التي استلمتها كغرفة اتصالات.

أعرف الإجابة مُسبقًا قبل أن يخبرني.

«لقد رحل يا سيدي الرئيس. رحل أوجي».

71

اثنان عابسان وضخمان من أفراد دورية الأمن، عِراض الجسد، شعرهما مقصوص قصّة عسكرية، وفكّاهما مربّعان. أيًّا كان ما يقولانه لبعضهما باللغة الألمانية، أثناء سيرهما نحوها، لا بدّ أنه كان مضحكًا. سيتوقفان عن الضحك إذا استدار أيّ منهما نحوها فيما يتّجهان جنوبًا.

رأسها على بُعد بوصات فقط من الفرع فوقها، مُعلّقة في الهواء بيد واحدة على حبل، تشعر باخ بأن قوتها تتلاشى. ترمش لتتخلّص من العَرَق في عينيها كما تبدأ ذراعها بالارتعاش. ويمكنها سماع خشخشة فرع الشجرة، بكامل ثقلها على الجزء المعزول من فرع وحيد، تبدأ في الاستسلام، وتئن تحت وطأة ثابتة.

ربما نجحت بتمويه حقيبتها وملابسها، وطلاء وجهها وعنقها باللون الأخضر لتتناسب مع أوراق الشجر، لكن إذا بدأ هذا الفرع في التصدّع، فإن اللعبة انتهت.

إذا أطلقت النار أيضًا، فإن عليها أن تنهيها هناك، اثنتين من الطلقات السريعة. ثم ماذا؟ يمكنها سرقة أجهزة اللاسلكي التي تخصّهما، لكن لن يأخذ بقية الفريق وقتًا طويلًا جدًا حتى يدرك أن اثنين من حراسهما قد اختفيا. لن يكون لديها خيار سوى إلغاء العمليّة.

لم يسبق لها أن انسحبت من مهمّة أو فشلت في أداءها. يمكنها فعل ذلك الآن، نعم، وربما نتوقّع انتقامًا من الأشخاص الذين قاموا بتجنيدها. لكن هذه ليست المشكلة: فهي لا تخشى الانتقام. مرّتان في الماضي، في المهمّات

التي نفذتها بنجاح، حاول الأشخاص الذين استأجروها قتلها بعد ذلك لربط النهايات الفضفاضة، وها هي هنا، ومَن أرسلوها ليسوا هنا.

المشكلة الآن هي دليلة، الاسم الذي ستعطيه لطفلتها - اسم أمّها. لن تكبر دليلة مع هذا العبء. لن تعرف ماذا فعلت أمها. لن تعيش في خوف. لن تعاني من رعب كبير ودائم يتسرّب إلى المسام، يلتصق بك أبدًا، ويلوّن كل شيء سيأتي بعد ذلك.

ينتقل الرجلان إلى ما وراء مرمى بصرها لحظة، ويختفيان وراء الشجرة التي نتعلّق بها. عندما يمُرّان إلى الجانب الآخر من الشجرة، ستكون مكشوفة بالكامل، على بُعد أقل من عشرة أمتار منهما. إذا نظر أحدهما إلى يساره، شرقًا، فلن يُفلِتاها.

يظهران مرة أخرى في الأفق، على الجانب الآخر من الشجرة.

ثم يتوقّفان. الشخص الأقرب يحمل شامة على خدّه وله أذن مُشوّهة تبدو كأنها تلقّت بعض الضربات على مرّ السنين. يشرب من زجاجة ماء، تفاحة آدم تقْرع برفق حَلْقه غير المحلوق. الرجل الآخر، الأصغر، يقف في ظلال الغابة، شعاع ضوء يتصاعد إلى الأعلى، يمشّط الأشجار، ويمسح الأرض.

لا تنظر إلى يسارك.

لكنهما بالطبع سيفعلان. وليس هناك وقت. لا يمكنها الصمود فترة أطول.

يتأهب الفرع لإصدار صرير أكبر.

الرجل الأول يخفض زجاجة الماء، وينظر، ثم يستدير إلى يساره، باتجاهها...

تُصوّب باخ مسدّسها فعلًا إلى الرجل الأول، إلى نقطة في الفراغ بين عينيه...

تأتي صرخة صاخبة من كلا الجهازين اللاسلكيّين اللذين في حوزتهما في الوقت نفسه، شيء باللغة الألمانية، لكن تشير كل المقاييس إلى أنّ هناك خطأ ما قد حدث.

يتناول كلا الرجلين اللاسلكي الذي على خصره. ويتبادلان بضع كلمات، ثم ينعطفان ويتّجهان شمالًا في رحلة عودة إلى الوراء باتجاه البيت الريفي.

ماذا حدث للتوّ؟ هي لا تعرف، ولا تهتم.

لم تعد باخ تملك الوقت أو القوة، لذا تضع السلاح في فمها، وتشدّ بأسنانها على كاتم الصوت الطويل. يدها اليمنى تحرّرت الآن، تتأرجح وتلتقط الجزء الأكثر سُمكًا من الفرع، والأقرب إلى جذع الشجرة.

ثم تُخرِج يدها اليسرى من الحبل وتلتقط الفرع أيضًا بسرعة كافية لتفادي السقوط الحُرّ على الأرض. تئِنّ وتتأوّه بصوت عالٍ جدًا، لكن دون أن تهتم بالعواقب الآن، إنها تستجمع أي طاقة تبقّت فيها لترفع جسدها، فيما يُكْشَط وجهها بفعل احتكاكه بالفرع. تدفع قدمها إزاء قاعدة الشجرة وتسحبها إلى الأعلى حتى تتمكّن من التحكم بساقها اليسرى فوق الفرع.

تلك ليست أكثر المناورات رشاقة من بين ما قامت به في مهمّاتها، ومع ذلك فقد أصبحت أخيرًا في وضع رأسي، متسلّقة فرع الشجرة، تكاد تفقد حقيبة ظهرها وبندقيتها في هذه العملية.

تتنفّس، وتمسح جبهتها من بقع العرق، وطلاء التمويه الملعون. تعطي نفسها دقيقة واحدة. وهي تَعدّ بصوت عالٍ إلى الستين، وتنجح في استخراج أسلحتها، وتتجاهل ما تشعر به من احتراق في ذراعها، مما يبطئ تنفّسها.

تفك العقدة وتسحب الحبل المفكوك للأعلى. تلفّه حول رقبتها، غير قادرة في هذه اللحظة على الوصول إلى حقيبة ظهرها.

لن تُمضي دقيقة أخرى على هذا الفرع، حتى لو كانت تجلس على جزئه الأعرض الآن.

تُثبّتُ نفسها في اتجاه الشجرة وتبلغ قدميها، وتصل إلى الفرع التالي، وتبدأ في التسلّق. عندما تصل إلى القمة، ستجد مكانًا آمنًا، وستكون في وضع مثالي للقيام بمهامها دون الكشف عنها.

72

«راعي البقر في عِداد المفقودين. أُكرّر، راعي البقر في عِداد المفقودين. نحن بحاجة إلى بحث كامل في الغابة. فِرَق ألفا، ابقوا في المنزل».

ينقر أليكس تريمبل على اللاسلكي وينظر إليّ. «سيدي الرئيس، أنا آسف، هذا خطئي».

إبقاء ضوء الأمن خافتًا هي فكرتي - للحفاظ على سرّية هذا الاجتماع. كان علينا ذلك. وكل ما نملك من رجال الأمن كرّسناهم لمراقبة أي شخص يحاول الوصول إلى البيت الريفي. ولم نكن قلقين بشأن محاولة شخص ما المغادرة.

«فقط اعثر عليه، أليكس».

في طريقنا إلى الدّرج، أجتاز ديفين وكايسي، بوجهيهما الشاحبين، كما لو أنهما فعلا شيئًا خاطئًا. كلاهما فاغر الفم، ويحاول العثور على الكلمات.

أقول لهما: «جِدا حلًّا للمشكلة». وأعود إلى غرفة الحرب. «اكتشفا كيف نقضي على هذا الفيروس. هذا كل ما يهمّ. اذهبا».

نتّجه أليكس وأنا صعودًا على الدّرج، نقف في المطبخ، وننظر إلى خارج النافذة جنوبًا، وإلى الفناء الخلفي الواسع، ثم نحو الغابات التي لا نهاية لها. يعطي أليكس تعليمات من خلال اللاسلكي، لكنه يظل إلى جانبي. بينما يتدافع العملاء الآن، ينتقل معظمهم إلى الغابة، باحثين عن

أوجي، لكن عددًا قليلًا من العملاء - فريق ألفا - يعيدون تأمين المحيط.

لا أعرف كيف وصل إلى الغابة دون أن يتمكّن أحد من رؤيته. لكنني أعرف أنه إذا كان أوجي هناك، فسيكون من الصعب جدًا على فريقنا الصغير من الوكلاء العثور عليه.

الأهم: لماذا غادر؟

أقول: «أليكس،» وأنا أوشك على التعبير عن هذه الأفكار، «يجب علينا أن..».

لكن كلماتي تُقطع بسبب الضجيج القادم من الغابة، حتى من داخل البيت الريفي.

رات... تات... تات المتبادلة الصادرة عن إطلاق نار من سلاح آلي.

73

«سيدي الرئيس!»

أتجاهل أليكس، وأقفز أسفل الدرج وأتّجه إلى الغابة، على الأرض غير المستوية، وأنعطِف جانبًا للمرور بين الأشجار.

«سيدي الرئيس، *من فضلك!*»

أستمر في التقدّم عبر الأرض المُعتمة، المُغلّفة بظلال الأشجار، والتي تُسمع فيها صيحات الرجال في المقدمة.

«على الأقل اسمح لي أن أذهب أمامك»، يقول، أسمح له بأن يتقدّمني. يحمل أليكس سلاحه الآلي على أهبة الاستعداد ويصوّب مقدّمته من جانب إلى آخر.

عندما نصل إلى أرض مقطوعة الشجر في الغابة، نعثر على أوجي جالسًا على الأرض ومتكئًا على شجرة وواضعًا يده على صدره. بينما فوقه، شجرة قُسِمت إلى نصفين بفعل الدمار الناتج عن الرصاص. يقف عميلان روسيان مع أسلحتهما الآلية إلى جانبيهما، بينما يوبّخهما جاكوبسون توبيخًا قاسيًا.

عندما يشاهدنا جاكوبسون، يتوقّف ويستدير نحونا، ويظهر لنا كفه في إشارة للتوقّف. «نحن بخير. الجميع بخير». ينظر نظرة ساخطة مرة أخرى إلى الرّوس، ثم يقترب منا.

«رفاقنا من الاتحاد الروسي رأوه أولًا». يقول: «لقد فتحوا النار. يقولون إنها كانت مجرد طلقات تحذيرية».

«طلقات تحذيرية؟ من الذي يحتاج إلى طلقات تحذيرية؟ »

أمشي نحو الروس، وأشير إلى البيت الريفي. «عودوا إلى البيت الريفي! واخرجوا من غابتي! »

يقول جاكوبسون شيئًا لهم، كلمة أو اثنتين باللغة الروسية. عندها تصبح ملامحهم عِدائية، يومؤون، ثم يستديرون ويتركوننا.

يقول جاكوبسون: «الشكر للرّب أني كنت قريبًا منهم. وأمرتهم بالتوقّف عن إطلاق النار».

«الحمد لله أنك كنتَ قريبًا... كما أنك، كنتَ تعتقد أنّ الروس كانوا يحاولون قتله، أليس كذلك؟» أسأله.

يفكّر جاكوبسون في ذلك، وينفث الهواء من أنفه. وينفض يده. «الحرس الوطني الروسي، من المفترض أن يكونوا من أفضل ما تملك روسيا. لو أرادوا قتله، لكان ميتًا الآن».

أنشأ الرئيس تشيرنوكيف مؤخرًا قوة أمنية داخلية جديدة، تستجيب له مباشرة. الكلمة هي أنّ الحرس الوطني هم نُخبة النُّخبة.

«كم أنت متأكد من ذلك؟» أسأل جاكوبسون.

«لستُ متأكدًا على الإطلاق، يا سيدي».

أَمُرّ بين عملاء الخدمة السّرية الوطنية وأذهب إلى أوجي. أجلس القرفصاء إلى جواره.

«ماذا كنتَ تفعل بِحقّ الجحيم، يا أوجي؟»

ترتعش شفتاه، وصدره لا يزال يصعد بأنفاسه العميقة، وعيناه جاحظتان دون تركيز.

«إنهم..». يقولها ويتنحنح، ويبتلع بصعوبة. «حاولوا قتلي».

أُلقي نظرة سريعة إلى الشجرة فوقه. تكشف نظرة سريعة أنّ الرصاص الذي مزّق الشجرة كان على بُعد خمسة أقدام من الأرض. لا أشعر بأنها «طلقات تحذيرية». لكنني أعتقد أنّ ذلك يعتمد على مكان وقوفه.

«لماذا فررت، يا أوجي؟»

هزّ رأسه بِخفّة، وعيناه تنجرفان بعيدًا. «أنا ... أنا لا أستطيع إيقاف هذا. لا أستطيع أن أكون هناك عندما... عندما..».

«أنت خائف؟ هل هذا هو؟»

يشعر أوجي بشيء من الخجل، جسده لا يزال ينتفض، ويومئ.

هل هذا كل ما في الأمر؟ الخوف، والندم، والشعور بالقهر؟ أم فاتني شيء عن أوجي؟

«استيقظ». أمسكه من ذراعه وأجبره على الوقوف على قدميه. «لا وقت للخوف يا أوجي. دعنا نكمل حديثنا في البيت الريفي».

74

في النهاية، تصل باخ إلى المكان الذي تبحث عنه بين أشجار الصنوبر الأبيض، وتشعر بضغط في ذراعيها وظهرها من التسلّق عاليًا مع حقيبة كبيرة وبندقية على ظهرها. في سماعات الأذن، تستمع إلى ويلهام فريدمان هيرتسوغ في أدائه المرِح لكونشيرتو الكمان منذ ثلاث سنوات في بودابست.

من خلال أشجار الصنوبر، لديها رؤية واضحة للبيت الريفي على امتداد المسافة والأراضي إلى الجنوب.

الفروع المجاورة لجذع الشجرة سميكة بما يكفي لحملها. تمدّد على فرع وتضع حقيبتها أمامها. تفتحه ببصمة إصبعها وتنزع بندقيّتها آنا ماغدالينا وتجمعها في أقل من دقيقتين، وتطلّ من فوق الأشجار.

تشاهد الحراس يقومون بدوريات على الأرض، رجالًا يحملون أسلحة.

خيمة سوداء.

أربعة رجال يصعدون السلالم إلى الشرفة، ويتحركون بسرعة...

تُعدّل مجال الرؤية بانفعال. ليس لديها وقت لإنشاء منصّة وتركيب البندقية ووضعها في مكانها، بدلًا من ذلك تحملها على كتفها وتنظر عبر المدى. الوضع ليس مثاليًا، لكن لن يكون أمامها سوى فرصة واحدة لإطلاق الطلقة قبل أن تكشف مخبأها وتُفجّر كل شيء، لذا لا يمكنها

ارتكاب أي خطأ...

تنحني إلى الأمام عندما يدنون من الباب إلى البيت الريفي.

رجل كبير ذو شعر داكن، لديه سماعة أذن.

وآخر أقصر، وأخف وزنًا، ولديه سماعة أذن أيضًا.

الرئيس، يمر بين الرجال، ويختفي في البيت الريفي.

يتبعه رجل قصير، واهن، وشعره داكن متشابك...

هل هذا هو؟ هل هو؟

نعم!

ثانية واحدة لاتخاذ قرار.

هل أطلق النار؟

75

آخذ أوجي من ذراعه وأسحبه إلى البيت الريفي. أليكس وجاكوبسون، من وراءنا، يدخلان ويغلقان باب البيت الريفي.

أنقل أوجي إلى غرفة المعيشة وأضعه على الأريكة. أطلب من أليكس: «أحضِر له بعض الماء».

يجلس أوجي على الأريكة، وهو لا يزال مصابًا بالدوار والذهول. «هذا ليس... ما أرادَت». يقول ويهمس: «لم تكن... تريد ذلك».

يعود أليكس مع كوب من الماء. أمدّ يدي. «أعطِها لي» أقول.

أمشي إلى أوجي وأقذف الماء في وجهه، فيبتلّ شعره وقميصه. يصيح في دهشة، ويهزّ رأسه، ويجلس مستقيمًا.

أنحني صوبه قائلًا: «هل ستكون صريحًا معي يا فتى؟ هل لديك العديد من الأمور التي تحرّكك؟»

«أنا... أنا..». كان ينظر إلى وجهي، بطريقة مختلفة عن ذي قبل، خائفًا ليس فقط من الظروف لكن منّي أيضًا.

أقول: «أليكس. أرِني صور غرفة الحرب».

«نعم يا سيدي». يُخرِج أليكس هاتفه من جيبه، وينقر عليه قبل تسليمه إلي. إنه عبارة عن بث حي ومباشر من كاميرا المراقبة داخل غرفة الحرب، تَظهر فيها كايسي على الهاتف، وديفين على جهاز كمبيوتر، فيما العباقرة التكنولوجيّون الآخرون يعملون على أجهزة الكمبيوتر

المحمولة ويرسمون على اللوح الأبيض.

«انظر إلى هذا، أوجي. هل أي من هؤلاء الناس استسلم؟ لا، كل واحد منهم فزع، ومع ذلك لم يستسلموا. يا للجحيم، أنت من وجد الفيروس. يكفيك أنك فعلت ما لم تفعله أفضل العقول في فريقي طيلة أسبوعين!»

يغلق عينيه ويهمس. «أنا آسف».

أركل حذاءه، وأهزّه. «انظر إليّ يا أوجي، انظر إلي!»

ينظر.

«أخبرني عن نينا. قلت ليس هذا ما تريده. ماذا تعني؟ لم تكن تريد تدمير أمريكا؟»

تنظر عينا أوجي للأسفل، ورأسه يهتز. «تعبَت نينا من الجري. وقالت إنها كانت تخوض في هذا لفترة طويلة ».

«من الحكومة الجورجية؟»

«نعم. المخابرات الجورجية كانت تلاحقها. كادوا يقتلونها مرّة في أوزبكستان».

«حسنًا، حسنًا، لذلك تعبت من الجري. ما الذي تريده؟ العيش في أمريكا؟»

يرِنّ هاتفي في جيبي. أخرجه. إنها ليز غرينفيلد. لا أردّ وأعيده مرة أخرى إلى جيبي.

«أرادت العودة إلى الوطن،» يقول أوجي.

«إلى جمهورية جورجيا؟ إلى حيث هي مطلوبة في جرائم حرب؟»

«كانت تأمل في أن... تساعد في هذا الصدد».

«أرادت مني أن أتدخل. أرادت مني أن أطلب من جورجيا منحها العفو. لخدمة للولايات المتحدة».

يومئ أوجي موافقًا. «ولا تنتظر من جورجيا أن تفعل مثل هذا الشيء في ظل هذه الظروف؟ إذا كانت أمريكا معرّضة للخطر، وأحد حلفائها - ولا سيما أحد الذين يمكن أن يستخدموا أمريكا كصديق ضد الروس الذين على حدودها - ألا تعتقد أنّ جورجيا ستقدّم لك هذا المعروف؟»

ربما سيقدّمون. إذا ضغطتُ بقوة كافية عليهم، وإذا شرحتُ لهم الوضع بدقة كافية - نعم، كنّا سنحقق شيئًا ما.

«لذلك أريد أن أكون على يقين من أنك صادق معي». أقول، وأكمل: «نينا ساعدت سليمان سيندوروك في تطوير هذا الفيروس، صحيح؟»

«نعم».

«لكنها لم تكن ترغب في تدمير أمريكا بواسطته؟»

يتوقف. «يجب أن تفهم سليمان». كما يقول: «الطريقة التي يعمل بها. طوّرت نينا فيروسًا عظيمًا. إنّه فيروس مدمّر وخفي وماسِح. وعملتُ أنا، كما يمكنك أن تقول، على الجانب الآخر من المهمّة».

«كنتَ أنتَ المُختَرِق».

«نعم. وظيفتي هي اختراق الأنظمة الأمريكية ونشر

الفيروس على أوسع نطاق ممكن. لكن مهمّتينا... منفصلتان، يمكن أن تقول ذلك».

أعتقد أني أفهم الآن. «لقد طوّرتْ فيروسًا عظيمًا، لكنها لا تدرك، تمامًا كيف سيتمّ استخدامه. وأنتَ نشرت الفيروس عبر الحوادم الأمريكية، لكنك لا تعلم، بالضبط، ما قمتَ بنشره».

«ما تقوله صحيح». يقول موافقًا، ويبدو أنه بدأ يهدأ الآن. «لا أقصد تصوير أيّ منا بريئًا. عرفت نينا الطبيعة المدمِّرة لفيروسها، بالطبع. لكنها لم تكن لديها أي فكرة عن مدى انتشاره على هذا النطاق الواسع. لم تكن تعرف أنه سينتشر في جميع أنحاء الولايات المتحدة لتدمير حياة مئات الملايين من الناس. وأنا..». وينظر بعيدًا. «أخبرني سليمان أنه كان شكلًا متقدمًا من برامج التجسس التي كنتُ أنشرها. وأنه سيبيعه على أعلى مُزايِد لتمويل وظائفنا الأخرى». ويرفع كتفيه ويستدرك قائلًا: «عندما أدركنا ما فعلناه، لم نتمكن من الجلوس مكتوفي الأيدي».

أقول: «إذن، جاءت نينا إلى هنا لإيقاف الفيروس. في مقابل أن أساعدها في الحصول على العفو من جورجيا».

يهزّ رأسه موافقًا مرة أخرى. «كنا نأمل أن توافق على ذلك. لكننا لم نتمكن من توقّع ردّك. كان أبناء الجهاد مسؤولين عن وفاة أمريكيين في الماضي. والولايات المتحدة بالكاد يمكن أن نعتبرها حليفة لنا. لذا أصرّتْ على مقابلتك أوّلًا، وبمفردك».

«لتروا كيف سأرد».

«لمعرفة ما إذا كنتَ ستسمح لها بمغادرة البيت الأبيض. بدلًا من القبض عليها، وتعذيبها، أو أي شيء يمكن أن تفعله».

هذا يبدو صحيحًا. شعرت أنّ زيارتها كانت اختبارًا وقتئذ.

يقول: «لقد اعترضتُ على ذهابها إلى البيت الأبيض بمفردها. لكنها لم ترتدع. في ذلك الوقت الذي التقينا فيه في الولايات، كان من الواضح أنّ لديها خطة».

«انتظر». لامستُ ذراعه وأردفت سائلًا: «في ذلك الوقت الذي التقيتما فيه في الولايات؟ ماذا يعني ذلك؟ ألم تكونا معًا طوال الوقت؟ »

«أوه، لا». يقول: «لا، لا. في اليوم الذي أرسلْنا فيه فيروس التخفّي إلى خادم البنتاغون؟»

السبت، الثامن والعشرون من أبريل. لن أنسى أبدًا عندما سمعت أوّل مرة عن ذلك. كنتُ في بروكسل، في المحطة الأولى من جولتي الأوروبية. حين تلقيت المكالمة في الجناح الرئاسي. ولم أسمع قبلها قط وزير دفاعي مهزوزًا.

«كان ذلك اليوم الذي تركنا فيه، نينا وأنا، سليمانَ في الجزائر. انفصلنا عن بعضنا، رغم ذلك. كنا نظن أننا بهذه الطريقة سنكون أكثر أمنًا. جاءت إلى الولايات المتحدة عبر كندا. وجئتُ عبر المكسيك. كانت خطتنا هي الاجتماع يوم الأربعاء في بالتيمور في ولاية ماريلاند».

«الأربعاء – الأربعاء الماضي؟ منذ ثلاثة أيام؟»

«نعم. الأربعاء، عند الظهيرة، بجوار تمثال إدغار آلان بو في جامعة بالتيمور. قريب بما يكفي من واشنطن لكن ليس قريبًا جدًا، إنه مكان منطقي وملائم لأشخاص في عمرنا ونقطة ثابتة يمكننا العثور عليها».

«هذا عندما أخبرَتك نينا بالخطة».

«نعم. في ذلك الوقت كانت متأكدة من أنّ لديها خطة مُحكمة. ستزور البيت الأبيض ليلة الجمعة وحدها لاختبار ردة فعلك. ثم ستقابلني في ملعب البيسبول - في اختبار آخر، لمعرفة ما إذا كنتَ ستظهر. وإذا قمتَ بذلك، فسوف أحكم بنفسي فيما إذا كان في إمكاننا أن نثق بك. عندما ظهرتَ في الملعب، علمتُ أنك قد اجتزتَ اختبار نينا».

«ثم مررتُ بك».

«نعم». يقول: «حقيقة أنني قمتُ بسحب مسدس على رئيس الولايات المتحدة ولم يقم أحد على الفور بإطلاق النار عليّ أو اعتقالي - جعلتني أصدّق أنّك صدّقتنا وستعمل معنا».

أهزّ رأسي. «ثم اتّصلتَ بنينا؟»

«أرسلتُ لها رسالة نصيّة. كانت تنتظر أن تصل إشارتي من الملعب وهي في شاحنتها في الخارج».

كم كنا قريبين، هناك.

يُصدِر أوجي ضجيجًا يبدو مثل الضحك. «كان من المفترض أن يكون هذا هو الوقت المناسب». كما يقول، وينظر بأسى عبر المدى. «كنا كلنا معًا. لكنتُ عثرتُ

على الفيروس، ولكنتَ تواصلتَ مع الحكومة الجورجية، ولكانت ستوقف الفيروس».

بدلًا من ذلك، شخص ما أوقف نينا.

«سأعود إلى العمل، سيدي الرئيس». يدفع نفسه عن الأريكة. «آسَف على..».

أدفعه للوراء. «نحن لم ننته، يا أوجي». أقول: «أريد أن أعرف مصدر نينا. أريد أن أعرف الخائن في البيت الأبيض».

76

بقيت أحوم فوق أوجي، حتى أنه لم يبق سوى أن أسلّط ضوءًا فوق رأسه.

«قلتَ أن نينا حين قابلتها في بالتيمور منذ ثلاثة أيام، كانت ملتزمة بخطة».

يومئ موافقًا.

«لماذا؟ ماذا حدث في الفترة الممتدة بين انفصالك عنها في الجزائر إلى أن التقيت بها في بالتيمور؟ ماذا فعلتْ؟ وإلى أين ذهبت؟»

«هذا ما لا أعرفه».

«هذا لا يُصدّق، أوجي».

«آسف؟ يُصدّق؟»

أنحني نحوه إلى أبعد من ذلك، إلى ما يقرب من اختلاط أنفاسي بأنفاسه. «هذا لا يبدو مألوفًا بالنسبة إلي. أنتما الاثنان تحبّان بعضكما. تثقان ببعضكما. كنتما في حاجة بعضكما أيضًا».

«ما كنّا في حاجة إليه هو الحفاظ على معلوماتنا منفصلة». يقولها بإصرار، ويتابع: «من أجل حمايتنا. لم تكن تعرف كيفية العثور على الفيروس، ولم أتمكّن من معرفة كيفية تعطيله. بهذه الطريقة بقي كلّ منّا ذا قيمة بالنسبة إليك»».

«ما الذي أخبرتك به عن مصدرها؟»

«أجبتُ على هذا السؤال أكثر من مرة..»».

«أجِب على ذلك مرة أخرى». وأُمسكه من كتفه. «وتذكّر أنّ حياة مئات الملايين من الناس..».

«نينا لم تخبرني!» يجيبني بغضب، وتجتاحه العاطفة، ويُكمِل بنبرة عالية في صوته: «أَخبرتْني أني سأحتاج إلى معرفة كلمة الشّفرة، عصور الظّلام، وسألتها كيف أمكنها أن تعرفها، قالت لا يهم كيف، وأنه من الأفضل ألاّ أعرف، وهكذا سنكون آمنَين»

أُحدّق إليه، ولا أنطق بكلمة، مُنقِّبًا في وجهه.

«هل شككتُ في أنها كانت على اتصال مع شخص مهم في واشنطن؟ بالطبع فعلت. أنا لستُ أَبْلَهًا. لكن هذا منحني الراحة، ولم يزعجني. كان هذا يعني أنّ لدينا فرصة حقيقية للنجاح. أثق بها. كانت أذكى شخص على الإطلاق..».

يختنق، ويصبح غير قادر على إنهاء الجملة.

يرِنّ هاتفي. يظهر على الشاشة: ليز مكتب التحقيقات الفيدرالي، مرّة أخرى. لا يمكنني الاستمرار في تجاهلها.

أضع يدي على كتفه. «أنت تريد أن تُكرِم ذكراها، أوجي؟ إذن، قُم بكل ما في وسعك لإيقاف هذا الفيروس. اذهب. الآن».

يأخذ نفسًا عميقًا، ويدفع نفسه بعيدًا عن الأريكة. «سأفعل» يقول.

ما إن خرج أوجي بعيدًا عن مسامعي، حتى وضعت الهاتف على أذني، وأجبت: «نعم، ليز».

«سيدي الرئيس». تقول: «الهواتف النقّالة في سيارة نينا».

«نعم. اثنان منهم، قلتِ؟»

«نعم، يا سيدي، واحد على كرسيّها، ووجدت واحدًا تحت لوح الأرضية في المقصورة الخلفية».

«حسنًا..».

«سيدي، الذي اكتشفناه كان مختبئًا في مؤخرة السيارة - لم نتخلّص منه بعد. لكن الهاتف الذي كان في جيبها - أخيرًا تمكّنّا من فك الشّفرة. هناك رسالة نصية قادمة من الخارج مثيرة للاهتمام. لقد استغرق الأمر منّا وقتًا طويلًا لتعقّبها، لأنها كانت تتخبّط في ثلاث قارات..».

«ليز، ليز». أقول: «لا تماطلي. قولي ما لديك».

تقول: «نعتقد أننا عثرنا عليه، يا سيدي. نعتقد أننا حدّدنا موقع سليمان سيندوروك».

أحبسُ أنفاسي.

فرصة أخرى، بعد الجزائر.

«سيدي الرئيس؟»

أقول لها: «أريده حيًّا».

77

تجلس نائبة الرئيس، كاثرين براندت، بهدوء وعيناها مُسبلتان، لكن تحيطان بما حولها. ورغم أن هذه شاشة كمبيوتر، تتقطّع الصّورة فيها أحيانًا وتتقافز اللقطات، فإن نائبة الرئيس تبدو جاهزة لها، بمكياجها الثقيل نفسه الذي ظهرت به على شاشة التلفاز في برنامج لقاء الصحافة، مرتدية بدلة حمراء أنيقة وبلوزة بيضاء.

«*هذا هو تقريبًا..*». تقول كاثي وتنظر إليّ.

أقول لها: «أعلم أنه يصعب استيعاب ذاك كلّه. لكنّه ما يحدث فعلًا، وأسوأ بكثير مما تصوّرنا. لقد تمكّنّا من تأمين قوّاتنا العسكرية، لكن في مناطق أخرى من الحكومة الفيدرالية، والقطاع الخاص - سيفوق الضرر أي قُدرة على القياس».

تقول: «ولوس أنجلوس... ما هي إلّا طُعم».

أهز رأسي مُوضحًا: «هذا أفضل تخمين لي. إنها خطة ذكية. يريدون نجومنا في مجال التكنولوجيا على الجانب الآخر من البلاد، في محاولة لحلّ المشكلة في محطّة تنقية المياه. بعد ذلك، عندما يُطلَق الفيروس، سوف ننقطع عنهم بكلّ السّبل - لا اتصال بالإنترنت، ولا هواتف، ولا طائرات أو قطارات. تغدو أفضل مواهبنا في الساحل الغربي، على بُعد آلاف الأميال عنّا ».

«وأنا للتّو أعلم بكل هذا الذي يحدث لبلادنا؟ وكل ما تفعله لأجلها؟ رغم أنني نائبة رئيس الولايات المتحدة! ذاك لأنك لا تثق بي. فأنا واحدة من الستة الذين لا نثق

بهم ».

صورتها ليست واضحة بما يكفي لمعرفة صِدق رد فعلها. ليس جيّدًا أن تعلم أنّ رئيسك في العمل، القائد العام، يعتقد أنك قد تكون خائنًا.

«سيدي الرئيس، هل تعتقد حقًا أنني سأفعل مثل هذا الشيء؟»

« كاثي، لم أكن أتصوّر ذلك، ولو بعد مليون عام، أنّ أيّ واحد منكم سيفعل ذلك. لستِ أنتِ، ليس سام، وليس بريندان، وليس رود، وليس دومينيك، وليست إيريكا. لكن واحدًا منكم قد فعل ».

هذا هو. سام هابر من وزارة الأمن الوطني. بريندان موهان، مستشار الأمن القومي. رودريجو سانشيز، رئيس هيئة الأركان المشتركة. وزير الدفاع دومينيك دايتون. ومديرة وكالة الاستخبارات المركزية إيريكا بيتي. بالإضافة إلى نائبة الرئيس. إنهم جميعًا يشكّلون عُصبة الستة، كلهم في دائرة الشك.

تحتفظ كاثرين براندت بصمتها المنتبه، ثمّ فقدتْ التركيز.

يسير أليكس ويسجّل لي ملاحظة من ديفين. ليست ملاحظة جيدة.

عندما أعود إلى كاثي، تبدو مستعدة لتخبرني بشيء ما. لدي فكرة جيدة عمّا ستكون.

«سيدي الرئيس». وتتابع: «إن لم أنل ثقتك، فإن الشيء الوحيد الذي يمكنني فعله هو تقديم استقالتي».

78

في غرفة حرب التكنولوجيا، ينظر ديفين إلى الأعلى عندما يراني. يربت على كتف كايسي، ويترك الآخرين للتحدّث معي - كلهم يضعون سماعات الرأس أو ينقرون على أجهزة الكمبيوتر. تتراكم الحواسيب المحمولة الميتة إلى الحائط. على اللوح الأبيض، كُتبتْ كلمات وأسماء وشفرات متنوّعة: بيتيا، ونيتنا، وشامون، وسشنيير آلغ، ودود.

تنبعث من الغرفة رائحة قهوة وتبغ أجساد. سأعرض فتح النافذة لو كنتُ في مزاج جيّد للدعابة.

تتّجه كايسي إلى الزاوية حيث تصطف الحواسيب إلى الجدار، مع صناديق تكدّس بعضها فوق بعض حتى ارتفعت إلى مستوى كاميرات المراقبة في السّقف.

«كلهم انتهوا». تقول وتكمل: «نحاول كل شيء. يبدو أن لا شيء يمكن أن يقتل هذا الفيروس».

«سبعون جهاز كمبيوتر إلى الآن؟»

تقول: «أكثر أو أقل، ومقابل كل جهاز تعطّل هنا، فإن هناك في البنتاغون ثلاثة أو أربعة. لقد وصلنا إلى ثلاثمئة جهاز كمبيوتر تقريبًا».

«أجهزة الكمبيوتر، إنها... ممسوحة تمامًا؟»

«كل شيء ممسوح». يقول ديفين: «بمجرد أن نحاول تعطيل الفيروس، فإنه ينطلق ليمسح كل شيء. هذه الحواسيب المحمولة ليست أفضل من كومة من الطوب

الآن». ويتحسّر. «هل يمكنك جلب الخمسئة الأخرى من أجهزة الكمبيوتر المحمولة؟»

أنتقل إلى أليكس وأُقدّم الطلب. سوف يُحضرها مشاة البحرية. أسأل: «هل تكفي خمسئة؟»

تبتسم كايسي، وتجيب: «ليس لدينا خمسئة طريقة لوقف هذا الشيء. لقد فكّرنا في كل ما نعرفه بالفعل».

«أوجي لا يقدّم المساعدة؟»

«أوه، إنه رائع». يقول ديفين: «ما هي الطريقة التي دفن بها هذا الشيء داخل الكمبيوتر؟ لم أر قط شيئاً كهذا. لكن عندما يتعلّق الأمر بتعطيله فعلياً؟ فإن هذا ليس من اختصاصه».

أنظر إلى ساعتي، وأقول: «إنها الرابعة، يا قوم، ابدؤوا الإبداع».

«نعم سيدي».

«أي شيء آخر تحتاجونه مني؟»

تقول كايسي: «هل هناك أيّ فرصة للقبض على سليمان وإحضاره إلى هنا؟»

أربتُ على ذراعها لكني لا أجيبها.

نحن نعمل على ذلك، لكن لا أخبرها.

79

أعود إلى غرفة الاتصالات، حيث أجد نائبة الرئيس كاثرين براندت، بعينيها المُسبلتين، ووضعية جلوسها البائسة. قبل أن أقطع حديثنا، قالت شيئًا ذا معنى لي.

تنشط عندما تراني أدخل الغرفة، وتعدّل جلستها.

«لا حظّ مع الفيروس بعد» أقول لها، وأجلس.

من صنع هذا الشيء يلعب الشطرنج، ونحن نلعب الدامة.

«سيدي الرئيس». تقول كاثي: «لقد عرضت عليك استقالتي».

أقول: «نعم، أتذكّر. ليس هذا الوقت المناسب لذلك، كاثي. لقد حاولوا قتل أوجي وقتلي مرّتين. وأنا لست على ما يرام، كما شرحتُ لكِ للتوّ».

«آسفة لسماع ذلك. لم أكن أدرك أنّ حالتك ساءت مرّة أخرى».

«لم أخبر أحدًا. هذا ليس وقتًا مناسبًا لأصدقائنا أو لأعدائنا ليعتقدوا أنّ الرئيس في حالة صحيّة سيئة».

تنكّس رأسها.

«اسمعي، كانت كارولين طوال الوقت فوقكِ ببضعة طوابق في البيت الأبيض. إنها تعلم كل شيء. لدينا كل شيء مكتوب في وثيقة، أيضًا. وإن حدث شيء ما لي، كانت كارولين ستخبرك بكل شيء خلال دقائق. بما في ذلك خططي المختلفة لما يجب القيام به، وهذا يتوقّف على

مدى سوء هذا الفيروس. بما في ذلك الضربات العسكرية على روسيا والصين وكوريا الشمالية - كل من يقف وراء هذا الفيروس. خطط الطوارئ لقانون الأحكام العرفية، وتعليق المثول أمام القضاء، والرقابة على الأسعار، وتقنين البضائع المهمّة - وكافة الإضافات».

«لكن إذا كنتُ أنا الخائنة يا سيدي الرئيس». تقول، وبالكاد تستطيع أن نتفوّه بتلك الكلمة، «فلماذا نثق بي لإيقاف هؤلاء الناس؟ لو كنت متعاونة معهم فإنني قد...».

«كاثي، ما الخيار الذي أمتلكه؟ لا يمكنني استبدالك بشخص جديد. ماذا كان يُفترض أن أفعل قبل أربعة أيام عندما علمتُ عن التسريب من نينا من خلال ابنتي؟ أطالبكِ بالاستقالة؟ ثم ماذا؟ فكّري في المدة التي سيستغرقها استبدالك. عملية التدقيق، عملية الترشيح، موافقة كلا المجلسين. لم يكن لدي كل ذلك الوقت. وإذا غادرت المكان وكان هناك شاغر، فكّري فيمن هو التالي في سلسلة الخلافة».

لا ترد، وتكسر التواصل البصري. لا يبدو أنّ الإشارة إلى المتحدّث ليستر رودز تُرضيها.

«الأكثر أهمية من ذلك، كاثي - لم أستطع أن أتأكّد من أنك أنت. لستُ متأكدًا من أنه كان أيًا منكم. طبعًا، كان بإمكاني أن أطردكم جميعًا، الستة معًا، فقط للتأكد من التخلص من المُسرّب. لمجرّد أن نكون في أمان. لكنني سأخسر كامل فريق الأمن القومي في وقتٍ أنا في أمسّ حاجتي إليه».

تقول: «كان من الممكن أن تعرِضنا على جهاز كشف الكذب».

«كان يمكنني ذلك. هذا ما أرادته كارولين. أن أُعطي الجميع اختبارات كشف الكذب».

«لكنك لم تفعل».

«لا، لم أفعل».

«لماذا يا سيدي؟»

أقول: «إنه عنصر المفاجأة. مصدر قوّتي الوحيد هو أنني أعرف أنّ هناك تسريبًا، لكن المُسرِّب لم يكن يعلم أنني أعرف. إذا وضعتُ كلّ واحد منكم في الزاوية وسألت ما إذا كان قد سرّب معلومات حول عصور الظّلام، فسوف أقوم بكشف ما لديّ. مَن كان وراء هذا سيعرف أني أعرف. ولذلك من الأفضل لعب دور الأبله، إذا جاز التعبير. ذاك إلى أن توصلت إلى ضرورة العمل على إصلاح المشكلة». وأكمِل: «اتصلتُ بوكيل وزارة الدفاع وتأكدت، بمعزل عن الآخرين، من أنّ تجديد أنظمتنا العسكرية يجري بشكل صحيح. تحسّبًا لأن يكون الوزير دايتون هو الخائن. كان الجنرال بيرك في القيادة المركزية يتحقق من الشيء نفسه في الخارج، فقط في حالة كون الأدميرال سانشيز هو الخائن».

«لقد تأكّدت من أنّ الأمور تمّت بشكل صحيح».

«بشكلٍ صحيح بما يكفي. لم نتمكّن من إعادة إنشاء كل شيء تمامًا خلال أسبوعين بأيّة وسيلة، لكننا نعمل بشكل

كاف لإطلاق الصواريخ، لنشر القوات الجوية والبرية. كانت تدريباتنا ناجحة ».

«هل هذا يعني أنّ دايتون وسانشيز تمّ شطبهما من قائمتك؟ أي انخفضت القائمة إلى أربعة الآن؟»

«ما رأيك، كاثي؟ هل يجب تجاوزهما؟ »

تفكّر في ذلك دقيقة. «إذا كان أحدهما هو الخائن، فلن يكشف عن نفسه بإفساد مَهّمة كانت ضمن مسؤوليته المباشرة. قد يقوم بتسريب الشّفرة دون الكشف عن هويته. وربما يقدّم بعض المعلومات للعدو. لكن هذه المهام المحددة التي عيّنتها لهما — جعلت الضوء مُسلّطًا عليهما مباشرة. لا يمكنهما التّقصير وإلّا باتا محلّ شك فورًا. من فعل هذا أعطى الأمر تفكيرًا طويلًا».

«هذا ما أفكّر فيه تحديدًا». أقول: «لذا لا، لم يُحذفا من القائمة».

هذا كثير على كاثي أن تفكر فيه، وهي تفهم أنه بينما أتحدّث عن الخائن، فإنني قد أعنيها بكلامي. لن يكون من السهل على أي شخص قبول هذا. إذن مرة أخرى، هي ليست مبرّأة من كل هذا.

تقول في النهاية: «سيدي الرئيس، إذا تجاوزنا هذا..».

«عندما». أقول: «عندما نجتاز هذا. لا يوجد *إذا*. *إذا* ليست خيارًا».

«عندما نجتاز هذا». تقول: «في الوقت المناسب، سوف أقدّم استقالتي للقيام بما ستراه مناسبًا. إذا كنتَ لا تثق بي

يا سيدي، فأنا لستُ متأكّدة من الطريقة التي يجب أن أخدمك بها».

«إذن من هو التالي في الطابور؟» أقول، للعودة إلى ذاك الموضوع.

ترمش عدة مرات، لكن الجواب ليس صعبًا. «حسنًا، من الواضح أني لن أتنحى إلى أن تضمن الحصول على بديل..».

«أنتِ لا ترغبين حتى في ذكر اسمه، أليس كذلك يا كاثي؟ صديقك ليستر رودز ».

«أنا... لا أعتقد أني أسميه صديقي يا سيدي».

«أبدًا؟»

«بالتأكيد لن أفعل ذلك. أنا... حدث أن التقيتُ به هذا الصباح..».

أقول: «توقّفي هناك. يمكنك أن تكذبي على نفسك كما تريدين، يا كاثي. لكن لا تكذبي عليّ».

ما زال فمها يتحرّك، يبحث عن شيء ما، قبل أن تطبقه وتبقى ساكنة.

«أول شيء فعلتُه منذ أربعة أيام، عندما علمتُ بالتسريب» أقول: «أول شيء فعلتُه. أتعلمين ما كان؟»

تهزّ رأسها لكنها لا تستطيع أن تجبر نفسها على الكلام.

أقول: «راقبت كل واحد منكم».

تضع يدها على صدرها. « كان لديك... لي..».

أقول: «كلكم الستة، بموجب مذكّرة قانون مراقبة الاستخبارات الأجنبية. وقّعتُ على المذكّرات بنفسي. هؤلاء القضاة لم يشهدوا ذلك من قبل. ليز غرينفيلد في مكتب التحقيقات الفيدرالي أعدّتها. إعاقة، واعتراض، وتجسّس، وأعمال أخرى مشبوهة».

«لقد كنتَ..».

«وفّري السخط الآن. كنتِ ستفعلين الشيء نفسه. ولا تجلسي هناك وتتصرّفي كأنك *صادفت* ليستر رودز هذا الصباح في طريقك إلى الإفطار».

ليس هناك ما يمكنها قوله. لم تعد قادرة على الوقوف، نظراً لما فعلت. تبدو كما لو أنها تريد الزحف تحت صخرة والاختباء الآن.

أقول لها: «ركزي في المشكلة. وانسي السياسة. انسي جلسة الأسبوع المقبل. انسي مَن قد يكون الرئيس بعد شهر من الآن. لدينا مشكلة كبيرة جدًا في بلادنا، وكل ما يهم هو حلها».

تومئ برأسها، غير قادرة على الكلام.

«إذا حدث شيء معي، فأنت في حاجة إلى لعب دوري». أقول: «أخرجي رأسك من مؤخرتك وكوني على أهبة الاستعداد!»

تصرخ مرة أخرى، أوّلًا ببطء، ثم بقوة أكثر. تستقيم في جلستها، كما لو أنها تضع كل شيء آخر جانبًا، مع التركيز في الأسلوب الجديد للعمل.

«ستوضح لك كارولين خطط الطوارئ. إنها لعينيك فقط فلا تُطلعي أَحدًا عليها. ستبقين في مركز العمليات. لن تكوني قادرة على التواصل مع أي شخص سوى كارولين وأنا. مفهوم؟»

«نعم». تقول: «هل لي أن أقول شيئًا يا سيدي؟»

أتنهّد. «نعم».

«اعرضني على جهاز كشف الكذب». تقول.

أتراجع.

«عنصر المفاجأة فُقِد الآن». تقول: «لقد أخبرتني بكلِ شيء. اعرضني على كاشف الكذب واسألني إن كنتُ أنا من سرّبت شفرة عصور الظّلام. اسألني عن ليستر رودز إذا أردت. واسألني عن أيّ شيء. لكن تأكّد من أن تسألني إن كنتُ قد خنتُ بلادنا بأيّ شكل من الأشكال».

هذا هو، يجب أن أعترف، لم أكن أرى القادم.

«اسألني». تقول: «وسأخبرك الحقيقة».

80

الساعة الحادية عشرة وثلاثة دقائق مساءً في برلين، ألمانيا.

أربعة أمور تحدث في الوقت ذاته.

الأول: امرأة في معطف أبيض طويل تدخل الباب الأمامي لمجمّع سكنيّ شاهق الارتفاع، وعدد من أكياس التسوّق، مثل الزوائد الضخمة، في يدها. تمشي مباشرة إلى الموظف في مكتب الاستقبال. تنظر حولها وتلحظ الكاميرا في زاوية الردهة الفسيحة المزخرفة. تضع الأكياس وتبتسم للموظف. يسأل عن هويتها، فتفتح محفظتها، لتكشف عن شارة.

تقول: «أنا ضابط شرطة» وفيما تفقد ابتسامتها، تضيف، «أنا بحاجة لمساعدتكم الآن».

ثانيًا: شاحنة برتقالية كبيرة للتخلص من النفايات تحمل اسم الشركة «الصرف الصحي برلين». تسير حذاء المبنى نفسه إلى الشرق، بينما تهب الرياح قبالة نهر سبري حوله. عندما تتوقف السيارة، يُفتح الباب الخلفي. اثنا عشر رجلًا، أعضاء في وحدة القوات الخاصة للاستجابة السريعة في ألمانيا، يخرجون من الشاحنة مسلّحين بعتادهم التكتيكي - سترات واقية، وخوذات، وأحذية ثقيلة - ومسلحين ببنادق مكافحة الشغب. يُفتح الباب المجاور للمجمّع السكني أبوابه تلقائيًا، احترامًا من مكتب الاستقبال، ويدخلون المبنى.

ثالثًا: مروحيّة، مطلية باللون الأبيض وتحمل اسم محطة تلفاز محلية، لكنها في الواقع مروحيّة تابعة للقوات

الخاصة للاستجابة السريعة، ذات قدرة على خفض تشغيل الضجيج، تحوم بصمت فوق المبنى. وأربعة من الكوماندوز المسلحين أيضًا، يهبطون من المروحيّة، وينخفضون ثلاثين قدمًا إلى السطح، ويهبطون بهدوء ويفكّون الحِبال من أحزمتهم.

ورابعًا: سليمان سيندوروك يضحك على نفسه بينما يراقب فريقه داخل الجناح السكنيّ. رجاله الأربعة - الأعضاء الأربعة المتبقين إلى جانبه من أبناء الجهاد. ما زال يتعافى من احتفالات الليلة الماضية، ويتعثّر بما حوله، ويرتدي نصف ملابسه، فيما يبدو هزيلًا، ويعاني من الدُّوار من آثار شرب الكحول، هذا إن لم يكن لا يزال مخمورًا. منذ أن استيقظوا، في وقت ما من منتصف النهار، لم يقوموا بأيّ شيء.

إلمورود، يضيق قميصه البنفسجيّ ببطنه الكبيرة، يسقط على الأريكة، ويستخدم جهاز التحكم عن بُعد لتشغيل التلفاز. محمد، يرتدي فانيلا مُبقّعة وسروالًا داخليًّا، وشعره منتصب عن آخره. هاجان، آخر من استيقظ، في العصر، دون قميص، ويرتدي سروالًا رياضيًّا، يقضم العنب المُنتشِر على المائدة من بقايا الطعام المتبقي من الليلة الماضية. ليفي، وهو طويل هزيل وغريب صعب المِراس، يرتدي سرواله الداخليّ فقط بعد أن فقد عذريته الليلة الماضية، واضعًا رأسه على وسادة على الأريكة، وراسمًا ابتسامة ارتياح.

يُغمض سليمان عينيه ويشعر بنسيم النهر على وجهه. يتذمّر بعض الناس من الرياح التي تنطلق من نهر سبري، وخاصة في المساء، لكنها واحدة من أكثر الأشياء التي

تُمتعه. وواحدة من تلك الأشياء التي سيفتقدها أكثر. يفحص السلاح الناري الذي إلى جانبه بحُكم العادة. شيء اعتاد فعله كل ساعة تقريبًا. يتفحّص المخزن.

إنّه جاهز، برصاصة واحدة.

81

يتسلّقون السلالم بالنهجِ التكتيكي المناسب، ويؤمّنون كل درج بجنديّ واحد - مُستكشِف - قبل أن يتقدّم بقيّة الفريق إلى الأعلى. هناك بقع عمياء لا تغطيها الكاميرات. لذا فإن هناك فرص لوجود كمين في كل مستوى. أوضح اتصالهم مع الموظف في مكتب الاستقبال أنّ السلالم آمنة، لكنه لا يعرف أبعد مما تكشفه له الكاميرات.

قائد الفريق الأول هو رجل يدعى كريستوف، قضى أحد عشر عامًا حتى الآن مع القوات الخاصة للاستجابة السريعة. عندما يقترب الفريق المكوّن من اثني عشر رجلًا من الهبوط على سطح البرج السكنيّ، يُعلِم القائد بذلك. «الفريق الأول في الوضع الأحمر». يقول باللغة الألمانية.

«الفريق الأول، استمر في الوضع الأحمر». ينادي القائد من موقعه داخل سيارة في الشارع.

قائد هذه المهمة هو العميد الجنرال قائد القوات الخاصة للاستجابة السريعة نفسها. هذا هو أول ما وصل إليه كريستوف على الإطلاق - الضابط الأعلى رتبة في القوات الخاصة للاستجابة السريعة يقود شخصيًّا مهمة ما. لكن مرة أخرى، هذه هي المرة الأولى التي يتلقى فيها العميد الجنرال أمرًا من المستشار مباشرةً.

«الهدف هو سليمان سيندوروك،» قال المستشار ريتشتر للجنرال العميد.

«يجب أن يُقبض عليه حيًّا. كما يجب أن يُقبض عليه

وهو في حالة تسمح بالتحقيق معه على الفور». وهكذا فإن ليس في يدي كريستوف سوى قاذِفَة: سلاح مكافحة الشغب الذي يحتوي على طلقات بلاستيكية غير قاتلة، والقادر على تفريغ مجمل مخزن طلقاته خلال أربع ثوان. ستة من الرجال الاثني عشر يحملون تلك القاذفات. الستة الآخرون يحملون بنادق رشّاشة متطوّرة أثبتت فاعليتها في جولات القتال.

«الفريق الثاني، الحالة؟» ينادي القائد.

الفريق الثاني، الرجال الأربعة على السطح: «الفريق الثاني في الوضع الأحمر». اثنان من جنود القوات الخاصة للاستجابة السريعة يستعدان للهبوط من السقف إلى الشرفة في الأسفل.

اثنان آخران يؤمّنان السقف للسيطرة على أيّ محاولة للهرب.

«لكن لن يكون هناك مهرب،» يعرف كريستوف. «هذا الرجل لي».

إنه بالنسبة إليّ بن لادن نفسه.

من خلال سماعة الأذن، يقول القائد: «الفريق الثالث، أكّد عدد الأهداف ومواقعها».

الفريق الثالث عبارة عن مروحيّة الشبح، تستخدم التصوير الحراري عالي الطاقة للكشف عن عدد الأشخاص في مختلف مستويات البرج السكني.

ويأتي الرد: «خمسة أهداف، أيها القائد. أربعة داخل

الشقة، تجمعوا في الغرفة الأمامية، وواحد في الشرفة».

«الفريق الأول، ينتقل إلى الوضع الأصفر». يعود كريستوف إلى رجاله ويومئ لهم. يرفعون أسلحتهم. يتحوّل كريستوف ببطء إلى مزلاج باب الدرج، ثم يُسرع بخفّة مُسيطراً على اندفاع الأدرينالين. الرواق فارغ وهادئ.

يتقدّمون ببطء، واثنا عشر رجلًا منهم جاثمين، رافعين بنادقهم، ويقيسون كل خطوة لتخفيف وقع أقدامهم على الأرضية المُغطاة بالسجاد. يتسللّون نحو الباب الوحيد إلى اليمين.

حواسّ الجنرال في حالة تأهب قصوى، يشعر كريستوف بحرارة وطاقة الرجال خلفه، ويشم رائحة ليمون من السجادة، ويسمع الأنفاس الثقيلة خلفه، وصوت ضحك ضبابيّ غامض أسفل المدخل.

على بُعد ثمانية أمتار. ستة أمتار. يتدفّق الأدرينالين أكثر. تتسارع نبضات قلبه. لكن توازنه ثابت، وثقته عالية...

«انقر... انقر... انقر».

يحرّك رأسه إلى اليسار. الصوت غير واضح لكنه مُميّز. صندوق مربّع صغير على الحائط، ترموستات...

«لا، ليس ترموستات».

«تبًّا» يقول.

82

يشعل سليمان سيجارة ويدقق في هاتفه. لا جديد على الصعيد الدولي. يبدو أنهم قلقون بشأن مشكلة المياه في لوس أنجلوس. هل وقع الأمريكيون في فخ هذه المشكلة؟ يتساءل.

داخل الشقة، يمسك هاجان بوعاء فضّي من مائدة الطعام ويتقيأ فيه. ربما كانت الشمبانيا باهظة الثمن، يقرر سليمان. ربما يكون هاجان كاتب شفرات بارع، لكنه لم يكن قط يشرب كثيرًا من...

صوت صفير مرتفع يأتي من هاتف سليمان، صوت نغمة محفوظة تعني أمرًا واحدًا فقط.

إنه اختراق لجهاز الاستقبال في الرواق.

بشكل غريزيّ يضع يده بسرعة على السّلاح جانبه، ذي الرصاصة الوحيدة.

على الدوام كان يأخذ على نفسه عهدًا بأنه لن يُقبَض عليه حيًّا، ولن يوضع في قفص أو يخضع للاستجواب، ولن يتعرّض للضرب، أو الإيهام بالغرق، أو العيش كحيوان. يفضّل الخروج بشروطه الخاصة، سيصوّب المسدس تحت ذقنه ويُفجّر الزناد.

لكنه كان دائمًا يعلم، رغم كل وعوده لنفسه، أنّ هناك لحظة من الحقيقة قادمة لا محالة. وكان دائمًا يتساءل عما إذا كانت لديه الشجاعة للتعامل معها.

83

«لقد كُشِفنا!» يقول كريستوف في همسة قاسية. «الفريق الأول ينتقل إلى الوضع الأخضر».

«الفريق الأول، انتقل إلى الوضع الأخضر».

كل ذريعة للتسلّل قبل الهجوم ذهبت، لذا يندفع الرجال إلى الباب، وينتشرون في وضعية الدخول المزدوج، خمسة رجال على كل جانب، ورجلان يقفان إلى جوار مِدَكّ، يحافظان على توازنهما استعدادًا للهجوم.

«الهدف في الشرفة عاد إلى داخل الشقة». يقول قائد الفريق الثالث، في المروحية مع كاميرا التصوير الحراري.

إنه هو، يُميّزه كريستوف، ويشحذ عزيمته.

يدكّون الباب بحركة سريعة صادمة، فتتخلّع مفاصله، ويسقط الجزء العلوي إلى الأمام في الشقة مثل جسر متحرك قُطِع من سلسلته.

يُلقي الجنود الأقرب إلى الباب قنابل ومْضيّة في كل جانب من الشقة، ويبتعدون بسرعة عن العتبة. وبعد ثانية تنفجر القنابل فتُنتج صوتًا عاليًا وارتجاجًا وضوءً حارِقًا يسبب العمى. هكذا، لمّدّة خمس ثوان، سيصبح كل من في الشقة مكفوفًا وأصمًّا وفاقدًا التوازن.

واحد، اثنان. يدخل كريستوف أولًا عبر الباب بينما يتلاشى الضوء الأبيض، ولا تزال ضجّة ما بعد الانفجار مسموعة.

«لا تتحرك! لا تتحرك!» يصرخ باللغة الألمانية كما يصرخ

أحد أعضاء الفريق نفسه باللغة التركية.

يمشّط الغرفة ورأسه يدور يمينًا وشمالًا.

الرجل السمين في القميص البنفسجي، سقط نصفه قبالة الأريكة، وأغمض عينيه بقوة. ليس هو.

الرجل في القميص والسروال الداخليّين، ذاهلًا للخلف بينما يقبض على زجاجة ماء، مُنهارًا على الأَرض. لا أحد. الرجل دون قميص في حالة ذهول، على الأرض، ووعاء الفاكهة مُندلِق على صدره. لا.

ينتقل كريستوف إلى الجانب الآخر من الأريكة، حيث يسقط رجل يرتدي ملابس داخلية فقط على الأريكة ويبدو فاقدًا الوعي. ليس...

وعبر الباب الزجاجي المُنزلق المؤدي إلى الشرفة، وآخر هدف، تستلقي خائرة القوى على الأرض: فتاة آسيوية شابة ترتدي حمالة صدر وملابس داخلية وقد ارتسم على وجهها تعبير مؤلم.

«فقط خمسة أهداف، الفريق الثالث؟» يصيح.

«هذا مؤكد، يا قائد الفريق. خمسة أهداف».

ينتقل كريستوف إلى ما وراء الفتاة الآسيوية، التي رضخت بالفعل لأحد الجنود. ينزلق من الباب الزجاجي المفتوح ويتّجه منحنيًا إلى الشرفة، فيما يتأرجح سلاحه مُكافِح الشغب من جانب إلى آخر. المكان فارغ. «الشقة خالية». هذا ما يخبره به الشخص الثاني في القيادة، حيث يعود كريستوف إلى غرفة المعيشة، بينما يتدفق الأدرينالين

فيه، فينخفض كتفاه.

ينظر حوله مقهوراً، بينما الأهداف الخمسة مقيّدة ومرفوعة على أقدامها، ذاهلة - هذا في حال كانت واعية.

ثم تتحرّك عيناه إلى ركن الغرفة.

وتطلّ الكاميرا عليه.

84

«يوم جيد!» يقول سليمان بالألمانية، مؤديًا تحية عسكرية قصيرة للجندي الذي لا يمكنه رؤيته. يبدو الجندي محبَطًا جدًّا إلى درجة شعر عندها سليمان بالأسف عليه.

ثم أغلق حاسوبه المحمول فيما يقترب من النادل في حانة في الهواء الطلق على نهر سبري، على بعد عشرين كيلومترًا عن البرج السكني.

«هل سيكون هناك أي شيء آخر الليلة يا سيدي؟» يقول النادل.

يقول سليمان: «فقط الفاتورة». إنه في حاجة للمغادرة. تنتظره رحلة طويلة بالمركب.

85

داخل خيمة الاتصالات السوداء، ينهي المستشار ريتشتر مكالمته الهاتفية. «أنا آسف، سيدي الرئيس».

أسأل: «ذهب دون أثر؟»

«نعم. وقال الأشخاص الآخرون الذين قُبِض عليهم في المُداهمة، إنه غادر قبل ساعتين تقريبًا».

سَبَقَنا بخطوة، كالمعتاد.

«أنا... أنا بحاجة إلى التفكير». أقول.

أشقّ سديلة الخيمة وأخطو عائدًا إلى البيت الريفي. كانت آمالي كبيرة، أكبر من قُدرتي على الاعتراف بها. تلك كانت أفضل فرصة لنا. الشخص الأخير الذي يمكن أن يوقف الفيروس.

أتّجه إلى الطابق الأرضي، يتبعني أليكس تريمبل. أسمعهم من الرواق، قبل أن أدخل غرفة الحرب.

أتوقف عند الباب، أحافظ على مسافة بيني وبينهم. يتجمّع التقنيّون عبر مكبرات الصوت، ولا شك في أنهم سيتحدّثون مع بقية فريق الاستجابة للتهديد في البنتاغون.

«أقول إذا قمنا بعكس التسلسل!» يقول ديفين في الهاتف. «أنت تعرف ما يعنيه العكس، أليس كذلك؟ لديك قاموس هناك في مكان ما؟»

من مكبّر الصوت: «لكن وانا كريبت لم يفعل ذلك... ((33))»

«هذا ليس وانا كريبت، جاريد! هذا ليس رانسوموراي. هذا لا يشبه وانا كريبت. هذا يختلف عن أي شيء رأيته في حياتي». يرمي ديفين زجاجة ماء فارغة في الغرفة.

«ديفين، اسمع، كل ما أقوله هو الباب الخلفي..».

مع استمرار المتحدّث في التحدّث، يبحث ديفين عن كايسي. «لا يزال يريد التحدّث عن وانا كريبت. إنه يجعلني أرغب في البكاء ».

تتحرّك كايسي بخطوات سريعة ذهابًا وإيابًا. «إن هذا طريق مسدود». كما تقول.

أنعطف وأغادر الغرفة. أجابوا بالفعل على سؤالي.

أُخبر أليكس: «سأذهب إلى غرفة الاتصالات». يتبعني إلى الباب، لكنني أدخل بمفردي.

أُغلق الباب خلفي، وأُطفئ الضوء.

أنهار على الأرض وأضغط بشدة على عينيّ المُغمضتين أصلًا، رغم أنّ الغرفة مظلمة بالفعل. أمدّ يدي إلى جيبي، وأُخرج عملة رينجر، وأحادث نفسي.

تطوعتُ كجندي مشاة في قوات الصاعقة البرية (رينجر)، أعلم تمامًا أخطار مهنتي التي اخترتها...

التدمير المُطلق لأُمّة من ثلاثمئة مليون شخص. ثلاثمئة مليون شخص مُحطّم، ويائس، ومذعور، سُلِب منه كل شيء - سلامته، وأمنه، ومُدّخراته، وأحلامه - حطّم عدد قليل من عباقرة الكمبيوتر كل شيء.

... تنتظر بلادي منّي أن أتحرّك أكثر وأسرع وأن أقاتل

أكثر من أيّ جندي آخر..

... سأتحمّل أكثر من نصيبي في هذه المهمّة، أيًا كان، مئة في المئة...

اختُبِرت مئات أجهزة الكمبيوتر دون فائدة. أفضل الخبراء لدينا يجهلون كُلّيًا كيفية وقف الفيروس. فيروس يمكن أن ينفجر في أي لحظة، والرجل الوحيد القادر على وقفه يتلاعب بنا، ويراقب من مكان بعيد بينما اقتحمت القوات الخاصة الألمانية مقر إقامته.

... سأهزمهم في ميدان المعركة ...

الاستسلام كلمة لا يعرفها مشاة الصاعقة...

ربما لا، لكن إذا ترسّخ الفيروس، فلن يكون أمامي خيار سوى فرض أكثر التدابير استبدادية، فقط لمنع الناس من قتل بعضهم بعضًا للحصول على الطعام والمياه النظيفة والمأوى.

إذا حدث ذلك، فسوف نكون غير قادرين على التنبؤ بما سيأتي. لن نكون بعد الآن الولايات المتحدة الأمريكية كما عرفها أحد أو تصوّرها. لنقُل شيئًا عن حقيقة أنه مع كل المشاكل في شوارع أمريكا، فإن هناك فرصة حقيقية لأن نجد أنفسنا في حرب، مع احتمالٍ لتبادل إطلاق الأسلحة النووية أكبر من أيّ وقت مضى منذ الرئيس كينيدي وخروتشوف.

أحتاج أن أتحدّث إلى شخص آخر. أمسك هاتفي وأطلب الشخص الذي ألجأ إليه. بعد ثلاث رنّات، يجيب داني أكيرز.

«سيدي الرئيس». يقول.

مجرد سماع صوته يرفع معنوياتي.

«لا أعرف ما يجب القيام به، يا داني. أشعر أنني فعلًا سِرت إلى أن وقعتُ في كمين. أنا بعيد عن تحقيق أي تقدّم لإنقاذهم. قد يضربوننا هذه المرة. ولا أملك أي إجابة».

«ستفعلها، رغم ذلك. أنت دائمًا تفعلها. دائمًا».

«لكن هذا الأمر مختلف».

«أتذكر عندما قمتَ بتسخير قدراتك لشركة برافو للتسليح في عاصفة الصحراء؟ ماذا حدث؟ رغم أنك لم تكن قد ذهبت إلى مدرسة الصاعقة حتى ذاك الوقت، فإنها جعلتك عريفًا لتتمكن من قيادة الفريق بعد إصابة دونلين في البصرة. ربما كنتَ الأسرع صعودًا إلى رتبة قائد فريق في تاريخ شركة برافو ».

« كان ذلك مختلفًا أيضًا».

«لم تتم ترقيتك دون سبب، جون. خاصة مع جميع أولئك الأشخاص الآخرين الذين مروا على الأكاديمية. لماذا؟ »

«لا أعرف. لكن هذا كان..».

«تبًا، حتى أنني سمعت عن ذلك في الولايات المتحدة رغم أنه حدث في العراق! قال الملازم إنه عندما سقط دونلين وكنتَ تحت نيران العدو، تقدّمتَ للأمام. لقد أسماك القائد بالفطرة الذي يحافظ على رأسه ويجد طريقه!

وهو مُحقّ. جوناثان لينكون دنكان - وأنا لا أقول هذا لأنني أحبك - لا يوجد أحد أفضل منك لتولي المسؤولية الآن».

سواء كان ذلك صحيحًا أم لا، وإذا كنت أصدّق أم لا، فأنا المسؤول. إنه وقت التوقّف عن النحيب وابتلاعه. «شكرًا، داني». وأدفع نفسي للوقوف على قدميّ. وأكمل: «أنت كاذب، لكن شكرًا».

يقول لي: «حافظ على رأسك وجِد طريقة، سيدي الرئيس».

---

(33) هجوم وانا كراي الإلكتروني أو ما يعرف بهجوم WannaCrypt أو Wannacrypt0r 2.0 هو هجوم بيرمجية الفدية بدأ في الساعات الأولى من يوم 12 مايو 2017 واستطاع الإطاحة بأكثر من 230 ألف جهاز إلكتروني في 99 دولة حول العالم حسب اليوروبول.

86

أضغط بقوة لإنهاء المكالمة الهاتفية وأقلب الضوء العلوي. قبل أن أفتح الباب، أتلقى مكالمة أخرى. إنها كارولين. «سيدي الرئيس، إنها ليز على الخط ».

«سيدي الرئيس، عرضنا جهاز كشف الكذب على نائبة الرئيس». تُكمل ليز: « كانت النتائج غير حاسمة».

أسأل: «ما معنى هذا؟»

«المعنى أنه لم نميّز الصّدق من الخداع».

«إذن ماذا نفعل بذلك؟»

«حسنًا، يا سيدي، بصراحة، كانت النتيجة الأكثر احتمالًا. لقد جمعنا الأسئلة بسرعة عندما أعدنا صياغتها بعناية فائقة. ومستوى الإجهاد الذي تعاني منه، سواء أكانت بريئة أم مذنبة، أمر هائل».

مررتُ بتجربة اختبار كشف الكذب مرة واحدة. دفعني العراقيون لها. سألوني جميع أنواع الأسئلة الممكنة حول تحرّكات القوات ومواقع الممتلكات. كذبتُ عليهم بست طرق مختلفة إلى يوم الأحد، لكنني تجاوزته بنجاح. لأنني تعلّمت التدابير الوقائية. فقد كان جزءًا من تدريبي. هناك طرق للتغلّب على هذا الصندوق. «هل نمنحها نقاطًا لتطوّعها في المرور على جهاز كشف الكذب؟»

«لا، لن نفعل». وتقول كارولين: «إذا فشلت في الاختبار، فإنها ستلقي اللوم على الإجهاد وهي تسأل هذا السؤال ذاته - لماذا أتطوع للمرور على جهاز كشف

الكذب إذا كنتُ أعرف أنني سأفشل؟»

«إلى جانب ذلك». تضيف ليز غرينفيلد: «كانت تعلم أنه عاجلًا أو آجلًا سوف نأتي بها إلى جهاز كشف الكذب هي وكل شخص آخر. لذا كانت نتطوع لشيء تعرف أنه عليها القيام به في النهاية على أي حال».

إنها على حق. كاثي ستكون عمليّة بما يكفي لتفكّر في ذلك.

يا يسوع، ألا يمكننا أن نأخذ استراحة.

أقول: «كارولين، لقد حان الوقت لإجراء المكالمات الهاتفية».

87

«السيد رئيس المحكمة العليا، أتمنى لو أستطيع أن أخبرك أكثر». أقول في الهاتف، وأكمل: «كل ما يمكنني قوله الآن هو إنه من المهم أن يكون أعضاء المحكمة آمنين، ومن المهم أن أحتفظ بقنوات اتصالات مفتوحة بك».

«أفهمك، سيدي الرئيس». يقول رئيس المحكمة العليا في الولايات المتحدة.

«نحن جميعا آمنون. وكُلّنا نُصلّي من أجلك ومن أجل بلادنا ».

وتجري المكالمة الهاتفية مع زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ بالطريقة نفسها بينما يتمّ نقله هو وفريق قيادته إلى المخابئ تحت الأرض.

ليستر رودز، يشكّك في حدسي بعد أن أسخّر له أقصى ما أستطيع لحمايته، يقول: «أي نوع من التهديد الذي ننظر إليه؟»

«لا أستطيع أن أوضح ذلك الآن، ليستر. أنا فقط بحاجة لك ولفريقك الآمِن في القيادة. بمجرّد أن يمكنني ذلك سأخبرك».

أعلّق قبل أن يسألني ما الذي يعنيه هذا لجلسة استماع اللجنة المختارة الأسبوع المقبل، والتي كانت بالتأكيد في ذهنه. من المحتمل أنه يعتقد أنني أحاول تحويل انتباه البلاد لإلهائهم عما يحاول القيام به من أجلي. رجل مثل ليستر، إنه المكان الأول الذي يذهب إليه عقله. ها نحن

نتعامل مع هذا مثل سيناريو ديفكون1، بما في ذلك اتخاذ إجراءات لضمان استمرارية حكومتنا، ولا يزال يتعامل معها مثل السياسة الرخيصة.

داخل غرفة الاتصالات، أنقر على الكمبيوتر المحمول وأستدعي كارولين بروك.

«سيدي الرئيس». تقول: «كلهم آمنون في مركز العمليات».

أسأل: «بريندان موهان؟» في إشارة إلى مستشاري للأمن القومي.

«إنه آمِن، نعم».

«رود سانشيز؟» رئيس هيئة الأركان المشتركة.

تقول كارولين: «إنه آمِن».

«دوم دايتون؟» وزير الدفاع.

«آمِن».

«إيريكا بيتي؟»

«إنها بأمان يا سيدي».

«سام هابر؟»

«نعم، يا سيدي».

«ونائبة الرئيس».

عُصبة الستة.

تقول كارولين: «كُلّهم آمنون في مركز العمليات».

حافظ على رأسك وجِد طريقة.

أقول لها: «أبلغيهم أن يستعدوا للتحدّث معي في غضون بضع دقائق».

88

أعود إلى غرفة الحرب، حيث لا يزال فنّيو الكمبيوتر يبذلون كل جهد يمكنهم تقديمه. فمع وجوههم الشابة نسبيًّا، وعيونهم المتعبة، والمُحتقنة بالدماء، والحاجة المُلِحّة إليهم، فإنهم يبدون مثل طُلَّاب يتأهبون للاختبارات النهائية، وكذلك هو حال خبراء الأمن الإلكتروني الذين يحاولون إنقاذ العالم.

أقول: «توقفوا، ليتوقف الجميع».

تمضي الغرفة للهدوء. كل العيون مصوبة عليّ.

«هل هذا ممكن». وأقول: «أنتم يا قوم أذكياء جدًا؟»

«أذكياء جدًا، يا سيدي؟»

«نعم. من الممكن أن تحمل معارف غزيرة، وأنت تعمل ضد شيء معُقّد للغاية، بحيث أنك لم تفكّر في حل بسيط؟ لأنه لا يمكنك رؤية الغابة إن كنت بين الأشجار؟»

تنظر كايسي حول الغرفة، وتُبرز يدها. «عند هذه النقطة، أنا منُفتِحة على..».

«أَريني». أقول لها: «أريد أن أرى هذا الشيء».

«الفيروس؟»

«نعم، كايسي، الفيروس. ذاك الذي سيُدمّر بلادنا، إذا لم تكوني أكيدة من الفيروس الذي قصدته».

الجميع متوتّر، وفي حالة إرباك، وجوّ من اليأس يسود الغرفة.

«آسف يا سيدي». تُخفض رأسها وتذهب للعمل على كمبيوتر محمول. وتقول: «سأستخدم برنامج الشاشة الذكية». ولأول مرة ألحظ أنّ اللوح الأبيض هو نوع من أنواع السبورة الذكية للكمبيوتر.

ألقي نظرة على الشاشة الذكية. فجأة تظهر قائمة طويلة من الملفات. تُمرّر كايسي المؤشّر للأسفل حتى تنقر على أحدها.

«هذا هو». تقول: «فيروسك».

أُلقي نظرة عليه، وأقوم بنقرة مزدوجة:

Suliman.exe

« كم هو متواضع». أقول. أطلق على الفيروس اسمه! «هذا هو الملف الذي لم نتمكن من العثور عليه لمدة أسبوعين؟»

تقول كايسي: «سيدي، لقد تجنّبَ الكشف. برمجَته نينا ليتجاوز تسجيل الدخول و... حسناً، لذلك يختفي أساسًا كلما بحثنا عنه».

أهزّ رأسي. «هل يمكنكِ فتح هذا الشيء؟ هل يفتح؟»

«نعم يا سيدي. استغرقنا بعض الوقت للقيام بذلك». تطبع على حاسوبها المحمول، ومحتويات الفيروس تظهر على الشاشة الذكية.

لا أعرف ما الذي كنتُ أتوقّعه. ربما حيوان كَرْغَل صغير أخضر، يستعد لامتصاص البيانات والملفات مثل ذاك الذي يظهر في لعبة باكمان!

إنها مجرد حفنة من الفوضى المزدحمة. ستة أسطر من الرموز والحروف - رموز العطف ورموز الجنيه، والحروف

الكبيرة والصغيرة، والأرقام وعلامات الترقيم - التي لا تشبه أي كلمة مكتوبة بأي لغة.

«هل هذا نوع من الشّفرات التي من المفترض أن نكشفها؟»

«لا». يقول أوجي: «إنه غامض. قامت نينا بتشويش الشّفرة الخبيثة بحيث لا يمكن قراءتها، ولا يمكن عكسها. المقصود هو جعله غير قابل للقراءة».

«لكنك أعدت تطويره، أليس كذلك؟»

«فعلنا، إلى حد كبير». يقول أوجي، ويضيف: «لقد حصلتَ على أشخاص رائعين في هذه الغرفة، لكن لا يمكننا التأكد من أننا أعدنا تطوير كل شيء. ونحن نعلم أننا لم نقم بإعادة تطوير آلية التوقيت».

أزفر، وأضع يديّ على وركيّ، وأخفض رأسي.

«حسنًا، لا يمكنك تعطيله. قتْله. أيًّا كان».

تقول كايسي: «هذا صحيح. كلما حاولنا تعطيل أو إزالة الفيروس، فإنه ينشط».

«وضّح لي كلمة *ينشط*. هل تقصد أنه يحذف جميع البيانات؟»

«إنه يقوم باستبدال كل الملفّات النشطة». تُكمل: «ولا يمكن ترميم تلك الملفّات».

«إذن، الأمر مثل حذف أحد الملفات ثم حذفه مرة أخرى من سلة المهملات، مثلما حدث معي في التسعينيات مع جهازي ماكنتوش؟»

تُجعّد أنفها وتجيب: «لا. الحذف يختلف. عندما يُحذَف شيء ما، يتم وضع علامة عليه كمحذوف. لأنه يصبح غير نشط، ويصبح مكانه مساحة غير مخصصة يمكن استبدالها عندما يصل التخزين إلى السعة القصوى..».

«كايسي، لأجل المسيح. هلّا تحدّثتِ بلغة أفهمها؟»

تدفع نظارتها السميكة على قصبة أنفها، وتقول: «لا يهمّ حقًا يا سيدي. كل ما كنت أقوله، عندما يحذف المستخدم ملفًا، فإنه لا يختفي على الفور وإلى الأبد. يشير الكمبيوتر إليه كملف محذوف، بحيث يتم فتح مساحة في الذاكرة، ويختفي من الملفات النشطة. لكن يمكن لخبير إعادة بنائه. ليس هذا ما يفعله هذا الفيروس. يقوم الفيروس الماسِح باستبدال البيانات. وهذا دائم».

«أريني». أطلب منها مرة أخرى. «أريني الفيروس وهو يستبدل البيانات».

«حسنًا. لقد قمنا بعمل محاكاة في حال كنتَ ترغب في رؤيتها». تعمل كايسي من خلال شيئين على الكمبيوتر بسرعة لدرجة أنني لا أعرف حتى ما فعلته. «هذا ملف عشوائي نشط على هذا الكمبيوتر المحمول. انظر هنا؟ كل الصفوف، الخصائص المختلفة للملف؟»

على الشاشة الذكية، فُتح مربع يُظهِر خصائص ملف واحد. سلسلة من الصفوف الأفقية، كل منها مشغول برقم أو كلمة.

«سأعرض عليك الآن الملف نفسه بعد استبداله».

فجأة تظهر صورة مختلفة على الشاشة الذكية.

مرة أخرى، كنتُ أتخيّل شيئًا مثيرًا، لكن التجربة البصرية الفعلية هي دون شك مُخيّبة للآمال.

أقول: «إنه مُطابق، باستثناء أنه تم استبدال الصفوف الثلاثة الأخيرة بأصفار».

«هذا هو الاستبدال. الصفر. لا يمكننا أبدًا إعادة بنائه بمجرد ذهابه».

حزمة من الأصفار. سوف تتحول أمريكا إلى دولة من دول العالم الثالث من خلال مجموعة من الأصفار.

«اعرضي لي الفيروس مرة أخرى». أقول.

تعرضه مرة أخرى على الشاشة، عملية دمج للأرقام والرموز والحروف.

«لذلك هذا الشيء يذهب بوووم! وكل شيء يختفي بهذا الشكل؟» أُطقطق أصابعي.

«ليس تمامًا». تقول كايسي: «بعض الفيروسات الماسِحة تعمل بهذه الطريقة. يذهب هذا إلى ملف تلو آخر. إنه سريع إلى حد ما، لكنه أبطأ من طقطقة الإصبع. الأمر أشبه بالفرق بين الموت المفاجئ من مرض الشريان التاجي مقابل الموت البطيء من السرطان».

«بطيء إلى أيّ حدّ؟»

«ربما، لا أعرف، حوالي عشرين دقيقة».

اعثروا على طريقة.

«هذا الشيء لديه آلية توقيت داخله؟»

«ربما. لا يمكننا أن نجزم بذلك».

«حسنًا، ما هو الاحتمال الآخر؟»

«إنه ينتظر أمرًا ما لتنفيذه. إنّ الفيروسات الموجودة في كل جهاز مصاب يتواصل بعضها مع بعض. سيصدر أحدهم أمرًا بالتنفيذ، وسينفّذ الجميع، في وقت واحد».

ألقي نظرة على أوجي، وأسأله: «ما هذا؟»

يستهجن، ويردّ قائلًا: «لا أعرف. أنا آسف. لم تُشركني نينا في هذا».

«حسنًا، ألا يمكننا اللعب في التوقيت؟» أسأل: «ألا يمكننا تغيير التوقيت على جهاز الكمبيوتر بحيث يكون عامًا مختلفًا؟ إذا كان من المُقرر أن ينفجر اليوم، ألا يمكننا تغيير الساعة والتقويم بأن نرجع قرنًا إلى الوراء؟ لذلك سيعتقد أنّ عليه الانتظار مئة عام للخروج؟ أعني، كيف يعرف هذا الجحيم التاريخ والعام الذي نحن فيه إذا أخبرناه بشيء مختلف؟»

يهز أوجي رأسه، ويقول: «لم تربطه نينا بساعة الكمبيوتر. إنه غامض للغاية ومن السهل التلاعب به. إما أن يتحكم بها بشكل رئيس أو أنها أعطته فترة زمنية محددة. ستعود للوراء في التاريخ والوقت المطلوبين، وتحسب من حيث عدد الثواني، وتأمره أن ينفجر بعد تلك الثواني».

«قبل ثلاث سنوات فعلت ذلك؟»

«نعم، سيدي الرئيس. ستكون عملية ضرب بسيطة. وستكون تريليونات من الثواني، لكن فليكن ذلك. إنها لا

تزال مجرد رياضيات».

أنكمش في مكاني.

«إذا لم تستطع تغيير المؤقت» أسأل: «فكيف إذن أطلقتم هذا الفيروس؟»

يقول ديفين: «لقد حاولنا إزالة الفيروس أو تعطيله. ومع ذلك أُطلِق. لديه وظيفة مُشغّل، مثل فخ خادِع، إنه يميّز النشاط العدائي».

يقول أوجي: «لم نتوقّع نينا من أحد أن يكتشفه. وكانت مُحِقّة. لم يفعل أحد. لكنها ركّبت هذا المُشغّل في حال فعل شخص ما».

«حسنًا». أقول، وأخطو للغرفة قائلًا: «اعمَل معي. فكّر في الصورة الكبيرة. صورة كبيرة لكن بسيطة».

الجميع يومئ موافقًا، ويركّزون، وكأنهم يعيدون التفكير. اعتاد هؤلاء الناس على التطور، والمسابقات الذهنية، ومطابقة الذكاء مع الخبراء الآخرين.

«هل يمكننا - هل يمكننا عزل الفيروس بطريقة أو بأخرى؟ مثل أن تضعه داخل صندوق لا يمكن رؤيته؟»

يهزّ أوجي رأسه قبل أن أُنهي جملتي. «سيستبدل جميع الملفات النشطة، سيدي الرئيس. لا صندوق سيغير ذلك».

تقول كايسي: «لقد حاولنا ذلك، صدّقني. جرّبنا عددًا من التطبيقات المختلفة لهذه الفكرة. لا يمكننا عزل الفيروس عن بقية الملفات».

«هل يمكننا... ألا يمكننا فقط أن نفصل كل جهاز عن الإنترنت؟»

يحني رأسها. «ربما. من الممكن أن يكون هذا نظام توزيع، بمعنى أنّ الفيروسات تتواصل من جهاز إلى آخر، كما قلنا للتو، وسوف يرسل أحدهم أمر التنفيذ إلى الفيروسات الأخرى. من الممكن أنها أعدّتها بهذه الطريقة. لذا إذا فعلت ذلك، وإذا قطعنا كل شيء عن الإنترنت حينئذ، فلن يتم استلام أمر التنفيذ هذا ولن يتم تنشيط الفيروس الماسح».

«حسنًا. إذن..». أقول، وأنحني إلى الأمام.

«سيدي، إذا فصلنا كل شيء عن الإنترنت... فنحن نقوم بفصل كل شيء من الإنترنت. وإذا طلبنا من كل مزود لخدمة الإنترنت في البلاد أن يفصل..».

«كل شيء يعتمد على الإنترنت سوف يتوقف عن العمل».

«سنقوم بعملهم لأجلهم، سيدي».

يقول ديفين: «سنفعل ذلك حتى ونحن لا نعرف إن كان ذلك سيكون ناجحًا يا سيدي. لكل ما نعرفه، لكل فيروس جهاز توقيت داخلي خاص به، مستقل عن الإنترنت. قد لا تتواصل الفيروسات الفردية بعضها مع بعض. نحن لا نعلم».

«حسنًا». أُكتّف يديّ. «امضوا قُدُمًا. تابعوا التفكير. ماذا عن... ماذا يحدث للفيروس الماسح بعد أن يُمسح؟»

يفتح ديفين يديه. «بعد أن ينتهي، يتعطّل جهاز الكمبيوتر. بمجرّد استبدال ملفّات التشغيل الأساسية، يتعطّل الكمبيوتر إلى الأبد».

«لكن ماذا يحدث للفيروس؟»

تستهجن كايسي سؤاله، وتجيب: «وماذا يحدث لخلية سرطانية بعد موت الجسد المضيف؟»

«إذن، فأنت تقولين إن الفيروس يموت عندما يموت الكمبيوتر؟»

«أنا..». تقول كايسي، وتنظر إلى ديفين ثم أوجي، وتقول: « كل شيء سيفنى».

«حسنًا، ماذا لو تعطّل الكمبيوتر لكنك أعدت تثبيت برنامج التشغيل وقمت بإعادة تشغيل الكمبيوتر بنسخة احتياطية مرة أخرى؟ هل سيكون الفيروس هناك في انتظارنا مرة أخرى؟ أو هل سيكون ميتًا؟ أو نائمًا إلى الأبد، على الأقل؟»

يُفكّر ديفين في ذلك ثانية واحدة. «لن يهم يا سيدي. الملفّات التي تهمك تمّ استبدالها، وذهبت إلى الأبد».

«هل يمكننا - لا أفترض أنه يمكننا فقط إيقاف جميع أجهزة الكمبيوتر لدينا والانتظار حتى يمر الوقت؟»

«لا يا سيدي».

أتراجع إلى الوراء وأنظر إلى ثلاثتهم، كايسي وديفين وأوجي. «عودوا إلى العمل. كونوا مبدعين. واقلبوا كل شيء رأسًا على عقب. جِدوا طريقة».

أندفع بقوة خارج الغرفة، وأقترب من أليكس في سيره، وأتّجه إلى غرفة الاتصالات.

ستكون هذه فرصتي الأخيرة. السلام عليك يا مريم العذراء

89

عُصبة الستة كما أسميتهم، كلهم يظهرون أمامي على شاشة الكمبيوتر. واحد من هؤلاء الأفراد الستة - بريندان موهان، رئيس وكالة الأمن القومي؛ ورودريغو سانشيز، رئيس هيئة الأركان المشتركة؛ ودومينيك دايتون، وزير الدفاع؛ وإيريكا بيتي، مديرة وكالة الاستخبارات المركزية؛ وسام هابر، وزير الأمن الداخلي؛ ونائبة الرئيس كاثرين براندت واحدة منهم لا تزال...

«خائن؟» يقول سام هابر، مُخترقًا الصمت.

«أحدكم فعلها دون شك» أقول.

لا أستطيع أن أنكر بعض الراحة التي سرَتْ في روحي، بعد أن انسكب السرّ أخيرًا. خلال الأيام الأربعة الماضية، عرفتُ أنّ هناك شخصًا ما يعمل من الداخل مع عدوّنا. لقد استنفدتُ كل انفعالاتي مع هذه المجموعة. من الجيد أن تكشف الحقيقة لهم في النهاية.

«إذن ها نحن هنا». وأكمل: «كائنًا من تكون، لا أعرف لماذا فعلت ذلك. أفترض أنه المال، لأنني لا أستطيع أن أحمل نفسي على الاعتقاد بأن أيًا منكم، أنتم الذين كرّستم حياتكم للخدمة العامة، سيكره هذه البلاد حدّ أنه يرغب في رؤيتها تنهار مُشتعلة. ربما تورّطتَ في ذلك. وربما كنت تعتقد أنّ هذا كان نوعًا ما اختراقًا عاديًا. سرقة بعض المعلومات الحساسة أو شيء من هذا القبيل. أنت لم تدرك أنك ستطلق العنان لكلاب الصيد في بلادنا. ومع الوقت أدركتَ ذلك، لكن كان الوقت قد فات على التراجع.

أستطيع أن أصدّق ذلك. يمكنني أن أصدّق أنك لم تكن تنوي أن تصل الأمور إلى هذه الدرجة من السوء».

ما أقوله يجب أن يكون صحيحًا. لا أصدّق أنّ الخائن الذي بيننا يريد حقًا تدمير بلادنا. ربما هو أو هي يكون قد تعرّض للاختراق بطريقة أو بأخرى مع ابتزاز، أو ربما يكون قد استسلم لرشوة جيدة من الطراز القديم، لكن لا أستطيع أن أصدّق أنّ أحد هؤلاء الأشخاص الستة هو عميل سرّي لحكومة أجنبية تريد تدمير الولايات المتحدة.

وحتى لو كنتُ مخطئًا، فأنا أريد أن يعتقد الخائن أنني أرى الأشياء بهذه الطريقة. أحاول أن أعطيه أو أعطيها مخرجًا.

«لكن لا شيء من هذا يهم الآن». وأتابع: «ما يهم الآن هو إيقاف هذا الفيروس قبل أن يُطلَق ويعيث فسادًا. لذلك سأفعل شيئًا لم أظن أني سأفعله».

لا أستطيع أن أصدّق أني أفعل هذا، لكن ليس لديّ خيار آخر.

«بِغضّ النظر عمن تكون، إذا تقدّمت إلى الأمام وساعدتني في إيقاف الفيروس، فسأعفو عن جميع الجرائم التي ارتكبتها».

أتفحّص وجوه الستة بينما أتفوّه بهذه الكلمات، لكن الشاشات صغيرة جدًا لملاحظة أي ردّ فعل معين.

«أيًّا يكن، الخمسة الآخرون منكم هم شهود على ما قلته للتوّ. سوف أعفو عن جميع جرائمك إذا تعاونت معي، وإذا ساعدتني في إيقاف الفيروس وأخبرتني من يقف

وراء هذا. وسوف أقوم بتصنيف اعترافك كمعلومة سرّية قُصوى. وسوف تستقيل من منصبك وتغادر البلاد على الفور ولن تعود أبدًا. لن يعرف أحد سبب مغادرتك. ولن يعلم أحد ما فعلت. إذا تلقّيتَ مالًا من عدوّنا، فيمكنك الاحتفاظ به. ستغادر هذه البلاد، ولن يُسمح لك بدخولها مرة أخرى. لكنك ستحصل على حريتك، التي هي أكثر بكثير مما تستحق. إذا لم نتقدّم الآن، فاعلم هذا: أنك لن تفلت بفعلتك. ولن أرتاح حتى أعلم من المسؤول. ستتم محاكمتك وإدانتك في عدد من الجرائم التي لم أتمكّن من إدراجها جميعًا. لكن إحداها ستكون خيانة الولايات المتحدة، التي ستحكم عليك بالموت».

آخذ نفسًا. «هذا كل شيء». وأضيف: «يمكنكَ اختيار الحرية، وربما الثراء، مع تغطية كاملة لما قمت به. أو يمكنك أن تتذكر إيثيل وجوليوس روزنبرغ((34)) أو روبرت هانسن((35)) من هذا الجيل. هذا هو أسهل قرار يتعين عليك اتخاذه».

«هذا العرض ينتهي خلال ثلاثين دقيقة، أو إذا أُطلق الفيروس قبل ذلك، أيهما أقرب». وأكمل: «اتخذ القرار الجيد».

أُنهي الاتصال وأسير خارج الغرفة.

((34)) جوليوس وإيثيل روزنبرغ : هما زوجان شيوعيّان من أصل يهودي، أدينا بتهمة التجسس للاتحاد السوفيتي سنة 1950 وتم الحكم عليهما بالإعدام بالكرسي الكهربائي الذي نفّذ فيهما عام 1953.

(35) روبرت هانسن: هو جاسوس من الولايات المتحدة الأمريكية. كان يعمل عميلًا في مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي (FBI)، وظل يتجسس لصالح الاتحاد السوفييتي ثم روسيا طوال 22 عامًا حتى تم إلقاء القبض عليه عام 2001، وقد قُدّرت الثروة التي جمعها من بيع المعلومات بحوالي 1.4 مليون دولار.

90

أقف في المطبخ المُطِلّ على الفناء الخلفي، حيث الغابة. يخفتُ الضوء بسرعة في الخارج. ساعة أو حوالي الساعة حتى غروب الشمس التي ستسقط خلف الأشجار. «يوم السبت في أمريكا» تبقّى عليه خمس ساعات فقط.

مرّت إحدى عشرة دقيقة وثلاثون ثانية منذ أن قدّمتُ عرضي لعُصبة الستة.

تسير نويا بارام إلى جانبي. وتشبك أصابعها النحيلة الناعمة بأصابعي.

«أردتُ أن أمنح بلادي روحًا جديدة». أقول: «أردت أن نقترب جميعًا من بعضنا. وأردتُ أن نشعر أننا معًا نبنيها. أو على الأقل نتحرك في الاتجاه الصحيح. اعتقدت أنني أستطيع. اعتقدت حقًا أنني أستطيع القيام بذلك».

«لا يزال بإمكانك ذلك» تقول.

أقول: «سأكون محظوظًا إذا تمكنت من إبقائنا على قيد الحياة، وتجنيبنا قتل بعضنا بعضًا من أجل رغيف خبز أو جالون من الغاز».

ستكافح أُمّتنا لأجل البقاء على قيد الحياة. أنا أؤمن بذلك. لكننا سنعود إلى الوراء. وسوف نعاني كثيرًا في هذه العملية.

«ما الذي لم أفعله، نويا؟» أسألها: «ما الذي لم أقم به ويجب عليّ القيام به؟»

تزفر تنهيدة طويلة. «هل تستعد لتعبئة جميع القوات

النشطة والاحتياطية إذا لزم الأمر للحفاظ على النظام؟»

«نعم».

«هل قمت بتأمين قيادة الفرعين الآخرين للحكومة؟»

«نعم».

«هل ستقوم بإعداد إجراءات طارئة لتحقيق الاستقرار في الأسواق؟»

أقول: «أصبتِ بالفعل. ما أعنيه يا نويا، هو ما لم أفعله لوقف هذا؟»

«آه. ماذا تفعل عندما تعرف أنّ عدوًا في طريقه إليكَ ولا يمكنكَ وقفه؟» تلتفت إليّ وتقول: «هناك العديد من قادة العالم في التاريخ الذين كانوا يودّون معرفة إجابة هذا السؤال».

«احسبيني واحدًا منهم».

تنظر إليّ: «ماذا فعلتَ في العراق عندما أُسقِطت طائرتك؟»

مروحيّة، في الواقع - بلاك هوك في مهمّة بحث وإنقاذ لطائرة إف-16 أُسقِطت بالقرب من البصرة. لم يكن الفاصل الزمني بين تدمير شركة سام العراقية لذيل طائرتنا وتهاويها على الأرض أكثر من خمس ثوان أو عشر.

أرتجف وأقول: «لقد صلّيتُ لنفسي وفريقي وأخبرت نفسي أنني لن أبوح بأيّ معلومة».

هذه جملتي المعتادة. فقط ريتشل وداني يعرفان الحقيقة.

قُذِفتُ من الطائرة المتهاوية. حتى يومنا هذا، لا أذكر سوى رؤية مشوّشة وشعور بالدوران، وخضخضة في المعدة، ودخان ورائحة وقود أشعرتني بالغثيان. ثم ارتفعت رمال الصحراء لامتصاص وقْع هبوطي الصعب والمؤلم الذي استنزفني.

رمل في عينيّ، ورمل في فمي. لم أستطع الحركة ولا الرؤية، كنت أسمع فقط. أسمع الصيحات الحيّة للحرس الجمهوري تقترب، ينادي بعضهم بعضًا بلغتهم الأم، وتصبح أصواتهم أقرب. كانت بندقيتي تلوح في الأفق. حاولتُ أن أحرّك ذراعي اليُمنى. وحاولت أن أتدحرج لكني لم أستطع الوصول إليها. لم أستطع الحركة على الإطلاق. تحطّمت عظمة الترقوة، وخُلع كتفي، وكُسرت ذراعي مثل قطعة زائدة من دمية مكسورة تحت وزن جسدي. لذا فإن أفضل شيء يمكن أن أفعله - الشيء الوحيد الذي يمكنني القيام به وأنا دون حيلة، هو أن انتظر وأن يطالب العراقيون بفديّة.

أُمسك ذراع نويا التي تقفز فجأة. ودون كلمة أخرى معها، أهرع نازلًا الدّرج إلى غرفة الحرب. تقفز كايسي تقريبًا من كرسيها عندما تراني، وتنظر إلى وجهي.

«ماذا؟» تسأل.

أقول: «لا يمكننا قتل هذا الشيء. ولا يمكننا تنظيف الضرر بعد ذلك».

«صحيح..».

«ماذا لو خدعناه؟»

«قمنا بخداعه..».

«قلتِ عندما تحذف الملفات، تصبح غير نشطة، أليس كذلك؟»

«نعم».

«والفيروس لا يستبدل سوى الملفات النشطة، أليس كذلك؟ هذا ما قلتِه».

«نعم. لذلك..».

«لذلك؟» أهرع إلى كايسي، وأمسك بها من الكتفين.

وأقول: «ماذا لو لعبنا لعبة التظاهر بالموت؟»

91

تقول كايسي: «لعبنا لعبة التظاهر بالموت». مُردّدة كلماتي. «نحذف البيانات قبل أن يتمكّن الفيروس من محوها بنفسه؟»

«حسنًا... أنا ذاهب إلى ما قُلته لي». وأُوضح: «قلتِ إنه عند حذف الملفات، فإنها لا تُحذف فعلًا. فقط توضع علامة عليها تؤكّد أنه يمكن استبدالها ببيانات أخرى إذا احتاج الكمبيوتر إلى مساحة. أي أنها لا تختفي إلى الأبد، بل تصبح غير نشطة».

تومئ موافقة برأسها.

«وأخبرتِني أنّ الفيروس يقوم باستبدال الملفات النشطة فقط». وأُكمِل: «لن يستبدل الفيروس الملفات غير النشطة والمميزة بعلامة أنها محذوفة».

يقف أوجي بالقرب من السبورة الذكية الآن، ويهزّ إصبعه. «أنتَ تقترح أن نحذف جميع الملفات النشطة على الكمبيوتر؟»

أقول: «نعم. عندما يحين وقت إطلاق الفيروس، فإنه يفتح عينيه ولا يرى ملفات نشطة لحذفها. الأمر يشبه... حسنًا، هنا: إنّ الفيروس يشبه القاتل، ومهمّة القاتل هي الدخول إلى غرفة وإطلاق النار على جميع من فيها. لكنه عندما يدخل، يرى الجميع أمواتًا، أو هذا ما سيعتقده. لذلك فهو لا يسحب سلاحه أبدًا. إنه يستدير ويغادر، لأن عمله أُنجِز عنه بالفعل».

تقول كايسي: «لذلك سنضع على كل ملف نشِط علامة محذوف. إذن عندما ينشط الفيروس، فإنه لن يفعل شيئًا، لأنه لا يرى أي ملفات نشطة كي يستبدلها».

تنظر إلى ديفين، الذي يبدو مُتشكّكًا. «ثم ماذا؟» يسأل: «في مرحلة ما، يتعيّن علينا استعادة هذه الملفات، أليس كذلك؟ أعني، هذا هو بيت القصيد - لحفظ هذه الملفات، لحفظ كل تلك البيانات. لذلك عندما نستعيدها، وعندما نزيل العلامة عنها، ونجعلها نشطة مرة أخرى - فسوف الفيروس باستبدالها. سيحدث ذلك في وقت لاحق بدلًا من الآن، لكنه سيحدث. نحن نُؤخّر حتميّة حدوثه فقط».

أنظر حولي إلى كل من في الغرفة، غير راغب في ترك هذا. لدي شيء ضئيل من عِلمهم، لكن كلّما تفاعلت معهم، دفعتهم للتفكير أعمق. إنهم غارقون جدًا في الأشجار لذا لن يتمكنوا من رؤية الغابة.

أسأله: «هل أنت متأكد؟ بعد أن يُنهي الفيروس عمله، هل نحن على يقين من أنه لن يعود إلى النوم، أو يموت، أو أيًا كان؟ سألتك عن ذلك من قبل، وأجبت بسؤال عن ماذا يحدث لخلية سرطانية بعد وفاة الجثة. سأستخدم تشبيهي بدلًا من ذلك: القاتل يسير في الغرفة، وهو على استعداد لقتل الجميع، ويجدهم جميعًا موتى. هل يغادر القاتل، ظنًّا منه أنّ مهمّته قد أنجزت بالفعل؟ أم سينتظر إلى الأبد، فقط في حال استيقظ شخص ما؟!»

تفكّر كايسي في الأمر، وتحني رأسها مؤيّدة لي، قائلة: «إنه مُحق». وتقول لديفين: «نحن لا نعلم. في كل نموذج قمنا

بتشغيله، تجاوز الفيروس ملفات التشغيل الأساسية وقتل الكمبيوتر. لم نسأل أنفسنا ماذا يحدث للفيروس بعد ذلك. ولم نشغّل مطلقًا نموذجًا حيث نجا الكمبيوتر بعد ذلك. لا يمكننا القول إن الفيروس سيظل نشطًا؟»

«لكن لماذا لا يبقى نشطًا؟» يسأل ديفين: «لا أستطيع أن أتصوّر أنّ نينا برمجت فيروس سليمان بحيث يمكن إيقافه عند أي نقطة. هل تفعل؟»

تتّجه جميع الأنظار إلى أوجي، الذي يحشر يديه في جيوبه، وينظر بتركيز من طرف عينه، ويحدّق إلى نقطة ما في الحاضر أو الماضي. لا أستطيع إلا أن أسمع دقّات على مدار الساعة. أريد أن أمسك به وأهزّه لكنه يفكّر الآن. عندما فتح فمه، بدا أنّ جميع من في الغرفة قد انحنى نحوه ليستمع إليه.

يقول: «أعتقد أنّ خطتك ممكنة. بالتأكيد تستحق خطتك محاولة التشغيل التجريبي»،

أتفحّص ساعتي. مرّت ثماني عشرة دقيقة منذ قدّمتُ عرضي بالعفو على عُصبة الستّة. ولا محاولات للاتصال بي.

لم لا؟ إنها صفقة العمر.

تقول كايسي: «لنجري اختبارًا في الوقت الحالي».

يطوي ديفين ذراعيه، ولا يبدو مُقتنعًا.

«ماذا؟» أسأله.

يجيب: «هذا لن ينجح، ونحن نهدر وقتنا الذي لا نملكه».

92

تُحدّق مجموعة من خبراء الكمبيوتر الهزيلين، والمزعجين، والمرتبكين في اللوحة الذكية في الغرفة حيث يكمل ديفين استعداداته لتشغيل الاختبار.

«حسناً». يقول ديفين، ويحوم فوق لوحة المفاتيح لأحد أجهزة الكمبيوتر. «وُضعت علامة على كل ملف منفرد على هذا الكمبيوتر كملف محذوف. حتى ملفات التشغيل الأساسية».

«هل يمكن للكمبيوتر، رغم حذف ملفات التشغيل الأساسية، أن يعمل؟»

«عادة، لا». يقول: «لكن ما فعلناه كان..».

أقول: «لا عليك. أنا لا أهتم. لذلك... دعونا نفعل ذلك. نُفعّل الفيروس».

«سأحذف الفيروس، وبذلك سوف ينشط».

أنتقل إلى السبورة الذكية على اعتبار أنّ ديفين يقوم بأحد الأشياء القليلة التي يمكن حتى لديناصور مثلي القيام بها - وهي النقر على ملف (Suliman.exe) والضغط على خيار الحذف.

لا شيء يحدث.

يقول ديفين: «حسناً، لقد قاوم حذفي. وأطلق عملية التنشيط».

«ديفين..».

«الفيروس نشِط، سيدي الرئيس». كما تقول كايسي مترجمة الأمر: «دخل القاتل الغرفة».

تظهر مجموعة من الملفات على الشاشة، تمامًا مثل الملفات العشوائية التي عرضوها عليّ من قبل، مجموعة من المربّعات، والأسطر المصفوفة المرتّبة ترتيبًا تنازليًّا لكل ملف.

تقول كايسي: «لم تُستبدل».

لم يجد القاتل أي شخص ليقتله بعد. الوضع حتى الآن جيّد جدًا.

أنتقل إلى كايسي، قائلًا: «قلتِ إن الأمر يستغرق حوالي عشرين دقيقة للبحث عن جميع الملفّات. لذلك لدينا عشرون..».

تقول: «لا، قلت إن الأمر يستغرق عشرين دقيقة لاستبدالها جميعًا، الواحد تلو الآخر. لكنه يجدها أسرع بكثير من ذلك. إنه..».

«هنا». ينقر ديفين لوحة المفاتيح، وتظهر صورة لفيروس سليمان.

متابعة المسح ...

62٪.

إنها محقّة. إنه يتحرّك بسرعة أكبر.

سبعون في المئة... ثمانون في المئة ...

أغمض عينيّ، أفتحهما، وأنظر إلى السبورة الذكية:

انتهت عملية المسح

عدد الملفات الموجودة: 0

يقول ديفين: «حسنًا، لم يقم باستبدال أي شيء. لم يتأثّر ملف واحد».

«الآن دعونا نرى ما إذا كان القاتل سيغادر الغرفة، وتكون المهمّة أُنجزت». أقول.

أوجي، الذي ظلّ هادئًا في الزاوية، يدقّ بقدميه الأرض، ويحوّطُ بيديه رقبته، في تناغم. «يجب أن نحذف الفيروس الآن - مرة أخرى - الآن بعد أن أدّى وظيفته. قد لا يُقاوِم».

يقول ديفين: «أو قد يُعاد تنشيطه». ويُكمل حديثه معي: «لكن أيقظه من باب الاحتياط».

يقول أوجي: «إذا حدث ذلك، فسنقوم بتشغيل النموذج مرة أخرى دون حذفه».

أُدرِك فجأة السبب في أنّ كل حركة يقوم بها لها عواقب، ولماذا تخضع كل استراتيجية قاموا بتطبيقها للتكرار عدة مرات - ولماذا كان من الضروري وجود العديد من أجهزة الكمبيوتر التجريبية، والعديد من التجارب.

يقول ديفين: «يجب أن نفعل ذلك أولًا. هناك فرصة

أفضل للفيروس لأن يتعايش مع الـ..».

ينْشب جدال في الغرفة، بلغات متعددة. كل شخص لديه رأي. أرفع يدي وأصرخ أعلى من كل تلك الجلَبة.

«هيه! مهلًا! افعلها بطريقة أوجي». أقول، وأضيف: «احذف الفيروس مرة أخرى، وانتظر ما سيحدث». وأومئ لديفين: «افْعلها».

«حسنًا». يقول.

على الشاشة الذكية، أشاهد ديفين يحرّك المؤشر فوق الملف الوحيد النشِط على الكمبيوتر بأكمله، وهو فيروس (Suliman.exe) ثم يضغط على زر الحذف.

تختفي الأيقونة.

يخرج زفير جماعي للهواء من الغرفة بينما يتفاجأ أبرز خبراء الإنترنت على مستوى العالم من الشاشة الفارغة.

«تبًا!» تفوّهت كايسي دون تفكير. «أتعرف كم عدد المرات التي حاولنا فيها محو هذا الشيء الغبي؟»

«حوالي خمسمئة؟»

«هذه هي المرة الأولى حرفيًّا التي يحدث فيها ذلك!»

«لقد ماتت الساحرة الشريرة؟» يقول ديفين. ويعمل بجدّ على الكمبيوتر، وشاشة الكمبيوتر تتغير بسرعة لا أستطيع النظر إليها. «الساحرة الشريرة ماتت!»

أضبط حماسي، وأكبح موجة من الارتياح. لم نصل شاطئ الأمان بعد.

تقول كايسي: «اسْترِد جميع الملفات الأخرى. لنرى ما إذا كان القاتل قد غادر الغرفة بالفعل».

«حسنًا، استرداد جميع الملفات التي ميّزناها بعلامة محذوف». يقول ديفين، وهو ينقر بإصبعه ويصدر صوتًا كزقزقة عصفور فيما يعمل بشكل محموم لاسترجاع الملفات. ويقول: «باستثناء الفيروس، بالطبع».

أبتعد، غير قادر على متابعة النظر. الغرفة صامتة.

ألقي نظرة على هاتفي للتحقّق من الوقت. مرّت ثماني وعشرون دقيقة منذ أن قدّمت عرضًا بالعفو. لا أحد اتصل. لا أفهم ذلك. لم أكن أتوقع من أحد أن يعترف على الفور، بالطبع. لا شك في أنها ستكون لحظة كبيرة، أن تعترف بشيء كهذا، أمر خطير، أكبر لحظة في حياة أي شخص. سيحتاجون إلى بضع دقائق للنظر في الأمر.

لكن لا بدّ أنهم يفكرون في ذلك: الفرصة الهائلة للقبض على مُرتكِب الخيانة ضد أمريكا والعواقب المُروِّعة التي قد تحدثها - السجن والعار ودمار الأسرة. وهنا أُقدّم بطاقة مرور مجانية، إلى جانب التذكرة المجانية التي يمكن أن أقدّمها - ليس فقط تجنّب السجن أو عقوبة الإعدام، بل تجنّب الخزي أيضًا. لقد وعدت بالحفاظ على هذا السر. لن يعرف أحد على الإطلاق ما فعله الخائن. وإذا قبضوا الثمن، وهو ما يُفترض أنهم قاموا به، فيمكنهم الاحتفاظ بالمال أيضًا.

لا سجن، ولا وصمة عار، ولا مصادرة - لماذا يرفض أي شخص هذا العرض؟ لا أحد يُصدّقني؟

«سيدي الرئيس». يقول ديفين.

ألتفت إليه. يميل إلى الشاشة. ويسحب مجموعة من الملفات، تندرج خصائصها في تلك الصفوف المرتّبة تنازليًا.

«لا أصفار». أقول.

«لا أصفار». يقول ديفين، ويُكمل: «يتم استرداد الملفات وتفعيلها، والفيروس لا يلمسها!»

«نعم!» وتضرب كايسي بقبضتها الهواء. «لقد خدعنا الفيروس الاستثنائي!» يتعانق الجميع ويتصافحون مُفرِجين عن ساعات من الإحباط.

«أترى؟ كنت أعلم أنّ هذه فكرة جيدة». يمازحني ديفين.

ويرنّ هاتفي في يدي.

«استعدوا للقيام بذلك على الملفّات الحقيقية!» أصرخ في ديفين، وفي كايسي، وفي كل منهم. «قم بتنصيبه على خادم البنتاغون».

«نعم يا سيدي!»

«متى يا شباب؟ بعد دقائق؟ »

«بضع دقائق». تقول كايسي: «ربما عشرون، ثلاثون؟ سوف يستغرق الأمر بعض الوقت..».

«بسرعة. إن لم أكن هنا عندما تكون مستعدًا، فابحث عني».

ثم أغادر الغرفة للردّ على هاتفي.

مضت تسع وعشرون دقيقة منذ أن قدّمت العفو. أيًّا كان الخائن، لحريّ به أن يستغل كل ثانية من ثواني الثلاثين دقيقة.

أنزع هاتفي من جيبي، وأنظر إلى وجه مُعرّف المتصل.

ليز، مكتب التحقيقات الفيدرالي.

93

في الردهة خارج غرفة الحرب، أجبت على مكالمة من شخص كنت قد استبعدته بالفعل من دائرة الشك...

«سيدي الرئيس؟»

«المديرة غرينفيلد». أقول.

«للتو فتحنا هاتف نينا الثاني». تقول: «ذاك الذي عثرنا عليه في المقاعد الخلفية للسيارة».

«هذا رائع ، أليس كذلك؟»

«دعْنا نأمل. نقوم بتنزيل كل شيء الآن. سنعمل على تحقيق ذلك قريبًا لك».

لماذا حملت نينا هاتفين؟ لا أملك أي فكرة.

«يجب أن يكون هناك شيء جيد في هذا الهاتف، لين».

«من المؤكد سيدي».

«يجب أن يكون». أضيف، وأنظر إلى ساعتي. لقد مرت إحدى وثلاثون دقيقة. انتهى عرض العفو، دون كلمة من أي شخص.

94

أعلى شجرة الصنوبر البيضاء، تُنصت باخ وتنتظر، فيما نطاق البندقية مصوّب على الجزء الخلفي من المنزل الريفي خلال الأغصان.

أين هي؟ تتساءل. أين المروحيّة؟

فوّتت فرصتها. كان هو، إنها متأكدة الآن - الرجل القوي، ذو الشّعر المُروّع الذي عبر إلى البيت الريفي بعد الرئيس. لو كان لديها بضع ثوانٍ لتتأكّد، لأردت ذاك الرجل ميتاً ولكانت هي على متن المروحية.

لكن كلمات رانكو خلال ذلك الصيف، تلك الأشهر الثلاثة من التعليم، ترنّ في أذنها: إنّ طلقة خاطئة أسوأ بكثير من الإحجام عن إطلاق النار.

اللعب بحذر أفضل دومًا. ربما يعود للخروج ويمنحها فرصة أخرى. وحقيقة أنه لم يفعل ذلك، لم يعاود الظهور من البيت الريفي، لا يجعل قرارها السابق في الإمساك عن إطلاق النار خاطئًا.

تُعزف بلطف عبر سماعات الأذن مقطوعة بعنوان غافوت، التي أدّاها ويلهام فريدمان هيرتسوغ قبل حوالي اثنتي عشرة سنة، أثناء برنامج تعليمي لطلاب سوزوكي. إنها دون سبب المفضلة لديها من بين أعمال يوهان سيباستيان باخ: الحقيقة هي أنها لم تهتم بالقطعة الموسيقية على وجه الخصوص، فقد كانت تفضّل سماعها تُعزف مع فرقة كاملة، لا آلة كمان منفردة.

لكنها لا تستطيع التخلي عن القطعة الموسيقية. تتذكّر أنها كانت تعزفها على كمان أمها. عزفتها في البدء بتقطّع وصعوبة كبيرة، لكنها راحت تنضج مع الوقت، تنضج مع سلسلة من الملاحظات، حتى باتت تعزف قطعةً جميلة ومؤثرة. والدتها تدور حولها، وتوجهها بلطف، وتصحّح كل حركة من حركات يديها. *توزيع القوس... النغمة الرئيسة... الأولى بقوّة... بقوّة، قليلًا، قليلًا... افعلي ذلك مرة أخرى... وازني القوس،* حبيبتي... *أبطئي أصابعك، لكن ليس القوس... ليس القوس! هنا،* حبيبتي، دعيني *اريك.*

تأخذ أمها الكمان بنفسها، وتعزف من الذاكرة مقطوعة غافوت، ثقتها وشغفها جعلاها تهيم مع نفسها في الموسيقا، التي تطغى على أصوات القنابل ونيران المدفعية في الخارج، المنزل آمن مع موجة ساحرة من الموسيقا الهادئة.

شقيقها، أكثر موهبة منها في العزف على الكمان، ليس فقط لأنه يكبرها بعامين، مع تعليم عامين إضافيين، لكن أيضًا لأن هذه الموهبة جاءت إليه دون جهد كبير، كما لو كانت امتدادًا لجسده وليست آلة موسيقية منفصلة، كما لو كان إنتاج الموسيقا الجميلة أمر طبيعي مثل التحدث أو التنفس.

بالنسبة إليه، كمان. بالنسبة إليها، بندقية.

نعم، بندقية. مرة أخيرة.

تفحص ساعتها. حان الوقت. لقد حان الوقت.

لماذا لم يحدث شيء؟

أين المروحيّة؟

95

«لا أستطيع أن أشكرك بما يكفي». أقول للمستشار يورجن ريتشتر.

«أشعر بخيبة أمل كبيرة بسبب فشلنا في برلين».

«لم يكن فشلك. لقد عرف أنك قادم». ثم أضيف، مستخدمًا اسمه الأول، وهو أمر نادر الحدوث معه، ومع رجل مثله يفضّل الشكليّات، «يورجن، سيكون تأثيرك على حلف شمال الأطلسي حاسمًا، إذا اضطررنا إلى ذلك».

«نعم». يعطيني إيماءة مُتّزنة. وهو يعلم أنّ هذا هو السبب الرئيس الذي جعلني أحضره إلى هنا، وأنظر إليه مباشرة في العين، وأحرص على أن يقف شركاؤنا في حلف شمال الأطلسي مع الولايات المتحدة في حال أصبح الصراع العسكري ضروريًا. وسيتم اختبار البند الخامس، وهو التزام حلف شمال الأطلسي نفسه، كما لم يحدث من قبل، إذا عُكست الأدوار التقليدية، وباتت أكبر قوة عظمى في العالم هي التي تحتاج إلى مساعدة فيما يمكن أن يتحوّل بسهولة إلى الحرب العالمية الثالثة.

«نويا». أمنحها عناقًا طويلًا، ومستمتعًا بالراحة في عناقها الدافئ.

«يمكن أن أبقى، جوني» تهمس في أذني.

أتراجع. «لا. لقد تجاوز الوقت الساعة السابعة. وأبقيتكِ وقتًا أطول ممّا خططت له. إذا كان هذا... يحدث... إذا كان الأسوأ... فأنا لا أريد أن أكون مسؤولًا عن

سلامتك. وسترغبين في العودة إلى الوطن على أي حال».

لا تجادل. لأنها تعلم أني على حق. إذا نشط هذا الفيروس وفعل الأسوأ مما نخشاه، فستصل أصداؤه إلى جميع أنحاء العالم. سيرغب هؤلاء القادة في العودة إلى أوطانهم عندما يحدث ذلك.

«يمكن لخبرائنا البقاء» تقترح.

أهزّ رأسي. «لقد فعلوا كل ما يمكنهم فعله. إنّ جماعتي يقومون بعملهم على خادم البنتاغون الآن، وعلينا أن نبقي على هذا العمل داخليًّا، كما يمكنكِ أن تتصوري».

«بالطبع».

أرفع كتفيّ. «إلى جانب ذلك، هذا هو، نويا. إنها فرصتنا الأخيرة لوقف الفيروس».

تمسك بكفّي وتُغلفها برقة، وتحيطني بكفّيها الرقيقين المجعّدين. «إسرائيل ليس لديها صديق أعظم منكم». تقول: «وليس لديّ صديق أعظم منك».

أفضل قرار اتخذتُه هو استدعاء نويا إلى هنا اليوم. شعرت بحضورها وتوجيهاتها، دون مُساعدين هنا معي، كهدية تفوق الوصف. لكن في النهاية، لا يمكن لأي عدد من المساعدين أو المُرشدين أن يغيروا حقيقة أنّ هذا كله يعود إليّ تحمّله. ما يحدث كلّه هو تحت رقابتي. هذه مسؤوليتي.

«حضرة رئيس الوزراء». أقول، وأصافح يد إيفان فولكوف.

«سيدي الرئيس، أثق في أنّ خبراءنا كانوا يقدّمون المساعدة».

«لقد فعلوا، نعم. أرجو أن تنقل امتناني إلى الرئيس تشيرنوكيف».

بقدر ما يمكن لجماعتي أن يقولوا، كانت التكنولوجيا الروسية في صعود. على الأقل، لم ير كايسي وديفين أي علامات على أن الخبراء الروس كانوا يحاولون تخريب العملية. لكن هذا لا يعني أنهم لا يستطيعون حجب شيء ما. لا توجد طريقة لمعرفة ذلك.

يقول فولكوف: «يخبرني خبرائي أنّ خطتك لوقف هذا الفيروس يمكن أن تكون ناجحة. نحن الأكثر تفاؤلًا بهذا الأمر».

أنتظر أثرًا لابتسامة مُتكلّفة، وشعورًا بالسخرية، من الرجل ذي الوجه الحاد، والدم البارد.

أقول: «يجب أن يتفاءل الجميع. لأننا إذا أُصِبنا، فسيصاب الجميع. لكن المسؤولين عن هذا يجب أن يكونوا الأكثر قلقًا، حضرة رئيس الوزراء. لأن الولايات المتحدة ستنتقم من أي أحد مسؤول عن هذا. وأنا متأكّد من أنّ حلفاءنا في حلف شمال الأطلسي سيقفون معنا».

يومئ موافقًا، مع حاجبه المجعّد، ومظهره الموحي بالقلق العميق. يقول: «في الأيام المقبلة، سيتعيّن على القادة اتخاذ القرارات بِتروٍّ وحذر».

أقول: «في الأيام المقبلة، سنكتشف من هم أصدقاء أمريكا ومن هم أعداؤها. ولا أحد يرغب في أن يكون

عدوًّا لنا».

مع ذلك، يطلب فولكوف إذنًا بالمغادرة.

ينزل الزعماء الثلاثة ومساعدوهم وخبراؤهم في مجال الكمبيوتر الدّرجَ الخلفي.

تهبط طائرة مروحية تابعة لشركة المارينز على مهبط للطائرات المروحية في الفناء الخلفي، استعدادًا لنقلهم بعيدًا.

96

ها نحن ذا.

من موقعها على شجرة الصنوبر الأبيض، تنظر باخ عبر نطاق بندقيتها إلى الفناء الخلفي.

تنفّسي. استرخي. صوّبي. اضغطي.

تهبط المروحية العسكرية على المِنصّة في هدوء، بسبب كاتم صوت المراوح فبات هديرها همسًا لطيفًا، باب البيت الريفي يُفتح.

تتأهّب.

يخرج الزعماء من البيت الريفي، مضاءة وجوههم بأضواء الرواق.

تميّز كل واحد منهم عند الخروج، وترى فرصة لطلقات نظيفة في الرأس.

رئيسة الوزراء الإسرائيلية.

المستشار الألماني.

رئيس الوزراء الروسي.

وآخرون يخرجون أيضًا. تفحص وجوههم. ثانية واحدة، هذا كل ما ستحتاجه الآن، وهي جاهزة...

تنفّسي. استرخي. صوّبي. اضغطي.

رجل ذو شعر داكن...

...يلامس إصبعها الزناد...

لا شيء.

ارتفع الأدرينالين في كل ذرّة في جسدها. هذا هو، الآن أو انتهى الأمر إلى الأبد...

رجل طويل الشعر...

لا. ليس هدفها.

باب البيت الريفي لا يزال مفتوحًا.

ثم ينغلق.

«عليه اللعنة» تقول. «لم يخرج. لا يزال في الداخل».

ترتفع المروحية. تشعر باندفاع الهواء عندما تصعد المروحية وتبتعد، وإلى أن تختفي بسرعة في صمت نسبيّ.

لن يغادر البيت الريفي. لن يأتي إليها. لذلك فإن عليهم الذهاب إليه.

تضع بندقيتها وترفع منظارها. يبقى عملاء الخدمة السّرية الوطنية على العشب، يحرسون الشرفة الخلفية أيضًا. وضعوا مشاعل حول محيط الفناء لتعزيز الإضاءة في الظلام.

ما سيحدث بعد ذلك سيكون أكثر خطورة...

«الفريق الأول في موقعه». تسمع في أذنها.

«الفريق الثاني في موقعه».

...وأكثر دموية.

«عجّلا» أقول لديفين وكايسي في الطابق الأرضي، بينما يعمل ديفين، متصلًا بأنظمة البنتاغون، ويحدد جميع ملفات البنتاغون بعلامة محذوف. أدرك تمامًا، كما أقول، أنه يسير بأسرع ما يستطيع وأنّ ضِيقي لا يساعد في تقدّم الأمور.

يرنّ هاتفي. «ليز». أقول مُجيبًا.

«سيدي الرئيس، قمنا بتنزيل محتويات هاتف نينا الثاني. يجب أن ترى تلك المحتويات على الفور».

«حسنًا. كيف؟»

«سأرسلها مباشرة إلى هاتفك، الآن».

« كل شيء؟ كل ما أبحث عنه؟ »

تقول ليز: «لم يكن هناك سوى شيء واحد استخدمت الهاتف النقّال دائمًا لأجله. شيء واحد فقط. كانت تستخدم هاتفًا مجهول الرقم، وترسل رسائل نصية باستخدام آخر غير قابل للتتبع أيضًا. كانت نينا تتواصل مع أحد ما من الداخل، سيدي الرئيس. كانت تتراسل نصيًّا مع... خائننا ».

يتجمّد دمي. كان هناك دائمًا جزء صغير مني أراد أن يعتقد أنه لا يوجد خائن، وأنّ نينا وأوجي قد علِما شفرة عصور الظّلام بطريقة أخرى، رغم أنّ أيًّا من جماعتي كان قادرًا على القيام بذلك.

«أخبريني مَنْ، ليز». أقول، مع رجفة في صوتي. «من

فعل ذلك؟»

«لا أسماء، يا سيدي. أرسلتُ المحتويات إليك للتو».

«سأقرؤها وأتصل بكِ مجدّدًا».

أُنهي المكالمة.

«ديفين، كايسي!» أنادي. «أنا ذاهب إلى غرفة الاتصالات. في اللحظة التي تجهزان فيها، يمكنكما الاتصال بي ».

«نعم يا سيدي».

يصدر هاتفي تنبيهًا فوريًّا، وصلت رسالة من ليز. هناك مستند مرفق، أفتحه فيما أتجّه إلى غرفة الاتصالات، وأليكس خلفي.

يُعرض المستند على شكل نص أو نسخة طبق الأصل أو صورة، وطرفيْ الاتصال هما «نينا» و «م/م»، أي «المتصل المجهول» - أفضّل «المتصل الخائن» أو «المتصل يهوذا» أو «الجاسوس بينيديكت أرنولد» - وثمّة تواريخ وأوقات.

تأتي الرسالة النصية الأولى من المتصل المجهول في الرابع من مايو. ويصادف ذلك يوم جمعة. كان ذلك بعد يوم واحد على عودتي من جولتي الأوروبية، في اليوم الثاني على انتشار أخبارٍ تُفيد بأن الولايات المتحدة أحبطت محاولة اغتيال لسليمان سيندوروك وأنّ والدة أحد عملاء وكالة الاستخبارات المركزية القتلى كانت تطالب بإجابات.

أتأمل المجموعة الأولى من الرسائل النصية ابتداء من الرابع من مايو وألاحظ موقع المتصل المجهول:

1600 شارع بنسلفانيا.

جاءت الرسائل النصية من البيت الأبيض. أيًّا كان المتصل من داخل أسوار البيت الأبيض فهو... غامض. أضع ذلك جانبًا وأبدأ في القراءة:

الجمعة، 4 مايو

م/م: 1600 شارع بنسلفانيا

نينا: الموقع غير معروف

**** جميع الأوقات بتوقيت شرق الولايات المتحدة ****

م/م (7:52 صباحًا): قرأت ملحوظتك بالتأكيد. من أنت، وكيف أعرف أنّ هذا أمر حقيقي؟

نينا (7:58 صباحًا): تعرف أني حقيقة. كيف أمكنني إذن معرفة الدقيقة، والثانية، التي ظهر فيها الفيروس على خادمك في البنتاغون؟

نينا (9:02 صباحًا): أنت لا تصدقني؟ جميل. إذن شاهد بلادك تترمّد في 🔥 بدلًا من أن تنتصر، يمكنك أن تشرح للرئيس أنه كان في إمكانك وقف هذا لكنك لم تفعل. ستتحول من بطل إلى 🐐 هذا محزن جدًا!

نينا (9:43 صباحًا): لماذا أكذب بهذا الشأن؟ ماذا لديك لتخسره؟ لماذا تجاهلني؟؟

أعود للتفكير في التوقيت. كان لدينا اجتماع لفريق الأمن القومي الوطني هذا الصباح. جميع أعضاء دائرتي الداخلية، في البيت الأبيض. من هو هذا الذي كان يرسل

الرسائل النصية خلال الاجتماع؟

أتابع القراءة. تواصل نينا مع المتصل المجهول:

نينا (9:54 صباحًا): أعتقد أنك لا تريد أن تكون بطلًا، إذن ضع رأسك في الرمال وتظاهر بأنك غير موجود؟؟؟ 🙈🙉🙊

نينا (9:59 صباحًا): 🔥🔥🔥🔥🔥🔥

نينا (10:09 صباحًا): ربما تصدقني بعد تورنتو

تورونتو. هذا صحيح. كان يوم الجمعة هو اليوم الذي توقّف فيه نظام مترو الأنفاق في تورنتو، وأُغلق بالكامل بفعل فيروس كمبيوتر افترضنا أنه من صنع أبناء الجهاد. حدث ذلك خلال ساعة الذروة المسائية. كانت نينا تكتب عن ذلك الصباح قبل أن يحدث. كما أخبرتني عن تعطّل مروحية في دبي.

على الأقل هذا يفسر كيف حدث ذلك. لقد تساءلتُ كيف بدء هذا الأمر برمّته، كيف تعرّف أحد مُسبّبي الإرهاب الإلكتروني على عضو في فريق الأمن القومي في المقام الأول. بدأت نينا المحادثة. لابدّ أنها بطريقة ما حصلت على شيء من دائرتنا الداخلية.

لكن من كان هذا الشخص في الداخل، لماذا لم يخبرني هو أو هي على الفور؟ في اللحظة التي تلقى فيها هذه الرسالة الموجزة، لماذا لم يخبرني عنها؟ لماذا يبقيها سرًا؟

كيف لكلّ شيء أن يغدو مختلفًا الآن لو جاء هذا الخائن من الداخل وأخبرني في تلك المرحلة. أن يُمرّر الصفحة

للأسفل. هذا هو الحال في الرابع من مايو.

التواصل التالي جرى في اليوم الثاني - السبت، الخامس من مايو، صباحًا. مرة أخرى، المتصل المجهول يرسل رسائل نصية من البيت الأبيض.

إنه ذكي، أُدرك ذلك. يعرف الخائن أنّ موقعه يمكن تتّبعه بالكامل، حتى عنوان الشارع الذي يتواجد فيه، يمكن تتّبعه إلى 1600 بنسلفانيا، والتأكد من وجوده في حضور مسؤولين أمنيين آخرين رفيعي المستوى في ذلك التوقيت. إنه يختبئ داخل الدائرة الداخلية. كما إنه حذر وذكي.

أقرأ:

السبت، 5 مايو

م/م: 1600 شارع بنسلفانيا

نينا: الموقع غير معروف

**** جميع الأوقات بتوقيت شرق الولايات المتحدة ****

م/م (10:40 صباحًا): إذن أنت جاد. هل هذا ما ستفعله بأنظمتنا العسكرية، ماذا فعلت بمترو الأنفاق في تورونتو الليلة الماضية؟

نينا (10:58 صباحًا): تلك الأوقات تعادل مليونًا. هل لي بانتباهك الآن!!

م/م (10:59 مساءً): نعم، أصدّقك الآن. يمكنك إيقاف هذا الفيروس؟

نينا (11:01 صباحًا): نعم أستطيع أن أقول لك كيف

توقفه.

م/م (11:02 صباحًا): إخباري بذلك لن يُجدي. لا أعرف ما يكفي عن أجهزة الكمبيوتر.

نينا (11:05 صباحًا): لا تحتاج إلى معرفة أي شيء. سأقول لك ما تحتاج بأسلوب سهل وبسيط.

م/م (11:24 صباحًا): إذن تحرّك بنفسك. وانتقل إلى أقرب سفارة أميركية.

نينا (11:25 صباحًا): وبعدها مباشرة إلى معتقل غوانتانامو؟ لا شكرًا!

م/م (11:28 صباحًا): إذن أخبرني كيف أوقِف الفيروس.

نينا (11:31 صباحًا): أتخلى عن مصدر قوتي؟ أهذا هو السبب الوحيد الذي سيعطيني العفو؟ إذا ذهبت أولًا وأخبرتك كيف توقف الفيروس، فكيف لي أن أعلم إذن أنك مستمر في اتفاقنا؟ لا، أعتذر، هذا شيء لن أفعله. أبدًا.

م/م (11:34 صباحًا): إذن لا يمكنني مساعدتك. عليك أن تفعل هذا بنفسك.

نينا (11:36 صباحًا): لماذا لا يمكنك مساعدتي؟؟؟؟؟

م/م (11:49 صباحًا): لأن لدي مشكلة الآن. لقد أخبرتني عن تورنتو البارحة، ولم أقل أي شيء أو أخبر أحدًا.

نينا (11:51 صباحًا): لماذا لم تخبر أحدًا؟

م/م (11:55 صباحًا): لم أصدقك. وهل قرأت الأخبار؟ الرئيس يُصْلب فقط لمحادثته مع سليمان. وأنا هنا، أُراسل شخصًا يعمل معه. لقد اقترفتُ خطأ. لكن لا يمكنني فعل أي شيء حيال ذلك الآن. لكنني أصدّقك. دعني أحسب هذا، حسنًا؟ انتظر فقط لتسمع مني، حسنًا؟ هل لدينا وقت لذلك؟ متى يضرب الفيروس؟

نينا (11:57 صباحًا): خلال أسبوع واحد. سأوافيك بالتفاصيل حتى الغد على الأكثر.

هذه هي نهاية يوم السبت، الموافق الخامس من مايو، مقايضة. عقلي في سباق، في محاولة لفهم هذا. إذن هذه لم تكن خطة خيانة طويلة الأمد؟ ولم يكن ابتزازًا. وليس لأجل المال. مجرد خطأ في الحكم؟

قرار خاطئ أدى إلى قرارات خاطئة فتراكم بعضها فوق بعض، وفجأة نحن في هذه الفوضى؟

تأتي الرسالة النصية التالية من الخائن، مرة أخرى من البيت الأبيض، في صباح اليوم التالي، الأحد، السادس من مايو:

م/م (7:04 صباحًا): لدي فكرة عن كيفية القيام بهذا مع بقائي بعيدًا عن ذلك. هل أنت قريب من باريس؟

98

شاحنة بيضاء، تحمل شعارًا يقول: *لي للمراكب وأحواض المراكب*، على الطريق السريع لولاية فرجينيا الذي ينقطع ويتحوّل إلى طريق مُعبّد بالحصى. إلى الأمام، نُصِب حاجز مع علامة مرفقة به تقول: *ملكية خاصة - يُمنع التعدّي*.

على الجانب الآخر، توقّفت سيارتان متعامدتين على الطريق. سائق الشاحنة البيضاء، التي يُديرها لوجزيك، يوقفها وينظر إلى مرآة الرؤية الخلفية ليرى الرجال الثمانية في المقصورة الخلفية، يرتدي جميعهم الدروع الواقية. أربعة منهم مسلّحون ببنادق متطوّرة. والأسلحة الأربعة الأخرى التي على الكتف تُطلق صواريخ مضادة للدروع.

«إن نزعت قبّعتي...». يقول لهم، مؤكّدًا على الإشارة المتّفق عليها.

يخرج لوجزيك من الشاحنة، ويبحث في طرف البحيرة حيث يقف الرجال، ويضع قبعة ذات حوافّ ممزّقة وقميصًا داخليًّا وبنطال جينز ممزّقًا. يقترب من السيارتين عند الحاجز، رافعًا يده كأنه يطرح سؤالًا.

«مرحبًا؟» يقول: «هل تعرفون كيف أجد طريق مقاطعة 20؟»

لا رد. نوافذ السيارتين مُظلّلة، لا تُظهر مَن وراءها.

«أي أحد هناك؟» يسأل.

يسأل مرة أخرى. ويُكرّر سؤاله. هذا ما اعتقدوه: لا أحد في تلك السيارات. ينتشر عملاء الخدمة السّرية

الوطنية على نطاق محدود للغاية، خاصة مع تحرّك رجال الأمن الآخرين الآن في طائرة مروحية تابعة لمشاة البحرية.

لذلك لا ينزع لوجزيك قبعته، ولا يتسلل رجال المدفعية لإطلاق صواريخهم على الحرّاس المفترضين.

جيد. سيحتاجون الصواريخ في البيت الريفي.

يعود لوجزيك إلى السيارة، ويومئ للرجال. «كل شيء مكشوف لنا، حتى البيت الريفي». يقول: «انتظروا».

يعود إلى الشاحنة. يُحرّك ناقل الحركة إلى الخلف ويعود إلى نهاية الطريق غير المُعبّد. ثم يتوقف، يضع ناقل الحركة في وضع القيادة، ويُنزِل دواسة الوقود، ويصعد بالشاحنة نحو الحاجز.

وبعد لحظات، يتّجه مركب مائيّ ببطء نحو الخليج الصغير حيث يجلس عملاء الخدمة السرية الوطنية في مركب مُضاء عند الغسق. على خلاف شاحنة الفريق الأول التي تسلّل من الشمال، فإن الفريق الثاني في المركب مكوّن من أربعة رجال فقط، وفرصة التخفّي هنا أقل بكثير.

يقف رجلان في مقدمة المركب. وعند أقدامهم على سطح المركب رجلان آخران منبطحان، وأربعة من البنادق المتطوّرة المزوّدة بقاذفات القنابل.

«أوقفوا المركب!» يصيح عميل الخدمة السّرية الوطنية من خلال مُكبّر الصوت. «هذه المياه منطقة محظورة!»

قائد الفريق الثاني، رجل يدعى حامد، يرفع يده ويصيح

تجاه الحرّاس. «هل يمكنك أن تسحبنا إلى الشاطئ؟ محركنا مُعطّل!»

«استدر بمركبك!»

يفتح حامد ذراعيه. «أنا لا أستطيع. المحرّك مُعطّل!»

الرجل الواقف إلى جانب حامد، ينحني رأسه قليلًا فحسب إلى الأسفل، ويقول للرجل عند قدميه: «تحت قيادتي».

«إذن أسقِط المرساة وسنرسل طلبًا للمساعدة!»

«تريدني أن..».

«لا تتقدّم! أسقِط المرساة الآن!»

يتوزّع العملاء على المركب، يتوجّه كل واحد منهم إلى كلّ جانب من جوانب المركب، واحد إلى المقدمة، كلّ منهم يرفع الغطاء الذي قبالته، ويكشف عن البنادق الرشاشة المحمولة.

«الآن!» يهمس حامد، الذي تناول أحد الأسلحة.

يقفز الرجال المختبئون على أقدامهم مع بنادقهم المتطوّرة، وقاذفات قنابلهم، ويفتحون النار على عملاء الخدمة السّرية الوطنية.

99

في غرفة الاتصالات، أقرأ الرسائل النصية بين نينا والخائن التي جرت يوم الأحد، الموافق للسادس من مايو. أرى الآن كيف تورّطتْ ليلي. كانت تلك الطريقة التي اتّبعها المُطّلِـع على الأسرار الداخلية للوصول إلى نينا ومن ثمّ التواصل معي مباشرة دون المرور بأي شخص آخر، مع الاحتفاظ بأثره على كل شيء. تردّ نينا:

نينا (7:23 صباحًا): هل تريدني أن أخبر ابنة الرئيس؟

م/م (7:28 صباحًا): نعم. إذا أعطيتها المعلومات، فإنها ستسلمها مباشرة إلى والدها. وسوف يتعامل الرئيس معك مباشرة.

نينا (7:34 صباحًا): هل تعتقد أنّ الرئيس سيعقد هذه الصفقة معي؟

م/م (7:35 صباحًا): بالطبع سيفعل. العفو العام من حكومة بلادك في مقابل إنقاذ بلادنا؟ بالطبع سيفعل! لكن عليك الذهاب لرؤيته. هل يمكنك فعل ذلك؟ هل يمكنك الوصول إلى الولايات المتحدة؟

نينا (7:38 صباحًا): هل يجب أن أراه شخصيًا؟

م/م (7:41 صباحًا): نعم. لأنه لن يأخذ بكلامك عن هذا عبر الهاتف.

نينا (7:45 صباحًا): لا أعلم. كيف أعرف أنه لن ينقلني إلى معتقل غوانتانامو ويعذّبني؟

م/م (7:48 صباحًا): لن يفعل. ثِق بي.

الحقيقة هي، لا أعرف ما الذي كنت على استعداد لفعله كي أوقِف هذا الفيروس. لكنتُ استجوبتُ نينا لو اعتقدتُ أنّ هذا سيؤدي إلى حصولي على إجابات.

لكنها لم تصل إلى هذا الحد، لأن نينا بيّنَت - عبر ليلي، ثم عندما جاءت لرؤيتي - أنّ لديها شريكًا يعرف النصف الآخر من اللغز. إنهما معًا صفقة شاملة، كما قالت نينا، وإذا احتجزتها في البيت الأبيض، فلن أقابل النصف الآخر من اللغز، وحينها لن أتمكن أبدًا من وقف الفيروس، حيث نحن الآن.

نينا (7:54 صباحًا): إذا قمت بذلك، إذا التقيتُ ابنته في باريس، كيف لي أن أعلم أنّ الرئيس سيأخذني على محمل الجد؟

م/م (7:59 صباحًا): سيفعل.

نينا (8:02 صباحًا): لماذا؟

م/م (8:04 صباحًا): لأنني سأقدم لك كلمة الشّفرة التي ستمنحك مصداقية فورية. في اللحظة التي يسْمع فيها هذه الشفرة، سيأخذك على محمل الجد. لا شك في ذلك.

نينا (8:09 صباحًا): حسنًا ما هي الشّفرة

م/م (8:12 صباحًا): يجب أن أثق بك. هذه معلومات سرّية التصنيف. لن أُضطر بسببها إلى الاستقالة من منصبي فقط، بل سأذهب إلى السجن. هل تفهم؟

نينا (8:15 صباحا): نعم يا إدوارد سنودن تشيلسي مانينغ؟((36))

م/م (8:17 صباحًا): أساسًا. أنا أخاطر بكل شيء لمساعدتك. مع ذلك أثق بك.

نينا (8:22 صباحًا): على كلّ منا أن يثق بالآخر. لن أخبر أحدًا من أنت أو ما أخبرتني به. أقسم بالرّبّ !!

م/م (9:01 صباحًا): حسنًا. أنا أخاطر بحياتي الآن. أرجو أن تفهم ذلك. آمل أن يمكنني أن أثق بك.

نينا (9:05 صباحًا): افعل. يمكنك

إذن هكذا علمت نينا بشفرة عصور الظّلام. وفي اليوم التالي لتبادل الرسائل النصية - قبل خمسة أيام فقط، في يوم الاثنين الماضي - وجدت نينا ليلي في باريس في جامعة السوربون وهمست في أذنها: عصور الظّلام. فاتصلت بي ليلي، وقضيتُ آخر أربعة أيام في محاولة لمعرفة من هو الخائن من الداخل.

إذن حتى الآن، أنا لست على مقربة من معرفته. أنتقل إلى أسفل الصفحة التالية...

«سيدي الرئيس!» إنه صوت كايسي، يناديني. «نحن مستعدون!»

أخرج من غرفة الاتصالات، وأليكس يتبعني، وأجد كايسي، وديفين، وأوجي في غرفة الحرب.

أقول: «هل أنتم على استعداد لتفعيل الفيروس؟» أضع هاتفي على المكتب وأقف وراء ديفين.

تحوّل كايسي إليّ. «سيدي الرئيس، قبل أن نفعل ذلك: تفهم أننا لا نعرف ما إذا كان الفيروس يصل بين

الأجهزة. من المحتمل أن يكون كل فيروس على كل جهاز في جميع أنحاء البلاد مضبوطًا بمؤقت بشكل مستقل ليتم إيقافه. لكن من الممكن أيضًا أن يشير الفيروس الموجود على أحد أجهزة الكمبيوتر إلى الأجهزة الأخرى، بحيث يرسل أمرًا للتنفيذ لإطلاق الفيروس في وقت واحد على جميع الأجهزة المتأثرة».

«نعم، قلتِ ذلك من قبل».

«وجهة نظري، يا سيدي، أتمنى أن ينجح هذا - لكن إذا لم يحدث ذلك، وانفجر الفيروس في خادم البنتاغون، فقد ينشط في ملايين وربما مليارات الأجهزة في جميع أنحاء البلاد. وعندها سيتحقّق السيناريو الأسوأ حالًا إذا لم تنجح خطتنا».

أقول: «لقد نجحت في التشغيل التجريبي».

«نعم، نجحت. بذلنا قصارى جهدنا لإعادة تصميم الفيروس في تجاربنا. لكنني لا أستطيع أن أخبرك بنسبة مئة في المئة يقينًا من أنّ إعادة تصميمنا كانت مثالية. لم يكن أمامنا سوى ساعات قليلة للقيام سريعًا بهذا العمل. لذا لا يمكنني أن أخبرك بأن هذا سينجح أيضًا مع الفيروس الحقيقي ».

آخذ نفسًا عميقًا. «إذا لم نفعل شيئًا، فإن الفيروس سوف ينفجر قريبًا». كما أقول. «ربما بعد دقيقة من الآن، وربما بضع ساعات على الأكثر، لكن قريبًا. وهذا المخطط الذي ابتكرناه - إنه أقرب ما توصلنا إليه لوقف الفيروس. أليس كذلك؟»

«نعم يا سيدي. هذا هو الشيء الوحيد الذي نجح إلى الآن عن بُعد».

أقول مستهجنًا: «إذن؟ هل لديكِ فكرة أفضل؟»

«لا، يا سيدي. أنا فقط أريد أن أوضح لك فيما لو لم ينجح..».

«كل شيء يمكن أن يذهب إلى الأسوأ. أفهم هذا. هذا يمكن أن يكون نصرًا كبيرًا لنا، أو يمكن أن يكون ساحة قتال». وأنظر إلى أوجي. «ما رأيك، أوجي؟»

«أوافقك الرأي، سيدي الرئيس. هذا هو أفضل رهان لدينا. رهاننا الوحيد».

«كايسي؟»

«أوافق. يجب أن نحاول ذلك».

«ديفين؟»

«أتّفق، يا سيدي».

أفرك يديّ معًا. «دعونا نفعل ذلك، إذن».

تحوم أصابع ديفين فوق لوحة المفاتيح. «هنا لننتقل..».

«ماذا؟» يقفز أليكس تريمبل، ويقف بالقرب مني، وهو يضع إصبعه على سماعات الأذن الصغيرة. «تم اختراق طريق الشمال؟ فايبر!» يصرخ في اللاسلكي. «مروحية فايبر، هل تلتقط الصور، فايبر؟» في حركة واحدة رشيقة، يمسك أليكس ذراعي ويسحبني.

«إلى غرفة الاتصالات، سيدي الرئيس! نحن بحاجة إلى

محاصرتهم. إنها الأكثر أمانًا..».

«لا. أنا سأبقى هنا ».

يسحبني أليكس بشدة، ولا يتهاون. «لا يا سيدي، يجب أن تأتي معي الآن».

«إذن هم قادمون». أقول.

«حسنًا. لكن لنذهب».

ينزع ديفين الكمبيوتر المحمول من القابس. ويندفع الجميع إلى غرفة الاتصالات.

تمامًا كما تتردد أصداء صوت إطلاق نار كثيف عبر المسافة.

---

(36) إدوارد جوزيف سنودن: ولد في 21 يونيو 1983 أمريكي ومتعاقد تقني وعميل موظف لدى وكالة الاستخبارات المركزية، عمل كمتعاقد مع وكالة الأمن القومي قبل أن يسرب تفاصيل برنامج التجسس بريسم إلى الصحافة. في يونيو 2013 سرب سنودن مواد مصنفة على أنها سرية للغاية من وكالة الأمن القومي، منها برنامج بريسم إلى صحيفة الغارديان وصحيفة الواشنطن بوست.

تشيلسي مانينغ: جندي أول عملت كمحللة استخبارات في القوات البرية الأمريكية. أدينت بعدة جرائم وفقًا لقانون التجسس الأمريكي بالإضافة إلى عدة جرائم أخرى، وذلك بعد تسريبها أكبر كم من الوثائق السرية في تاريخ الولايات المتحدة. حكم عليها بالسجن لمدة 35 عامًا، وتم تسريحها بشكل غير مشرف.

100

بعد انطلاق الشاحنة البيضاء عبر الحاجز، يبطئ لوجزيك إلى أن يتوقّف توقفًا كاملًا أثناء بحثه عن الطريق الترابيّ. إنها هناك. لقد فوّتها. يتوقّف، ويُعيد ناقل حركة الشاحنة للوراء، ويرجع عن الطريق، وينعطف يسارًا. لو لم يتم إخباره بأن الطريق الترابي هناك، لكان ضيّعه إلى الأبد.

الطريق ضيّق بما يكفي لاستيعاب سيارة واحدة فقط. ومُظلّل، لأن الشمس الساطعة مغطاة بالكامل بالأشجار العالية على كل جانب.

يمسك لوجزيك عجلة القيادة ويرفع رقبته إلى الأمام، غير قادر على كسب كثير من السرعة على التضاريس غير المستوية للطريق، ومع ذلك يتسارع ببطء.

فقط نصف ميل إلى أن يصلوا البيت الريفي.

على البحيرة، تبادل إطلاق نار.

الفريق الثاني يطلق قنابل دخان ويَدُكّ مركب الخدمة السّرية الوطنية على جولات من البنادق المتطوّرة. يعيد المركب نيران المدافع الرشاشة، مما يجبر المهاجمين على النزول إلى سطح المركب، مستخدمين هيكل مركبهم كملجأ.

عدد قليل من عملاء الخدمة السّرية الوطنية الذين نجوا وما زالوا واقفين على أقدامهم، يغطون الفناء الخلفي. يندفعون للأمام نحو الرصيف البحري، رافعين أسلحتهم وفاتحين النار على مركب الفريق الثاني أيضًا.

بمجرد وصول العملاء السائرين على الأقدام إلى الرصيف، يتحوّل انتباههم بشكل كامل على هجوم المركب، تندفع باخ على طول محيط الفناء، مغطّاة بالظلام والارتباك، وتقفز إلى النافذة بشكل جيد أمام غرفة الغسيل في الطابق الأرضي.

101

يغلق أليكس تريمبل باب غرفة الاتصالات الثقيل ويقفله. يُخرج هاتفًا من جيبه وينقر عليه.

يجلس ديفين في الكرسي، مع كمبيوتر محمول ومفتوح، وعلى استعداد للانطلاق.

«انتقل، ديفين». أقول: «نشّط الفيروس».

ألقي نظرة من فوق كتف أليكس إلى هاتفه. قامت الخدمة السّرية بتثبيت كاميرات على السطح، وأشاهد الخلاصة مع أليكس من الكاميرا التي تواجه الشمال، شاحنة بيضاء تنطلق بسرعة على الطريق الترابي نحونا. «أين أنتِ يا مروحية فايبر!» ويصرخ أليكس قرب اللاسلكي الذي يحمله.

كما لو كانت استجابة لتلقين مدير مسرح، فإن طائرة مروحية تابعة للبحرية، وهي جزء من أسطول جديد من المروحيّات الهجوميّة من طراز فايبر، تظهر من العدم، تنقض حيث تدنو من الشاحنة من الخلف. أطلقت صاروخًا اتّجه في مسار لولبيّ باتجاه الشاحنة.

تنفجر الشاحنة، تتحوّل إلى كرة من اللهب البرتقالي، وتنتهي على الطرف الآخر قبل أن تستقر على جانبها. يسير عملاء الخدمة السّرية للأمام، مع الأسلحة الآلية المتأهّبة - تتغير الشاشة عندما ينقر أليكس على زر: ننظر إلى الجنوب الشرقي، ونشاهد تبادلًا لإطلاق النار على البحيرة، وعملاء على متن مركب، وعملاء على الرصيف يطلقون النار على مركب آخر، يحاولون يائسين منعه من الوصول

إلى الشاطئ. يضغط أليكس بإصبعه على سماعات الأذن، ويستدعي في اللاسلكي الذي يحمله، «المُستكشف، قم بإلغاء المسار! مهّد الطريق! مهّد الطريق! يقف جميع العملاء متأهبين في انتظار المروحية فايبر!»

مع ذلك، يعكس مركب الخدمة السّرية الوطنية مساره، يعود متراجعًا عن المركب المهاجِم، والعملاء على الرصيف يهرعون عائدين إلى اليابسة ويتدافعون إليها.

تصل مروحية فايبر، وإطلاق صاروخ آخر يحرق تمامًا القارب المهاجِم، ويحوّله إلى كرة من اللهب إلى جانب نافورة مياه البحيرة. تقلب المياه المندفعة مركب الخدمة السّرية الوطنية أيضًا.

«الآن اهبط بي في محيط قوّات مشاة البحرية المارينز!» أليكس ينادي في اللاسلكي الذي معه، وينتقل مباشرة إلى المرحلة التالية. كانت قوّات المارينز، المتمركزة في المطار المحلي مع فايبر، هي فكرته، مما سمح لنا بالاحتفاظ بحماية قليلة في البيت الريفي، كما ألححت، لكن مع الاحتفاظ بنسخة احتياطية ثقيلة في مكان قريب.

أقول لأليكس، ضاغطًا على كتفه: «العملاء في الماء!»

يخفض اللاسلكي، ويقول: «لديهم حيوات ليحافظوا عليها. إنهم بخير». يعود إلى اللاسلكي الذي معه. «أين قوات المارينز؟ أنا بحاجة إلى تقرير عن الضحايا!»

«حسنًا، يتم تنشيط الفيروس على خادم البنتاغون». يقول ديفين.

يدور رأسي يمينًا ويسارًا، أركّز على ديفين بينما ينتقل

أليكس إلى باب غرفة الاتصالات ويستمر في إصدار التعليمات.

«دعونا نرى ما إذا كان هذا ناجحًا». يطلق ديفين نفسًا. «صلّوا!»

يطبع على الكمبيوتر. لا يوجد لدينا هنا شاشة ذكية كما في غرفة الاتصالات، لذا أنا أراقب على طول كتف ديفين مع كايسي وأوجي أثناء قيامه بجمع خصائص الملف، لمعرفة ما إذا كانت الإشارة التي ميّزنا بها الملفات المحذوفة ستقاوم.

«هذا هو الصفر». أقول، وأنظر إلى الصفّ السفلي في مربع الخصائص.

«صفر سيء، أليس كذلك؟»

«إنه... لا... لا». يقول ديفين: «إنه يستبدل الملفات».

أسأله: «هل قمت بحذفها؟ لقد ميّزتها بعلامة محذو..».

«نعم، نعم، نعم». يقول ديفين ويمسك الكمبيوتر المحمول بيأس. «تبًّا!»

أشاهد خصائص الملف نفسها، ومربعات الصفوف المرتّبة تنازليًّا من الكلمات والأرقام، لكن رؤية الصفر في الصفوف السفلية.

أسأل: «لماذا لم تعمل؟ ماذا..».

يقول أوجي: «لا يجب علينا إعادة بناء الفيروس في اختباراتنا. تحديدًا تلك الأجزاء التي لم نتمكن من فك تشفيرها».

«لقد أخطأنا في شيء ما». تقول كايسي.

تسري برودة في دمي. «سيتم مسح خادم البنتاغون؟»

ترفع كايسي يدها إلى أذنها، إلى سماعة أذنها. «كرّر!» تقول، وتغلق عينيها في سبيل التركيز. «هل أنت متأكد؟»

«ماذا، كايسي؟»

تلتفتُ نحوي، قائلة: «سيدي الرئيس، فريقنا في البنتاغون... يقولون... إن الفيروس الذي قمنا بتنشيطه أصدر أمر تنفيذ في جميع أنحاء النظام. الفيروس ينفجر في الخزانة..». تنقر السماعة في أذنها. «الأمن الداخلي. وسائل النقل. في كُـ.. كُل مكان، يا سيدي». تنظر إلى هاتفها الذكي. «وهاتفي أيضًا».

أمدّ يدي إلى هاتفي. «أين هاتفي؟»

يقول أوجي: «أوه، لا. أوه لا أوه لا أوه لا».

يقول ديفين: «هاتفي أيضًا. إنه يحدث. يا يسوع، إنه ينطلق في كل مكان! الفيروس يهاجم في كل مكان ».

تتهاوى كايسي وتقع، ممسكة بشعرها.

«إنه يحدث». كما تقول: «أيها الرب ساعدنا».

للحظة أتجمّدُ مذهولًا، غير مُصدّق. في أعماقي، اعتقدت دائمًا أنه بطريقة ما، أو بأخرى، لن يحدث هذا أبدًا، وأننا سنعثر على حلّ ما.

ليساعدنا الرّب ويدلّنا على الصواب.

عصور الظلام وصلت.

102

تهبط طائرة خاصة على مدرج ضيّق خارج زغرب عاصمة كرواتيا. يتمطّط سليمان سيندوروك، ويستيقظ، ويأخذ السلّم نزولًا إلى المدرج.

يستقبله رجلان، كل منهما يحمل بندقية فوق كتفه. رجلان طويلا القامة، ومُكفهران دون تعابير سوى الإذعان الدال على الاحترام لسليمان. يتبعهما إلى سيارة جيب. يجلسان في المقدمة، ويجلس في الخلف. سرعان ما يقودانه إلى طريق ذي مسارين موازٍ لجبل ميدفيدنكا الرائع، والمهيب جدًا في...

ينتبه إلى رنين هاتفه. نغمة كان يتوقّعها. صوت انفجار قنبلة. نغمة الرنين التي خصّصها لحدث واحد فقط.

في وقت مبكر قبل بضع ساعات. لا بد أنّ الأمريكيين قد حاولوا حذفه.

يسحب هاتفه ويقرأ الكلمات اللذيذة: إطلاق الفيروس.

يغمض عينيه ويتيح لدفء الرّضا أن يغمره. لا شيء مثير مثل المحو الجيّد المدمّر، والقوة التي يمكن أن ينشرها من لوحة مفاتيح على بُعد آلاف الأميال.

وبينما تستمر سيارة الجيب في التقدّم، تهبّ الريح دافعة شعره إلى الخلف، وهو يستمتع بالاندفاع. لقد فعلها.

رجل واحد، غيّر مجرى التاريخ.

رجل واحد، أخضع القوة العظمى الوحيدة في العالم على ركبتيها.

رجل واحد، قريبًا سيكون ثريًّا ليستمتع بقيّة حياته.

103

«هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا!»

«لا، أيها الرّب، لا..».

ذعر، شتم، نحيب جماعيّ حولي. جسدي يرتعش، لا يزال عالقًا في حالة من تكذيب ما يجري، وفي انتظار الاستيقاظ من الكابوس، أن أنتقل إلى جهاز الكمبيوتر في غرفة الاتصالات، المؤمّن بخطّ منفصل لا يمكن لعصور الظّلام أن تمسّه.

لقد انتقلنا إلى مرحلة التخفيف من حِدّة التهديد. أنا في حاجة للوصول إلى كارولين.

أولًا: إلقاء كلمة إلى قادة الكونغرس - إحضار مجلسي النواب والشيوخ في أقرب وقت ممكن، لإصدار تشريع يجيز انتشار الجيش في شوارعنا، وتعليق المثول أمام المحكمة، وتشكيل سلطة تنفيذية واسعة النطاق لفرض قيود على الأسعار وترشيدها.

ثانيًا: تقديم الأوامر التنفيذية...

«انتظروا، ماذا؟» صرخ ديفين: «انتظروا، انتظروا، انتظروا! كايسي، انظري إلى هذا».

تندفع إلى جانبه. كما أندفع أيضًا.

يعمل ديفين على الكمبيوتر، وهو نوع من التمرير المتسارع، ويقفز من مجموعة ملفات إلى أخرى. «إنه... لا أفهم ذلك... إنه ..».

«إنه ماذا؟» أصرخ: «تكلّم»!

«إنه..». يطبع ديفين على الكمبيوتر، تظهر شاشات مختلفة وتختفي. «لقد بدأ... في استبدال بعض الملفات، مثل أنه كان يحاول أن يُبين لنا أنه يمكن... لكنه الآن توقّف»

«توقّف؟ توقّف الفيروس؟»

تميل كايسي أمامي، محدّقة في شاشة الكمبيوتر. «ما هذا؟» تسأل.

104

تقف باخ عند النافذة تمامًا مع احتدام تبادل إطلاق النار حول البحيرة. «الفريق الأول، الوضع». تقول، في انتظار كلمة مِن لوجزيك، قائد الفريق التشيكي.

«نحن نمضي قُدُمًا... ما هو... ماذا..».

«الفريق الأول، الوضع!» تهمس مُستهجنة، محاولةً الحفاظ على صوتها مُنخفِضًا.

يصرخ لوجزيك بلغته الأم: «المروحية! من أين أتت المروحية؟»

«مروحية؟ الفريق الأول..».

سمعتْ الانفجار من النظام الصوتي، كان آتيًا من الشمال ومن سماعات الأذن عبر جهاز إرسال لوجزيك. تنظر إلى الشمال، النيران تُلوّن السماء.

هجوم من مروحية؟ تشعر بشيء ما يغرق داخلها.

تحاول فتح نافذة غرفة الغسيل. لكنها مُقفلة.

«اللعنة عليها». تهمس، ويتسلّل الذعر إليها شيئًا فشيئًا. تمسك سلاحها من جهة كاتم الصوت، وتميل للأمام صوب النافذة...

«لديهم مروحيات!» يصرخ حامد - قائد الفريق الثاني- في سماعات الأذن بلغته الأم، لكنها لا تتحدّث اللغة الأوزبكية، ومع ذلك لديها شعور يقول إنّ...

«لديهم طائرات مروحية! إنهم..».

صوت الانفجار أعلى هذه المرة، انفجار كبير في اتجاه البحيرة، مما أدى إلى ضرب طبلة أذنها من خلال سماعة أذنها كذلك، وسبّب لها حالة من عدم التوازن لحظة.

لم تألف تسلّل الخوف داخلها، وأن يرفع درجة حرارتها ويُربك معدتها. منذ سراييفو لم تعد تشعر بالخوف من أي شيء أو من أي شخص. لم تدرك أنه ما زال يمكنها الشعور بالخوف.

تنقر على النافذة بمقبض السلاح، لتحطيم الزجاج. تفعلها وتفتح القفل، وتنتظر أي رد فعل على الزجاج المكسور من الداخل، وفق إجراءاتها الوقائية المعيارية. خمس ثوان. عشر ثوان. لا صوت.

تدفع لتفتح النافذة وتنسلّ خِلسة بقدميها أولًا إلى غرفة الغسيل.

أسأل: «ماذا؟ أخبِرني بما يحدث».

«إنه..». يهزّ ديفين رأسه، ويكمل: «وضعت نينا قاطعًا كهربائيًا».

«ماذا؟»

«... وضعت آلية إيقاف وقامت بتثبيت إبطال كلمة السر».

«*ما الذي يحدث بحق الجحيم، أيها الناس؟*»

يمسّ أوجي ذراعي. «على ما يبدو». كما يقول، بصوته المذعور: «عملت نينا على تثبيت آلية عطّلت الفيروس بعد أن بدأ في نشاطه. وكما قال ديفين، فقد بدأ باستبدال كمية قليلة من البيانات، لإثبات قدرته على القيام بذلك، لكن الآن تم تعطيله، مما يتيح لنا الفرصة لتوفير كلمة مرور لإيقافه».

تقول كايسي: «عند إعادة بناء الفيروس، لم نكرر ذلك. لم نكن نعرف أنّه يحوي هذه الآليّة».

أسأل: «ماذا عن الفيروسات على أجهزة الكمبيوتر والأجهزة الأخرى في جميع أنحاء البلاد؟ إنه يتواصل معها، كما قلت. هل ستتوقف أيضًا؟»

تتحدث كايسي على وجه السرعة في سماعات الرأس. «جاريد، لدينا قاطع كهربائي يوقف الفيروس - هل حصلت على ذلك؟ يجب أن تحصل على ذلك..».

أُحدّق إليها، وأنتظر.

لم تمر في أيّ يوم ثوانٍ أبطأ من تلك الثواني العشرين.

يضيء وجهها، ويدها مثل علامة توقف. «نعم». تقول: «نعم! يجب أن يكون الفيروس على خادم البنتاغون قد أرسل أمر توقّف عبر شتى أنحاء نظام التوزيع».

«إذن... تمّ تعطيل الفيروس في كل مكان؟»

«نعم يا سيدي. لدينا حياة جديدة».

«دعني أرى هذا الشيء الذي يلغي كلمة المرور». أزيح أوجي جانبًا وأنظر إلى شاشة الكمبيوتر.

أدخل الكلمة الرئيسة:

28:47_____________________________

«الساعة. إنه عدّ تنازلي لـماذا، ثلاثين دقيقة؟».

28:41

28:33

28:28

«إذن، الفيروس معطّل لمدة ثمانٍ وعشرين دقيقة فقط؟»

يقول أوجي: «نعم، لدينا ثمانٍ وعشرين دقيقة متبقية لإدخال الكلمة الرئيسة. أو سينشط الفيروس بالكامل. عبر كامل أجهزة النظام».

أقول، واضعًا يدي على شعري: «لا بدّ أنك تمزح معي. لا، هذا جيد، جيد فعلًا، ما زلنا في اللعبة. فرصة أخيرة حسنًا، إنها الكلمة الرئيسة».

ألتفتُ إلى كايسي: «ألا نمتلك برنامجًا يمكنه فك تشفير كلمات المرور؟»

«حسنًا... نعم نملك، لكن لا نستطيع تنصيبه وتشغيله خلال ثمان وعشرين دقيقة، خاصة مع هذا الفيروس. قد يستغرق الأمر ساعات أو أيامًا أو أسابيع على الأغلب..».

«حسنًا، علينا أن نُخمّن. علينا أن نُخمّن ».

بسيطة، قالتها نينا في رسالتها النصية، عندما قالت إنها تستطيع شرح كيفية إيقاف الفيروس. وقالت لا تحتاج إلى أن تكون خبيرًا.

بسيطة. بسيطة إذا كنت تعرف الكلمة الرئيسة.

«ما هي تلك الكلمة الرئيسة بحق الجحيم؟» ألتفتُ إلى أوجي. «ألَمْ تذكر أي شيء أبدًا؟»

«لم أكن أعلم بهذا على الإطلاق». يقول، ويكمل: «لا يمكن إلا أن أظنها طريقتها في حمايتي، وفي الحفاظ على معلومات كلّ منّا على حدا..».

«لكن ربما قالت شيئًا لك. مثلًا، في وقت متأخر، كأن تعطيك دليلًا؟ فكّر، أوجي، فكّر».

«أنا..». يقول أوجي ويضع يده على جبينه. «أنا..».

أحاول أن أفكر في أي شيء يمكن أن تكون نينا قد قالته لي في المكتب البيضَوي. تحدثت عن حرق البلاد، عن كونها صفقة تشمل أوجي.

قدّمتْ لي تذكرة لحضور مباراة بيسبول في بطولة واشنطن الوطنية. المروحية التي في دبي ...

يمكن أن يكون أي شيء.

«اكتب: سليمان» أقول لديفين.

يكتب الكلمة ويضغط زر الإدخال. تختفي الكلمة.

أدخل الكلمة

الرئيسة:________________________ 27:46

تقول كايسي: «استخدم جميع الأحرف الاستهلالية، أي الأحرف الكبيرة. لأنها قد تكون حساسة لحالة الأحرف»

وهو ما يقوم ديفين به. لكن لا شيء.

«ماذا لو جعلنا جميع الأحرف صغيرة؟»

«كلا».

«اكتب اسمه بالكامل، سليمان سيندوروك». أقول.

يطبعه ديفين. ولا رد.

«يا يسوع، كيف يفترض بنا أن نفعل هذا؟»

بسيطة، هذا ما قالته نينا في الرسالة النصية.

أتحسّسُ جيبي. وأنظر حولي في الغرفة. «أين هاتفي؟ أين هاتفي بحق الجحيم؟»

يقول أوجي: «جرّب: نينا».

«كلا. لا في الأحرف الاستهلالية، ولا حتى مع الأحرف الصغيرة». يقول ديفين بعد تجربة كتابة الاسم.

«جرّب كتابة: نينا شينكوبا. بكل الطرق المختلفة».

«كيف تتهجّى شينكوبا؟»

الجميع ينظر إلى أوجي، الذي يتجاهلهم جميعًا. «لم أكن أعرف اسمها الأخير حتى أخبرتَني به أنت الآن». يجيبني.

لم أشاهده مكتوبًا قط. أعطتني ليز المعلومات. أنا بحاجة إلى الاتصال بها. أتحسّس جيبي مرة أخرى، وأنظر حول الغرفة. «أين هاتفي؟»

تقول كايسي: «من المحتمل أن يكون ش-ي-ن-ك-و-ب-ا»

يحاول ديفين طباعته بعدة طرق. لا حظّ لنا. وألقي نظرة على العدّاد:

26:35

«أين هاتفي بحق الجحيم؟» أقول مرة أخرى. «هل قام أحد..».

ثم أتذكّر أني نسيت هاتفي في غرفة الحرب. ألقيته بعيدًا بينما كان ديفين على وشك تفعيل الفيروس. عندما حصل أليكس على إذن بالهجوم في الخارج ودفعنا إلى غرفة الاتصالات، نسيته هناك.

«سأعود لأجلب هاتفي». أقول.

أليكس، الذي ما زال ممسكًا باللاسلكي، يراقب الأمور في الخارج، ويشاهد حركتي ويهرع ليغلق الباب.

«لا يا سيدي! نحن في وضع الإقامة الجبرية. ما زال كل شيء غير واضح لنا».

«هاتفي، يا أليكس. أنا في حاجته..».

«لا يا سيدي، سيدي الرئيس».

أشدّه من قميصه، وفيما هو مشدوه أقول له: «أعطيك أمرًا مباشرًا، أيها العميل. هذا الهاتف أكثر أهمية من حياتي».

«إذن، سأجلبه». يقول ويمدّ يده إلى جيبه.

«إذن اذهب أليكس! اذهب!»

«لحظة واحدة، يا سيدي». يقول، ويخرِج شيئًا من جيبه.

«استمروا في المحاولة!» أخاطب فريقي بصوتٍ عالٍ. «جرّبوا اسم أوجي! أوجي كوسلينكو!»

106

تجلس باخ، فوق الغسالة والنشافة المنتصبتين، وتدفع نفسها للأسفل وتهبط بهدوء على أرضية الغرفة المظلمة. تنظر عبر المدخل. كما قيل لها، الطابق الأرضي ليس متاهة من الغرف بل رواق واحد مع عدد من الغرف على كل جانب ودرج في منتصف الرواق إلى يسارها.

خلفها، من النافذة المفتوحة، تسمع شيئًا ما في الخارج: دويّ مركب يرسو، وفوضى الأوامر الصارخة، والأقدام التي تدوس الأرض، والرجال المنتشرين.

المروحية مرة أخرى. وصول المارينز، وربما القوات الخاصة.

وقع أقدامهم. إنهم يركضون. الركض نحو النافذة المفتوحة...

تقرفص، وترفع سلاحها.

يسرع الرجال ويتوقفون. يتوقف أحدهم بالقرب من النافذة.

ماذا هم فاعلون...

ثم سمعت صوتًا: «الفريق الغربي، في موقعه!»

الفريق الغربي.

هذا هو الجانب الغربي من البيت الريفي. الفريق الغربي. هناك أيضًا فِرَق الشمال والجنوب والشرق أيضًا.

لقد حاصروا المنطقة المحيطة.

في تلك اللحظة فقط، تفكّر في والدتها، دليلة، وما عانته خلال مداهمات الجنود الليلية، وما فعلته لطفليها كل ليلة. كانت تضعهما في غرفة بعيدة عن غرفة النوم، داخل الخزانة، وتلفّ سمعَيهما بعناية بسماعات رأس كي يتمكنا من الاستماع إلى موسيقا الباسا كاليا، أو كونشيرتو لعازفَين، وليس إلى الأصوات المنبثقة من غرفة النوم. «فقط استمعا إلى الموسيقا». قالت لباخ وشقيقها.

تُصَلّب باخ نفسها وتخطو خارج الغرفة، نحو عتبة الغرفة الأولى إلى اليسار. التي يسمونها غرفة الحرب.

وتختلس النظر إلى شاشة بيضاء كبيرة تعرض الكلمات:

أدخل الكلمة الرئيسة:

26:54___________________________

ثم كلمة واحدة مكتوبة في المربع: نينا شينكوبا.

تختفي الكلمة. وإذا بكلمة أخرى: نناينا شينكوبا.

تستمر الكلمات في الظهور، ثم تختفي: نينا شينكوبيا - نيانا شينكوبا - نيانا شينكوبيا.

الرقم إلى جانب المربع – نوع من المؤقت التنازليّ:

26:42

26:39

26:35

تثب نحو الحجرة، وتخرج سلاحها. تُلقي نظرة عابرة على ما فيها، فلا تلمح شيئًا. تتحقّق بسرعة من خزانة الملفات التي خلفها، وكومة من الصناديق المكدّسة. لا أحد يختبئ.

الحجرة فارغة. هذه هي الحجرة التي كان من المفترض أن تجده فيها، لكن لا أحد هنا.

تنظر إلى الشاشة البيضاء، تستمرّ كتابة كلمات جديدة: أوجي كوسلينكو - أوجاي كوسلينكو - أوجي كوسلاينكو.

إنها تعرف هذا الاسم بالطبع، لكنها لا تعلم السبب في كتابته على الشاشة.

تقفز على صوت أزيز الهاتف، واهتزازه على مكتب خشبي. تقرأ على شاشة الهاتف. ليز مكتب التحقيقات الفيدرالي، ثم تنظر بعينيها نظرة خاطفة إلى الأعلى.

وللمرة الأولى، تلحظ الكاميرا الأمنية التي تنظر إليها من الزاوية، والضوء الأحمر الذي يومض ممّا لا يدع مجالًا للشك في أنها فعّالة، وتشاهدها.

تجرجر قدميها إلى اليمين. فتتحرّك الكاميرا معها.

تسري القشعريرة فيها.

تسمع ضجيجًا من غرفة الغسيل، أحدهم يركل النافذة، ويحاول الدخول من الخارج.

ووقع أقدام مُلِحّة في الطابق العلوي. عدد من الرجال لا يمكنها تعدادهم، يتراكضون نحو الباب المؤدي إلى الطابق الأرضي. والباب يتأرجح مفتوحًا.

مزيدًا من الأقدام تدقّ الدّرج مع تسارع الرجال.

تنتقل باخ إلى باب غرفة الحرب، وتقفلها، ثم تتراجع، للخلف خطوة خطوة، إلى أن تصطدم بالجدار البعيد.

تفك كاتم الصوت من سلاحها الناري.

تتنفّس بعمق، محاولة تهدئة النبضات في عروقها. والدموع الدافئة تغلّف مجال رؤيتها الآن.

تتحسّس بطنها بلطف. «أنتِ هديتي الجميلة، دراغا». همست بلغتها الأم، واهتزّ صوتها. «سأظل معك دائمًا».

تنزع هاتفها من خصرها، وتُحرّر سماعات الأذن التي كانت ملتفّة تحت ملابسها حتى أذنيها. «هنا، دراغا». تتحدّث للطفلة بداخلها. «استمعي إلى هذا يا ملاكي الجميل».

تختار كانتاتا الكنيسة *زيليج استيمان*((37))، التي يقودها على الكمان ويلهام فريديمان هيرتسوغ؛ ذات المقدمة الرقيقة عن المسيح؛ التي يصيح فيها بصوته السوبرانو:

أُنهي سريعًا حياتي الدنيوية،

أتوق إلى وقت أرحل فيه بفرح.

تنزل منزلقة بظهرها من الجدار إلى الأرضية. تضع الهاتف على بطنها وترفع صوته.

«فقط استمعي إلى الموسيقا، دراغا» تقول.

---

(37)) الكنتاتا: صنف من التآليف الموسيقية الغربية يوضع لصوت واحد أو أصوات كثيرة، تكون مرفقة بعزف آلات موسيقية. تتناول كنتاتا الكنيسة لباخ مواضيع دينية.

107

أشاهد أنا وأليكس البث من غرفة الحرب على شاشته المحمولة أثناء انهيار القاتلة على الأرض، وعينيها المغمضتين، ووجهها المموّه الذي على ما يبدو في سلام.

تضع المسدس تحت ذقنها. كما تضع هاتفها تجاه بطنها.

أقول: «إنها تعرف أنها محاصرة».

«نحن جميعًا مكشوفون بطريقة ما». يخبرني أليكس. «ما تبقى من الطابق الأرضي والبيت الريفي خاليين تمامًا. هناك فريق خارج بابها، وعلى استعداد لاقتحامه. لقد حان الوقت الآن لكي نذهب، سيدي الرئيس».

«لا يمكننا الذهاب أليكس، يجب علينا..».

«ربما تضع المتفجرات يا سيدي».

«إنها ترتدي بدلة ضيقة».

«يمكنها أن تخفيها تحتها. قد يكون الهاتف ملغّمًا. إنها تمسك به منخفضًا عن بطنها. لماذا تفعل ذلك؟ »

ألقي نظرة على الشاشة مرة أخرى. تفصل سماعات رأسها قبل وضع الجهاز على بطنها.

أستعيد ذكرى الغناء لليلي، عندما كانت داخل بطن ريتشل المنتفخ.

«علينا أن نذهب الآن، يا سيدي». يمسك أليكس ذراعي. سيجرني إن لم أذهب طوعًا.

يستمر كل من ديفين وكايسي وأوجي في محاولة تخمين

الكلمة الرئيسة.

« كم من الوقت لدينا، ديفين؟»

«اثنتان وعشرون دقيقة».

«هل يمكنك أخذ هذا الكمبيوتر المحمول إلى المروحيّة؟ وهل ستنجح من هناك؟ »

«نعم، بالطبع».

«إذن دعنا نذهب. جميعًا ».

يقف فريق من مشاة البحرية على الجانب الآخر من الباب عندما يفتح أليكس.

يرافقوننا على السلالم، خلال المنزل، إلى الشرفة، أسفل الدرج، وإلى مهبط الطائرات المروحية، حيث تنتظرنا مارين ون. أليكس فعل كُلّ ما يمكنه فعله عدا أنه لم يختطفني فيما نمضي، وديفين يحْمل الكمبيوتر المحمول بحذر كأنه طفل رضيع.

«أحتاج هاتفي». أُخبِر أليكس بينما نسارع إلى دخول المروحية. «أخرجنا جوًّا، وحافظ على مسافة آمنة، لكن أبقنا قريبين. أحتاج إلى شخص ليجلب هاتفي».

ندخل إلى المروحية، طلبًا لشيء من الراحة، يسقط ديفين في مقعد جلد كريميّ ويعود للعمل على لوحة المفاتيح.

«عشرون دقيقة فقط» يقول. مارين وان ترتفع عن الأرض وتنحرف فوق الأشجار، فوق تبادل إطلاق النار على البحيرة، وبقايا المركب الذي قضت عليه مروحية

فايبر.

عندما أنظر من فوق كتف أليكس إلى الشاشة في يده، أدعو ديفين: «جرّب: أبناء الجهاد. بكل الطرق الممكنة. أو ربما فقط: الجهاد».

«نعم يا سيدي».

على الشاشة، لا تزال القاتلة دون حراك. والبندقية تحت ذقنها، وتضغط على الهاتف تجاه بطنها. تجاه رحمها.

يرفع أليكس اللاسلكي. «المارينز، تمّ إجلاء الرئيس. اقتحموا الغرفة ».

آخذ اللاسلكي من أليكس، وأقول: «إنه الرئيس دنكان. أريدها حيّة إن أمكن».

108

تغمض عينيها وتُدندن مع الموسيقا، ولا شيء في العالم يتواجد معها سوى جنينها الذي ينمو داخلها، فقط دليلة، والآلات الوترية المرحة، والترانيم الحنونة لجوقة المغنّين.

لا صوت لتحطّم الباب كي يُفتح.

ولا أوامر من الجنود لإسقاط سلاحها، والاستسلام.

وما زالت بندقيّتها تضغط تحت ذقنها، وتراقب الرجال وهم يخرجون، والأسلحة في أيديهم.

لابدّ أن لديهم أوامر لجلبها على قيد الحياة. لأنها كانت ستموت بالفعل إن لم يفعلوا ذلك.

لا يمكن أن يؤذوها الآن. إنها في أمان.

«هذا هو أفضل ما يمكنني القيام به بالنسبة لكِ، دراغا». همست.

ترمي البندقية أمامها، وتتقدّم باسطة كفّيها، ومطأطئة رأسها صوب السجادة.

ترفعها قوات المارينز في لحظة، كما لو كانت دون وزن، وتندفع بها خارج الغرفة.

109

أقول لأليكس: «اهبط بنا على الأرض! أحتاج ذاك الهاتف!»

«ليس بعد». يجيبني أليكس رافعًا اللاسلكي ويقول عبره: «أخبروني عندما تصبح جاهزة!»

أي حين يتأكدون من أنها لا تحمل أيّ متفجرات، هذا ما يعنيه، أو عندما يتمّ نقلها بعيدًا بما يكفي للقضاء على أي تهديد ممكن أن يصيبني.

سرعان ما تخرجها قوات المارينز بسرعة من الغرفة، يمسك جندي واحد بكل طرف من أطرافها، وتختفي عن مجال الكاميرا.

«أي شيء؟» أتحدث إلى ديفين، وأنا أعرف الإجابة بالفعل.

«لم تنجح كلمة *أبناء الجهاد*، ولا *الجهاد* بكافة أشكالهما».

«جرّب كتابة أبخازيا، أو جورجيا» أقول.

«كيف تتهجّى أبخازيا؟»

«أ-ب-... أحتاج إلى كتابتها. أين الورق؟ *أين الورق والقلم!*»

تدفع كايسي لوح مذكرة صغير في يدي، وتعطيني قلمًا. أكتب الكلمة وأقرؤها له.

يطبعها. «لا في حالة الحروف العادية... ولا في حالة الحروف كبيرة... ولا حتى في حالة الحروف صغيرة..».

«أضف حرف نون، إنها أبخازيان».

يفعل ذلك. «لا».

«هل أنت متأكد من أنك تهجّيتها بشكل صحيح؟»

«أنا... أعتقد ذلك».

«هل تعتقد ذلك؟ لا تكتفوا بالتفكير فحسب، ديفين!» أتقدم الآن، وأمشي إلى شاشة جهاز كمبيوتري لإلقاء نظرة خاطفة على المؤقت:

18:01

17:58

وأحاول تذكّر أي شيء أخبرتني نينا به، أي شيء لاحظته في الرسائل النصيّة.

«كل شيء جاهز!» ينادي أليكس. «لنُعِد هذه المروحية إلى الأرض!»

يتحرك الطيار بسرعة كبيرة لم أختبرها من قبل في مارين ون، يقترب من الغطس هبوطًا ثم يصحّح مسار الطائرة، وتلمس بلطف مهبط الطائرات المروحية الذي غادرناه للتو.

يدخل العميل جاكوبسون بسرعة إلى المروحية ويسلمني هاتفي.

أسحب المستند، نص الرسائل النصية، الذي لم أكمل قراءته بعد في فوضى الساعة الأخيرة.

يرنّ الهاتف في يدي. يظهر اسم ليز مكتب التحقيقات الفيدرالي، كما يقول معرّف المتصل.

«ليز» أجيب. «ليس هناك وقت، لذا اجعلي هذه المكالمة سريعة».

110

أطلب من كارولين، كبيرة هيئة موظفيّ، التي تحدّثت معها عشرات المرات اليوم، لكن يبدو كأنّ عمرًا مضى منذ آخر محادثة جمعتنا، مع كل ما حدث في الآونة الأخيرة - تشغيل اختبار «لعبة التظاهر بالموت»، فتح موظّفو مكتب التحقيقات الفيدرالي هاتف نينا الآخر، والهجوم على البيت الريفي، واكتشاف آلية الإيقاف التي ثبّتتْها نينا جنبًا إلى جنب مع الكلمة الرئيسة.

«سيدي الرئيس! الشكر للرب! لقد كنتُ...».

«اسمعي يا كارولين، اسمعي. ليس لدي الوقت لأشرح. لدينا أقل من ست دقائق قبل أن ينفجر الفيروس ».

أسمع كارولين تكتم أنفاسها.

«هناك كلمة رئيسة». أتابع قائلًا: «أنشأتْ نينا كلمة رئيسة لإيقاف الفيروس. إذا استطعنا اكتشاف الكلمة الرئيسة، فسنقوم بتعطيله في جميع الأنظمة. وإذا لم نفعل ذلك، فسيتم إطلاقه في جميع الأنظمة — إنها عصور الظّلام. لقد جرّبت كل شيء مع خبرائنا التقنيين. نحن ببساطة نخمّن فقط. أحتاج إلى أذكى الناس الذين أعرفهم. أحتاج إلى فريق الأمن القومي لدينا. اجمعي الكل معًا ».

تتساءل: «الكل؟ بما في ذلك نائبة الرئيس؟»

أقول: «خاصة نائبة الرئيس».

«نعم يا سيدي».

«لقد كانت هي، يا كارولين. سأشرح لكِ لاحقًا.

يجب أن تعرفي أيضًا. أمرتُ للتو بتفتيش مكتب نائبة الرئيس في الجناح الغربي. عندما يظهر مكتب التحقيقات الفيدرالي، من المحتمل أن يخبرك بذلك شخص ما. فقط دعيهم يقومون بذلك ».

«نعم يا سيدي».

«اجلبي الجميع إلى المؤتمر، ووافيني في مارين ون، حيث أنا الآن».

«نعم يا سيدي».

«افعليها الآن، يا كارولين. نحن في... خمس دقائق».

111

أمشي بعيدًا عن ديفين وكايسي، المنهارين كليًّا في الكراسي الجلدية الفاخرة في المقصورة المركزية في مارين ون، وتعابير وجهيهما شاحبة، وشعر أحدهما ملبّد بالعرق أكثر من الآخر، وأعينهما تحدّق إلى الأعلى. لقد مروا بموقد الضغط، وقاموا بكل ما في وسعهم. لن أحتاجهم بعد الآن. الآن الأمر متروك إلي وفريق الأمن القومي.

وأوجي، أقرب تواصل نملكه مع نينا.

أمشي عبر المقصورة الخلفية وأغلق الباب ورائي بعد ترك أوجي فيها. تهتزّ يدي بينما أرفع جهاز التحكم عن بُعد على شاشة التلفاز المسطّحة وأضغط على الزر، ثم تظهر مباشرة وجوه ثمانية أشخاص - ليز وكارولين وعُصبة الستة.

يجلس أوجي في أحد الكراسي الجلدية، والكمبيوتر المحمول في حضنه، وعلى استعداد للطباعة.

«أطلعتكم كارولين؟» أقول لفريقي على الشاشة. «لدينا كلمة رئيسة، ولدينا..».

وأنظر إلى هاتفي، الذي يحتوي على جهاز مؤقت خاص به قمت بمزامنته مع مؤقت الفيروس.

4:26

4:25

«...أربع دقائق ونصف لمعرفة ذلك. لقد جربنا كافة الطرق لكتابة اسمها، واسم أوجي، واسم سليمان سيندوروك، وأبخازيا، وجورجيا، وأبناء الجهاد. أحتاج

إلى أفكار، إلى عقول، في حاجة إليكم الآن».

«متى عيد ميلادها؟» تسأل مديرة وكالة الاستخبارات المركزية ، إيريكا بيتي.

تجيب لين، التي تحمل ملف نينا: «نعتقد أنه في 11 أغسطس 1992».

أشير إلى أوجي. «جرّب 1992-11-08»

«لا». تقول إيريكا. «الأوروبيون يضعون اليوم قبل الشهر.

جرّب11-8-92».

«هذا صحيح». أنتقل إلى أوجي، وقلبي يتأهّب. «جرّب كلتا الطريقتين، أظنّ ذلك».

يطبع بسرعة، ويتّجه للأسفل، ويتجعّد جبينه مع التركيز.
«لا». يقول في المحاولة الأولى.

«لا». في المرة الثانية.

«لا». في المرة الثالثة.

«لا». في الرابعة.

3:57

3:54

عيناي على نائبة الرئيس كاثي براندت، التي آثرت الصمت حتى الآن.

ثم ترفع كاثي رأسها. «ماذا عن عائلتها؟ أسماء العائلة. الأم، الأب، الأشقاء».

«ليز؟»

«الأم هي ناديا، اسم العائلة غير معروف. الأب هو ميخائيل».

«أوجي جرِّبها، بكل الأشكال - كل الحروف الكبيرة، والصغيرة، والحروف العادية، أيًّا كان. جرِّب أسماءهم معًا أيضًا». مما يعني بالطبع كل مجموعة من المسافات والحروف. كل تخمين له احتمالات متعددة. وكل تبديل يستغرق وقتًا أطول.

«استمرّوا في الاقتراحات بينما هو ينقر لوحة المفاتيح. أسماء الأشقاء فكرة جيدة. ماذا عن...».

أطقطق أصابعي، فأقاطع نفسي. «كان لدى نينا ابنة أخ، أليس كذلك؟ أخبرتني نينا أنها لقيت حتفها في انفجار. أصيبت نينا بشظية في رأسها. هل نعرف اسم ابنة أخيها؟ ليز؟ أوجي؟»

تقول ليز: «ليس لدي هذه المعلومة».

يقول أوجي: «لم تنجح أسماء العائلة. جرّبت كل مجموعة».

3:14

3:11

«ماذا عن ابنة أخيها، أوجي؟ ألم تخبرك أبدًا عن ابنة أخيها؟»

«أنا... أعتقد أن اسمها يبدأ بحرف الراء...».

«يبدأ بالراء؟ أحتاج إلى أكثر من ذلك! هيا يا قوم!»

«ما الذي دفعها للتحرّك؟» تسأل كارولين. «ما هو الأهم بالنسبة إليها؟»

ألقي نظرة على أوجي.

«الحرية؟ جرّب هذا».

يقوم أوجي بطباعتها، ويهزّ رأسه.

يقول وزير الدفاع، دومينيك دايتون: «رقم جواز سفرها».

إنه بحوزة ليز. يجرّبه أوجي.

«أين ولدت؟» يسأل رود سانشيز، رئيس هيئة الأركان المشتركة.

يقول سام هابر من وزارة الأمن الوطني: «اسم حيوانها الأليف - كلب أو قطة».

يقول برندان موهان، مستشار الأمن القومي: «اسم محطة القطار التي انفجرت».

«ماذا عن كلمة الفيروسات؟ أو القنبلة الموقوتة؟ أو دَوِيّ؟»

«هرمجدون».

«عصور الظّلام».

«اسمك يا سيدي الرئيس».

«يو إس أيه. الولايات المتحدة الأمريكية».

كلها أفكار جيدة. جميعها كُتبت في الكمبيوتر بمختلف التكرارات من كل الحروف الكبيرة والصغيرة وما شابه

ذلك.

كلها باءت بالفشل.

2:01

1:58

بقدر ما أستطيع رؤيتها، تحدّق نائبة الرئيس إلى الأمام، ومتصلّبة أو متجهّمة في التركيز. ما الذي يمر بهذا العقل الآن؟

«كانت هاربة... أليس هذا ما نعرفه؟» كارولين مرة أخرى.

«نعم».

«هل يمكننا العمل مع ذلك؟ ما هو الأهم بالنسبة إليها؟»

ألقي نظرة على أوجي، وأومئ برأسي.

يقول أوجي: «أرادت العودة إلى المنزل».

«هذا صحيح». أتابع: «لكننا جرّبنا ذلك».

«ربما... أبخازيا على البحر الأسود، أليس كذلك؟» تقول كارولين. «هل تفتقد البحر الأسود؟ أي شيء من هذا القبيل؟»

أشير إلى أوجي. «هذا جيد. جرّب البحر الأسود بكل الأشكال».

بينما أوجي ينقر، يشارك الجميع في فكرة أخرى، أشاهد فقط نائبتي في الرئاسة، الوحيدة التي اخترتها لتكون رفيقتي في الانتخابات على العديد من الأشخاص الآخرين الذين

كانوا سيقبلون بكل سرور، والذين خدموا بولاء لي ولهذه البلاد.

إنها جامدة، لكن عينيها تتحركان في كل أرجاء الغرفة التي نتواجد فيها، داخل مركز العمليات الواقع أسفل البيت الأبيض. أتمنى أن أرى وجهها بشكل أفضل. أتمنى أن أعرف ما إذا كان هذا، على الأقل، يثقل كاهلها.

«لم تنجح البحر الأسود» يقول أوجي. المزيد من الاقتراحات تأتي:

«العفو».

«الحرّية».

«الأسرة».

«لكن أيّ وطن تقصد، على وجه التحديد؟» تسأل كارولين. «إذا كان هذا هو كل ما فكّرتْ فيه، إذا كان هذا هو هدفها بالكامل... فما هي المدينة التي تنتمي إليها؟»

أقول: «إنها مُحقّة. يجب أن نبحث عن ذلك. أين عاشت، يا أوجي؟ أين على وجه التحديد؟ أو يا ليز. ليُجبني أحد منكم؟ هل نعرف أين عاشت بحقّ الجحيم؟»

تقول ليز: «عاش والداها في مدينة سوخومي. إنها تُعتبر عاصمة جمهورية أبخازيا».

«جيد. تهجّئيها يا ليز».

«س-و-خ-و-م-ي».

«امضِ، أوجي... سوخومي».

«هل أنت متأكد؟» تسأل كارولين.

أتحقّق من هاتفي، وأشعر بنبضات عروق رقبتي.

0:55

0:52

أشاهد نائبة الرئيس وهي تفتح شفتيها. إنها تقول شيئًا، لكنه يغرق بسبب اقتراحات أخرى يتم طرحها...

أقول: «توقفوا، ليصمت الجميع. كاثي، ماذا قلت؟»

يبدو أنها تُصلّب نفسها، فاجأتني بتركيزها. قالت: «جرّب ليلي».

أنكمش. لا ينبغي أن أكون مندهشًا، لكن لسبب ما أنا كذلك.

أشير إلى أوجي. «افعل. جرّب اسم ابنتي».

0:32

0:28

يكتبها أوجي بأشكالها المختلفة. يهزّ رأسه. يحاول بطرق مختلفة، بكل الحروف الكبيرة والصغيرة. يهزّ رأسه. ويحاول بطريقة أخرى...

«سيدي الرئيس». تقول كارولين: «يمكن كتابة اسم عاصمة أبخازيا، سوخومي، بأكثر من طريقة».

أخفِض رأسي وأغمض عينيّ. هذه هي الطريقة التي أذكر بها تهجئتها أيضًا.

«لا مع ليلي». يقول أوجي.

«ساوخومي» أخبره.

يكتبها. وتدخل الغرفة في صمت مهيب.

0:10

0:09

ترتفع أصابع أوجي عن لوحة المفاتيح. ويرفع يديه وهو يشاهد الشاشة.

0:04

0:03

يقول: «قُبِلت الكلمة الرئيسة. تمّ تعطيل الفيروس».

112

تقول كايسي، وهي معي في المقصورة الخلفية الآن، وتحمل الكمبيوتر المحمول في يديها: «لقد أكّدنا أمر الإيقاف، فقد تمّ نقله عبر النظام. تمّ إيقاف الفيروس. في كل مكان».

«ماذا عن أجهزة الكمبيوتر والأجهزة الأخرى غير المتصلة الآن، بالإنترنت؟» أسأل: «لم تصلهم رسالة الإيقاف»

«إذن لم يتسلّموا رسالة التنفيذ» يقول ديفين، ويتابع: «والآن لن يستلموها أبدًا. إنها في رسالة الإيقاف».

تقول كايسي: «لكن على الرغم من كل ذلك، فأنا لن أترك هذا الكمبيوتر المحمول بعيدًا عن عيني. سأراقب تلك الشاشة بعينيّ صقر».

آخذ نفسًا واحدًا من أعمق الأنفاس التي أخذتها على الإطلاق، الأوكسجين حلو ولذيذ. وأقول: «إذن لن يتضرر جهاز واحد من هذا الفيروس؟»

«صحيح يا سيدي».

وللتأكد من أنّ فيروس سليمان لن يعود إلى الحياة حتى وإن كانت نسبة حدوث ذلك ضئيلة، فإن وزارة الأمن الداخلي ستقوم بإرسال شفرة الكلمة الرئيسية *ساوخومي* من خلال نظام الاستجابة السريعة الذي أُنشئ بواسطة أوامر تنفيذية مختلفة وقّعتُ عليها، كجزء من نظام معزّز لمكافحة الإرهاب الإلكتروني على نطاق واسع. أساسًا،

يمكننا تفكيك المعلومات إلى مستلِم مُحدّد، أو شخص في منصب ما في أي شركة، وفي أي ساعة من النهار أو الليل. كل مزوّد خدمة إنترنت وكل ولاية وحكومة محلية وكل عضو في كل قطاع صناعي - بنوك ومستشفيات وشركات تأمين ومصنّعين والعديد من الشركات الصغيرة التي أقنعناها للتسجيل: خلال الثواني القليلة القادمة، جميعهم سيتلقون هذه الكلمة الرئيسة.

سيتم أيضًا تفكيك الكلمة الرئيسة لنظام الإنذار في حالات الطوارئ، بحيث تصل إلى كل تلفزيون، وإلى كل كمبيوتر وهاتف ذكي.

أومئ، وأنتصب، وأشعر بعاطفة مفاجئة تجتاحني. أنظر من نافذة مارين ون إلى سماء بألوان قوس قزح مع غروب شمس يوم السبت.

لم نفقد بلادنا.

أُنقذت الأسواق المالية، ومدّخرات الأفراد وسجلات التأمين، والمستشفيات، والمرافق العامة. ستظل الأضواء قيد التشغيل. وستظل أرصدة التمويل المتبادل وحسابات التوفير تعكس مدّخرات الأفراد في الحياة. لن تنقطع دفعات الرعاية الاجتماعية والمعاشات التقاعدية. سوف تعمل السلالم المتحركة والمصاعد. لن تبقى الطائرات على الأرض. والغذاء لن يفسد. وستبقى المياه صالحة للشرب. لا كبوة اقتصاديّة كبيرة. لا فوضى. لا نهب ولا سلب ولا شغب.

لقد تجنّبنا عصور الظّلام.

أمشي نحو المقصورة الرئيسة، حيث أجد أليكس.

«سيدي الرئيس». يقول: «نحن نقترب من البيت الأبيض».

يرِنّ هاتفي. إنها ليز. «سيدي الرئيس، عثروا عليه في مكتب نائبة الرئيس».

«الهاتف» أقول.

«نعم سيدي، الهاتف المصاحب لهاتف نينا».

«شكرًا لك ليز. قابليني في البيت الأبيض. وليز؟»

«نعم يا سيدي».

«أحضري أصفادك معك» أقول.

113

يجلس سليمان سيندوروك في البيت الصغير الآمن الذي وضعوه فيه، في قاعدة جبل ميدفيدنيكا، مُحدّقًا في هاتفه، كما لو كان التحديق فيه سيجعله يتغيّر.

«الفيروس مُعطّل».

أوّلًا، تلقى رسالة نصية «الفيروس مُعلّق» بعد لحظات من تهنئته على هلاك الولايات المتحدة أثناء ركوبه سيارة الجيب. وبعد أقل من نصف ساعة، يتلقى هذه الرسالة. يستمر في التحديق إليها، كما لو كان ذلك سيؤدي إلى تغييره مرة أخرى.

كيف؟ كان الفيروس مضادًّا للرصاص. كانوا على يقين من ذلك. أوجي... أوجي كان مجرّد مُخترِق في النهاية. لم يستطع فهم ذلك.

إنها نينا، يجزم. يجب أن تكون نينا قد فعلت شيئًا لتخريبه...

يُقرع الباب بسرعة، ويُفتح. يدخل أحد الجنود، حاملًا سلة من الطعام - الرغيف الفرنسي، والجبن، وزجاجة مياه كبيرة.

«منذ متى أنا هنا؟» يسأل سليمان.

ينظر الرجل إليه. «منذ أكثر من أربع ساعات كما قيل لي».

أكثر من أربع ساعات. ذاك يعادل تقريبًا منتصف الليل، وهو التوقيت الرسمي الشرقي، كما أنه التوقيت الذي

تمّ فيه توقيت إطلاق الفيروس إذا لم يكن الأمريكيون قد قاموا بتنشيط مبكر.

إنهم ينتظرون نجاح الفيروس قبل نقله إلى وجهته. يُلقي نظرة على هاتفه مرة أخرى.

«الفيروس مُعطّل».

«هل هناك... مشكلة؟» يسأل الجندي.

«لا، لا». يقول: «لا توجد مشكلة».

114

أنزل سلالم مروحيّة مارين ون، وأؤدي التحية العسكرية للقوات البحرية. إلقاء التحية يستغرق فترة أطول من المعتاد. بارك الربّ في قوات المارينز البحرية.

تقف كارولين هناك، في انتظاري. «مبارك، يا سيدي الرئيس». كما تقول.

«أنتِ، أيضًا. لدينا الكثير لنناقشه، لكني بحاجة إلى دقيقة».

«بالطبع يا سيدي».

أعدو ببطء إلى أن أصل وجهتي.

«أبي، يا إلهي..».

تقفز ليلي عن سريرها، ويقع الكتاب من حضنها على أرضية غرفتها. وهي بين ذراعيّ قبل أن تتمكن من إنهاء جملتها.

«أنتَ بخير». تهمس قرب كتفي بينما أمسّد شعرها. «كنتُ قلقة للغاية يا أبي. كنتُ على يقين من أنّ شيئًا سيئًا سيحدث. ظننت أنني سأفقدك أيضًا..».

يرتجف جسدها وهي بين ذراعيّ، فيما أقول لها، «أنا هنا، أنا بخير». مرارًا وتكرارًا، مُستنشِقًا رائحتها الفريدة، شاعرًا بدفئها. أنا هنا، وأنا أفضل مما كنتُ عليه منذ فترة طويلة جدًا. ممتن جدًا، وممتلئ بالحب.

كل شيء آخر ينجرف بعيدًا. هناك الكثير للقيام به،

لكن في هذه اللحظة، كل شيء آخر لا يساوي شيئًا، طُمِس في الضباب، وكل ما يهم هو فتاتي الجميلة، الموهوبة، العذبة.

«لا زلتُ أفتقدها». تهمس، وتكمل: «أفتقدها أكثر من أي وقت مضى».

وأنا أيضًا. أفتقدها جدًا، يبدو الأمر كأنني سأنفجر. أريدها هنا الآن، للاحتفال، للإمساك بي، لإلقاء دعابة، ولضرب غروري قليلًا قبل أن يصبح رأسي كبيرًا جدًّا.

«إنها دائمًا معنا». أقول: «لقد كانت معي اليوم».

أتراجع، وأمسكها براحتيّ من ذراعيها وأنظر إلى عينيها، ألمح دمعة تنساب على خدّها، أمسحها. يعيدني وجهها للخلف، فقد بدا أشبه بملامح ريتشل أكثر من أي وقت مضى.

أقول: «يجب أن أكون رئيسًا الآن».

115

أجلس، مُطمئن البال ومُنهكًا على الأريكة في المكتب البيضَوي. ما زلت لا أصدق أنّ الأمر قد انتهى.

بالطبع، لم ينته الأمر حقًا. بطريقة ما، فإن الجزء الأصعب لم يأت بعد.

يجلس إلى جانبي داني، الذي أحضر لي كأسًا من الويسكي - الشراب الذي يدين لي به بعد أن فشل في اختيار العملة المناسبة لآلة الشراب. إنه لا يقول الكثير، مع العلم أني بحاجة إلى التأني في كل شيء. إنه هنا لوجودي هنا.

نائبة الرئيس لا تزال في مركز العمليات، لا تزال داخل تلك الغرفة تحت الحراسة. إنها لا تعرف السبب. لم يخبرها أحد لماذا. ربما تتعرّق الآن.

حسنًا. اسمحوا لها بالتعرّق.

يُطلعني سام هابر على المستجدّات باستمرار. إنّ القول المأثور «عدم وجود أخبار هو خبر جيد بحدّ ذاته» لم أشعر قط بمدى صدقه سوى الآن. الفيروس مُعطّل. لا مفاجآت، ولا دراماتيكية مفاجئة مع إعادة تشغيل الفيروس. لكن لدينا أشخاص يراقبونه، يرفرفون حول أجهزة الكمبيوتر مثل آباء حريصين.

لا تتحدث شبكات التلفزة الإخبارية عن أي شيء سوى فيروس سليمان. كلهم يعرضون لافتة في أعلى الشاشة تقول إن الكلمة الرئيسة هي ساوخومي.

«لديّ بعض الأعمال غير المنجزة» أقول لداني: «أنا مضطرّ إلى طردك من هنا!»

«بالتأكيد». يقول، وينهض عن الأريكة. «بالمناسبة، أخطط أن أنسب الفضل كاملًا إليّ في كل ما حدث! الكلام الحماسي الذي قدمته لك هو ما صنع الفرق!»

«دون شك!»

«هذه هي الطريقة التي سأذكر بها ما حدث، على أي حال».

«يمكنك فعل ذلك، دانيال. يمكنك فعل ذلك ».

تصمد ابتسامتي فيما يأخذ داني طريقه للخروج. ثم أضغط على زر في هاتفي وأخبر سكرتيرتي، جوان، بأنني سألتقي كارولين.

تدخل كارولين فجأة. تبدو مُنهكة، لكن مرة أخرى، كلنا مثلها. لا أحد نام الليلة الماضية، والضغط الذي كابدناه في آخر أربع وعشرين ساعة... كل الأمور أُخذت بعين الاعتبار، كارولين تبدو أفضل من معظمنا.

تقول: «المديرة غرينفيلد موجودة هناك».

«أعلم. طلبتُ منها الانتظار. أردت التحدث معكِ أولًا ».

«حسنًا، يا سيدي».

تمشي وتجلس في أحد الكراسي المقابلة للأريكة.

«لقد فعلتِها، يا كارولين». أقول: «أنتِ من حلّها».

«أنتَ من فعل هذا يا سيدي الرئيس، لستُ أنا».

حسنًا، هذه هي الطريقة التي تسير بها الأمور. تتوقف المسؤولية عند الرئيس في كلا الاتجاهين للأفضل أو للأسوأ. إذا حقق الفريق نصرًا، فالرئيس الذي يحصل على الفضل. لكن كلانا يعرف من اكتشف الكلمة الرئيسة.

أنفخ الهواء، ولا تزال أعصابي مشدودة.

«أنا من أفسد الأمر، كارولين». أقول: «بانتقائي كاثي براندت في منصب نائبة الرئيس».

لا تتسرّع في معارضتي. «السياسة كانت منطقية، يا سيدي».

«هذا ما دفعني لفعل ذلك. لأسباب سياسية. لا يجب عليّ فعل ذلك ».

مرة أخرى، لا تعارضني.

« كان يجب أن أختار رفيقة في العمل على أساس الجدارة. وأعتقد أنّ كلانا يعرف من الذين كنت سأختارهم إن كان الأمر يستند إلى الجدارة. أذكى شخص قابلته في حياتي. الأكثر انضباطًا. الأكثر موهبة ».

يتورّدُ وجهها. دائمًا يتشتّت الفضل، والاهتمام.

«بدلًا من ذلك، أعطيتكُ أصعب وظيفة في واشنطن. الأكثر نكرانًا للجميل».

تلوّح بكفها وتحمرّ خجلًا، فهي لا ترتاح للمديح. «إنه لشرف لي أن أخدمك يا سيدي الرئيس، مهما كانت قدرتك على اتخاذ القرار».

آخذ رشفة أخيرة، جرعة صحية، من الويسكي المتبقي وأضع كأسي.

«هل لي أن أسأل، يا سيدي، ماذا ستفعل مع نائبة الرئيس؟»

«ما رأيك ما الذي يجب أن أفعله معها؟»

تركل ما حولها، ورأسها يتمايل من جانب إلى آخر.

تقول: «من أجل مصلحة البلاد، لن أحاكمها. سأجد مخرجًا هادئًا لها وأطلب استقالتها، وسأدعها تختلق بعض الأعذار، ولن أخبر أحدًا بما فعلت. سأنهي كل شيء بهدوء. في الوقت الحالي، يسمع الأمريكيون أنّ فريقًا أمنيًّا موهوبًا، تحت إدارتك، أنقذنا من كارثة كبيرة. لا أحد يتحدث عن خائن أو خيانة. إنها قصة إيجابية، حكاية تحذيرية، لكن مع نهاية سعيدة. يجب أن نحافظ عليها بهذه الطريقة ».

أخذتُ في اعتباري هذا. وأضيف: «الأمر هو أني قبل أن أفعل ذلك، أريد أن أعرف لماذا».

«لماذا فعلتْ ذلك يا سيدي؟»

«لم تكن مُرتشية. ولم يتم ابتزازها. ولم ترغب في تدمير بلادنا. حتى أنها لم تكن فكرتها. كانت فكرة نينا وأوجي ».

«كيف نعرف ذلك على وجه اليقين؟» تسألني.

«أوه، صحيح». وأُكمِل: «أنت لا تعلمين عن الهاتف».

«الهاتف يا سيدي؟»

«نعم، في فوضى كل شيء في النهاية، فتح مكتب

التحقيقات الفيدرالي الهاتف الثاني الذي عثروا عليه في شاحنة نينا. واكتشفوا حفنة من الرسائل النصية. النصوص المتبادلة بين نينا والخائن».

«يا إلهي». تقول: «لا، لم أكن أعرف».

ألوّح بيدي. «لقد وقع كل من نينا وأوجي في شيء أكبر مما كانا يقصدانه. حين أدركا الدمار الهائل الذي كانا على وشك إطلاقه، انفصلا عن سليمان. وأرسلا لنا تحذيرًا بإظهار الفيروس وإخفائه سريعًا، بيكابو، لتنبيهنا للمشكلة، ثم جاءا إلى هنا للتوصل إلى اتفاق: إذا تمكّنّا من إصدار عفو من جمهورية جورجيا عن نينا، فإنها ستُبْطِل نشاط الفيروس».

«الخائن الذي منّا - التي معنا؟ كانت مجرد وسيط. إنها فقط الشخص الذي اتصلت به. لم تكن هذه مؤامرة تم طهيها. كانت تحاول إقناع نينا بالاستسلام للسفارة الأمريكية. كما كانت تسأل نينا عن كيفية تعطيل الفيروس ».

تقول كارولين: «لكنها لم تخبر أيًا منّا».

«هذا صحيح. أظن، من خلال ما قرأت، أنها شعرت أنه كلما طال التواصل مع نينا ولم تخبر أي شخص آخر، كانت الحفرة التي تحفرها أعمق. لذا أرادت أن تخرج من خط الاتصال المباشر. وأعطت نينا شفرة عصور *الظّلام* كي تُمكّنها من الاتصال بي مباشرة عبر ليلي، وأخذها على محمل الجد».

«هذا... يعطي بعض المعنى، أفترض ذلك». تقول

كارولين.

«لكن هذا الأمر- لا معنى له». أقول. «لأنه منذ اللحظة التي تواصلت فيها نينا معي بشأن عصور الظّلام وأنا أعلم أنّ لديّ يهوذا في دائرتي الداخلية، خائن ما. عليها أن تعرف أني سأحرّك السماء والأرض للعثور على الخائن. كانت واحدة من ثمانية مشتبه بهم».

تومئ كارولين، وتفكر في الأمر.

«لماذا تفعل ذلك كارولين؟ لماذا تستدعي هذا النوع من الشك؟ كاتي براندت هي مجموعة أشياء كثيرة، لكنها ليست غبية ».

تفتح كارولين يديها.

«في بعض الأحيان... الأشخاص الأذكياء يفعلون أشياء غبية»

لم تنطق بكلمات أكثر صدقًا من هذه.

«دعيني أريكِ شيئًا». أقول.

أصل إلى مجلد يحمل شارة مكتب التحقيقات الفيدرالي. كانت ليز غرينفيلد قد طبعت نسختين من الرسائل النصية. أسلّم كارولين نسخة من الثلاثة أيام الأولى - الجمعة الماضية والسبت والأحد، وهي الأيام الأولى التي قرأتها.

أقول لها: «اقرئي، وأخبريني كيف كان الخائن منّا غبيًّا».

116

«أنتَ على حق». تقول كارولين رافعة ذقنها، بعد أن قرأت جميع نصوص الثلاثة أيام المهمّة. «لم يكن هذا شيئًا تطهوه من تلقاء نفسها. لكن... لا يمكن أن تكون هذه كل النصوص. ينتهي هذا يوم الأحد، مع وعدها بإعطاء نينا كلمة الشّفرة».

«هذا صحيح، هناك المزيد». أسلّمها الورقة التالية. «هنا يوم الاثنين، الذي يوافق السابع من مايو. قبل ستة أيام فقط. في اليوم الذي همست فيه نينا بشفرة عصور *الظّلام* في أذن ليلي ».

تأخذ كارولين النسخة المكتوبة، وتبدأ في قراءتها. قرأتها من نسختي.

الإثنين، 7 مايو

م/م: 1600 شارع بنسلفانيا

نينا: الموقع غير معروف

**** جميع الأوقات بتوقيت شرق الولايات المتحدة ****

نينا (7:43 صباحًا): لقد وصلتُ إلى باريس. جئت إلى هنا على الرغم من أنك لم تعطني الشّفرة!! هل ستذهب أم لا؟ أعتقد أنّ أحدهم كان يتبعني الليلة الماضية. أتعلم أنّ سليمان يحاول قتلي؟

م/م (7:58 صباحًا): لقد فكرت في ذلك كثيرًا طوال الليل، وأعتقد أننا إذا كنّا سنثق ببعضنا، فإن علينا أن نثق ببعضنا حقًا. وهذا يعني أنه عليك أن تخبرني بكيفية

إيقاف الفيروس.

نينا (7:59 صباحًا): فعلتُ هذا من قبل. آه...لا!!! كم مرة عليّ قول ذلك؟؟ أنا الطرف الأقوى. أتعرف تهجئة كلمة القوة؟!؟

م/م (8:06 صباحًا): لقد قلت بنفسك إنك في خطر. ماذا لو لم تفعلها هنا؟ ماذا لو حدث شيء لك؟ إذن لن يمكننا وقف هذا الفيروس.

نينا (8:11 صباحًا): في اللحظة التي أخبرك فيها كيفية إيقاف الفيروس، عندها لن أساوي شيئًا بالنسبة إليك. إنها مصدر قوتي الوحيد.

م/م (8:15 صباحًا): ألم تفهم هذا حتى الآن؟ لا يمكنني الكشف عن محادثاتنا. كيف يمكن أن أشرح أنني أعرف كيف أوقف الفيروس دون أن أذكر أنني كنت أتحدث معك في الأيام القليلة الماضية؟ أنا بطل، حتى اللحظة التي أفصح فيها عن ذلك. لا بد لي من الاستقالة أو السجن على الأغلب.

نينا (8:17 صباحًا): إذا كان ذلك صحيحًا فلماذا تحتاج إلى أن تعرف؟ إذا كنت لن تستخدم ذلك أبدًا؟

م/م (8:22 صباحًا): لأنه إذا حدث شيء ما لك ولا توجد طريقة أخرى لإيقاف الفيروس، فعندئذ سأفعل ذلك. لإنقاذ بلادنا. لأني لن أستطع العيش مع نفسي بطريقة أخرى. لكن هذا هو السيناريو الأخير، الأخير، الأخير. أود أن تأتي وتلتقي الرئيس وأن نتعامل معه بنفسك ودعني خارج كل هذا.

نينا (8:25 صباحًا): لا طريقة للقيام بذلك.

م/م (8:28 صباحًا): إذن وداعًا وأتمنى لك التوفيق. ثق بي أو انس كل شيء.

وبعد فترة توقف طويلة، ثلاث ساعات، توالت الرسائل مجددًا:

نينا (11:43 صباحًا): أنا هنا في جامعة السوربون. أرى ابنة الرئيس. أخبرني بالشّفرة أو سأذهب دون عودة.

م/م (11:49 صباحًا): أخبرني بكيفية إيقاف الفيروس وسأعطيك الشّفرة. عدا ذلك، لا تتصل بي مرة أخرى.

نينا (12:09 مساء): ستكون هناك فرصة لكتابة الكلمة قبل التفجير. ستفتح نافذة لمدة ثلاثين دقيقة. اكتب فيها تلك الكلمة والفيروس سيقول وداعًا. إذا كنت تتلاعب معي فسأخبر الجميع عنك، أقسم بالرب.

م/م (12:13 مساء): لن أتلاعب بك. أريدك أن تنجح! نحن نريد الشيء ذاته.

م/م (12:16 مساء): انظر، أعلم أنك تواجه مخاطرة كبيرة. وأنا كذلك. أعرف مدى خوفك. أشعر بالرعب! نحن في هذا معًا، يا صغيري.

العصا والجزرة. إنها تتلاعب بنينا. أدركت أنّ نينا كانت تشعر بضغط شديد وتحتاجها أكثر مما كانت هي في حاجة لنينا. كانت نينا مُتمرّسة وذات مهارات عالية في الإرهاب الإلكتروني، وهي كاتبة شفرة نخبوية، لكنها لم تكن لتُباري شخصًا اعتاد على المفاوضات رفيعة المستوى على

المسرح العالمي. جاء الرد بعد عشر دقائق تقريبًا:

نينا (12:25 مساء): الكلمة الرئيسة هي: ساوخومي.

م/م (12:26 مساء): الشفرة هي: عصور الظّلام.

تبحث كارولين عن الصفحة.

«كانت تعرف». وتكمل كارولين: «إنها تعرف الكلمة الرئيسة منذ يوم الاثنين».

لا أتفوّه بأي شيء. كنت أتمنى لو كان لديّ مزيد من الويسكي، لكن الدكتورة لين ربما توبّخني لأجل كأس واحد.

«لكن... انتظر. متى قرأت هذا، سيدي الرئيس؟ »

«تلك الصفحة... صفحة الاثنين؟ لم أقرأ ذلك إلى أن أصبحت على متن مروحية مارين ون، وبعد أن حصل جنود البحرية على هاتفي».

تنظر بعيدًا، وترتّب أفكارها. «إذن... هذا المؤتمر الأخير الذي قمنا به، عندما كنتَ في مارين ون، حين جمعنا الجميع من أجل تبادل الأفكار حول الكلمة الرئيسة، حين كانت الساعة تنهار..».

أقول: «أوه، نعم. كنت أعرف بالفعل الكلمة الرئيسة. لقد كتبها ديفين بالفعل. كانت الأزمة قد انتهت. ديفين وكايسي كانا قد خرجا مُنهكيْن ومرتاحي البال بينما كنتُ في المقصورة الخلفية مع أوجي، وأنا أتحدث معكم جميعًا ».

تحدّق كارولين في وجهي.

«لقد قمت بالفعل بتعطيل الفيروس؟»

«نعم، كارولين».

«إذن كان كل شيء، عندما بدأ العد التنازلي ، ورمى الجميع تكهّناتهم حول ماهيّة الكلمة الرئيسة... كل ذلك حيلة؟»

«شيء من هذا القبيل». أقول، وأدفع نفسي بعيدًا عن الأريكة، وساقي غير مستقرة، والحرارة ترتفع إلى وجهي. خلال الساعات الطويلة الماضية، كنت أتنقل في حالة من القلق والراحة والامتنان.

لكن في الوقت الحالي، أنا غاضب فحسب.

أتوجّه إلى مكتب ريزوليوت، وأتطلّع إلى صور ريتشل، وليلي، ووالديّ، وعائلة دنكان وعائلة بروك في كامب ديفيد، وأطفال كارولين وهم يرتدون قبعات بحّار أبله.

أصبّ لنفسي مزيدًا من الويسكي بمقدار إصبعين وأرشفه دفعة واحدة مثل طلقة.

«هل أنت بخير يا سيدي؟»

وضعتُ الكأس بقوة أكبر مما كنت أقصد. «أنا بعيد كل البعد عن أن أكون بخير يا كارولين. لا أستطيع رؤية بخير باستخدام منظار الآن. انظري، هذا هو الأمر ».

فكّي مشدود بإحكام، بلغتُ المكتب واتّكأتُ عليه.

«أنتِ على حق في أنّ الناس الأذكياء يقومون بأشياء غبية». أقول: «لكن كاتي يجب أن تكون مجنونة بشكل واضح لتسرّب شفرة عصور الظلام إلى نينا ونثير الشكوك حولها. كانت احتمالات القبض عليها مرتفعة للغاية.

كان بإمكانها أن تفكّر بطريقة أخرى لكسب نينا ومن ثمّ الوصول إلي. شيء ما. شيء أفضل ممّا فعلت...».

يرتفع حاجبا كارولين بينما تفكر في الأمر، لكن يبدو أنها لم تتوصل إلى حل.

«إذن... ما هي وجهة نظرك يا سيدي؟»

أقول: «إن وجهة نظري هي أنّ من سرّب شفرة عصور الظّلام إلى نينا كان يريد إثارة الشبهات لتفجير دائرتي الداخلية».

يُغلفّ الارتباك وجه كارولين التي تتساءل: «لكن مَن... مَن يريد إثارة الشبهات حولهم؟ ولماذا؟»

117

«أوه، جزئية *لماذا* ليست صعبة الفهم، أليس كذلك؟ أو ربما هي كذلك». ألوّح بيديّ، وأسرِع حول المكتب البيضَوي الآن. «أنا متأكد من غيابه عنها. من يعرف؟ ربما أكون ابن العاهرة الأغبى من أي وقت مضى الذي تسلّم هذا المنصب!»

أو ربما الشيء الوحيد الذي أعتقد أنه أقلّ وفرة في عاصمتنا – الثقة – وهو أمر أجده متوفر لدي بكثرة. إنها الثقة العمياء. إنها هي التي خدعتني.

تجاوزتُ الطاولة التي بجانب الأريكة، حيث وقفت نينا بالأمس، مُتأمّلًا تلك الصورة لليلي ولي في حديقة البيت الأبيض، ونحن نسير خارجين من مارين ون.

تقول كارولين، وجبينها مُجعّد: «أنا... لا أتابعك سيدي. لا أستطيع أن أتخيّل لماذا يريد أي شخص أن تعرف أنّ هناك خائنًا».

إلى جانب تلك الصورة، صورة لكارولين معي في الليلة التي انتُخبت فيها رئيسًا، وألتفتُ إلى الكاميرا، وشابكًا يديّ. ألتقط هذه الصورة وأتذكر كم شعرنا بالغبطة، وكم غمرتنا السعادة.

ثم أحطّم الصورة على الطاولة، فيتهشّم الزجاج، وينقسم الإطار.

تقفز كارولين من كرسيها تقريبًا.

«إذن تتبّعي هذا». أقول بينما أحدّق في الصورة المحطمة

لكبيرة موظفيّ معي. «التسريب يفجّر الشكوك مرة أخرى في فريق الأمن القومي. يتم إلقاء اللوم على شخص ضمن الدائرة الداخلية، شخص يتمّع برتبة عالية - دعينا نقول، نائبة رئيس الولايات المتحدة. إنها هدف سهل. لقد كانت خائنة. بصراحة لقد أوجعتني. لذلك بالطبع هي خارج اللعبة. انتهت. مستقيلة بفضيحة. ربما تتم محاكمتها، وربما لا، لكنها انتهت، هذا هو المهم. شخص ما يحتاج إلى أن يأخذ مكانها، أليس كذلك، صحيح؟ حقًّا؟» أقرّر بسرعة.

تهمس كارولين: «نعم، يا سيدي».

«حقًّا! إذن من الذي سيأخذ مكانها؟ حسنًا، ماذا عن البطل في القصة؟ الشخص الذي توصّل إلى الكلمة الرئيسة. شخص ما يعتقد بالتأكيد أنه كان يجب أن يكون نائبًا للرئيس طوال الوقت؟»

تنهض كارولين بروك من كرسيها، وتحدّق إلى وجهي، وفي الأيائل التي في المصابيح الأمامية، وفمها فاغر. لا توجد كلمات، بالرغم من ذلك. لا توجد كلمات لهذا.

أقول: «هذا المؤتمر الأخير مع فريق الأمن القومي أثناء التوقّف التدريجي للساعة. الحيلة، كما أسميتِها؟ لقد كان اختبارًا. كنتُ أرغب في معرفة من الذي سيأتي بالكلمة الرئيسة. كنتُ أعرف أنّ واحدًا منكم سوف يفعل ذلك».

أقرّبُ يدي من وجهي، وأضغط على قصبة أنفي. «صلّيتُ للربّ. أقسم لكِ، على قبر زوجتي، صلّيتُ للربّ. أن يكون أي شخص آخر عداكِ يا كارولين، صلّيت».

يسير أليكس تريمبل إلى الغرفة مع نائبه، جاكوبسون، الذي يقف على مقربة من الجدار. تدخل مديرة مكتب التحقيقات الفيدرالي، إليزابيث غرينفيلد، الغرفة التالية.

أقول: «كنتِ ذكية حتى النهاية، يا كارولين. لقد دفعتنا مباشرة إلى مسقط رأس نينا، جميعًا، لكن قدّمْتِها لنا دون أن تنطقي بها بنفسك».

تتجمّد ملامح كارولين الجريحة. وتنظر بعينين مُغمضتين، ترجع بعيدًا في الذاكرة. وتهمس: «أنتَ أخطأت في التهجئة عن قصد».

أقول: «وكنتِ هناك لتصحّحي لنا. ساخومي، لا سوخومي».

تغمضُ كارولين عينيها.

أومئ لليز غرينفيلد.

«كارولين بروك». تقول: «أنتِ رهن الاعتقال للاشتباه بك في انتهاك قانون التجسس والتآمر لارتكاب الخيانة. لديك الحق في التزام الصمت. يمكن استخدام أي شيء تقولينه ضدك..».

118

«انتظر لحظة! فقط انتظر!»

كإجراء شكلي نتلو المديرة غرينفيلد حقوق ميراندا((38)) مع توقيف واعتقال كارولين، وبذلك تضع آلية دفاعية لكارولين، التي ترفع يديها مكونة إشارة «توقف».

تلتفتُ إلي. «أرادت نينا العودة إلى الوطن. كان منطقيًا. لذا أنا أعرف كيف أتهجّى اسم عاصمة إحدى مدن أوروبا الشرقية وفجأة أصبح أنا خائنة؟ لا يمكنك... حقًّا، سيدي الرئيس، بعد كل شيء مررنا به..».

«لن تتجرّئي». أسارِع بالقول: «لا شيء مما مررنا به يعطيكِ الحق في القيام بما فعلته».

«من فضلكم، سيدي الرئيس. هل يمكننا... هل يمكننا فقط... أن نتحدّث معًا؟ لدقيقتين. هل أستطيع على الأقل الحصول على دقيقتين؟ ألا أستحق على الأقل هذا القدر؟ »

بدأت ليز غرينفيلد في التحرّك نحو كارولين، لكنني رفعت يدي.

«أعطينا دقيقتين. احسبيها في الخارج، ليز. مئة وعشرون ثانية. هذا كل ما ستحصلين عليه ».

تنظر ليز إلي. «سيدي الرئيس، هذا ليس جيدًا..».

«مئة وعشرون ثانية». أشير إلى الباب. «دعونا وحدنا كلكم ».

أنظر إلى كارولين بينما الخدمة السريّة الوطنية ومديرة مكتب التحقيقات الفيدرالي يخرجون من المكتب البيضَوي. لا يمكنني سوى تخيّل ما يدور في ذهنها. أطفالها، زوجها مورتي. المحاكمة الجنائية. العار. طريقة للخروج من هذا بشكل ما.

«تكلّمي». أقول عندما نكون بمفردنا.

تأخذ كارولين نفسًا عميقًا، وتمسك يديها، كما لو كانت تؤطّر الحل. «فكّر فيما حدث اليوم. لقد أنقذتَ بلادنا. وقمت بإزالة الإقالة كتهديد. سيأكل ليستر رودز أصابعه ندمًا. أرقام الاستطلاع ستبلغ ذروتها لصالحك الآن. وستحصل على تفويض لم تكن تملك له مثيلًا من قبل. فكّر فيما يمكنك القيام به خلال السنة والنصف التاليتين - السنوات الخمس والنصف القادمة. فكّر في مكانتك عبر التاريخ».

أتفق معها. وأضيف: «لكن...».

«لكن تخيّل ماذا سيحدث إن فعلت هذا يا سيدي. إذا كنت تتهمني بهذا. إذا كنت ستُدمّرني علانية. هل تظن أنني سأتناول دوائي مثل فتاة صغيرة مُطيعة؟» تضع يدها على صدرها، وتميل برأسها، وتُبرِز وجهها. «هل تعتقد أنني لن أقاتل؟ البحث في مكتب نائبة الرئيس - كيف بدا ذلك؟ العثور على أي شيء جيد؟»

حسنًا، لقد انتهى الأمر منذ فترة طويلة، أو زال مظهر الحمل الوديع. نُزِعت القفازات . لقد فكرتْ في كل هذا. بالطبع فكّرت. إنها تفكّر في الأمر من كل الزوايا. أفضل

ما يمكن أن توصف به كارولين بروك هو أنها مخيفة.

«كنتِ تملكين عشرين فرصة لزراعة هذا الهاتف في مكتبها». أقول: «لم تكن كاثي غبية لدرجة أن تترك هذا الهاتف خلف خزانة الكتب، من أجل المسيح. وكان يمكن أن تفتّته إلى مئة قطعة».

تجيبني: «أنتَ تقول ذلك. لكن سيقول محاميّ شيئًا مختلفًا. لقد وضعتني للمحاكمة بتهمة الخيانة، وأنا عرضتها على المحاكمة بتهمة الخيانة. انظر إلى ما لديك من فرص الآن، سيدي الرئيس».

«أنا لا أهتم». أقول.

«أوه، نعم، أنت تهتم». ترد، وهي قادمة صوب المكتب. «لأنك تريد القيام بأشياء جيدة في هذا العمل. لا تريد ما يمكن أن يحوّل انتصارك الأكبر إلى فضيحة. *خيانة في البيت الأبيض*. من كان الخائن - أقرب مستشاري الرئيس أو نائبة الرئيس؟ من يهتم؟ أنت من اخترتنا. حكمك سيكون موضع تساؤل. هذا النجاح الهائل الذي لم يسبق له مثيل سيتحول إلى أسوأ شيء حدث لك. هل آذيتُ مشاعرك يا جون؟ حسنًا، خذ المزيد من الجحيم».

تسير نحوي، يداها معًا كما لو كانت تصلّي. «فكّر في البلاد. فكّر في الناس الذين في حاجة لك لتكون رئيسًا جيدًا - بحقّ الجحيم، رئيسًا عظيمًا».

لا أقول أي شيء.

«إذا فعلت هذا بي». تقول: «فإن رئاستك انتهت».

تدخل ليز غرينفيلد الغرفة مرة أخرى وتنظر إلي.

ألقي نظرة على كارولين.

«أمهلينا دقيقتين إضافيتين، ليز». أقول.

---

(38)) تحذير ميراندا Miranda warning ويُعرف باسم حقوق ميراندا أو قواعد ميراندا، هو التحذير الذي توجهه الشرطة في الولايات المتحدة الأمريكية على المشتبه فيهم جنائيًا عند حبسهم (أو في الاحتجاز للاستجواب) قبل أن يتم استجوابهم للحفاظ على مقبولية بياناتهم قبل استخدامها ضدهم في الإجراءات الجنائية.

119

دوري الآن.

أخبر كارولين عندما نكون بمفردنا مرة أخرى: «أنتِ ذاهبة للاعتراف بالذنب. سيتم انتقاد قراري، كما يجب أن يكون، لتعيينك. سأتعامل مع ذلك. إنها مشكلة سياسية. لن أكنس هذا تحت السجادة وأطلب منك الابتعاد بهدوء. وستُقرّين بالذنب».

«سيدي الرئـ..».

«قُتِل عملاء من الخدمة السّرية الوطنية، يا كارولين. نينا قُتلت. كان يُمكن قتلي بسهولة. هذا ليس شيئًا يمكن أن نكنسه تحت السجادة في هذا البلد».

«سيد..».

«هل تريدين أن تذهبي للمحاكمة؟ بعد ذلك يمكنكِ تفسير كيف يمكن أن تكون نينا حصلت على الملحوظة الأولى من يد كاثي براندت عندما كانت نينا في أوروبا وكاثي هنا في واشنطن. ماذا، أرسلتها عن طريق البريد الإلكتروني؟ وأسقطتها في طرد فيديكس البريدي؟ لا شيء من هذا سيمسّ أمننا. لكن أنتِ، يا كبيرة موظفي البيت الأبيض، كنتِ في المحطة الأخيرة من رحلتنا الأوروبية، في سيفيل (إشبيلية)؟ ألا يمكن أن تكون نينا سارت حتى هذا الفندق وسلّمته لك. ألا تعتقدين أنّ لدينا لقطات من كاميرات المراقبة أرسلتها لنا الحكومة الإسبانية؟ في اليوم الأخير لنا في إسبانيا، قبل بضع ساعات من مغادرتنا، تدخل نينا الفندق وتغادر بعد ساعة».

تتّسع عيناها التي تبدو غامضة.

«وكم من الوقت لَزِمنا قبل أن نتمكن من اعتراض وفك تشفير الرسالة التي أرسلتِها إلى سليمان سيندوروك؟»

تنظر إلي برعب.

«إنّ مكتب التحقيقات الفيدرالي والموساد يبحثون عنه الآن. قمتِ بإبلاغه، أليس كذلك؟ لم تكن أي من خططك ستنجح إن نجت نينا. لو أنها عاشت، لو دخلت أنا وأوجي في شاحنتها في ملعب البيسبول، لكُنّا أنا وهي قد توصلّنا إلى اتفاق. لكنتُ أقنعت الجورجيين بالعفو عنها مع إعادتها للوطن، لكانت أعطتني الكلمة الرئيسة، لم يكن من الممكن أن تكوني البطلة، ولن تكون كاثي هي الخاسرة. ومن يعلم؟ وربما نينا أفضت لكِ بها بعد كل شيء».

تقرّب كارولين يدها إلى وجهها، بعد أن أدركت أسوأ كابوس لها.

«أنتِ تعرفين أفضل من أي شخص آخر كيفية الإمساك بسليمان. أنتِ الشخص الذي نسّق أول اتصال من خلال وسطائنا في تركيا. يمكنكِ فعلها مرة أخرى. لقد أخبرَتْكِ نينا بكل شيء، كارولين. قرأتُ بقية الرسائل النصيّة. وضعتْ جدولها الزمني بالكامل. أوجي، ملعب البيسبول، تفجير منتصف الليل للفيروس. لقد وثقتْ بك. وثقتْ بك، يا كارولين، وقمتِ بقتلها».

يبدو أنّ هذا هو حفرة الجدار التي هدمت السد. تفقد كارولين كل رباطة جأش لديها، وتنفجر مُجهِشة في البكاء، وكامل جسدها ينتفض.

في النهاية أجد حزني أشدّ من غضبي. لقد عانينا كثيرًا معًا. رسمتْ طريقي للرئاسة، وساعدتني في اجتياز ألغام واشنطن الأرضية، وضَحّتْ بساعات لا تحصى من النوم والوقت مع عائلتها لضمان أن يدار المكتب البيضوي بأقصى قدر من الكفاءة. إنها أفضل كبير موظفين كان يمكن أن أحلم به.

بعد فترة، نتوقّف الدموع. ترتجف وتمسح وجهها. لكنها ما زالت تنكّسُ رأسها للأسفل، وتُحيطه بيديها. لا يمكنها أن تنظر إلى عيني.

«توقّفي عن التصرف مثل بعض النوعية الشائعة من المشتبه بهم جنائيًا». وأكمِل: «وقومي بما هو صواب. هذه ليست قاعة محكمة، إنه المكتب البيضَوي. كيف يمكنكِ فعل هذا يا كارولين؟»

«يقول الرجل الذي سيصبح رئيسًا».

تأتي الكلمات من صوت لا أعرفه، صوت لم أسمعه أبدًا، جزء من كارولين تمكّن من التملّص مني خلال سنواتنا معًا. يطِلّ رأسها من بين يديها، وهي تنظر إليّ بشكل مباشر، وتدير وجهها في عذاب ومرارة بطريقة لم أشهدها من قبل. «يقول الرجل الذي لم ير مسيرته السياسية تفشل لمجرد قول كلمة قذرة على المايك في بث حي ومباشر».

أنا لم أر هذا أبدًا. فاتني الحسد، والضغينة، والمرارة التي بُنيت داخلها. إنها واحدة من مخاطر هذا الشيء، الترشّح للرئاسة ومن ثم تكون الرئيس. إنها كل شيء عنك. كل دقيقة من كل ساعة من كل يوم، هي الأفضل بالنسبة

للمرشّح، وماذا يحتاج المرشّح، وكيف يمكننا مساعدة المرشّح، وهو الشخص الوحيد الذي يكون اسمه على ورقة الاقتراع. بعد ذلك، عندما تصبح رئيسًا فعليًا، يكون الأمر نفسه كل يوم على الستيرويد. بالتأكيد بيننا علاقة اجتماعية. تعرّفتُ على عائلتها. لكنني لم أر هذا الجانب منها تمامًا. كانت جيدة في وظيفتها. اعتقدتُ في الواقع أنها فخورة بالأشياء الجيدة التي قمنا بها، كما ظننتُ أنها وجدتْ التحديات مثيرة، وتمتّعتْ بالعمل الذي أنجزته.

«لم أفترض...». تقولها وتطلِق ضحكة مُرّة. «لم أفترض أن تعرض العفو في هذا الموقف». يبدو أنها تشعر بالحرج لتشير إلى ذلك.

كيف أنها بسرعة انهارت. تدخل الغرفة، متوقعة أن يتم تنصيبها كنائبة للرئيس الجديد، بطلة الساعة، والآن تصلّي فقط كي تتجنّب السجن.

تعود ليز غرينفيلد. هذه المرّة، أشير لها.

لا تقوم كارولين بأي مقاومة بينما يأخذها مكتب التحقيقات الفيدرالي لاحتجازها.

تنظر كارولين تجاهي بينما يتم إخراجها من المكتب البيضَوي، لكنها لا تستطيع أن تجبر نفسها على متابعة تواصلها البصري معي.

120

«لا. لا».

يحدّق سليمان سيندوروك في هاتفه، ويقرأ الأخبار العاجلة في شتّى المواقع الإخبارية. كلّها تقول الأمر نفسه بصور عدّة:

أمريكا ستُدمّر

الولايات المتحدة الأمريكية تتصدّى لهجوم إلكتروني قاتل

الولايات المتحدة توقف فيروسًا خطِراً

إحباط فيروس أبناء الجهاد الذي استهدف الولايات المتحدة

كل مقالة من المقالات التي تناولت الخبر فجّرت الكلمة الرئيسة - ساوخومي - التي ستوقف نشاط الفيروس.

ساوخومي. لا شك الآن. إنها نينا. إنها مَن أبطلت كلمة السر.

يستدير رأسه فجأة نحو نافذة البيت الآمن. يرى الجنديين، لا يزالان يجلسان خارج سيارتهما الجيب، في انتظار التعليمات القادمة.

لكن الأشخاص الذين أحضروه إلى هنا لن ينتظروا حتى منتصف الليل بتوقيت الساحل الشرقي لتأكيد نجاح أو فشل الفيروس. إلا إذا كانوا يقرأون الأخبار.

يزيل مسدسه، المحشوّ في جوربه، الذي ما زال محشوًّا

برصاصة واحدة.

ثم يجد الباب المُؤدّي إلى الفناء الخلفي والجبل. يحاول مع مِقبض الباب، لكنه موصَد. يسحب النافذة الوحيدة، لكنها مغلقة أيضًا. يُلقي نظرة حول الغرفة المفروشة نوعًا ما، يجد طاولة زجاجية صغيرة. يقذفها في اتجاه النافذة. يستخدم مُسدّسه لكسر الشظايا المُسنّنة المتبقية من الزجاج.

يسمع انفجار الباب الأمامي الذي يتركه مفتوحًا. يقفز من خلال النافذة، يمسك بندقيته كحبل نجاة. يركض نحو بعض الأشجار والأحراج التي توفّر غطاء في الظلام قبل الفجر.

يصيحون عليه، لكنه لا يتوقف. تصطدم قدمه بشيء - جذر شجرة - يتعثّر ويقع إلى الأمام، ويفقد أنفاسه بينما يرتطم أرضًا، تتراقص النجوم في جفنيه، وترتدّ البندقية من يده.

يصرخ من الألم عندما تخترق رصاصة الجزء السفلي من حذائه. يزحف إلى الأمام على جانبه الأيمن، وتصيبه رصاصة أخرى تخرج من إبطه. كان يربت بيده على ما حوله لكنه لا يستطيع العثور على بندقيته.

تقترب أصواتهم، التي تصيح فيه بلغة لا يعرفها، محُذّرة إياه.

لا يستطيع العثور على البندقية ذات الرصاصة الواحدة التي ستُنهي هذا. إنه يعلم الآن أنه يملك الشجاعة للقيام بذلك. لن يترك نفسه لهم.

لكنه لا يستطيع الوصول إلى سلاحه أو لا يمكنه تحديد موقعه.

يأخذ نفسًا ويقرّر.

ينهض، ويستدير بيدين فارغتين لمواجهة الرجلين، اللذين بدورهما يُفرغان رصاص بندقيتيهما في صدره.

121

في الطابق تحت الأرضي، أفتح الباب وأقف على عتبة الغرفة التي تنتظر فيها نائبة الرئيس. عندما تراني، تقف على قدميها.

«سيدي الرئيس». تقولها دون يقين أكثر من أي شيء آخر. عيناها غائرتان. تبدو متعبة ومُجْهدة. تلتقط جهاز التحكّم عن بُعد وتكتم صوت شاشة التلفاز المُسطّحة على الحائط. «كنتُ أشاهد..».

نعم، قنوات الأخبار المحلية. لم تشاهدها كمسؤولة تحتلّ المرتبة الثانية في البلاد، بل كمواطنة عادية. يبدو أنها ضعفت بسبب هذه الحقيقة.

«تهانيّ لك». تقول لي.

لا أجيب، فقط أومئ برأسي.

«لم أكن أنا، يا سيدي». تقول.

أنظر إلى التلفاز مرة أخرى، التحديثات مستمرة حول فيروس سليمان والكلمة الرئيسة التي اكتشفناها.

«أعلم». أقول.

تنكمش بارتياح.

أسألها: «هل عرضُكِ بالاستقالة ما زال صالحًا؟»

تحني رأسها: «إذا كنتَ ترغب في استقالتي، سيدي الرئيس، فستصلك متى شئت».

«هل هذا ما تريدينه؟ الاستقالة؟»

«لا يا سيدي، ليس الأمر كذلك». تُجيبني وهي تنظر إلي: «لكن إذا كنتَ لا تثق بي...».

أسألها: «ماذا ستفعلين لو تمّ عكس الأدوار؟»

«أقْبَل الاستقالة».

ليس هذا ما كنتُ أتوقعه. أطوي ذراعي، وأتّكئ على العتبة.

«قلتُ لا، يا سيدي الرئيس. وأعتقد أنك ستعلم ذلك بالفعل إذا كنتَ تضع أجهزة تنصّت في سيارتي الليموزين».

لم نفعل. لم يتمكن مكتب التحقيقات الفيدرالي من الوصول إليها دون تفريغ مُخصّصات الخدمة السّرية الوطنية التابعة لها. لكنها ليست على عِلم بذلك.

«أريد أن أسمعها منكِ بكل الأحوال». أقول.

«أخبرتُ ليستر أنني لم أحصل على الأصوات الاثني عشر التي يحتاجها في مجلس الشيوخ من طرفنا. قلتُ أي شيء آخر، كان ذلك ببساطة خطأً لا أستطيع تجاوزه. أنا... تعلمتُ شيئًا عن نفسي بصراحة».

«هذا رائع، كاثي. لكن هذه ليست حلقة من حلقات دكتور فيل. أنتِ كنتِ خائنة فقط لدخول ذاك الاجتماع».

«أتّفق معك، أتّفق معك». وتشبك يديها معًا، ثم تنظر إلي: «لم يسألوني عن ليستر عندما كنتُ خاضعة لجهاز كشف الكذب».

«لأن السياسة لم تكن مُهمّة وقتها. لكنها كذلك الآن. والآن بعد أن مرّت الأزمة، يهمّني كثيرًا ما إذا كان بإمكاني الثقة بنائبتي؟»

لا يوجد شيء آخر يمكن أن تقوله. تفتح يديها. «هل تقبل استقالتي؟»

«هل ستبقين إلى أن أتمكن من إيجاد البديل؟»

«نعم يا سيدي، بالطبع». وتُرخي كتفيها.

أسأل: «من الذي يجب عليّ تعيينه؟»

تأخذ نفسًا عميقًا. «هناك عدد قليل من الناس الذين يخطرون في البال. لكن هناك واحد فوق الجميع. يؤلمني أن أقول ذلك، في الواقع. يؤلمني كثيرًا جدًا. لكن لو كنتُ في مكانكَ، يا سيدي الرئيس، وإذا أمكنني اختيار شخص ما... سأختار كارولين بروك».

أهزّ رأسي. على الأقل لم أكن الوحيد الذي خُدع بها.

«كاثي، استقالتكِ غير مقبولة. والآن ارجعي إلى العمل».

122

تمايل باخ كأنها تستمع إلى معزوفة القديس ماثيو. ليس لديها موسيقا أو سماعات رأس - لقد صودرت - فقط ذكرياتها مع الجوّقات الموسيقية الكاملة، والغناء السوبرانو المنفرد الذي كانت تُغنيه معها. وتخيّل نفسها في الكنيسة في القرن الثامن عشر، تسمعها للمرة الأولى.

تتم مقاطعتها عندما يُفتح باب زنزانتها.

يدخل رجل شاب إلى المكان، شعره بني فاتح اللون، يرتدي ملابس غير رسمية، قميصًا وبنطال جينز. ويُحضِر معه كرسيًّا، يضعه بالقرب من سريرها، ويجلس.

تجلس باخ، مسندة ظهرها إلى الحائط، وأقدامها تتدلّى للأسفل. والسلاسل تبقى حول معصميها.

يقول: «اسمي راندي. أنا الرجل الذي يسأل بلُطف. هناك آخرون لن يفعلوا ذلك».

تقول: «إنني على دراية بالتكتيك».

«وأنت... كاثرينا».

لم تكن متأكدة من كيفية معرفة هويتها - ربما كانت عيّنة الحمض النووي التي أخذوها. وربما برامج التعرف على الوجه، رغم شكّها في ذلك.

«هذا هو اسمك، أليس كذلك؟ كاثرينا دوروثيا نينكوفيتش. كاثرينا دوروثيا، التي كانت الابنة الأولى ليوهان سيباستيان، أليس كذلك؟»

لا تجيب. تلتقط الكوب الورقي وتشرب آخر قطرة ماء أعطيت لها.

«دعيني أسألك سؤالًا، كاثرينا. هل تظنين أننا سنتعامل معك بليونة لأنك حامل؟»

تتقلّب في فراشها، الأشبه بغطاء فولاذيّ قاسٍ.

«حاولتِ اغتيال الرئيس». يقول.

تضيق عيناها. وتقول: «لو كنت أرغب في اغتيال الرئيس، لتمّ ذلك».

يُمسِك راندي بزمام معظم الأمور هنا، ويستمتع بذلك. يومئ برأسه، كأنه مُنبهر. «هناك العديد من البلدان الأخرى التي ترغب في إجراء محادثة معك». يقول: «بعضها لا يتمتع بهذه النظرة التقدمية لحقوق الإنسان. ربما سننقلك إلى واحدة منها. يمكنهم دائمًا إعادة إرسالك لاحقًا - إذا كان هناك أي شيء تبقى عندك لمعرفته. ما رأيكِ بهذه النبرة، يا باخ؟ أتريدين أن تدحرجي النرد مع الأوغنديين؟ وماذا عن نكاراغوا؟ أما الأردنيّون فإنهم على أهبة الاستعداد للتحدّث معكِ. ويبدو أنهم يعتقدون أنك وضعت رصاصة بين عينيّ قائدهم الأمني العام الماضي».

تنتظر إلى أن ينتهي. ثم تنتظر فترة أطول.

تقول: «سأقول لك ما تريد معرفته. ليس لدي سوى طلب واحد».

«هل تظنين أنكِ في وضع يسمح لكِ بالمطالبة بأي شيء؟»

«أيًّا كان اسمك..».

«راندي».

«... يجب أن تسألني ما الذي أريد».

يجلس في كرسيه. «حسنًا، كاثرينا. ماذا الذي تريدين؟»

«أعلم أني سأبقى رهن الاحتجاز لما تبقى من حياتي. أنا لا أحمل أي أوهام حول هذا الموضوع».

«هذه بداية جيدة».

«أريد أن يولد جنيني بصحة جيدة. أريدها أن تولد في أمريكا، وأريد أن يتبناها شقيقي».

يقول راندي: «شقيقك».

شقيقها الذي ظهر وراء المنزل المجاور بينما كانت تقف بالقرب من أنقاض منزلهم، كانت تتحسّس وجه أمها الميتة المضروب بوحشية والمقطوع والمربوطة إلى شجرة.

«هل هذا صحيح؟» قال وهو يدنو منها بوجهه المغطّى بالدموع وجسده المرتعِش. ألقى نظرة واحدة عليها، وعلى البندقية التي كانت تحملها، وعلى السلاح المدسوس في سروالها. «هذا صحيح، أليس كذلك؟ لقد قتلتهم، قتلتِ هؤلاء الجنود!»

«قتلتُ الجنود الذين قتلوا بابا».

«والآن قتلوا ماما!» قالها وصاح باكيًا: «كيف أمكنكِ فعل ذلك؟»

«لم أكن... أنا آسفة... أنا..». وبدأت تتّجه نحوه، نحو

شقيقها الأكبر، لكنه تراجع مبتعدًا عنها، كما لو أنه نفر منها.

قال: «لا. لا تقتربي مني. أبدًا. أبدًا!»

استدار وركض. كان أسرع منها. لحقت به، توسّلت إليه أن يعود، نادت عليه باسمه، لكنه اختفى.

لم تلتقيه مرة أخرى.

ظنّت لفترة من الوقت أنه لم ينج. لكنها علمت أنّ دار الأيتام تمكنت من نقله إلى خارج سراييفو. كانت معاملات الأولاد أسهل من البنات.

أرادت زيارته عدة مرات. للتحدث معه. للبقاء معه. كان عليها أن تستقر من أجل الاستماع إليه.

يقول راندي: «فيلهام فريدمان هيرتسوغ. عازف كمان يعيش في فيينا. أخذ اسم عائلته من أسرته النمساوية المتبناة لكنه احتفظ باسمه الأول والمتوسّط. سُمّي على اسم ابن يوهان سيباستيان الأول. أشعر بالتطابق».

تحدّق إليه، بتأنٍّ، لأنها ليست في عجلة من أمرها.

«حسنًا، أنتِ تريدين شقيقك، فيلهام، أن يتبنى طفلتك».

«وأريد تحويل جميع أصولي المالية إليه. وأريد محاميًا ليصيغ جميع الوثائق اللازمة ويوافق عليها».

«آها. أتظنين أنّ أخاك سيرغب في الاحتفاظ بطفلتك؟»

تتحسّس بعينيها المُبلّلتين السؤال الوحيد الذي سألته نفسها عدة مرات.

هذا سيكون بمثابة صدمة لِويل، دون شك. لكنه رجل جيد. طفلتها ستكون من دم ويل، ولن يلوم ويل ابنة أخته على خطايا والدتها. وستضمن الخمسة عشر مليون دولار أن تكون دليلة، وعائلتها الجديدة، بأمانٍ مادي أيضًا.

لكن الأهم من ذلك، لن تكون دليلة وحدها.

يهزّ راندي رأسه: «انظري، المشكلة هنا هي أنك تتحدثين معي كما لو أنّ لديك نفوذ ما..».

«يمكنني تزويدك بمعلومات عن عشرات الحوادث الدولية خلال العقد الماضي. اغتيال العديد من المسؤولين الحكوميين. أستطيع ان أقول لك من استأجرني لكل مهمة. سأساعدك في التحقيقات. سأشهد أمام أي محكمة. سأفعل كل هذا طالما وُلدت طفلتي في أمريكا وتبنّاها شقيقي. سأخبرك عن كل مهمّة نفّذتها».

ما زال راندي يؤدي دوره كرجل له اليد العليا، لكنها تستطيع أن تلمح تغيّرًا في ملامحه.

«بما في ذلك هذه المهمة». تقول.

123

أمشي عبر الباب الشرقي للمكتب البيضَوي إلى حديقة الورود، وأوجي إلى جانبي. في الخارج الجو رطب وحار في هذه الساعة المتأخرة، ويهدّد بهطول المطر.

اعتدنا أنا وريتشل التنزّه في الحديقة كل ليلة بعد العشاء. وفي واحدة من تلك النزهات أخبرتني أنّ السرطان قد عاد.

«لستُ متأكدًا من أنني شكرتك بشكل صحيح». أقول له.

«لا حاجة». يقول.

«ماذا ستفعل الآن، يا أوجي؟»

يرفع كتفيه. «هذا ما لا أعرفه. نحن - نينا وأنا - لم نتحدّث إلا عن العودة إلى سوخومي».

تلك الكلمة مرة أخرى. تلك الكلمة الوَسْم (ترينديتغ)، كما يقولون، على شبكة الإنترنت في الوقت الحالي. سأرى تلك الكلمة في كوابيسي.

«الشيء المضحك». يقول: «هو أننا عرفنا أنّ خطتنا قد لا تنجح. وعرفنا أنّ سليمان سوف يرسل شخصًا ما يتعقّبنا. ولم نكن نعلم ما الذي ستفعله. كان هناك الكثير من..».

«المُتغيّرات».

«نعم، المُتغيّرات. ومع ذلك كنا نتحدث دائمًا كما لو كانت خطتنا سينجح. تحدثت عن المنزل الذي أرادت شراءه، على بُعد نصف ميل من منزل والديها، وليس بعيدًا عن

البحر. تحدّثت عن الأسماء التي ستعطيها لأطفالنا في يوم من الأيام».

أفهم الانفعال الذي في صوته. تلمع عيناه بالدموع.

أضع يدي على كتفه. وأقول: «يمكنك البقاء هنا. واعمَل لصالحنا».

يلوي فمه ويقول: «ليس لدي... وضع الهجرة. أنا لست..».

أتوقف وألتفت إليه. وأقول: «قد أتمكن من المساعدة في هذا الجانب. أعرف بعض الأشخاص».

يبتسم قائلًا: «نعم، بالطبع، لكن..».

«أوجي، لا أستطيع السماح لهذا أن يحدث مرة أخرى. لقد حالفنا الحظ هذه المرة. نحن بحاجة إلى أكثر من الحظ في المستقبل. نحن بحاجة إلى أن نكون مستعدين أكثر بكثير مما كنا عليه. أحتاج إلى أشخاص مثلك. أنا بحاجة إليك».

ينظر بعيدًا، خارج الحديقة، حيث الورود والنرجس والزنابق. عرفتْ ريتشل كل نوع من الزهور في هذه الحديقة. أنا أعرف أنها فقط جميلة. إنها أكثر جمالًا، الآن، أكثر من أي وقت مضى.

«أمريكا». يقول، كما لو كنا نفكّر في ذلك. «أنا بالأحرى أستمتع بلعبة البيسبول».

أطلقتُ أول ضحكة حقيقية لي منذ فترة طويلة جدًا. أقول: «لعبة البيسبول!»

الأحد

124

«صاحب السمو». أتحدّث عبر الهاتف مع الملك سعد بن سعود من المملكة العربية السعودية، وأجلس إلى مكتبي في المكتب البيضَوي. أرفع فنجان القهوة إلى شفتيْ. أنا لا أشرب القهوة عادة في فترة ما بعد الظهر، لكن بعد ساعتين من النوم وما حدث معنا في يوْمَي الجمعة والسبت فقط، فقد ولّت الأمور العادية.

يقول: «السيّد الرئيس. يبدو أنك مررت في الأيام القليلة الماضية بأحداث حافلة».

«كما حدث معكم. كيف حالكم؟»

«أعتقد أنّ الأمريكيين سيقولون إنني "نجوت بجلدي". حسب التعبير الدارج يكاد يكون صحيحًا. أنا محظوظ لأن المؤامرة كُشِفت قبل أن يتمكنوا من اغتيالي. أنا مبارَك. تمّت استعادة النظام في مملكتنا».

أقول: «في الظروف الاعتيادية، كنتُ سأتّصل بكم مباشرة بعد سماعي عن المؤامرة. لكن في ظل هذه الظروف..».

«ليست هناك حاجة للتوضيح، السيّد الرئيس. أتفهّم تمامًا. على اعتبار أنك اطّلعتَ على سبب اتصالي».

«أبلغتني مديرة وكالة الاستخبارات المركزية، نعم».

«نعم. كما تعلم، العائلة المالكة السعودية هي عائلة كبيرة

ومتنوعة ».

عدد أفراد العائلة كبير ولها العديد من الأفرع. معظم أفرادها لا يتولون أي منصب رسمي، لكنهم مدعومون ماليًّا. حتى في الصف الأول من العائلة يوجد تسلسل وتراتبيّة كما يوجد في أي أسرة وأي تسلسل سياسي، هناك منافسة.

عندما قفز صعب بن سعود على كثير من الرؤوس محاولًا الانقلاب على النظام، وجد ما يكفي لتغذية وتمويل المُخطّط الذي أوصلنا جميعًا إلى حافة الكارثة.

«الأفراد الذين حاولوا الانقلاب كانوا... غير راضين عن حُكمي».

«تهانيّ جلالتك، على حديثك المُقتضب الهائل الذي وجهته إلى شعبك وعلى الإمساك بالمتآمرين».

«إنه لأمر محرج للغاية أنّ هذه الخطط كانت قادرة على الازدهار والنجاح دون علمي. الحقيقة كانت تحت أنفي، كما ستقول، لكنني لم أرها. إنها زلّة في جهاز مخابراتنا، وقد سُوّي الأمر».

أعرف الشعور بفقدان شيء ما، تلك الحقيقة التي تحت أنفك. «ما هي خطتهم بالضبط؟ ماذا يريدون؟»

«الرجوع إلى زمن مختلف». يقول. «عالم دون هيمنة أمريكا وبالتالي دون هيمنة إسرائيل. أرادوا حكم المملكة السعودية وحكم الشرق الأوسط. لم تكن نيتهم، كما أفهمها، تدمير أمريكا بقدر رغبتهم في إضعافها إلى درجة لا تعود بعدها قوة عظمى. العودة إلى زمن مختلف، كما

قلت. الهيمنة الإقليمية. ألّا توجد قوة عظمى عالمية».

«سنواجه كثيرًا من المشكلات التي تخصّنا والتي لن تجعلنا نزعج أنفسنا بما يدور في الشرق الأوسط. هذا هو التفكير؟»

«رغم ذلك فإنه *تفكير غير واقعي*، نعم. هذا وصف دقيق لدوافعهم».

رغم أنه غير واقعي، فقد كان على وشك الحدوث. أفكّر فيما لا يمكن تصوره... ما الذي كان سيحدث لو لم تقم نينا بتثبيت آلية الإيقاف، والكلمة الرئيسة لتعطيل الفيروس؟ أو إذا لم تكن قد أعطتنا لوحة التحكم لتخبرنا مقدّمًا؟ ماذا لو لم يكن هناك نينا وأوجي؟ لم نكن سنعرف أنّها قادمة. عصور الظّلام أصبحت حقيقة. لقد تمّ شلّنا.

أصبنا بالشلل، ولم نُقتَل. لكن الشلل كان كافيًا، من وجهة نظرهم. كنّا سنهتم أكثر بمشاكلنا في الداخل عن تلك التي تُقلِق بقية العالم كثيرًا.

إنهم لا يريدون تدميرنا. لا يرغبون في أن يمسحونا عن وجه الأرض. أرادوا فقط أن يضربونا بعنف يكفي لإجبارنا على الانسحاب من الجزء الذي يخصّهم من العالم.

يقول الملك: «لقد نجحنا في التحقيقات التي قمنا بها في كافة القضايا».

نعم، للسعوديون أساليب استجوابهم الأكثر مرونة منّا.

«إنهم يناقشون؟»

«بالطبع» يقول، «وبطبيعة الحال سنجعل كل هذه

المعلومات متاحة لك».

«أقدّر ذلك».

«باختصار، السيّد الرئيس، دَفَع أفراد هذه المجموعة المُنشقّة للمنظمة الإرهابية، أبناء الجهاد، مبلغًا كبيرًا من المال لتدمير البنية التحتية الأمريكية. شمِل ذلك، على ما يبدو، استئجار قاتل للقضاء على أبناء الجهاد الذين انشقّوا عن الجماعة».

«نعم. القاتلة محتجزة لدينا».

«وهل نتعاون مع التحقيق؟»

«نعم». وأكمِل: «لقد توصّلنا إلى تفاهم معها».

«إذن تعرف ما سأقوله بعد ذلك».

«ربما، سموّك. لكنني أودّ سماع ذلك منكم على أي حال».

125

«تفضّل بالجلوس». أقول داخل غرفة روزفلت. عادة ما نفعل ذلك في المكتب البيضَوي. لكنني لا أقوم بهذه المحادثة في المكتب البيضَوي.

يفتح أزرار بدلته، ويأخذ مقعدًا. بدوري أجلس على رأس الطاولة.

«غنيّ عن القول، سيدي الرئيس، لقد كنّا مُبتهجين بنتائج الأمس. وكنّا مُمتنين لأننا قد نكون جزءًا صغيرًا من نجاحك ».

«نعم، حضرة السفير».

«أندريه، من فضلك».

يبدو أندريه إيفانينكو كأنه يستطيع أن يلعب دور جَدٍّ لشخص ما في تجارة الحبوب - قمّة رأسه الخالية من الشعر والمُرقّطة وعلى جانبي رأسه شعر أبيض ناعم، بشكل عام مظهره مُزعِج.

المظهر يعمل لصالحه. لأنه تحت هذا المظهر الخارجي غير المؤذي هو جاسوس مهني، وهو منتج من مدرسة السحر في روسيا وأحد النخب في الاستخبارات الروسية السابقة، نُقِلَ في وقت لاحق من الحياة إلى الساحة الدبلوماسية وانتُدِب هنا كسفير إلى الولايات المتحدة.

وأُرْدِف قائلًا: «كان بالإمكان أن يكون لك حصة أكبر من نجاحنا، إن حذّرتنا بشأن فيروس الكمبيوتر هذا مقدمًا».

«مُقدّمًا؟» يفتح يديه: «لا أفهم».

«روسيا كانت على عِلم، أندريه. كنتَ تعلم ما كان يُدبّر أولئك المُتمردون. لقد أردت الشيء نفسه الذي أرادوه. لم ترغب في تدميرنا لكنك رغبت في أن تقلّص نفوذنا. لم نعد متأكدين من طموحاتك. بينما كنا نلعق جراحنا، كان يمكنك إعادة بناء الإمبراطورية السوفييتية ».

«سيدي الرئيس». يقولها تقريبًا بتثاقل، وغلظة مع شك. هذا الرجل يمكن أن ينظر مباشرة إلى العين ويقول لك أنّ العالم مُسطّح، والشمس تشرق من الغرب، والقمر مصنوع من الجبن الأزرق، وربما يجتاز اختبار جهاز كشف الكذب أثناء القيام بذلك.

أقول: «لقد وشوا بك».

«سيدي الرئيس!». يقولها دون أن يفوت ضربة لصالحه، «سيقولون أي شيء...».

«القاتلة التي استخدمتها أخبرتنا بالشيء ذاته». أقول: «التطابق في قصصهم... جيد، فهم متشابهون جدًا حدّ الكذب. لقد تتبّعنا الأموال أيضًا - الأموال التي نقلتها روسيا إلى المرتزقة - جماعة راتنيسي وإلى باخ».

يقول: «راتنيسي؟ باخ؟»

أقول: «مضحك، كيف انتظرَت باخ والمرتزقة حتى غادر الوفد الروسي البيت الريفي قبل مهاجمته!»

«هذا... هذا غير معقول، إنه اتهام».

أومئ، وأمنحه ابتسامة باردة. «كنتَ تستخدم الوسطاء،

بالطبع. روسيا ليست غبية. لديك إنكار معقول. لكن ليس هنا ومعي».

من بين كلّ ما أخبرنا به المحتجزون السعوديون، توصّلنا إلى أنّ سليمان دفعهم للفكرة، ودفعوا ثمنًا باهظًا مقابل خدماته. الروس لم يبدؤوا هذا لكنهم كانوا يعرفون ذلك. االمنشقون شعروا بالرعب من نقل أموالهم الخاصة، لذا قاموا بالاتصال بالوسطاء الروس، مدركين أنّ روسيا تريد الولايات المتحدة أن تركع على ركبتيها بقدر ما كانت تفعل بها. إلى جانب نقل الأموال، قدّمت روسيا المرتزقة والقاتلة باخ.

أقف وأقول: «أندريه، لقد حان الوقت لتغادر».

يهزّ رأسه كأنه يحاول الوصول إلى قدميه: «سيدي الرئيس، بمجرد أن أعود إلى السفارة، سأكون على اتصال مع الرئيس تشيرنوكيف، وأنا واثق..»..

«ستقوم بهذه المحادثة شخصيًّا، أندريه».

يتجمّد في مكانه.

أقول: «أنت مطرود. وأضعك على متن طائرة إلى موسكو حالًا. وباقي أعضاء السفارة فأنا أمهلهم حتى غروب الشمس للمغادرة».

يفغر فمه مشدوهًا. إنها العلامة الأولى لتوتّره. «أنتَ... تغلق السفارة الروسية في الولايات المتحدة؟ وتقطع العلاقات الدبلوماسية..»..

أقول: «هذه هي البداية فقط. عندما ترى حزمة

العقوبات التي خطّطنا لها، فإنك ستشعر بالندم على اليوم الذي قبلت فيه هذه الصفقة مع المعارضين السعوديين. أوه، وأنظمة الدفاع تلك المضادة للصواريخ في لاتفيا وليتوانيا التي تقدمتا بطلبات شرائها منّا؟ تلك التي طلبتَ منّا عدم بيعها؟ لا تقلق، أندريه، لن نبيعها».

يبتلع ريقه بصعوبة، وتلين تعابير وجهه. «حسنًا، على الأقل، سيدي الرئيـ..».

أقول له: «سنقوم بتوزيعها على لاتفيا وليتوانيا مجانًا!»

«أنا... سيدي الرئيس، يجب أن... لا أستطيع..».

أقترب منه، أقترب جدًا حدّ أنّ الهمس هو كل ما يتطلبه الأمر. لكني أحافظ على نبرة صوتي.

«أَخْبِر تشيرنوكيف أنه محظوظ لأننا أوقفنا هذا الفيروس قبل أن يحدث أي ضرر». وأُكمل: «وإلّا لكانت روسيا في حالة حرب مع حلف شمال الأطلسي. وروسيا ستخسر».

أقول: «لا تختبرني مرة أخرى، يا أندريه. أوه، وابتعد عن انتخاباتنا. بعد أن أتحدّث غدًا، سيكون لديك كل ما يمكنك فعله للحفاظ على التلاعب الذي قمتَ به. والآن أخرج بحقّ الجحيم من بلادي».

126

تخطو جوان إلى المكتب البيضَوي، حيث أجلس مع سام هابر، متتبّعًا تقرير ما بعد العمل لوزارة الأمن الداخلي، وتقييمه لتداعيات فيروس سليمان.

«سيدي الرئيس، رئيس مجلس النواب على الهاتف».

ألقي نظرة على سام، ثم على جوان، وأقول: «ليس الآن».

«إنه يلغي جلسة اللجنة المختارة التي ستُعقد غدًا، سيدي. ويطلب منك مخاطبة الجلسة المشتركة للكونغرس ليلة الغد».

ليس مُستغربًا. من المؤكّد أنّ ليستر رودز قد غيّر نبرته علانية منذ أن أوقفنا هذا الفيروس.

أقول لها: «أخبريه أنني لن أفوّت الجلسة من أجل العالم!»

الإثنين

127

«السيد رئيس مجلس النواب». ينادي الرقيب: «السيد رئيس الولايات المتحدة!»

يقف أعضاء مجلسيْ النواب والشيوخ وأنا أدخل قاعة مجلس النواب مع وفدي المُرافِق. لقد حظيتُ دائمًا بفرصة أن أُلقي خطابًا في الجلسة المشتركة للكونغرس. بينما أسير في الممر، أستمتع بالعظمة والأحاديث السياسية الجانبية أكثر من المعتاد. قبل أسبوع، كان هذا آخر مكان أتوقّع أن أكون فيه الليلة. أما آخر الأشخاص الذين توقّعت أن أصافحهم، فهما الشخصان اللذان قبضت عليهما على المنصّة، نائبة الرئيس براندت ورئيس البرلمان رودز.

أقف أمام الكونغرس، شاشة التلقين التي سأقرأ منها جاهزة، وأغتنم الفرصة لأتجرّع كل شيء فيها. الفرصة أمامي الآن. الحظ الجيد لأمّتنا.

لقد فعلناها، أحدّث نفسي. *وإذا استطعنا القيام بذلك، فلا يوجد ما لا يمكننا فعله.*

128

سيدتي نائبة الرئيس، السيد رئيس المجلس، السادة أعضاء الكونغرس، زملائي الأمريكيّين:

في الليلة الماضية، قام فريق مُتخصّص من الموظفين الحكوميين الأمريكيين، بمساعدة اثنين من الحلفاء المُقرّبين وشخص واحد شجاع غير مواطن، بإحباط أخطر هجوم إلكتروني على الإطلاق شُنّ ضد الولايات المتحدة أو أي دولة أخرى.

لو نجح بالكامل، لأصاب الشلل جيشنا، ولمسح جميع سجلاتنا المالية ونسخنا الاحتياطية، ودَمّر شبكتنا الكهربائية وشبكات النقل، وقَطَع شبكات المياه وتنقيتها، وعَطّل هواتفنا الخلوية، وأكثر من ذلك. ومن المحتمل أن تتضمّن العواقب المُحتملة للهجوم خسائر فادحة في الأرواح، وإلحاق ضرر بصحة الملايين من الأمريكيين من كافة الأعمار، وانهيارًا اقتصاديًّا أكبر من الكساد الكبير، وفوضى غير طبيعية في شوارع التجمّعات الكبيرة والصغيرة في جميع أنحاء بلادنا. وسترتد التأثيرات إلى جميع أنحاء العالم. أما الخراب الذي سيخلّفه سيستغرق سنوات لترميمه، وسيكون وضعنا الاقتصادي والسياسي والعسكري في حاجة إلى عقد أو أكثر للتعافي.

نعلم الآن أنّ الشخص الذي نظّم وشنّ هذا الهجوم هو سليمان سيندوروك، وهو إرهابي تركيّ، لكنه لم يكن رجل دين، فعل هذا مقابل مبلغ ضخم من المال. وكما يظهر بوضوح لإثارة وإيذاء الولايات المتحدة.وفّر المال عدد

قليل من السعوديين الأثرياء جدًا الذين لا يتمّتعون بنفوذ في حكومتهم الحالية. كانوا يعتزمون استخدام غياب أمريكا عن المشهد العالمي للإطاحة بالملك السعودي الشاب، ومصادرة أموال الدولة، والتصالح مع إيران وسوريا، وتأسيس خلافة تكنوقراطية حديثة باستخدام العِلم والتكنولوجيا لدفع مكانة العالم الإسلامي إلى ارتفاعات لم نشهد مثلها منذ ألف عام.

من المؤسف أنّ هناك شريرًا آخر في الحكاية أيضًا: إنها روسيا. يوم السبت، دعوت الرئيس الروسي، والمستشار الألماني، ورئيسة الوزراء الإسرائيلية إلى قاعدة عمليات أقمتها على مقربة من هنا في ولاية فرجينيا الريفية بسبب قدراتها المؤكّدة في مجال الأمن الإلكتروني - وفي حالة روسيا، عن الهجمات الإلكترونية. جاء الاثنان الأخيران وقدّما يد العون والدّعم. كل أمريكي مَدين لألمانيا وإسرائيل بالشكر والامتنان. لم يحضر الرئيس الروسي لكنه أرسل رئيس الوزراء ليؤدّي دور المُتعاطِف. نحن ندرك الآن ما قاموا به بالفعل لدعم الهجوم ولماذا. أولًا، كانوا على عِلم بكل شيء في وقت مُبكّر ورفضوا إخبارنا، حتى عندما طلبت ذلك. فيما بعد، لمساعدة الأمراء السعوديين المُعارضين على إبقاء هوياتهم سريّة، تعاملوا مع التحويلات المالية المطلوبة لسليمان لدفع ثمن المؤامرة، وحتى استئجار مُرتزقة وقاتلة محترفة لدعمهم. أرادوا أن يستفيدوا من ضعفنا ليس لأجل أن يقضوا علينا بالأسلحة النووية، لكن لشلّنا إلى الحدّ الذي سيُعطيهم الحرية لزيادة سيطرتهم على جيرانهم وتأكيد سلطتهم ونفوذهم في كل منطقة أخرى

من العالم.

وبينما كان يغادر ليلة السبت، أخبرتُ رئيس الوزراء بما كنّا نشك فيه وأكّدت له أن ينتظر الرد المناسب. بالأمس أخذت الخطوة الأولى، وطردتُ السفير الروسي وجميع موظفي السفارة الروسية من الولايات المتحدة. وهذه هي الخطوة الثانية - التأكّد من أنّ العالم كله يعرف أنهم الكارثة الأسوأ على الأرض.

تمّ إطلاع السعوديين بشكل كامل على الخطة. وهم يتعاملون مع الخونة منهم.

وسليمان، مُتديّنًا أم لا، فقد ذهب لمقابلة ربّه.

السبت، لم يكن أيّ من هذا مؤكدًا. في سُعار الساعات الأخيرة، عندما كنّا نسابق الزمن، تعرّض مقرّنا للهجوم من قِبل قتلة مُحترفين مُدرّبين جيدًا، وهو الهجوم الثالث منذ أن غادرت البيت الأبيض للتعامل مع تهديد الفيروس. وقُتِل العديد من المُهاجمين، لكن لقِي اثنان من عملاء الخدمة السّرية الوطنية الشجعان حتفهما عندما كنتُ وبلادنا في خطر، ماتا لإنقاذ حياتي وإنقاذ بلادنا. إنهما بطلان.

كما أنّ هناك شخص آخر قُتل، امرأة شابة غير عادية كانت العقل المُدبّر وراء القنبلة الإلكترونية، لكنها قرّرت مع شريكِها، الشاب الذي كان يحبها كثيرًا، أنها لا تستطيع الاستمرار في هذا. وقد فرّا من عملية سليمان واتخذا خطوات غير عادية لتحذيرنا والمساعدة في منع الهجوم بينما كانا يبذلان قصارى جهدهما للنجاة

من غضب سليمان وإمكانية الوصول إلينا. نجا الشاب فحسب. وأتساءل الآن، إذا لم توقظهما إنسانيتهما في الوقت المناسب، لكانت النتيجة التي نحياها اليوم بالتأكيد مختلفة جدًا.

بطريقة ذكية، وملتوية، أجرت المرأة أول اتصال معنا، وقدّمت لنا معلومات كافية عن الخطة لنأخذها على محمل الجدّ، وأوضحت أنها وشريكها فقط يمكنهما إيقاف هجوم الفيروس. وفي المقابل، أرادت التخلّص من الملاحقة القضائية وأن تعود إلى وطنها سالمة.

شريكها، الذي كان مُتشكّكًا بشدة في حكومتنا، شقّ طريقه هنا بشكل منفصل، ثم اتصل بنا ليخبرنا أنّ كليهما سيتعامل معي فقط، وطلب أن أقابله بمفردي، في مكان واسع عام.

هذا هو السبب في اختفاء رئيسكم.

وبالنظر إلى حسابات الربح والخسارة، فقد قررت أنه كان عليّ أن أقوم بخطوة محفوفة بالمخاطر، وعلى الأغلب خطيرة للغاية، وهي الذهاب إلى ذاك اللقاء مُتنكّرًا، وحدي. ما زلت أعتقد أنّ هذا هو القرار الصحيح، لكني أصلّي كي لا تُجبِر أي أزمة مستقبلية رئيسًا آخر على فعل أي شيء مماثل مرة أخرى.

حدث الكثير في اليومين الماضيين. سنكشف مزيدًا من التفاصيل قدر الإمكان. لا تزال هناك نهايات فضفاضة يمكن ربطها ومخاوف أمنية للنظر فيها.

في الوقت الذي كنتُ فيه غائبًا، ذهبت الصحافة على

نحو مبالغ فيه، ولسبب وجيه في السؤال - أين كنت؟ ولماذا كنت خارج التغطية؟ وماذا كنت أفعل؟ في وقت سابق، خالفتُ نصيحة مستشاريّ، حين وافقتُ على المثول أمام لجنة خاصة في مجلس النوّاب شُكّلتْ لتقرّر ما إذا كانت ستبدأ في إجراءات مُساءلتي.

في الفراغ الذي خلّفته، أُثيرتْ عاصفة من التكهنات. أشارت وسائل الإعلام الصديقة إلى أني كنتُ خارج التغطية لأنني أصارع الموت بسبب مرضي المعروف جيدًا في الدم أو مصابًا بانهيار من ضغوط العمل وتراجع شعبيتي، ولا زلت أعاني من فقدان زوجتي. وقفزت وسائل الإعلام غير الصديقة فورًا إلى الأفكار السوداء مثل: أنني فررت مع كثير من الأموال في حسابات سرية، بعد أن خنت بلادي مع أكثر الإرهابيين شهرة في العالم والبلد الأكثر التزامًا بإفساد ديمقراطيتنا.

لأكون مُنصِفًا، بعدم الردّ أكون من استدعى هذه الأخبار حيث لم أُطلِع أحدًا غير رئيس هيئة الأركان السابق بما كنت أفعله ولماذا.

لم أُخبِر نائبة الرئيس براندت، التي كانت ستخلفني لو أني مِتّ الليلة الماضية.

لم أُخبِر قادة الكونغرس لأنني لم أثق في أنهم سيحافظون على السرية.

لو أنّ القصة انتشرت، لكانت قد تسببت في حالة ذعر وطني وقوّضت جهودنا لوقف الهجوم. والأسوأ من ذلك، أننا اشتبهنا بوجود خائن في دائرة صغيرة من أشخاص

كانوا يدركون أنّ هجومًا من نوع ما يلوح في الأفق. وإلى جانب كبيرة موظّفيّ السابقة وأنا، كان من الممكن أن يكون هناك ستة أشخاص آخرين، بما في ذلك نائبة الرئيس براندت، على عِلم بذلك. لم نتوصّل إلى معرفة من كان الخائن في الوقت الذي اضطررت فيه للمُضيّ قُدُمًا، لذلك حتى نائبة الرئيس تركتها في الظلام ولم أفصِح لها عن شيء.

بعد مغادرتي، اتصّل رئيس مجلس النواب بها ليقول إنه حصل على الأصوات اللازمة لمساءلتي في مجلس النواب، لكنه بحاجة إلى بضعة أصوات إضافية من جانبنا للحصول على الثلثين الضروريين لإدانتي في مجلس الشيوخ. طلب منها المساعدة في الحصول على تلك الأصوات، قائلًا إنه لم يكن ليهتم إن أصبحت الرئيسة أم لا، لأن الوسيلة التي تمّت بها إزاحتي من شأنها أن تمنحه السيطرة على مجلس النواب والأجندة التشريعية الوطنية لفترة طويلة.

للحِفاظ على مِصداقيتها، رفضت نائبة الرئيس المُضيّ قُدُمًا في هذا.

وأقول هذا ليس لإعادة فتح عداء طويل الأمد مع رئيس البرلمان، لكن لتنقية الأجواء حتى نتمكّن من الشروع في بداية جديدة. كان علينا أن نحارب هذا التهديد معًا، عبر خطوط الحزب.

لا تستطيع ديمقراطيتنا أن تنجو من الانحدار الحالي نحو الهبوط إلى القبليّة والتطرّف والاستياء الغاضب. اليوم «نحن ضدّهم» في أمريكا. باتباع نهج السياسة أكثر بقليل من نهج رياضة العنف وإراقة الدماء. ونتيجة لذلك، فإنّ

استعدادنا لتصديق الأسوأ عن الجميع خارج فقاعة منطقتنا تتزايد، وقدرتنا على حل المشاكل واغتنام الفرص آخذة في التقلّص.

علينا أن نقوم بما هو أفضل. لدينا فروقات حقيقية. نحن بحاجة إلى مناقشات قوية. التشكيك الصحي أمر جيد. يحفظنا من أن نكون ساذجين أو مُشكّكين. لكن من المستحيل الحفاظ على الديمقراطية عندما يجِفّ بئر الثقة تمامًا.

صُمّمت الحرّيات المنصوص عليها في وثيقة الحقوق والضوابط والتوازنات في دستورنا لاتقاء الجروح الذاتية التي نواجهها اليوم. لكن كما يكشف لنا تاريخنا الطويل، يجب تطبيق هذه الكلمات المكتوبة من قِبل أشخاص تكون مسؤوليتهم هي بعث الحياة فيها كل حقبة جديدة. وهكذا تقدّم الأمريكيون الأفارقة من عبيد إلى أن أصبحوا متساوين في ظل القانون وانطلقوا في رحلة طويلة ليكونوا متساوين على أرض الواقع، فالرحلة التي نعرفها لم تنته بعد. يمكن سرد الحكاية ذاتها حول حقوق المرأة، وحقوق العُمّال، وحقوق المهاجرين، وحقوق المعاقين، والنضال من أجل تحديد وحماية الحرية الدينية، وضمان المساواة للناس دون النظر إلى جنسيتهم أو توجّهاتهم أو هويتهم الجنسية.

كانت تلك المعارك صعبة للغاية، نشبت على أرض مُلتَبسة ومُتقلقلة. أثار كل تقدّم ردّة فعل قوية من أولئك الذين تُهدّد مصالحهم ومعتقداتهم.

واليوم، تحدث التغيرات بسرعة كبيرة، في بيئة مغطّاة

بعاصفة من المعلومات والمعلومات المُضلّلة، بحيث يتم تحدّي هوياتنا ذاتها.

ماذا يعني أن تكون أمريكيًا اليوم؟ إنه سؤال سوف يجيب على نفسه إذا كان لنا أن نعود إلى ما أوصلنا إلى هذا الحد: توسيع دائرة الفرص وتعميق معنى الحرية وتقوية أواصر المجتمع. تقليص *تعريفهم* وتوسيع *تعريفنا*. دون ترك أي أحد في الخلف أو استبعاده والنظر إلى أسفل.

يجب أن نعود إلى تلك الغاية. وأن نقوم بذلك بكل طاقة وتواضع، مع العلم أنّ وقتنا يمضي بسرعة وقوتنا ليست غاية في حد ذاتها بل وسيلة لتحقيق المزيد من الغايات النبيلة والضرورية.

يتحقّق الحلم الأمريكي حين تصبح الإنسانية المشتركة لدينا أكثر أهمية من اختلافاتنا المثيرة للاهتمام وعندما يخلقان معًا احتمالات لا نهاية لها.

هذه أمريكا التي تستحق القتال - حتى الموت - في سبيلها. والأهم من ذلك، إنها أمريكا التي تستحق العيش والعمل من أجلها.

لم أخُن بلادنا وواجبي الذي يلزِمني بحمايتها والدفاع عنها عندما كنتُ في عِداد المفقودين في المعركة التي كنّا نطلق عليها اسم عصور الظّلام، للسبب نفسه الذي لأجله لم أخُنها عندما كنت أعذّب كأسير حرب في العراق. لم أفعل لأني لا أستطيع. أنا أحب بلادي كثيرًا، وأريد أن تكون الولايات المتحدة حرة ومزدهرة، وسالمة وآمنة، وفي

تقدّم مُستمر لجميع الأجيال القادمة.

لا أقول هذا للتفاخر. أعتقد أنّ معظمكم، لو كنتم في مكاني، لفعلتم الشيء نفسه. أتمنى أن تكون هذه الثقة كافية لنا كي نبدأ بداية جديدة.

رفاقي الأمريكيين، لقد تفادينا فقط أكبر رصاصة واجهناها منذ الحرب العالمية الثانية. أعطيت أمريكا فرصة ثانية. لا يمكننا تبديدها. وليس أمامنا سوى تحقيق أقصى استفادة منها وحسب.

أعتقد أننا يجب أن نبدأ بإصلاح وحماية انتخاباتنا. يجب أن يتمكن كل شخص مؤهل للتصويت من القيام بذلك دون أي عقبات لا داعي لها، أو خوف من أن يتم محوه من قوائم التصويت، أو قلق من أنّ الأجهزة التي يمكن اختراقها خلال خمس أو ست دقائق لن تُحسَب الأصوات فيها بشكل صحيح. وحيثما أمكن، يجب أن تقوم الهيئات غير الحزبية برسم دوائر الدولة والهيئات التشريعية الوطنية لتمثيل تنوّع الرأي والمصالح التي تُعدّ أحد أعظم أصول أمتنا.

فكّروا في مدى الاختلاف إذا وصلنا إلى ما وراء قاعدتنا لتمثيل نطاق أوسع من الآراء والمصالح. سوف نتعلم الاستماع أكثر إلى بعضنا، وتقليل تجريح بعضنا بعضًا. من شأن ذلك أن يساعد أكثر في بناء الثقة اللازمة لإيجاد أرضية مشتركة. على هذا الأساس، يمكننا أن نجلب المدن الصغيرة والريف الأمريكي، وأشخاصًا من المناطق الحضرية المُضطهدة، ومجموعات الأمريكيين الأصليين إلى الاقتصاد الحديث: مع اتصال إنترنت عريض النطاق بأسعار

معقولة ومياه خالية من الرصاص لجميع عائلاتنا، ومزيد من القوة العادلة مع الوظائف الموزّعة بالتساوي في جميع أنحاء أمريكا. وقانون ضريبي يكافئ الاستثمار في المناطق المتروكة، مما يسمح لمديري الشركات وكبار المستثمرين بمساعدة الجميع، وليس ذواتهم فقط.

يمكن أن يكون لدينا إصلاح حقيقي لقوانين الهجرة، مع أمن للحدود أفضل لكن دون إغلاق حدودنا لأولئك الذين يأتون إلى هنا بحثًا عن الأمان أو من أجل مستقبل أفضل لأنفسهم ولأسرهم. إن معدّل المواليد في بلادنا بالكاد عند مستويات إحلال الخصوبة. نحتاج إلى الحالمين والعمال والمهنيين ورجال الأعمال الذين يشكّلون شركاء جدد بمعدل يعادل ضعف المعدل الوطني.

يمكن أن يكون لدينا برامج تدريب ودعم جادّة لقادة الشرطة والمجتمع المحلي لمنع الوفيات المدنية غير المشروعة، وزيادة سلامة ضباط الشرطة، والحد من الجريمة. وقوانين السلامة لحيازة الأسلحة النارية التي يجب أن تحفظ الأسلحة بعيدة عن أولئك الذين لا ينبغي أن يكون بحوزتهم سلاح، والحدّ من العدد الذي لا يمكن تصوره تقريبًا من عمليات القتل الجماعي، ومع ذلك تحافظ على الحق في امتلاك السلاح الخاص بالصيد، والرياضة، والدفاع عن النفس.

يمكن أن يكون لدينا نقاش حقيقي حول تغيّر المناخ. من لديه أفضل الأفكار لتقليل المخاطر بسرعة أكبر أثناء إنشاء معظم الشركات الجديدة والوظائف الجيدة؟ مع التطور القادم في الأتمتة والذكاء الاصطناعي، سنحتاج إلى

المزيد منها.

يمكننا أن نفعل الكثير من أجل وقف الأزمة الأفيونية، ولإزالة وصمة عارها، لتثقيف العدد الكبير للغاية من الأشخاص الذين ما زالوا يجهلون أنهم يُمكنهم قتل أنفسهم، والتأكد من أنّ كل أمريكي لا يبعد إلا مسافة قصيرة بالسيارة من العلاج بأسعار معقولة وفعّالة.

ويمكننا إعادة ترتيب نفقاتنا الدفاعية لتعكس التهديد الهائل والمتطوّر باستمرار للهجمات الإلكترونية بحيث تكون دفاعاتنا لا مثيل لها ولدينا القدرة على إقناع الدول الأخرى بالعمل معنا لتقليل المخاطر في كل مكان قبل أن نواجه نهاية العالم مرة أخرى. في المرة القادمة لن نكون محظوظين للغاية لأننا نملك اثنين من العباقرة الشباب المنبوذين يغامران لإنقاذنا.

فكّروا في كَمّ المكاسب التي سنجنيها إذا ما جئنا جميعًا للعمل كل يوم مع سؤال: «مَن نستطيع أن نساعد اليوم وكيف يمكننا أن نفعل ذلك؟» بدلًا من «مَن الذي يمكنني أن أؤذيه اليوم وكم مقدار التغطية التي يمكنني الحصول عليها لذلك؟»

ترك لنا مؤسسونا عِبئًا دائمًا: لتشكيل اتحاد أكثر كمالًا. وتركوا لنا حكومة قوية بما يكفي للحفاظ على حرياتنا ومرونة كافية لمواجهة تحديات كل عصر جديد. هاتان الهديتان جلبتا لنا طريقًا طويلًا جدًا. يجب أن نتوقف عن اعتباره أمرًا مُسلّمًا به، حتى لو وضعناه في خطر، لتحقيق ميزة زائلة. قبل الليلة الماضية، كانت معظم جروحنا ذاتية، بما في ذلك السقوط في الدفاع الإلكتروني.

الحمد للربّ أنه ما زال لدينا مستقبل مليء بالفرص، عوضًا عن مهمة قاسية لاختراق طريقنا في الخراب.

نحن مدينون لأطفالنا، ولأنفسنا، ولمليارات الأشخاص المحترمين في جميع أنحاء العالم الذين ما زالوا يريدون أن نكون مصدر إلهام، وقدوة، وأصدقاء لتحقيق الاستفادة القصوى من هذه الفرصة الثانية.

دعونا نتذكر هذه الليلة على أنها احتفال بتجنب الكارثة وإعادة تكريس *حياتنا وثرواتنا وشرفنا* المقدّس لتشكيل *اتحادنا* الأكثر كمالًا.

فليبارك الربّ الولايات المتحدة الأمريكية وكل من يسميها الوطن.

شكرًا لكم. ناموا جيدًا.

الخاتمة

بعد الخطاب، ارتفعت نسبة تأييدي من أقل من ثلاثين في المئة إلى أكثر من ثمانين في المئة. كنتُ أعلم أنّ الوضع لن يستمر، ومع ذلك شعرتُ بالارتياح للخروج من القبو.

تلقّيتُ بعض الانتقادات بسبب استخدام الخطاب لدفع أجندتي، لكني أردت أن أطلِـع الأمريكيين على ما أريد أن أفعله لأجلهم، الذين ما زالوا يُهدرون كثيرًا من الفرص للعمل مع الطرف الآخر.

كان رئيس مجلس النواب يساعد على مضض. في غضون أسبوعين، كان الكونغرس قد مرّر، بأغلبية من الحزبين، مشروع قانون يدعو إلى إجراء انتخابات أكثر نزاهة وشمولية وخاضعة للمساءلة وتوفير بعض الأموال للانتقال إلى التصويت غير القابل للاختراق، بدءًا بأوراق الاقتراع قديمة الطراز. ما زالت بقية الأجندة تنتظر، لكني آمل في أن نتمكن من القيام بالمزيد من التسويات والحوافز. حتى أنّ هناك بعض التحركات لحظر الأسلحة الهجومية ومشروع قانون لإصدار ضوابط شاملة حقيقية.

ما زال رئيس مجلس النواب يفكّر في خطوته التالية. وقد كان غاضبًا مني لاستدعائه، لكنه شعر بالارتياح لأنني لم أذهب بعيدًا في إخبار أمريكا أنه يريد من نائبة الرئيس براندت تعيين ابنته في المحكمة العليا مقابل تولّيها منصب الرئيس.

وُجّهت لكارولين بروك لائحة بعشرين تهمة، واتُّهمت بأكثر من طريقة في الخيانة، وأعمال إرهاب، وإساءة

استخدام المعلومات السرية، والقتل، والتآمر لارتكاب القتل، وإعاقة العدالة. يتفاوض محاموها بشأن الإقرار بالذنب، على أمل تجنّب عقوبة السجن مدى الحياة. إنه أمر مُحزن من جوانب كثيرة - خيانتها لكل ما عملنا بجد لتحقيقه، والمستقبل المشرق الذي كان يمكن أن تحققه لو لم تستسلم لطموحها المتهور، لكن الأهم من ذلك كله، أثر فعلتها على عائلتها. لا تزال هناك أوقات، عندما أتوه في التفكير مع سؤال صعب، فأضبطني أنطِق باسمها.

في هذه الأثناء، أخيرًا تمكنت الدكتورة ديب من إعطائي العلاج بالبروتين بالإضافة إلى حقن الستيرويد. عدد الصفائح الدموية يبعث على الارتياح. أشعر بتحسّن، ولا داعي للقلق بشأن سقوطي ميتًا فيما لو تأخّرت في تناول حبوب دوائي. كذلك، ولا حتى من التعرّض لإطلاق النار وهو شيء لطيف.

وشكرًا للربّ أنّ ابنتي عادت لحياتها، وتنفّست الصعداء.

أصبحت التغطية الإعلامية السائدة، من اليمين إلى اليسار، أكثر وضوحًا، ليس بسبب خطابي، لكن لأنه على الأقل في الوقت الراهن، الأمريكيون يبتعدون عن وسائل الإعلام المُتطرّفة نحو فضاءات تقدّم المزيد من التفسيرات وعددًا أقل من الخصومات الشخصية.

أرسلتُ شخصًا ما لرؤية المحارب القديم المُشرّد الذي التقيت به في الشارع بعد أن اختفيت. وهو الآن انضمّ لمجموعة علاج ويحصل على مساعدة في العثور على وظيفة لائقة وسكن بأسعار معقولة. ويبدو أنّ الكونغرس سيموّل الجهود الساعية للحد من قتل المواطنين غير المسلحين،

وزيادة سلامة ضباط الشرطة، وإنشاء مجالس الأحياء السكنية للعمل مع الشرطة.

لا أعرف ما يخبئه المستقبل. كل ما أعرفه هو أنّ البلاد التي أحبها لديها فرصة جديدة للحياة.

في نهاية الاجتماع الدستوري سأل مواطن بنجامين فرانكلين عن نوع الحكومة التي أعطانا إياها مؤسّسونا. أجاب: «جمهورية، إن استطعت الحفاظ عليها». هذا عمل لا يستطيع أي رئيس أن يفعله بمفرده. الأمر متروك لنا جميعًا للحفاظ عليه. والاستفادة القصوى منه.

شكر وتقدير

لمساعدتهم التي لا تقدّر بثمن في المسائل التقنية، شكر خاص لجون ميلتون، الذي خدم في فوج مشاة قوات الصاعقة البرية (رينجر) الخامس والسبعين في الفترة بين 1992 - 1994؛ وجيمس فاغنر، وتوماس كينزلر، وريتشارد كلارك، الذي خدم أربعة رؤساء كمستشار للأمن ومكافحة الإرهاب.

جميع الحقوق محفوظة ©

t.me/twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4